

سلسلة النصوص الفلسفية



ج. ف. لِينْتِز أبحاث جردية في الفهم الإنساني

((نظرية المعرفة))

تقديم وترجمة وتعليق

دكتوراً محمد فؤاد كامل

كلية الآداب — جامعة محمد بن عبد الله
فاس — المغرب

١٩٨٣

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراف
تليفون ٩٠٤٦٩٦

0159196



Bibliotheca Alexandrina

ج. ف. لِينْتِز
أبحاث جبرية في الفهرم الإنساني
« نظرية المعرفة »

مقدمة :

ليينتر فيلسوف وعالم ولاهوتى وفقه وسياىى نجح فى كل هذه الميادين وحقق ما يكفى لتخليد ذكره ، وجعل منه رائداً من رواد الفكر الأوروبى الحديث فى القرن السابع عشر لا يقل أهمية عن ديكارت وأسبينوزا ومالبرانش وجون لوك وهوبز وغيرهم ممن حاولوا رفع لواء التجديد والابتكار فى مجال الفلسفة أو العلم أو الدين .

وقد جرت العادة واعتمادا على القراءة السطحية لفلسفة ليينتر على عدم ادراك ما يميز فلسفته عن غيرها من فلسفات القرن السابع عشر ، فرأى البعض ان فلسفته مجرد تعديل بسيط لفكر ديكارت ، وحجتهم فى ذلك ان الفروض التى تناولها ليينتر هى نفس الفروض التقليدية : مشكلة الله ، التمييز بين الروح والجسد ، نظرية المعرفة ... الخ ، كما جاء أسلوبه مشابها لأسلوب الفلاسفة التقليديين .

ولكن القراءة الأكثر تعمقا ستظهر أن الأمر لا يعدو أن يكون نوعا من التخفى ، فقد عرف ليينتر كيف يعادل بين أنماط التعبير ، وكيف يوفق بين المعانى وبالتالي كيف يحقق نوعا من التعادل الكلى ، من خلال المبدأ الفلسفى القائم على تحقيق التناسق الأسمى بين الجواهر بوجه عام وبين الروح والجسد بوجه خاص وبين العدد اللانهائى من مكونات العالم ووحدته فى نفس الوقت .

هذه القراءة المتعمقة لفكر ليينتر قدمت لنا عدة تفسيرات ، كلها صحيح ولكن كلها جزئية : تفسير ما بعد طبيعى ، أو ديناميكى ، أو رياضى أو منطقى ، والواقع ان فلسفته تجاوزت كل هذه التفسيرات الجزئية لتصل الى الوحدة التى أرادها فى فلسفته بوجه عام والوحدات العنصرية (الموناد) بوجه خاص ، والتى حققت القضاء على الصعوبات التى ترتبت

على التقابلات التقليدية بين كل من : الواحد والكثير ، المكان والمادة ، الروح والجسد ، الآلية والغائية ، الله والمخلوقات .

وقد عرضت نماذج لهذه القراءات وما ترتب عليها من نتائج وانتهيت الى ان هذه التفسيرات رغم صحتها اهتمت بجانب واحد وأهملت الجوانب الأخرى والأجدر بنا ان ننظر الى فلسفته نظرة شمولية تتفق مع ما نادى به هو نفسه في أبحاثه : من الارتباط ، التناسق الأزلي ، وتجعل من ما بعد الطبيعة التعبير الصوري ومن المنطق أداة ومن الرياضة أساسا أو طبقة تحتية لرؤية شاملة ومتعددة لهذا العالم الذي هو أحسن عالم ممكن أراد الله .

وتأكيدا لهذا الموقف أو لهذه القراءة رأيت التعرض لموقف ليينتر من معاصريه : ديكارت ، اسبينوزا ، جون لوك ، وبرزت روح ليينتر المتميزة وأصالته القائمة على دعامين أساسيتين هما : الحرص على تحقيق التعادل الكلي من خلال فن الارتباط والرغبة في التعميم والتناسق، وبالتالي تأكيد ان فلسفته ليست مجرد تعديل لفكر ديكارت كما زعم الديكارتيون ، وانما هي فلسفة متميزة تدور حول الانسان ومن أجله وتهتم بالعلم الحديث وتدعو الى التفاؤل في مجال الدين والأخلاق .

وبعبارة أخرى أوضحت أن فلسفة ليينتر اعتمدت على وجهة نظر تعددية تختلف أساسا عن وجهة النظر الواحدية التي عرضها اسبينوزا من خلال مفهوم الطبيعة الطابعة والمطبوعة لله ، كما اختلفت عن وجهة النظر الثنائية الديكارتية بل وتختلف عن وجهة النظر التجريبية التي ترعّمها جون لوك والتي كانت باعنا له على تأليف كتابه « أبحاث جديدة في الفهم الانساني » ليرد على نظريات جون لوك الخاصة بنظرية المعرفة وما اتصل بها من قضايا فلسفية هامة : هل المعرفة فطرية أم مكتسبة ؟ ما صلة اللغة بالأفكار ؟ ما هي نظرية المعرفة الصحيحة ؟ ولماذا اختلفت عن نظرية لوك ؟

ونظرا لأهمية هذا الكتاب وما تناوله من مناقشات رأيت أن أبدأ
بترجمة الباب الأخير منه — الخاص بنظرية المعرفة — على أساس أنه
يلخص ما جاء فى الأبواب الثلاثة السابقة له من الكتاب ، وأن أقدم له
بعرض تحليلى لفصوله المختلفة من جهة ولنظرية ليبنتز فى المعرفة من
جهة أخرى ، وهى نظرية تتفق مع وجهة نظره الشمولية والتى ترجع خطأ
كل من ديكارت ولوك الى تجاهل كل منهما عاملا من العاملين الهامين فى
المعرفة وهما الضرورى والعرضى ، يمكن قبول نظرية ديكارت اذا كانت
المعرفة كلها ضرورية ويمكن قبول نظرية لوك اذا كانت المعرفة كلها عرضية،
والحقيقة — فى نظر ليبنتز — أن المعرفة الانسانية تحتوى عليهما معا ،
والنظرية الصحيحة هى التى تضمهما معا وهى تلك التى انتهى اليها •

وكان من الضرورى استكمالا لتوضيح نظريته فى المعرفة أن أتعرض
للمنهج التحليلى الذى استخدمه ليبنتز وحاول من خلاله تأكيد فلسفته
واثبات مبادئه سواء منها ما يتصل بالمجال الطبيعى أى العلمى أو ما بعد
الطبيعى أو اللاهوتى • وإن أختتم دراستى لفلسفة ليبنتز بذكر ما تعرض
له من نقد معاصريه أو المعاصرين لنا بقصد تأكيد أصالته وتميزه وجدارته
بالاهتمام والدراسة المتعمقة لكل جانب من جوانب فكره المتعددة •



اولا
فلسفة لييتز

التيارات الفكرية السابقة والمعاصرة للقرن السابع عشر

(١) التيارات الفكرية السابقة (العصر الوسيط والنهضة) :

عرف العصر الحديث مجموعة من المفكرين تجاوزوا بتأملاتهم العميقة كل ما عرفه الانسان من قبل وجعلوا من الفلسفة بحثا فى الطبيعة وفى الانسان بقصد ابراز مكانته ومدى سيطرته على الطبيعة وما فيها من أسرار وتابعوا الآراء المتصلة بالمشكلات التى ظهرت منذ العصر القديم حيث تمكنت الفلسفة من الانتقال من الأسطورة الى اللغة العقلية ، ومن تحديد المواقف النمطية التى يمكن للمرء أن يتخذها حين يتخيل العالم . و الوجود أو الانسان .

أو خلال العصر الوسيط حيث حاولت الفلسفة التوفيق بين العقل والايمان أو بين الفلسفة والدين . فالواقع أن العصر الوسيط لم يكن — كما أعتقد البعض — عصرا مظلما راكدا توقف فيه الفكر الانسانى تماما بعد أن كان متقدما فى أيام اليونان والرومان ، ولكنه فى الحقيقة يمثل خطأ للتطور نحو تحرر العقل والتفكير المستقل غير المحدود بمضمون ثابت يفرض عليه من الخارج . ومن ثم فهو دورة من دورات تطور الحضارة الأوروبية التى تسعى الى تحقيق إمكاناتها ، ورغم أنه كان دينيا فى صميمه ، وكانت الفلسفة فيه خاضعة للاهوت ، وكان يعوزه العلم الحديث والمناهج القائمة على الاستنباط والاستقراء والتجربة ، الا أننا لا يمكن أن ننسى ما شارك به من جهد فى تقدم العقل البشرى فى عدة وجوه وخاصة المنهج الذى اتبعه فلاسفة هذا العصر فى النظر العقلى والاستدلال الذى بالرغم مما فيه من جفاف وآلية ، استطاع أن يكسب الفكر نفاذا ودقة وقدرة على التمييز والتقسيم والتفريع وغيرها من الصفات التى يندر وجودها فى ذهنية العصر الحديث .

أما عصر النهضة وهو عصر التفاعل الفكري والاعتقادي والتمرد على سلطة الكنيسة ، وتحرر العقل من سيطرتها ، فقد أمتاز بحركات الإصلاح الديني التي أبرزت وجود الفرد وألقت عليه كل التبعات الدينية التي لا تحملها عنه الكنيسة ولا رجال الدين . وقد تحددت الملامح الرئيسية للفكر في عصر النهضة من خلال المشكلات التي سادت هذه الفترة وأهمها :

١ - مشكلة شرعية السلطة السياسية والموقف الحقيقي للإنسان من الله .

٢ - الصورة الجديدة للعالم ودور الإنسان المتفوق .

٣ - التقابل بين الفكر السائد في كل من « بادوا » و « فلورنسا » : مركزا الثقافة والعلم في إيطاليا في هذه الفترة .

لقد دافع لوثر في شبابه عن الإيمان باعتباره الطريق الوحيد للسلام ووجه اللوم إلى رجال الدين الفاسدين والحريصين على الثروة والسلطة ، كما نقد التسلسل الكنسي معلنا نهاية حكم اللاهوتيين ، إلا أنه عندما تنكر أخيرا لأولئك الذين منحهم البابا سلطة تحقيق الإصلاح بواسطة جمعية المخلصين ، وعندما تحمس لحزب الأمراء خلال ثورة الفلاحين والشعب ضد السلطة عام ١٥٢٥ وأصبح مصاحبا للكبار ومنظما لكنيسة عاجزة عن نشر الإيمان المسيحي الحقيقي وساعد على ظهور حركة تجديد أخرى تدافع عن حق الشعب في الحرية ضد السيطرة الأيديولوجية للكنيسة وضد تحكم السلطة في الأفكار (١) .

وقد وجدت هذه الحركة في «توماس منتزر» Thomas Muntzer المعبر عن النظرية التي انتشرت ابتداء من سنة ١٥٥٠ وهي نظرية تربوية وتفسير أنجيلي يعقل التاريخ واللاهوت السياسي القائم على

(١) Chatelat : Histoire de la Philosophie ; T. 3 p. 31 - 39

السلطة الشعبية • رفض « مونتر » فهم الانجيل حرفيا وقدم نظرية ترفض كل لاهوت أو علم مقدس لا توضحه الخبرة المزدوجة للزهد الصوفى والصراع السياسى لعلو شعب الله • هذا العلو يتطلب منهاجا جديدا لتفسير الانجيل وعقيدة تربوية وفعلًا سياسيا •

يعتمد المنهج على الصوفية الألمانية ويجعل من الالهام الضامن للفهم الحقيقى • أرادة الله ليست محصورة لا فى سلطة الكنيسة ولا فى حروف الانجيل وإنما يعيش فى قلب الانسان وتظهرها المعاناة • وبعبارة أخرى يخلص هذا المنهج المسيحى من سيطرة النص ويعطى للعقل المقياس الواضح ويرفعه فوق الفهم الحسى الذى يظل مرتبطا بالحدود الثابتة للرغبة ويعطيه القوة لتحقيق ما يبدوا أنه مستحيل وأن كان قابلا للتحقيق فعلا فى مملكة الله على الأرض •

أما العقيدة التربوية فترمى الى جعل الانجيل مفهوما للشعب وتجعل الشعب يساهم بنشاط فى ازدهار العقيدة التى يجب أن ينظمها فى لغة ألمانية • ان سيادة اللاتينية دليل على فساد وانحطاط أخلاق رجل الدين الأنانى والكسول والجشع الذى لا يريد أن يعلم الشعب • أنه لا يخون وظيفته فحسب ، بل هو لص يسرق بغير حق قانونى النص المقدس ، رجل الدين الحقيقى هو الذى يحاكى المسيح ويعلم الشعب ولا يجب أن يظل سلبيا أمام فظاعة المستبدين ، أنه ذلك الذى يعلن بوضوح كلمته ويفسرها ويرتلها بالألمانية ليتمكن الناس من أن يلموا بالصورة المسيحية •

وهى دعوة تجديدية تؤكد حق الجماعة المسيحية — فى صورتها التى جاءت بالانجيل والتى رآها الحواريون والمبشرون الأوائل — والتى تقوم على أساس المساواة الكاملة والمحبة والاخوة ، وإذا كانت الجماعات الأخرى الفاسدة تقوم على أساس من التفرقة الاجتماعية والسياسية والسعى الى تحقيق الرغبات والشهوات المادية ، وتعترف بالتدرج فى المستويات وتستخدم العنف والكذب والخيانة ، فان هذه الدعوة

قد جعلت وظيفتها الأساسية انقاذ البشر من الخطيئة ... فالدور الحقيقي للكنيسة هو دور المربي والسياسي الذي يسهر على الأخلاق وروح المدينة وتحرير البشر من الشهوة^(٢) .

أما عن دور الانسان المتفوق والصورة الجديدة للعالم ، فقد عرف النصف الثاني من القرن السادس عشر تعديلا فى صورة العالم بناء على ما تحقق من تقدم تقنى واكتشافات علمية ، وما تزود به الانسان من أسلحة نظرية تساعده فى فهم الكون وفرض الفروض وتحليل الأفكار . بدأ التجديد فى ايطاليا ببعث القديم وتخطى الفترة المدرسية المنهكة بالتحاليل المبالغ فيها وترتب على ذلك أن ترك (الانسانيون) الفلسفة الطبيعية ليكشفوا من خلال دراستهم لأفلاطون وأفلوطين ، ومن خلال البحث عن أصل الانسان وعن الدوافع النفسية وحب الحياة والحساسية التى تفوق الدقة العقلية التصورية وأن تعرض لقضية أساسية هى : ما جدوى التفكير فى الطبيعة اذا لم نعرف ما هو الانسان ؟

ظاهرة أخرى وضحت فى هذه الفترة هى طريقة تناول النصوص وشرحها كل عالم أو باحث يختار بعض المقتطفات التى يحسن اختيارها ويشكل تصوره الشخصى ويشيد فلسفته الخاصة ويتخلص من جمود النص وحذقة التفسير الحرفى .

وباختصار تحول الفكر الى فكر علمانى خاصة بعد ظهور دعوة « نيقولا دى كويز » Nicolas de Cues فى كتابه « الدنيوى » أو « العلمانى » التى تؤكد أن العقل قسمة متساوية بين البشر وتظهر القيم الانسانية والفضائل الدنيوية لقدماء الرومان ، وتحارب الهروب الى الكهوف وتؤكد أن الانسان يحقق سلامه فى المدينة^(٣) .

(٢) نفس المرجع ص ٤٠ - ٦٦

(٣) نفس المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٨ ، ٥٣ - ٥٤

ظاهرة ثالثة هي انتصار الانسان على محاكم التفتيش التي تفرض قانونها بالقوة وقدرته على تطبيق الفضائل الخاصة بالعالم العلوى فى عالمه هذا •

أما التقابل بين الفكر السائد فى مدينتى بادوا وفلورنسا فهو فى حقيقته تقابل بين الفكر الأفلاطونى والفكر الأرسطى : يتمسك الفكر الفلورنسى بأرسطو فى حين يرى الفكر السائد فى بادوا وجود مجالين للبحث : أحدهما يستخدم المناهج العقلية والآخر يعتمد على الايمان ولا يستجيب لمحكمة العقل ولا يخشى سلطة الكنيسة ولا معارضتها ، ويهتم بالأبحاث العلمية وخاصة الطب ، ويعتبر هذا الفكر المبشر للفكر الفرنسى والتحرر بفضل تياره الرومانى والتحررى ، وهو أكثر اقناعا من الناحية الاجتماعية والدينية من الفكر الفلورنسى •

وباختصار يرتكر الصراع بين الفكر الفلورنسى وفكر بادوا على نقطة أساسية هي : أما أن تكون المعرفة شمولية كما تريد فايرنسا أو تكون واقعية جزئية لكل فرع من فروع المعرفة مجاله الخاص كما تريد بادوا وانتهى النزاع بينهما بظهور تيارين أحدهما توفيقى متأثر بالدوافع الفيثاغورية الأفلاطونية والآخر علمى خالص يعتمد على الأبحاث التجريبية وكلاهما يؤمن بحقيقة أساسية هي ضرورة غزو مجالات جديدة •

(ب) التيارات الفكرية فى القرن السابع عشر :

تميز الفكر الفلسفى الحديث ابتداء من القرن السابع عشر بالميل الى الانشاء وازدهار النهضة العلمية وظهور المذاهب المختلفة عند كل ديكارت ومالبرانش وأسبنوزا وليبنتر وبيكون ولوك وهوبز وغيرهم • وقد حاول فلاسفة هذا القرن رفع لواء التجديد والابتكار سواء فى مجال الفلسفة أو العلم أو الدين •

ففى الفلسفة مثلاً هاجم البعض ما بعد الطبيعة والمنطق الأرسطى بل وهاجم انتشار الفلاسفة اليونانية ذات النظرة الكلية المطلقة باعتبارها فلسفة فارغة لا نفع فيها فيما يتعلق بتحقيق سيطرة الانسان على الطبيعة أو تحقيق تقدمه وارتقائه فى الحياة ، ومن ثم طالبوا أن تقتصر مهمة الفلسفة على توضيح المعانى وخدمة البحث العلمى فى حين ظهر اتجاه آخر يعود بالفلسفة الى القديم ويحاول اثراء الفكر الفلسفى بالنظرات الشاملة الكلية والعودة الى المنطق الأرسطى بعد تزويده بالرموز الرياضية وتطويره^(٤) .

وفى العلم ظهرت صراعات من نوع جديد تستهدف رفض أى بحث نظرى وإفساح المجال أمام الاختراعات والاكتشافات التى تساعد الانسان على السيطرة على الطبيعة ، وبدأت العلوم تستقل من الفلسفة متخذة لنفسها مناهج وأساليب تختلف فى قليل أو كثير عن مناهج الفلسفة وبدأت المناهج التجريبية والمعتمدة على الاستقراء ، ومع ذلك لم يستطع العلم القضاء على الفلسفة أو التقليل من شأنها بل بقيت الفلسفة تعطى العلم من روحها وطورت نفسها وأنتجت فروعاً جديدة لفلسفة العلوم وفلسفة المناهج .

وفى الدين انتشرت موجة الالحاد التى تحاول تفسير كل شئ آلياً بعيداً عن التصورات الدينية بل وعن وجود الله ، وفى مقابل ذلك نشط التيار المؤمن يحاول أن يثبت وجود الله ويبين أن التفسير الآلى وحده عاجز .

وباختصار تميزت الفلسفة الحديثة بوجود تيارين سارا جنباً الى جنب تيار يرفض كل فكر سابق وتيار تطورى يقبل الفكر السابق ريسى الى تعديله وتطويره ليتلائم مع ما توصل اليه العقل الانسانى من

Emile Boutroux, Etudes d'histoire de la philosophie (٤)
allemande. p 168 , 176, 184.

اكتشافات واختراعات ، كما تميزت بوجود عدة اتجاهات أساسية :
اتجاه مثالي يؤمن بالنظرة الشاملة التي تخضع لبدأ الكل ويمثله
أسيينوزا صاحب مذهب وحدة الوجود الروحية ، واتجاه ثنائى يحلل
الأفكار الى أبسطها وينظر فى كل فكرة على حدة ليصل الى الوضوح
ويمثله ديكارت والديكارتيين *

واتجاه عقلى تعددى يدعو الى التناسق الأسمى بين مكونات العالم
ويمثله ليبنتز ، واتجاه تجريبي يعتمد على الاحساس فى ادراك العالم
الخارجى ويمثله جون لوك أو يعتمد على التفسير المادى ويمثله هوبز *

ليبنتز : أعماله وفلسفته

... لى نحدد موقف ليبنتز من الفكر السائد فى عصره أو ذلك
السابق له ولكى نوضح الدور الحقيقى والأساسى الذى قام به فى
هذا الصراع الفكرى بين القديم والجديد من جهة أو بين الفكر الفلسفى
وكل من الفكر العلمى أو الدينى من جهة أخرى ، ومدى مساهمته فى
مشكلة المعرفة التى كانت سائدة فى عصره والتى تعرض لها ديكارت
باتجاهه العقلانى وجون لوك باتجاهه التجريبي من جهة ثالثة ومن أجل
كل هذا سنعرض بإيجاز لفكر ليبنتز الفلسفى وخاصة كما حاول
عرضه فى كتابه « أبحاث جديدة فى الفهم الإنسانى » وبصفة خاصة
الفصل الرابع الذى تناول نظرية المعرفة وحدد موقفه من جون لوك
بصفة خاصة * وأوضح ما قدمه ليبنتز للفكر الإنسانى من اضافات
وتجديدات *

لقد امتاز ليبنتز بنشاطه واهتمامه بكل ما يسود عصره من مشاكل
فقد كان فيلسوفا وعالما ولاهوتيا وفقهيا وسياسيا * وقد نجح فى كل
هذه الميادين وحقق ما يكفى لتخليد ذكره *

كانت الفكرة السائدة عند معظم مؤرخى الفلسفة الذين تناولوا

فكره بالدراسة والنقد حتى أواخر القرن التاسع عشر هي أن فلسفته يغلب عليها الطابع الرياضي ؛ فنظروا اليه على أنه عالم رياضى أكثر منه فيلسوفا .

أما فى القرن العشرين فقد تغيرت هذه الفكرة بفضل ما نشره « لويس كوتوراه » من مخطوطات لم يسبق نشرها وبفضل ما أوضحه « برتراند رسل » من آراء فى كتابه « عرض نقدى لفلسفة ليينتر » فأصبح الرأى السائد فى النصف الأول من القرن العشرين أن ليينتر فيلسوف أكثر منه عالما رياضيا ثم اختلف مؤرخوا ليينتر بعد ذلك :

فريق يعتقد أنه فيلسوف ما بعد طبيعى يقوم مذهبه على أسس ما بعد طبيعية خالصة كفكرة الجوهر أو الوحدة العنصرية البسيطة (الموناد) فى حين يعتقد البعض الآخر أن فلسفة ليينتر يغلب عليها الطابع المنطقى الذى يصوغ مذهبه فى قضايا موضوعها يتضمن محمولاته .

هذا وقد اعتمد الفريقان على مؤلفات ليينتر رخاصة :

١ — خطابات الى فوشيه Lattres à Foucher :

التي نشرت ضمن مجموعة من كتابات ليينتر الفلسفية فى الفترة من ١٦٧٦ الى ١٦٩٥ يعرض فيها وجهة نظره فى اثبات الحقائق الموجودة خارج النفس وتحديد موقفه من ديكارت ورأيه فى الامتداد وقوانين الحركة وعلاقة الروح بالجسد ، الجوهر ، المادة ، الله .

٢ — خطابات الى فونتيل Lattres à Fontenelle :

فى السنوات ١٦٨٤ ، ١٧٠٢ ، ١٧٠٣ ، ١٧٠٥ يعرض فيها أبحاثه العلمية الخاصة بالفلك والهندسة والحركة واللامتناهى .

٣ — مقال فى ما بعد الطبيعة 1686 discours de Metaphysique :

يتضمن آراءه المنطقية وما بعد الطبيعية والطبيعية والأخلاقية ، كما يتضمن بعض المشكلات السائدة فى عصره ، خاصة ما يتصل منها بالحقائق الضرورية أو بالعالم الخارجى ، ومبادئه الفلسفية • واللامتشابهات (مبدأ التفرد) والتناسق الأزلى ، وقوانين الحركة ، مبدأ تساوى السبب والأثر الناتج عنه •

٤ — خطابات الى أرنولد Correspondance avec Ornauld :

تناول موضوعات ما بعد طبيعية ولاهوتية ترتبت عن قوله أن الجوهر موضوع يتضمن محمولاته ، وما يتبعها من تفسير لحرية الله وإرادته ودافع عن وجهة نظره القائمة على هذه النظرية المنطقية •

٥ — مذهب جديد فى الطبيعة وارتباط الجواهر ووحدة الروح والجسد

سنة ١٦٩٥

New system of the nature and communication of substances, as well as of the union existing between soul and body.

يعرض فيه نظريته فى الاتساق الأزلى بين الجواهر بوجه عام وبين الروح والجسد بوجه خاص ، وقد اعتاد ابتداء من بحثه هذا أن يطلق على نفسه اسم « مؤلف مذهب التناسق الأزلى » ، كما عرف الجوهر تعريفاً جديداً أطلق عليه اسم « الوحدة الحقيقية » أو « النقطة ما بعد الطبيعة » •

٦ — الأصل النهائى للأشياء

The Ultimate Origination of things 1617

بحث يثبت وجود وحدة أولية حقيقية هى مصدر ما فى هذا العالم من حقائق وموجودات ، ويفسر ما بين الموجودات من ترابط ، أى يفسر علاقة العلم الطبيعى بما بعد الطبيعة ، وينتهى الى تقرير أن

كل شيء فى العالم يتخذ مكانه وفق قوانين خالده وتبعاً لمبدأى عدم التناقض والعلّة الكافية •

٧ — أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى
Nouveaux Essais sur L' entendement humain

من أهم كتب لىبنتر يعرض فيها مناقشته لنظرية جون لوك فى المعرفة وفكرة الروح وأصل المعرفة وصلتها بالأفكار الفطرية •

٨ — الالهيات :
Essais de theodiceé , sur la bonté de Dieu, la Liberté L'homme et l'origine de mal.

تناول مشكلة الشر وعلاقته بحرية وخيرية وقدرة الله ، كما تناول فكرة الحرية الالهية والحرية الفردية تناولاً يتمشى مع نظرية التناقص الأزلّى وتظهر أن الله خلق أحسن عالم ممكن وأن وجود الشر لن ينقص من قدرة الله أو حريته أو خيريته •

٩ — مذهب الوحدات العنصرية 1914 - Monadology :
تلخيص وتجميع لآراء لىبنتر الفلسفية والمنطقية وما تتضمنه من مبادئ ونظريات •

١٠ — مبادئ الطبيعة والعناية مؤسسة على العقل
Principles of nature and grace founded on Reason.

تتضمن مع مذهب الوحدات العنصرية فى أنها تلخيص وتجميع لمبادئ آراء لىبنتر النهائية فى الفلسفة والمنطق (٥) •

هذا وقد اعتمدت احدى القراءات المعاصرة على هذه الأعمال والمراسلات لتظهر اهتمامه بالفكرة المنطقية التى تجعل موضوع القضية

(٥) B. Russell : critical exposition of the philosophy of Leibniz p: 4, 9.

يتضمن محمولاته أو صفاته وتوضح كيف حاول تطبيقها فى المجالات المختلفة سواء فى الرياضيات أو علم الطبيعة أو ما بعد الطبيعة أو اللاهوت •

فقد أعلن ليينتر هذه الفكرة لأول مرة فى خطاب الى فوشيه سنة ١٦٤٦ وحاول تطبيقها على فكرة الجوهر باعتباره كائنا كاملا يحتوى كل ما يخصه أى باعتباره موضوعا يتضمن محمولاته ، كما تضمنت هذه الرسالة رأيه فى الروح كجوهر يملك المعرفة الحقيقية •

ثم عاد فتعرض لنفس الفكرة بتفصيل فى خطابه الى أرنولد مايو سنة ١٦٨٦ ومقاله ما بعد الطبيعة ومذهبه الجديد سنة ١٦٩٥ ومبادئ الطبيعة والعناية حيث طبق هذه الفكرة على الله باعتباره موضوعا يتضمن محمولاته وانتهى من تحليل هذه المحمولات الى اثبات وجود الله وتحديد صفاته وصلته بال مخلوقات كما ساعدت هذه الفكرة بتطبيقاتها فى المجالات المختلفة على اكتشاف عدة مبادئ ونظريات جديدة وصبغت فلسفة ليينتر بالصبغة التحليلية التى دفعت معاصرنا الى الاهتمام بدراسته واظهار ما فى فلسفته من عمق وتعيد النظر فى تحديد علاقته بمعاصريه وخاصة ديكارت واسبينوزا •

أما أهم النتائج التى توصلت اليها هذه القراءة المعاصرة فنوجزها فيما يلى :

- ١ - لكل قضية موضوع ومحمول •
- ٢ - الجوهر موضوع يحتوى على محمولات تعبر عن صفات توجد فى أزمنة مختلفة •
- ٣ - القضايا الصادقة التى تثبت الوجود فى زمن معين تكون عرضية وتركيبية وتعتمد على علل نهائية •
- ٤ - الانا جوهر •

٥ — من الممكن معرفة العالم الخارجى وما فيه من موجودات غير النفس وحالاتها •

٦ — هناك نوعان من القضايا : قضايا ضرورية نقيضها مستحيل وأساسها المنطقى مبدأ عدم التناقض وقضايا عرضية نقيضها ممكن وأساسها المنطقى مبدأ العلة الكافية •

وقد أستندت على ما جاء فى خطابه الى أرنولد حيث يقول : « اذا ما حاولنا فحص الفكرة التى لدينا عن كل قضية صادقة ، فأننا نجد أن فكرة الموضوع تتضمن كل ما يدخل فيها من محمولات سواء كان ضروريا أو عرضيا ، ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا » •

ويقول فى خطاب آخر « كل قضية صادقة سواء كانت ضرورية أو عرضية كلية أو جزئية ، يحتوى موضوعها على محمولها. » (٦) •

أما القراءة الثانية المعاصرة أيضا فقد انتهت الى أن الهدف الحقيقى الذى سعى اليه ليينتر هو تفسير ما يعرض للذهن الانسانى من مشكلات تتصل بالعالم الخارجى وما فيه من وحدات حقيقية وظواهر محكمة البناء الى أن ينظر الى العالم نظرة تحيل ما فيه من اختلاف الى وحدة • ويمكن تلخيص النتائج التى توصلت اليها هذه القراءة فيما يلى :

١ — كل الموجودات فى هذا العالم من نوع واحد ، وهى أشبه بالعقول من أى شىء آخر فد تثيره التجربة •

٢ — هذه الموجودات يختلف بعضها عن بعض فى الدرجة ، فهى تتدرج من الجماد الى النبات الى الحيوان الى العقول •

٣ — لا يمكن أن تؤثر بعضها البعض أو أن يعرف بعضها البعض •

٤ — العقول وحدها هى التى لديها القدرة على المعرفة والقدرة على تحقيق أغراضها •

Mary Morris; philosophical writings p. 71, 73. (٦)

- ٥ - يمكن صياغة قوانين الطبيعة التي تربط أجزاء العالم •
- ٦ - كل وحدة عنصرية تحتوى فى ذاتها ما سيحدث لها فى المستقبل وتتمتع العقول بالحرية •
- ٧ - المادة والمكان والزمان ظواهر محكمة البناء ، أى أنها غير حقيقية ولكنها ليست وهمية •
- ٨ - الله موجود وهو الموجود اللامتناهى وهو العقل الأول وخالق كل ما عداه (٧) •
- والآن ما هى هذه الوحدة العنصرية التى أصبحت أساس التفسير ما بعد الطبيعى ؟
- وما هى المبادئ التى توصل اليها ليبنتز من تحليله وتحديدده لهذه الوحدة العنصرية ؟

الوحدات العنصرية : (الموناد)

لا يوجد فى العالم سوى الوحدات العنصرية والظواهر المحكمة البناء ، الوحدة العنصرية وحدة بسيطة غير منقسمة ، ويوجد منها عدد لا نهائى ، وتعتبر عن العالم فهى وجهة نظر أو مرآة أو اله صغير ، لديها واقع يدفعها باستمرار الى الانتقال من الادراكات التى لديها الى ادراكات أخرى ، ومن حالة يكون فيها ادراكها لنفسها وللأشياء غامضا الى حالة يصبح فيها ادراكها أكثر تميزا ووضوحا • وهى محاولة للاقترب من الكمال الالهى وهذا يتطلب تناسقا بينها وبين غيرها ، كما يتطلب تسلسلا يبدأ من الوحدات العنصرية التى لا تملك الا اكتفاءها الذاتى بحركاتها يسميها « أنتلخيا » ويليهما فى الرقى الوحدات العنصرية الواعية ويسميها « أرواحا » ثم وحدات عنصرية واعية وعاقلة ويسميها « أرواحا عاقلة » ، كل واحدة من هذه الوحدات لها ميولها الخاصة التى تعبر

Ruth Lydia saw ; Leibniz p. 28, 29, 42.

(٧)

عنها ، وهى تتفاوت فى هذا التعبير أيضا : الانتلخيا تعبر عن ميولها عن طريق الدفع ، وتتسم الأرواح الواعية بما لديها من غريزة ورغبة لا يحكمها الا الشعور فى حين تعتمد الأرواح العاقلة فى تعبيرها عن ميولها على كل من الرغبة الواعية وغير الواعية ، ومن ثم ليس هناك اختلاف جوهري بين الفئات المختلفة للوحدات العنصرية ، كل ما بينها من اختلاف يرجع الى درجة وضوح وتميز أفكارها أو ادراكاتها •

هذه الوحدات العنصرية البسيطة يمكن أن تتجمع مع بعضها وتكون وحدات مركبة ، ولكى نميز بين الوحدات العنصرية المركبة يجب أن نبحث عن الوحدة العنصرية السائدة التى تتصف بصفات خاصة هى التى تميزها عن غيرها وهى شأنها شأن الوحدات العنصرية البسيطة لديها تصوراتها وميولها الخاصة ومن ثم فهى أيضا مرآة للعالم بطريقتها الخاصة ، وهى رغم أنها لا نوافذ لها الا انها تحتوى فى داخلها على علة تغيراتها ، كما أن لديها فى ذاتها القوة على الانتشار تلقائيا • لن نتمكن من تحقيق ميولها أو من الانتشار التلقائى الا اذا كان من طبيعتها أن تتعاون مع غيرها حتى لا يحدث اضطراب أو تصادم بين الوحدات العنصرية •

أما أهم المبادئ التى ترتبت على ذلك فهى : (أ) مبدأ الاتصال •
(ب) مبدأ اللامتشابهات (التفرّد) • (ج) مبدأ التناسق الأزلئ •

(١) . مبدأ الاتصال :

اعتمد ليعتبر على هذا المبدأ فى تفسير التغير المستمر للوحدات العنصرية • هناك ثلاثة أنواع من الاتصال :

١ — اتصال زمانى — مكانى •

٢ — اتصال الحالات •

٣ — اتصال الوحدات •

يتضمن الاتصال الزمانى المكانى استمرار المكان والزمان من جهة
والأشياء الموجودة فيهما من جهة أخرى ، كما يتضمن الحركة وكل أنواع
التغير فهو انتقال تدريجى من حالة الى حالة فى صورة متعاقبة متصلة^(٨) .

اتصال الحالات يوضح أنه اذا حدث أى تغير فى حالة أية مجموعة
من المجموعات لابد وأن يؤثر هذا التغير فى الحالات المترتبة عليها .

اتصال الوحدات أو الصور يعبر عنه بقوله أن الطبيعة لا تعرف
القفزات ، وهو الصورة العامة لكل صور الاتصال وكان يسميه ليبنتز أحيانا
مبدأ الانتقال ويقصد به أن التغير يتم تدريجيا وينتج عن سبب طبيعى
داخلى ويتعارض مع التغير المفاجئ الذى يرجع عادة الى سبب خارجى .
وقد حاول تطبيق هذا المبدأ فى الرياضيات والطبيعة والميكانيكا وعلم
النفوس وما بعد الطبيعة كل الجواهر خالدة وفى تغير مستمر فهى
لا تستطيع أن تبدأ الا بالخلق ولا تنتهى الا بمعجزة لا يقدر
عليها الا الله .

امتازت فلسفة ليبنتز بفضل هذا المبدأ بأنها محاولة مستمرة
لاظهار أننا ننتقل من فكرة الى أخرى ومن كائن الى آخر فثمة سلسلة
واحدة تشمل كل الكائنات الطبيعية كالفقرات الكثيرة التى ترتبط ببعضها
ارتباطا وثيقا بحيث يستحيل للحس أو للخيال ان يحدد بدقة النقطة
التي يبدأ منها أو ينتهى^(٩) .

(ب) مبدأ اللامتشابهات : (التفرّد)

هذا التدرج اللانهائى يستدعى ألا تكون الوحدات العنصرية
متشابهة تمام التشابه ، ليست الأنواع وحدها هى التى تختلف عن بعضها
بل الأفراد كذلك ، بل وأجزاء الفرد مهما كانت صغيرة . » اذا تشابه

(٨) Robert Latta; Monadology and other philosophical writings of leibniz. p 50 109, 111.

(٩) نفس المرجع صفحة ٣٨ - ٤١

فردان تماما وتساويا لن يمكن التمييز بينهما والحقيقة أن كل جسم يختلف اختلافا حقيقيا عن سواه» (١٠) .

هذا المبدأ يوضح أن مبدأ العلة الكافية لم يستعمل الاستعمال الكافى فى ما بعد الطبيعة وان استخدام التلامشابهات يؤكد أن الله لا ينتج جزئين من المادة متشابهين ومتساويين تماما ، لأن هذا يعنى ان الله والطبيعة يعملان بدون علة تبرر لماذا اختلفت معاملتهما لأحد الأجزاء عن معاملتهما للجزء الآخر . وعلى هذا فان الله لا يخلق جزئين من المادة متساويين ومتشابهين (١١) .

أما تطبيق مبدأى الاتصال والتلامشابهات على الوحدة العنصرية باعتبارها موضوعا يتضمن محمولاته فقد جعل من الوحدة العنصرية جوهرًا بسيطًا يتصف بصفات معينة أهمها أنها ذات تصورات وميول داخلية تخصها وتجعلها فى تغير مستمر وتحقق التناسق الأسمى بينهما . كما يجعل منها موضوعات لا حصر لها تتدرج فى تسلسل متناسق لا يتشابه فيه وحدتان على الإطلاق .

وبعبارة أخرى يفسر مبدأ الاتصال الحالات المختلفة التى تتعرض لها الوحدة العنصرية الواحدة فى تغيراتها المستمرة ويجعل من هذه الحالات محمولات يمكن أن نستدلها من تحليل الفكرة التى لدينا عن هذه الوحدة العنصرية .

أما مبدأ التلامشابهات فقد جعل الوحدات العنصرية المختلفة موضوعات مستقلة ومغايرة لبعضها البعض ويؤكد عدم التشابه بين هذه الوحدات وبالتالي يؤكد أن تحليل الوحدات العنصرية يفسر ما فى الكون من نظام وتناسق ويؤكد قدرة الله الكاملة على خلق أحسن عالم ممكن .

Leibniz : Nouveaux essais p. 182

(١٠)

Mary lewis; philosophical writings p. 213 .

(١١)

(ج) مبدأ التناسق الأزلى :

بهذا المبدأ يؤكد لـيبنز أن الله حينما خلق العالم بصورته الحالية إنما خلق أحسن عالم ممكن ، وقد اختار هذا العالم بالذات من بين عدد لا حصر له من العوالم الممكنة ليكون دليلا على عظمته وقدرته وعلمه ، ومن الطبيعى أن يكون الله قد زود هذا العالم منذ الأزل بكل ما يلزمه من نظام واتساق يحفظ استمراره ويرقب ما بين أجزائه المختلفة من علاقات وارتباط ويكفل تحقيق كل ما يتضمنه من علاقات . وعلى ذلك فمن دلائل عظمة الله أن يشمل هذا العالم ظواهر محكمة البناء ووحدات عنصرية حقيقية وبسيطة . وخير دليل على هذا التناسق الأزلى ما نجده فى علاقة الروح بالجسد رغم أن كلا منهما يعمل وفق قوانينه الخاصة . وقدم لـيبنز مثال صانع الساعات الماهر الذى يجعلها تبدأ معا ثم يترك العملية الميكانيكية تعمل وحدها بعد ذلك . هذا هو موقف الله أيضا فقد وضع ابتداء من لحظة الخلق فى كل وحدة عنصرية وفى كل حالة كامنة ما ستحتاج اليه وركبها بطريقة تجعل كل وحدة منها تبسط طبيعتها على سلوك الآخرين . هذا التناسق لا ينقص من قدرة الله بل على العكس هو خير دليل بعدى يمكن أن نقدمه لاثبات وجود الله (١٢) .

والآن كيف أثبت وجود الله ؟ وما علاقته بال مخلوقات ؟

لم يقتصر لـيبنز فى تطبيقه فكرة الموضوع الذى يتضمن محمولاته على ما بعد الطبيعة كما أوضحنا من قبل وإنما أمتد الى المجال الدينى والأخلاقي واعتبر فكرة الله موضوعا تحليليا يظهر ما تتضمنه من محمولات تثبت وجود الله وتحدد صفاته وعلاقاته بالمخلوقات .

(١) اثبات وجود الله :

اعتمد لبينتز على أربعة أدلة :

١ — دليل يعتمد على ما تمدنا به التجربة من حقائق عرضية ويمكن تلخيصه في أن الكون حادث ويتألف من عدد لا نهائي من الحقائق ، تحليل كل حقيقة منها يؤدي الى ضرورة وجود علة كافية لوجودها هكذا وليس خلاف ذلك . هذه العلة الأخيرة يجب أن تكون خارج هذه الحقيقة ، أي في جوهر واجب الوجود بذاته وهو ما نسميه الله .

٢ — دليل يعتمد على الحقائق الضرورية وعلى أنها تتبع كلها من عقل لديه القدرة على اختيارها دون سواها ، ونقلها من الوجود بالقوة أو الامكان الى الوجود بالفعل ، فمن المستحيل أن يكون تحقق وجود الوحدات العنصرية بفعل قوة عمياء جاهلة لأن خالقها يتضمن اختيارا من بين الممكنات ويستحيل أن يتم الاختيار بين هذه الممكنات اذا لم يكن هناك معرفة تقرر هذا الاختيار (١٣) .

٣ — دليل يعتمد على مبدأ التناسق الأزلي والنظام السائد في الكون ، هذا كله يتطلب وجود خالق كامل قادر على تحقيق هذا التناسق .

٤ — دليل يعتبر تعديلا لدليل « أنسلم » كما عرضه ديكارت وخلاصته أن الله واجب بموجب ماهيته ، فاذا كان الله ممكنا كان موجودا . الله ممكن والممكن يقتضي الميل الى الوجود بفضل ما فيه من كمال . ولما كان الله غير متناه فلن يعترض ميله الى الوجود شيء مغاير له ويصبح الممكن موجودا لمجرد كونه ممكنا (١٤) .

Russell; critical exposition. p 172, 175, 178. (١٣)

Mary Morris, philos. writings of Leibniz p. 11 , 12 , (١٤)
26, 196 , 197.

(ب) صفات الله :

فكرة الله كموضوع يتضمن محمولاته أثبتت أيضا صفات الله فهو جوهر كامل ووحدانية عنصرية كاملة وسامية تتحلف بالقدرة والعلم والارادة والخير والعدل وغيرها من الصفات • ومن البديهي أن تكون صفات الله لا نهائية وكاملة تماما في حين تكون في الوحدات العنصرية المخلوقة محدودة بقدر مالها من كمال • وقد قارن لينيتر بين الله الموصوف بهذه الصفات المطلقة وبين المهندس والصانع الماهر وأوضح ما بينهما من تفاوت كبير ، إذ أن الله لا يحتاج في خلق هذا العالم الى أى مادة من الخارج ما دام يخلق كل ما يلزمه ، بينما يبحث الصانع عن مادته خارج نفسه ، كما أن مخاوقات الله أكثر دواما وأعظم دقة •

(ج) علاقة الله بمخلوقاته :

يميز لينيتر بين علاقة الله بالعقول من جهة وعلاقته بغيرها من الوحدات العنصرية الأقل رقيا من جهة أخرى : علاقته بالعقول علاقة أمير برعاياه وعلاقته بالوحدات العنصرية غير العاقلة مرايا أو صبور لعالم المخلوقات ، أما العقول فصورة الله ، خالق العالم وهى بذلك قادرة على معرفة نظام العالم ومحاكاة ما فيه من نماذج هندسية ويصبح كل عقل منها اله صغيرا ويقول « لو تأملنا جيدا تصرفات هذه العناية الالهية فى حكمها على الاشياء فأنا نستطيع القول أن ذلك الذى يتصرف هذا المتصرف الكامل لن يكون أقل كمالا من العالم الرياضى الممتاز الذى لديه أحسن تركيب للمشكلة أو المهندس الماهر الذى ينظم بناءه بحيث يصبح خاليا مما يشوه جماله أو يقلل كماله ، أو الصانع الدقيق الذى ينتج عمله بأقصر الطرق وأقل التكاليف ، الله هو الموضوع الوحيد المباشر خارج أنفسنا وأنا نرى كل شئ بواسطته » (١٥) •

(١٥) نفس المرجع السابق ص ١٨

خلاصة القول اذن أن ليينتر فى اهتمامه بالمشكلات الدينية سعى الى اثبات وجود الله وتقرير صفاته الرئيسية : القدرة ، العلم ، الارادة ، الخير ، وانتهى بتشبيد مدينة الله التى تحتوى الوحيدات العنصرية العاقلة تحت رعاية الاله العادل الكامل متبعا فى ذلك نفس المبدأ الرئيسى الذى حرص على تطبيقه فى كل المجالات .

ومن الطبيعى أن تتفق آراء ليينتر فى هذه المجالات سواء منها الفلسفية أو العلمية أو اللاهوتية مع الاتجاهات الفكرية المعاصرة له فى جوانب معينة وتختلف عنها بل وتعارضها فى جوانب أخرى وهذا ما سنحدده من خلال حديثنا عن موقف ليينتر من معاصريه وخاصة ديكارت ولوك واسبينوزا .

موقف ليينتر من معاصريه

(١) موقفه من ديكارت :

يتضح لنا اذن من خلال العرض الموجز لفلسفة ليينتر وخاصة آراءه فى ما بعد الطبيعة واللاهوت ، أنه اتخذ موقفا واضحا من فلسفة ديكارت من جهة ومن فلسفة الديكارتيين من جهة أخرى ، سواء فى مجال العلوم الطبيعية أو ما بعد الطبيعة أو اللاهوت ، أى فى المجالات الثلاثة الرئيسية المتصلة بالعلم والفلسفة والدين . ونحاول الآن تحديد هذا الموقف بتفصيل أكثر لتظهر الى أى مدى استطاع أن يتجاوز فكر عصره وما هى هذه المتجاوزات والاضافات ؟

من أجل هذا يلزمنا أولا مقارنه ما انتهى اليه ديكارت من حقائق ومبادئ بما كان سائدا فى المدارس الفلسفية المشائية والمدرسية المعاصرة له ، وخاصة بالنسبة لفكرة « الصورة الجوهرية » التى تقرر ان لكل جنس من الجواهر نوعا من المعطى الخاص سيكون حقيقته ويميزه عن غيره .

فقد عرفت الفلاسفة المدرسية عدة تصنيفات للصور الجوهرية نذكر منها تصنيفين أساسيين أولهما يقسمها الى ثلاث فئات : (أ) الله وهو الموجود الذى لا يحتاج لوجوده الى علة أعلى ولا يوجد فى موضوع أسفل منه . (ب) الصور التى تستمد وجودها من غيرها و لا تكون هى نفسها موجودة فى مادة وهى الصور الخالية من كل تعيين جسمى .

(ج) الصور المعتمدة فى أجزائها والتى تستمد وجودها من علة أعلى وتوجد فى موضوع ، وهى الأعراض ، أولهما الصور الجوهرية التى تتحدد المادة .

وثانيهما يقسم الصور الجوهرية الى ستة فئات هى : (أ) المادة الأولى أو العناصر . (ب) المركبات الدنيا كالأحجار . (ج) المركبات الأعلى كالبقاير مثلا . (د) الكائنات الحية أو النباتات . (هـ) الكائنات الحساسة أو الحيوانات . (و) الصور الجوهرية العاقلة التى تشبه الآخرين باعتبارها صورة لجسد ولكنها لا تستمد من الجسد عمليتها الخاصة وهى الفكر (١٦) .

سادت نظرية الصور الجوهرية فى القرن السابع عشر وأدت الى نوع من اللامعقولية دفعت العديد من مفكرى هذه الفترة الى نقدها لما أدت اليه من أخطاء جسيمة أبعدتها عن روح البحث العلمى الذى يطلب الأسباب الحقيقية للظواهر ، لأنها ترجع فى تحليلها هذه الظواهر وارتباطها ببعضها البعض الى صفات غامضة أو فضائل تميز هذه الاجسام غامضة مثلا يرتفع فى الانبوبة الفارغة بناء على صفه خفيه من طبيعتها أن تدفعه الى أعلى .

وكان طبيعيا إذن أن ينهض ديكارت وجاسندى ومالبرانش وغيرهم لينقد هذه النظرية وقد أنهى ديكارت الى وجود جوهرين فقط جوهر

(١٦) مقدمة بيانجيه الترجمة الفرنسية لكتاب الأبحاث الجديدة « الفهم الانسانى » .

الفكر وجوهر الامتداد • كل شيء فى الاجسام يرجع الى الامتداد بكل تعديلاته من شكل أو حركة ، وكل شيء فى العقول يرجع الى الفكر بكل أنماطه من لذة والم ، حكم أو تفكير أو ارادة • وبالتالي أخضع الطبيعة كلها الى آلية لا يوجد خارجها سوى الروح • فقد حرص ديكارت اذن على ان يخلص علم الطبيعة من الاخطاء التى نشرتها نظرية الصور الجوهرية وحاول تأسيس علم طبيعة جديد يفسر الظواهر الطبيعية على أساس فكرة الامتداد وما يترتب عليه من شكل وحجم وموقع وحركة • واستبعد تماما الصفات الخفية أو الفضائل التى كانت نقول بها نظرية الصور الجوهرية ، وسرعان ما انتشرت نظرية ديكارت الآلية فى جميع المجالات وطرحت سؤالا هاما يدخل فى مجال ما بعد الطبيعة وهو : هل تكون مبادئ الآلية نفسها آلية ؟ وبعبارة أخرى هل الآلية هى الكلمة الاخيرة فى الطبيعة ؟ وهل تكفى بنفسها ويمكن الاعتماد عليها وحدها ؟ فكرة القوة مثلا التى تفسر عدد ظواهر فى مجال علمى الطبيعة والكيمياء ، هل هى آلية ؟ أنها فى نظر ما بعد الطبيعة نشاط حقيقى يفوق الآلية وبالتالي تصبح النظرية الآلية فى ما بعد الطبيعة بالصورة التى عرضها ديكارت فى حاجة الى ما يكملها من خلال نظرية ديناميكية تحقق الاتفاق بين العلم وما بعد الطبيعة وهذا ما حاوله ليبنتز أن يحققه من خلال نظريته الديناميكية ومن خلال نقده لنظرية ديكارت •

لقد أوضحنا فى حديثنا عن فلسفة ليبنتز أن نظريته فى الوحدات العنصرية تعتمد أساسا على فكرة الجوهر بعد أن عرضها جديدا يجعل منه موضوعا يتضمن محمولاته ، وقد حاول أن يجمع بين موقف كل من ديكارت من جهة وديمقريطس من جهة أخرى ، وأن يتحاشى ما فى نظرية كل منهما من أمور لا تتفق مع نظريته الخاصة • ومن أهم النتائج التى تترتب على احتفاظه بفكرة الصورة الجوهرية فى صورتها الجديدة تأكيد أن طبيعة الجسم لا تتكون من الامتداد وحده بل يجب التعرف على صلتها بالروح ، وهذا ما يقصده بالصورة الجوهرية •

ومن الطبيعي أن يثار النزاع بينه وبين الديكارتين المرافضين للصور الجوهرية ومن ثم حرص ليبنتز على أن يوضح ما يقصده بالصورة الجوهرية وأن يدافع عن نظريته وانتهى الى أن. من الأفضل أن يطلق عليها اسما جديدا يميزها عن المفهوم القديم للجوهر ويتحاشى ما تعرض له من نقد ، فسمّاها أولا بالنقطة ما بعد الطبيعة ثم أطلق عليها أخيرا لفظه « الوحدة العنصرية » (مونا د) •

لم يقتصر الخلاف بين ليبنتز من جهة وديكارت والديكارتين من جهة أخرى حول فكرة الصورة الجوهرية وضرورة الاحتفاظ بها فى صورتها الجديدة كما أراد ليبنتز أو ضرورة التخلص منها والاكتفاء بجوهرى الفكر والامتداد فحسب كما أراد ديكارت وإنما أمتد الخلاف ليدور حول فكرتى الامتداد والمادة وما يترتب عليها من نتائج •

فقد ترتب على تصور ليبنتز العالم الخارجى المكون من وحدات عنصرية وظواهر محكمة البناء ، أى من مادة وحركة ومكان وزمان ، أن اختلفت وجهة نظره عن كل من التيار الديكارتي السائد من جهة والتيار المادى الذرى من جهة أخرى ، فالمادة لم تعد جوهرًا كما اعتقد ديكارت ، ولم تعد ذرة فردية كما أعتقد الذريون ، وإنما هى تجمع من الجواهر البسيطة ، أى ظاهرة محكمة البناء ، هذه الظاهرة الدقيقة والقابلة للقسمه الى ما لا نهاية والايجابية ، الخالية من الروح ومن الحياة فى حاجة الى الوحدة الحقيقية غير القابلة للقسمه لتشكّل الاجسام المادية والمتميزة الموجودة فى هذا العالم •

وبعبارة أخرى رفض ليبنتز الامتداد الديكارتي واعتبار المقاومة ماهية للمادة الأولى وأصبح الامتداد مجرد صفة لهذا الشئ الممتد وبالتالي لا بد من تعديل أساسى لتصور الحركة والمكان والزمان • فالمادة التى ماهيتها المقاومة فى حاجة لقوة تفسر حركتها ما دامت الحركة تفترض وجود قوة تدفعها دائما للانتقال من حركة بالقوة الى حركة

فعلية • ويقرر ليننتر أن هذا الميل الداخلى أو القوة هو الوحيد الثابت ويمكن قياسه بقياس ما يترتب عليه من نتائج ، وأصبح من الضروري أن نعبر عن الحركة فى الصيغة $m \cdot v$ بعد أن كان يعبر عنها ديكارت بالصيغة $m \cdot v$ أى أنه بعد أن كان ديكارت يعتبر كمية الحركة نتيجة لقوة تعمل فى زمن محدد ، أعلن ليننتر أن القوة الحية تعمل خلال مسافة ثابتة • فقد زمن محدد ، أعلن ليننتر أن القوة الحية تعمل خلال مسافة ثابتة • فقد أهمل ديكارت المسافة التى تقطعها القوة • وبالتالى عدل ليننتر مفهوم المكان والزمان ورفض اعتبارهما حقيقتين مطلقتين واعتبرهما نوعا من المتتابع : المكان يدل على تتابع الأشياء والزمان يدل على تزامنها •

وباختصار تصور ليننتر للمادة كموضوع يمكن تحليله لظواهر ما يتضمنه من محمولات أدى الى القول بفكرة القوة والمقاومة والى تعديل مفهوم كل من الحركة والمكان والزمان ، وجعل منها ظاهرة محكمة البناء تخضع لبدأ العلة الكافية الذى يفسر لماذا هى كذلك وليست خلاف ذلك شأنها شأن غيرها من الحقائق العرضية ولا تخضع لبدأ عدم التناقض الخاص بالحقائق الضرورية التى نقيضها مستحيل •

وجدير بالملاحظة أن فكرة الجوهر عند ليننتر ارتبطت بمشكلات لاهوتية تتصل بالحضور الحقيقى وتحول القربان ولا يمكن حلها فى ضوء الفرض الديكارتي : لأنه اذا كان الجسم يتكون أساسا فى الامتداد ، فمن التناقض أن يستطيع نفس الجسم أن يتواجد فى عدة أماكن ، نفس الوقت • وقد كتب ليننتر الى أرنولد يقول : « أن ماهية الجسم لا تتكون فى الامتداد ، والجوهر الجسمى اذا أخذ فى ذاته ، فلن يكون امتدادا ، ولا يخضع لشروط الامتداد ، ويتضح ذلك اذا أكتشف المرء مما يتكون الجوهر بالمعنى الدقيق » •

لقد أكد ليننتر اذن أن وراء الآلية الجسمية مبادئ غير آلية ، وأن الأصح أن تخضع فكرة الجسم لفكرة الجواهر النشطة غير القابلة للقسمة الى الوحدات العنصرية •

هذا ويمكن أن نوجز المبررات التي دفعت لـ ليننتر الى رفض فكرة الامتداد فيما يلي :

١ — الامتداد وتعديلاته المختلفة يشكل ما يسمى بالتعديلات الخارجية التي لا تساعد الشخص الذي يريد استنتاج الوجود نفسه ، ماذا يهم بالنسبة لحالة الجسم الداخلية أن يكون دائريا أو مربعا ؟

٢ — كل فلسفة آلية تنتهي حتما الى انكار التغير وتقول بالكل الثابت ، وأن ما يوجد من تغير ليس سوى تعديل للموقع أو زحزحه في المكان أو حركه • ويتساءل ليننتر : ليست الحركة نفسها تغيرا ؟ ألا يلزمها أن تحصل على سبب في الكائن الذي يتحرك أو الذي يحرك ؟ الشكل والحركة والموقع وكل التعديلات الخارجية للجسم لا بد وأن تصدر من مبدأ داخلي يشبه ذلك الذي يسميه أرسطو أنتلخيا •

٣ — فكرة الجوهر تتطلب ضرورة فكرة الوحدة • المركب لن يكون أبدا جوهرًا • وهذا يعنى أن المادة لا تكون جوهرًا ، أنها ظاهرة ويوضح ليننتر فكرته بالمثال الآتى :

لو فرضنا وجود حجرين يفصل بينهما مسافة كبيرة فلن نفرض أنهما يشكلان نفس الجوهر ولو أفترضنا أنهما التحما ببعضهما فلن يغير الوضع الجديد المتجاور من طبيعة الأشياء وسيظلا حجرين وليسا حجرا واحدا • بل على فرض أنهما قد ارتبطا أكثر بحيث يستحيل فصلهما فإن يمنع ذلك من أن يميز الذهن أحدهما من الآخر وأنهما سيظلان أثنان • وهكذا أما أن نقبل انه ليس للمادة أية حقيقة جوهرية أو أن نقبل أنها تخضع لعناصر بسيطة غير ممتدة نسميها وحدات عنصرية •

٤ — يؤكد ليننتر أن ماهية الجوهر هي القوة أو النشاط ويمكن اثبات ذلك قـبـليا : أليس من الواضح أن الوجود لا يوجد حقيقة الا بقدر ما يفعل ؟ الوجود السلبي الخالص عدم ويتضمن تناقضا • لأنه على فرض أنه سيقبل كل شيء من الخارج وأنه لا يملك أى شيء بذاته فلن

يكون له أى تحديد أو أى وصف، ويصبح عدما • أذن الوجود البسيط يفترض قوة معينة ونشاطا معيناً • الوحدات العنصرية لا نوافذ لها ولا تقبل أى شئ من الخارج ولا تكون سلبية : كل ما يحدث فيها هو انتشار تلقائى لماهيتها الخاصة •

وإذا اتصلت احدى الوحدات العنصرية بأخرى فإن احدهما تصبح فاعلة والأخرى منفعة ويتحقق بين الجميع انسجام أزلى يتيح لكل وحدة عنصرية أن تمثل أو تغير الكون بأكمله ولن يكون ذلك أيضا الا انتشارا تلقائيا لنشاطها الخاص •

نقطة أخرى يختلف فيها ليينتر عن ديكارت وتتصل بصلة الروح والجسد فالعلاقة بينهما لم تعد علاقة جوهريين منفصلين كما كانت عند ديكارت وإنما هى علاقة تواصل • ورؤية ليينتر لهذه العلاقة بين الروح والجسد تعبر عن نظرة ترى أن الجسم نوع من الصورة تعبر ديناميكيا أو طبيعيا عن الروح والجسم بطاقة للروح أو أظلس يعرض مظاهر الروح الجغرافية والبشرية والطبيعية • وإذا كانت الروح فكرة فإن الجسم يصبح الكتاب الذى يعرض الفكرة • ولم يعد الجسم والروح الى نصئين متكاملين متفقين وإنما أصبحت العلاقة بينهما علاقة توازى وتواصل وهما متوازيان توازى المعنى والعلامة أو الدال والمبدول (١٧) •

خلاصة القول اذن أنه اذا كانت فلسفة ديكارت قد دعت الى استخدام نور العقل الطبيعى فى مجال العلم والمعرفة ، واذا كان ديكارت قد وضع أول قاعدة فى دستور العقل الانسانى وهى العقل السليم أعدل الاشياء قسمة بين الناس ، ومن خلال ديكارت اكتشف الفكر الغربى ذاته واتجه الى العلم فان ليينتر قد استطاع أن يحتفظ بما فى فلسفة ديكارت من أفكار جديدة ولكنه لم يتردد فى نقد نظرياته وبيان ما فيها من

.. F. chatelat ; Histoire de la philosophie T. Leib niz. 3. (١٧)

أخطاء ، وهو فى موقفه هذا لم يرفض الفلسفة الديكارتية وانما نظر اليها على انها وجهة نظر معينة تنظر الى المشكلات الفلسفية من زاوية معينة تختلف فى كثير من الأمور عن وجهة نظر ليبنتز والتي حرص على أن يعرضها ويوضحها ويدافع عنها ضد اعتراضات الديكارتيين وفى هذا تأكيد لروح ليبنتز المتميزة وأصالته القائمة على الدعامتين الأساسيتين التى سبق أن أوضحناهما (١) الحرص على تحقيق التعادل الكلى من خلال فن الارتباط الذى دعا اليه والاهتمام بالصياغة الرمزية من جهة (ب) والرغبة فى التعميم التى حاول تطبيقها فى مجال العلم والفلسفة والدين من جهة أخرى والتى جعلت لمذهبه طابعا خاصا ومتميزا ويقوم على مبدأ الانسجام الازلى وما ترتب عليه من نتائج . ولم يعد مجرد تعديل بسيط لفكر ديكارت .

موقف ليبنتز من أسبينوزا

بعد أن أنتهينا من تحديد الجوانب الأساسية التى اختلف فيها ليبنتز عن ديكارت والديكارتيين ننتقل الى تحديد الجوانب الأساسية الى اختلف فيها عن أسبينوزا . وسنحاول قبل التعرض لهذه النقطة التمهيد بعرض موجز لفلسفة أسبينوزا ومدى تقاربها أو تباعدها عن فلسفة ديكارت .

باروخ أسبينوزا فيلسوف هولندى يهودى ، ولد فى أمستردام سنة ١٦٣٢ وتوفى فى لاهاى سنة ١٦٧٧ . تعرف على فلسفة ديكارت وأعتبره البعض من الديكارتيين وأعتبره ليبنتز منشقا على أستاذه وحاول أن ينقد فلسفته . من أهم أعماله التى نشرت فى حياته :

١ — مبادئ الفلسفة لديكارت سنة ١٦٦٣

René Descartes principia philosophiae

٢ — رسالة لاهوتية سياسية سنة ١٦٧٠ .

Tractatus Theologico - politicus

أما أعماله التي نشرت بعد وفاته فهي :

١ - بحث في اصلاح الذهن
traite de la reforme de L'entendement

٢ - بحث قصير عن الله
le Court traité de Dieu

٣ - الاخلاق
L'Ethique

٤ - رسالة سياسية
Tractus Politicus

حاول أسبينوزا أن يوفق بين النزعة العقلية الخالصة والنزعة الروحية الصافية وأعتمد على المنهج الهندسى الاستدلالي في إبحائه الفلسفية وفي تعريفه لجوهر الله وصفاته وأحواله في حين تتمثل نزعته الصوفية في الأخلاق التي أرادها أن تقوم على محبة الانسان لله حبا يصل الى درجة القداسة من جهة وعلى الحرية من جهة أخرى وجدير بالملاحظة أن أسبينوزا قد رفض في الظاهر الانتماء الى الجماعة اليهودية وحاول أن يتقرب الى بعض الفرق المسيحية ولهذا لم يكتف بحثه عن الحرية بالمستوى الاخلاقي وحده وانما أمتد أيضا الى المستوى الديني ليصل الى سعادة الانسان وخلاصة في هذه الحياه وفي الحياة الأخرى ، وذلك عن طريق حب الله واتصال النفس بقدرة الله اللانهائية . ولكن أسبينوزا لم يقتنع بطريق العقيدة والايمان كما فعلت الديانتين اليهودية والمسيحية وانما أثر طريق المعرفة العقلية وحاول أن يثبت أن النفس الانسانية بطبيعتها حالة من حالات الجوهر الالهى الواحد ويستند في ذلك الى بعض الاكتشافات العلمية الحديثة .

وبوجه عام تعتبر فلسفة اسبينوزا انعكاسا للاتجاهات العلمية والفلسفية والدينية الى جانب تأثرها بالاتجاهات الدينية السرية (كابل ' Kabbale) والفلسفة الطبيعية القائلة بوحدة الوجود للعصر الوسيط بل هناك من يعتقد تأثره بابن رشد عن طريق الفلاسفة اليهود أمثال موسى بن ميمون . وترجع أهمية أسبينوزا الى أنه صاغ هذه المؤثرات ونسجها نسيجاً جديداً تميزت به فلسفته .

أسس فلسفته

تقوم فلسفته على قضيتين أساسيتين أولاهما تقرر أنه لا يمكن أن يوجد ولا يمكن أن نتصور غير جوهر واحد هو الله وثانيهما تقرر أن الله هو العلة الباطنة واللازمة لكل شيء •

(القضيتين ١٤ ، ١٨ من الأخلاق)

لقد تمسك أسبينوزا منذ كتاباته الأولى بفكرة الجوهر الواحد وبوحدة الوجود وهي أفكار ذات جذور لاهوتية وما بعد طبيعية وصوفية ، كما أنها ذات اتجاه طبيعي يسعى الى تأليه الطبيعة ومن ثم فهو في مواجهة الثنائية الديكارتية التي تقول بالفكر والامتداد اتجه الى تخليص الطبيعة من كل آثار غير طبيعية أو فوق طبيعية وأن حرص كل منهما على دعم وجهة نظره ببراهين عقلية قوية • وفي حين تصور ديكارت العالم كعالم نهائى قابل للقسمة الى أجزاء عديدة ، تصوره أسبينوزا كعالم واحد لا نهائى • ومن خلال هذه الاسس يمكن أن نتبين جوانب التقارب أو التباعد بينها وبين فلسفة ديكارت ولنبدأ بفكرة الجوهر :

الجوهر عند أسبينوزا هو الموجود فى ذاته والذى نتصوره لذاته بمعنى أن تصوره لا يعتمد على أى تصور آخر • والله هو الموجود اللانهائى على الاطلاق وهو جوهر له صفاته لا نهائية ، كل صفة منها تعبر عن ماهيته اللانهائية والازلية فى حين يرى ديكارت أن الجوهر ليس فى حاجة لموجود آخر غير ذاته ، والله وحده هو الذى يستغنى بوجوده عن كل وجود آخر • أما سائر الموجودات الأخرى فأنها مجرد مخلوقات تحتاج الى قدرة الخالق لبقائها^(١٨) •

وهكذا يبدو الاختلاف الاساسى بين مفهوم الجوهر لدى كل منهما • فقد أعتقد ديكارت وجود عدة جواهر متناهية فى حين لم يسلم أسبينوزا

(١٨) نازلى ص ٦٠ - ٦١ : الفلسفة الحديثة .

الا بوجود جوهر واحد لا متناهي ، كما أن ما يسميه ديكرت جوهرًا كالفكر والامتداد يسميه أسبينوزا صفات أو أحوال ، وذلك لأن من المستحيل في نظره أن يوجد جوهران ، فالجوهـر بمحض تعريفه يجب أن يكون لا متناهي وقد حاول أسبينوزا اثبات أن الامتداد غير قابل للقسمـة شأن الجوهر الروحي تماما والخيال وحده هو الذي يتفيل الامتداد متناهيًا وقابلًا للقسمـة . كما قرر أسبينوزا عدم إمكان رد الامتداد إلى الفكر أو رد الفكر إلى الامتداد إلا في طبيعة الجوهر الواحد . معتمدًا على قول القديس توما الاكوينى بالطبيعة المطبعة *natura naturae* والطبيعة المطبوعة *natura naturata* واعتبار الله الطبيعة المطبعة .

وبعبارة أخرى فهم كلمة طبيعة بمفهومين مختلفين (طابعة ومطبوعة) واعتبرها مصدر الوحدة التى منها تنبع الكثرة .

٢ - فكرة الخلق :

لم يؤمن أسبينوزا بالخلق بمفهومه اللاهوتى وإنما آمن بعملية صدور الأحوال من الصفات والصفات من الجوهر الواحد . وبعبارة أخرى يتجلى الجوهر من خلال الصفات وتتجلى الصفات من خلال الأحوال : والضرورة هى التى تحكم هذا الصدور وهذا التجلى . أنه بهذا يشبهه أفلوطين والأفلاطونيين الجدد .

هذه الضرورة العقلية تتطلب علة فعالة واحدة تصدر بها جميع الموجودات عن الجوهر الواحد . وإذا كانت الماهيات (ماهية الانسان مثلاً، أو ماهية المثلث) تصدر كأحوال للفكر الالهى فإن جميع الموجودات التى تشغل حيزاً فى المكان هى أحوال للامتداد .

٣ - فكرة الله :

ان تصور الله فى صورة جوهر يتصف بالفكر والامتداد يعتبر معادلة فلسفية ما بعد طبيعية للتصور المسيحى للتجسيد اذ ليس هناك

ما يمنع — من ناجية ما بعد الطبيعة — من الاعتقاد بأن الله يتجسد فى العالم . وقد اعتبر أسبينوزا التجسيد بمجرد رمز لحقيقة أكبر وأشمل هى أن الله مجسد فى العالم وأن الامتداد صفة له وبعبارة أوضح فهم أسبينوزا الامتداد بالمعنى التشبيهي الذى يطابق بين الله والعالم .

٤ — الحرية الالهية :

. الحرية الالهية مطلقة والقدرة الالهية لا نهائية لا تخضع الا للطبيعة الالهية ذاتها. ويقول : « أن الحرية ليست حرية الاختيار ولكنها تكمن فى الضرورة الحرة » الله يعرف ذاته بذاته وهذه المعرفة هى الحرية وينتج عنها بالضرورة عدد لا نهائى من الأفكار أو من الأحوال وبذلك تصبح الحرية الالهية دليلا على أن العالم فى الله ، لا الله فى العالم . الله هو العلة الفاعلة والعالم أثر لها ، ويستحيل أن تكون العلة بنفس قدرة المعلول (١٩) .

٥ — علاقة النفس بالجسد :

حاول أسبينوزا أن يوضح فى الجزء الثانى من كتاب الأخلاق أن للنفوس أحوال للفكر الالهى والأجسام أحوال للامتداد ، وهناك توازى بين أحوال الفكر وأحوال الامتداد . هذا التوازى يفسر صلة النفس بالجسد . وإذا كان ديكارت قد اعتقد أمكان تعريف النفس بدون الجسد فإن أسبينوزا يرى أن النفس لا تستقل عن الجسد لأنها فكرته . وإذا كان تصور ديكارت لصلة النفس بالجسد خاطئا لأنه لا يفسر كيف تكون النفس مصدرا لحركة الجسد ، فإن أسبينوزا — مع أنه يرى أنه لا توجد علاقة عليية بين النفس والجسد ، أو بين الإرادة والحركة ، وإن من الممكن أن تؤكد أن النفس لها جانب مستقل عن الجسد هو الذى يتصل بالله ويتجدد معه — يرى أن هناك تأثيرا متعادلا بينهما ، أى أن هناك تأثيرا بين أحوال الفكر وأحوال الامتداد

(١٩) نظلى اسماعيل « الفلسفة الحديثة » .

ومن ثم هناك توافق جزئى بين أحوالهما فى اطار التوافق الكلى يبرره وحدة الجوهر والطبيعة اللانهائية ، ولتصبح ثنائية النفس والجسد قائمة على أساس الاختلاف بين صفتين الهيئتين وليس على أساس اختلاف بين جوهر وآخر كما اعتقد ديكارت ، كما يصبح من الممكن القول أن النفس تكون فى وحدة مع الجسد وأن هذه الوحدة لها وجهان : الفكر والامتداد •

أما الحياة التى حاول ديكارت تفسيرها آليا بأن يخضعها لقوانين الحركة فإن أسبينوزا يفسرها تفسيراً عقلياً بالمظاهر الموازية للفكر : هناك درجات من الحياة تختلف باختلاف تركيب الأجسام : منها البسيط ومنها المركب ، ومن خلال الفكرة يخضع الجسم للغائية الباطنة التى تبدأ من الله وتنتهى الى الأحوال ، فى حين تخضع العملية الخارجية التى تسبب الحركة الآلية للقوانين العلمية •

٦ - المعرفة طبيعتها ودرجاتها :

اهتم أسبينوزا بمسألة المعرفة باعتبارها الطريق السلطانى الذى يقود الانسان الى معرفة الله والاتحاد معه • وقد اهتم فى كتابه « اصلاح الذهن » بمعرفة الطبيعة فى حين اهتم فى كتاب الأخلاق بالصلة بين نوعين من المعرفة : المعرفة التى تفسر الطبيعة والمعرفة التى تخلص الانسان واعتبر المعرفة نوعاً من الانفعال الذى ينتج من أثر الأشياء فى النفس وبدون هذا الأثر لا يتم ادراك النفس للأشياء ولا تصل ماهيتها ، وفى كتابه « البحث القصير » يذكر ثلاث درجات للمعرفة يمكن أن نجعلها أربع اذا قسمنا الدرجة الأولى الى درجتين فرعيتين :

- (أ) المعرفة الظنية التى تأتى من الآراء التى نسمعها •
- (ب) المعرفة التى نكتسبها من التجارب الخاصة •
- (ج) الاعتقاد القائم على الاستدلالات العقلية •
- (د) المعرفة الواضحة المتميزة •

الغاية من المعرفة تحقيق سعادة الانسان وخلاصه فى هذه الحياة الدنيا والمعرفة فى صورتها الكاملة هى معرفة الله سبحانه وهى التى تكشف لنا عن حقيقة أمرنا ووجودنا وعن الحب الذى يصل الانسان بالله . فالعلم اذن ليس لذات العلم وانما لخلوص الانسان .

يثثق أسبينوزا مع ديكارت فى ضرورة التمييز بين المعرفة الواضحة القائمة على الذهن والمعرفة التى تأتى عن طريق الخيال والحواس وأن اختلف عنه فى أنه لم يفترض ذلك الشيطان الماكر . كما يختلف عنه فى انه رغم اعترافه بدور الاستنباط يرى أنه يجب أن يستند الى الأشياء الواقعية . ويرفض كل استدلال عقلى يعتمد على المعانى المجردة والكلية : الاستنباط فى نظره يبدأ من ماهية جزئية تقابلها فكرة واضحة متميزة وقد نستدل من المعلول على العلة ، أو من علة على علة أخرى ، أو من كائن على كائن آخر ويؤكد فى كتاب الأخلاق أن المعرفة الحقيقية تثبت وجود الكائن اللانهائى بوصفه علة ومبدأ لجميع الأشياء . ومن فكرة هذا الكائن نستطيع أن نستنبط جميع الأفكار التى تمثل النظام الكامل للطبيعة . أما دور التجربة فى هذه الحقيقة فهو الأشياء التى تبحث عن حقيقتها والذهن وحده هو القادر على معرفة هذه الحقيقة .

موقف ليينتر من فلسفة أسبينوزا :

يمكن أن نتناول موقف ليينتر من أسبينوزا من جانبين أولهما المراحل التى مرت بها علاقة ليينتر بأسبينوزا والتى انتهت بالرفض الحريح لفلسفته وثانيهما الاهتمامات التى شغلت ذهن أسبينوزا والموضوعات التى أثارها باعتباره عالما من جهة وفيلسوبا ولاهوتيا من جهة أخرى .

بالنسبة لعلاقة ليينتر بأسبينوزا نجد أنها مرت بعدة مراحل :

(أ) الفترة من ١٦٦٩ الى ١٦٧٥ وهى فترة اقامة ليينتر فى

فرنكفورت .

(ب) رحلة لبينتر الى لندن وهولندا ولقاءه بأسبينوزا سنة ١٦٧٦
فى طريق العودة الى هانوفر .

(ج) سنة ١٦٧٧ بعد العودة الى هانوفر . وهى بدورها تنقسم
الى فترتين :

١ - فترة الاطلاع على خطابات أسبينوزا الى شولر schuller
وأولدنبرج ومحاولة شرح أو تفسير ما جاء فيها من آراء والتقريب بينها
وبين فلسفته القائمة على مبدأ الانسجام الأسمى .

٢ - فترة الاطلاع على أعمال أسبينوزا الفلسفية التى نشرت بعد
وفاته والتى أعلن فيها لبينتر عن موقفه النهائى والصريح من فلسفة
أسبينوزا كما جاءت فى كتابه « الأخلاق » بوجه خاص وفى باقى أعماله
الفلسفية بوجه عام .

أما أول مرة يذكر فيها لبينتر اسم أسبينوزا فكان فى خطاب الى
أستاذة جاكوب توماسيوس فى ٢٠ ابريل سنة ١٦٦٩ ولم يكن يعرف
عن أسبينوزا سوى أنه مؤلف كتاب (مبادئ الفلسفة لديكارت) وقد
جاء ذكره ضمن مجموعة من مفسرى الفلسفة الديكارتية ، ويعدها بدأ
مراسلة بعض معارفه ممن لهم صلة بأسبينوزا أو بأعماله ليحصل على
المعلومات التى توضح نشاطه العلمى والسياسى والدينى (٥) .

وفى سنة ١٦٧١ تسلم رسالة من العالم اللغوى graevius
« جراففوس » يخبره فيها أن أسبينوزا هو مؤلف « الرسالة اللاهوتية
السياسية » التى نشرت سنة ١٦٧٠ بدون ذكر مؤلفها والتى أثارت ضجة
فى أوساط اللاهوتين بسواء فى هولندا أو فرنسا أو ألمانيا وبالتالى
ساير لبينتر الاتجاه السائد وهاجم بدوره ما جاء فى هذه الرسالة
من آراء تتصل بالكتب المقدسة ومملكة الله الخالدة وكتب الى أستاذه
توماسيوس مهنتا له لموقفه من هذا الكتاب قائلا : « لقد أطلعت على

(٢٠) georges freedmann; leibniz et spinoza p. 86.

دحضك الذى كتب فى ليزج متناولا ذلك الكتاب الذى تعرض بجرأة غير محتملة لحرية التفلسف : ويبدو أن مؤلف الكتاب يتبع ، ليس فقط سياسة ، بل أيضا نظرية هوبز الدينية التى عرضها فى كتابه (الوحش) .
لأن هذا النقد الذى يمارسه هذا الجسور ضد الكتاب المقدس قد بذر بذوره هوبز فى فصل كامل من كتابه .

وهكذا ارتبط اسم أسبينوزا باسم هوبز فى ذهن ليينتر وبعد أن كان ينظر اليه باعتباره ديكرتيا أصبح يهاجمه باعتباره من أتباع هوبز الماديين والملحدين .

نفس الموقف نجده فى رده على خطاب جرايفوس حيث يكرر اتهامه باتباع ما جاء فى كتاب هوبز .

وفى يناير سنة ١٦٧٢ كتب ليينتر الى أرنولد خطابا يعرض فيه أعماله وأفكاره ويتناول الرسالة اللاهوتية والسياسية ويذكر أسبينوزا ضمن الرافضين الخضوع للسلطة والراغبين فى التفلسف وقبول ما يدركونه بوضوح وتميز ، أنهم يكرهون كل تسلط يفرض على الأذهان ويرون أن القدماء والمدرسين اعتمدوا على البلاغة ليجعلوا أسرار الايمان أكثر قبولا لدى الجماهير ، أما المحدثون فمستولون عن هذه الفلسفة الباطلة غير المفهومة التى تحتوى فى جزء كبير منها وراء سر القربان والدفاع عنه . هذا ما عرضه وهال له كل من اتباعه بكون هوبز ومؤلف هذا الكتاب الفظيع الذى نشر حديثا عن حرية التفلسف ، ولا تتدهش اذ نجدهم يقبلون بحماس كبير فلسفة ديكرت لا لأنها تبدو لهم صحيحة وانما لأنها تبدو فى نظرهم غير متفقة مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية (٢١) .

اعتبر ليينتر اذن « الرسالة اللاهوتية السياسية » خطرا على

(٢١) نفس المرجع السابق ص ٩٨ ، ١٠٥ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ .

العقيدة المسيحية ولا بد من تصدى العلماء المتخصصين فى اللغات الشرقية لدحضه وحماية المسيحيين مما جاء فيه من سموم تهدد الدين ، ولكننا نلاحظ أن ليينتر رغم موقفه هذا العدائى من فكر أسبينوزا وما أثاره من خطر يهدد الدين المسيحى قد حرص على أن يفصل بين الرجل وكتابه . وإذا كان الكتاب جدير بالدحض والرفض فإن صاحبه يتميز بصفات جديرة بالاحترام والتقدير ، فهو عالم بصريات وصانع نظارات مشهور وطبيب . لهذا لم يتردد ليينتر فى أن يكتب الى أسبينوزا فى أكتوبر سنة ١٦٧١ وبعبارة أوضح أحترم ليينتر وقدر أسبينوزا العالم والطبيب . وحرص على الاتصال به والاطلاع على أعماله ولكنه عارض وهاجم أسبينوزا السياسى واللاهوتى والملحد الذى زرع الثقة فى العقيدة باسم حرية التفلسف وإذا كان أسبينوزا قد أراد أن يدعو البشر لطاعة المبادئ الأخلاقية الأساسية اذ هى وحدها الكفيلة بتحقيق الخلاص . أن ليينتر فى معارضته لاسبينوزا يدافع عن الدين المسيحى ويؤكد أن هذه المبادئ الأخلاقية أو الاجتماعية لن تكون كافية بدون المسيحية ، وإذا كانت نقطة الارتكاز الأساسية عند أسبينوزا هى العقل فإنها عند ليينتر المسيحية التى ستوحد المبادئ الاجتماعية والأخلاقية والسياسية .

وعندما وصل ليينتر الى باريس فى مارس سنة ١٦٧٢ بدأ الاهتمام بالرياضيات وبالكشافه حساب اللامتناهيات وحرص على الاتصال بكل من له اهتمام بهذا المجال ومن الطبيعى أن يكون أسبينوزا أحد الشخصيات التى سعى الى الاتصال بها خاصة وأنه قد اشيع فى هذه الفترة أن له بحثا عن الله والنفس والانفعالات استخدم فيه المنهج الاستدلالى .

وبالاجمال يمكن القول أن معرفة ليينتر بفلسفة اسبينوزا خلال هذه الفترة لم تكن كافية ولم تساعد على التعرف الحقيقى لفكره خاصة وأن مصادره لا تتعدى ما أثير حول الرسالة اللاهوتية السياسية ،

ومن ثم لم تسمح له بأن يتأمل فلسفة أسبينوزا بذهن منحرر ، مع أنه حرص على أن يميز بين اهتمامين أساسيين من اهتمامات أسبينوزا أولهما الاهتمام العلمى الخاص بالبحريات والطب وصناعة النظارات — وهو موضع تقدير وأعجاب فى نظر ليننتر — وثانيهما الاهتمام بالدعوة إلى حرية التفلسف وتخليصها من سلطة اللاهوتيين وما أثارته من قضايا فلسفية ولاهوتية حاول أن يدحضها وأن يعارضها دفاعا عن المسيحية •

المرحلة الثانية التى تتمثل فى رحلة ليننتر سنة ١٦٧٦ الى لندن حيث قضى فيها أسبوعا تقابل فيه مع كل من نيوتن وبويل ثم سافره الى هولندا حيث قضى شهران وتمكن من لقاء أسبينوزا ونجده يسجل ما دار خلال هذه الزيارة من نقاش حول موضوعات تتصل بالعلم وبالفلسفة من جهة وما أثارته الرسالة اللاهوتية السياسية من قضايا ومشكلات من جهة أخرى فى خطاب الى الأب جالوبوز T' Abbé Galloys جاء فيه : « لم يتبين أسبينوزا عيوب قواعد الحركة التى ذكرها ديكارت وأندعش عندما شرعت فى اظهار أنها تتعارض مع مساواة السبب والمسبب » أما عن المناقشة التى دارت بينهما حول الدليل الأنطولوجى على وجود الله فيقول : « لقد أظهرت لأسبينوزا عندما كنت فى لاهاي هذا الدليل الذى يرى أنه متين ونظرا لأنه كان قد عارضه فى البداية شرعت فى الكتابة وقرأت له هذه الورقة » •

ونظرا لقصر المدة التى قضاها فى هولندا لم يتمكن من الاطلاع الكافى على فلسفة أسبينوزا ولكنه تمكن من الحصول على نصوص رسائل أسبينوزا الى كل من شولر Schuller واولدنبرج التى ساعدت على توضيح الرؤية نسبيا ولكنها أيضا لم تكن كافية ليكون فكرة كاملة عن فلسفته وقد دفعته هذه الرسائل المتبادلة بين أسبينوزا واولدنبرج الى محاولة تفسير آراءه الخاصة بفكرة الله وصلته بالخلق تفسيراً يتمشى مع نظريته فى الانسجام الأزلى وتتفق مع عقيدته المسيحية التى يدافع عنها بحماس • وقد وجد نفسه مضطرا الى المعارضة الصريحة

لبعض الأمور التي تتصل بالعقيدة بوجه عام وبمشكلة تجسد المسيح بوجه خاص ورفض ما ذهب إليه أسبينوزا من وحدة الله والطبيعة من جهة ووحدة الروح بالجسد من جهة أخرى • كما رفض تفسير أسبينوزا للمعجزة الذي يقول بصدها في خطاب إلى « أولدنبرج » : المعجزات والجهل أمران متساويان ، لأن أولئك الذين يلتزمون باثبات وجود الله وتدعيم الدين بناء على المعجزات يريدون اثبات الغامض بما هو أكثر غموضا » •

أما ليننتر فيدافع عن المعجزات ويعتبرها دعامة أساسية للدين المسيحي ويرى أن المعجزة تظهر سياقاً فريداً للأسباب التي قد رتبت من قبل • أنها لا تفوق طبيعة الأشياء بوجه عام وإنما هو تفوق طبيعة الأجسام الحسية •

وجدير بالملاحظة أن تفسيرات ليننتر وتعليقاته على رسائل أسبينوزا إلى « أولدنبرج » قد انتهت باظهار التقابل الواضح بين اتجاهين مختلفين وتحديد موقف ليننتر الأساسى الذى يمثل فى القول بمذهب تفاؤلى فى الأخلاق والدين ، وغائية فى الكون تعتمد على مبدأ الانسجام الأزلّى كما يتمثل فى أن تأييده لبعض الآراء التى قال بها أسبينوزا ومعارضته لآراء أخرى إنما كان تمثيلاً مع مذهبه وفلسفته الخاصة التى كان قد انتهى من تشكيلها وصياغتها قبل أن يتم لقاءه مع أسبينوزا •

أما المرحلة الأخيرة من علاقة ليننتر بأسبينوزا والتى تتمثل فى اطلاعه على أعماله التى نشرت بعد وفاته فقد كانت أكثر تعمقا وأكثر صراحة ، وإذا كانت القراءة الأولى لكتاب الأخلاق دفعت ليننتر إلى الكتابة إلى جوستل Justel فى ٤ فبراير سنة ١٦٧٨ قائلا : « أخيرا انشرت أعمال المرحوم أسبنوزا وأهمها كتاب الأخلاق الذى يتألف من خمس أبحاث ... لقد وجدت فيه عددا من الأفكار الجميلة والتى —

كما يعرف أصدقائي وأصدقائه - تتفق مع أفكاري » فان القراءة الناصجة
للكتاب قد ضدمت لينتقز بما فيه من تناقضات واستدلالات خاطئة وكتب
الى «جوستل» مكددا الأمور التي لا تعجبه من فلسفة أسبينوزا وخاصة .
١ - فكرة الجوهر الوحيد .

٢ - وأنة هو الله .

٣ - والقول بأن المخلوقات أحوال وآثار لله .

٤ - وان الله لا يعمل وفق غاية .

٥ - كل شيء خاضع لضرورة حتمية الخ .

لقد بدأت الهوة تتسع بينهما اذن وأصبح من الضروري أن يقوم
بمحض ما جاء فى كتاب الأخلاق ، فالأمر هنا لا يحتاج الى علماء
متخصصين أو اللغات الشرقية كما كان الشأن فى الرسالة اللاهوتية
والسياسية وقد نقد القضايا العشرين الأولى من الجزء الأول مهتما بما
فيها من تعريفات وبديهيات واستدلالات : يصحح البعض ويوضح ما فيها
من غموض (التعريفات) ٢ ، ٣ ، ٤ ، والقضايا : ٥ ، ٨) أو يبين عدم
جدواها (البديهيات ٢ ، ٧) أو يثبتها (التعريفان ٧ ، ٨) ويضيف
إليها الملاحظات والاستدلالات المساعدة (القضايا : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) .

وباختصار تناول الكتاب من الناحية المنطقية الصورية دون أن
يهمل ما فيه من أفكار حاول أسبينوزا أظهارها وأثباتها من خلال هذه
الاستدلالات الصورية التي استخدمها . ومن ثم تناول فكرة الجوهر
مثلا وأوضح مدى تعارضها مع نظريته التي تقول بالجواهر الروحية
المتعددة والتي خلقها الله مستقلة بعضها عن بعض ولكنها غير مستقلة
عن خالقها ومنظلمها وفق أنسجام آزلى . ويعارض مفهوم أسبينوزا عن
الممكن مؤكدا طرق الاختيار من بين الممكنات واختيار أحسن عالم ممكن
يحقق الانسجام الأزلى الكلى . . .

وفى الجزء الثانى من نقده للكتاب الذى ركز على القضايا :
٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ حرص على نقد الطريقة
التي استخدمها أسبينوزا لاثبات هذه القضايا كما حرص على مناقشة
مشكلتي الضرورة الكلية والعرضى ، موضحا ضعف استدلالات أسبينوزا

هذه اذن صورة أسبينوزا فى نظر ليينتر وهى صورة مزدوجة فى
جانب منها نرى ذلك اليهودى ، عدو الدين والأخلاق ونظام الدولة والرجل
المتهم على الايمان والقانون ، والذي تجرأ على كل الحرمات الدينية
والاجتماعية . وبالتالي نسب اليه ليينتر — كما فعل معاصريه — كل
النقائص التي تنسب الى الملحد أو المتحرر فكريا .

وفى الجانب الآخر نرى ذلك العالم والطبيب الجدير بالثناء والتقدير
التي تجعل منه صاحب دعوة الى الحرية الفكرية من جهة وصاحب فلسفة
صوفية من جهة أخرى وهى الصورة التي ظلت غير معروفة بل
ومجهولة تماما .

لقد لعن ليينتر ومعاصريه اسبينوزا دون أن يفهموه بل ودون أن
يقروا . وقد استخدم ليينتر نفس الأسلحة التي استخدمها معاصروه
وحكم على أسبينوزا بالالحاد ولكنه رغم كل هذا لم ينس ما امتاز به
اسبينوزا العالم من عبقرية وبصيرة وسعى الى اللقاء والتعرف على
فكره وفلسفته وقد استطاع ليينتر فعلا أن يفصل بين الرجل وما ترك
من أعمال تحتاج الى دحض أو رفض وليس هذا بعجيب بالنسبة لليينتر الذى
حرص دائما على احترام وجهات نظر الآخرين والذي كان لا يميل
الى احتقار أى رأى أيا كان والذي كان يتردد باستمرار أننا وحدنا
عنصرية مستقلة كل واحدة منها مرآة للعالم وأننا نعيش دائما فى
انسجام أزلى أراد الله خالق هذا الكون ومنظمه .

وإذا كانت مشاعر ليينتر ومواقفه من آراء أسبينوزا قد تمشت
مع المناخ الفكرى السائد وما سيطر عليه من ردود فعل ذهنية وأخلاقية

فاندفع يهاجمه دفاعا عن المسيحية وغائية العالم وما يسود من انسجام أزلى . فان اطلاعه على أعماله قد جعله ينظر اليه في بداية الأمر على أنه ديكرتيا ثم عاد فنظر اليه على أنه من أتباع هوبز وخاصة بعد أن اطلع على الرسالة اللاهوتية السياسية وانتهى أخيرا الى اعتباره نمطا فريدا جديرا بالاهتمام لا لأنه انفصل عن ديكرت وانما لأنه استطاع أن يعلن صراحة ما أراد أن يقوله ديكرت في سرية ، وليينتر في موقفه الأخير أراد أن يضرب عصفوريين بحجر واحد ، فهو أراد أن يززع الثقة في منافسة (ديكرت وأسبينوزا) بأن ربط بينهما وجعل من أسبينوزا امتدادا للديكرتية قائلا : « ان ديكرت يفكر بصوت خافت في كل ما يقوله أسبينوزا بصوت مرتفع ، لم يعد الأمر اذن أمر توضيح ما يفصل أسبينوزا عن ديكرت ، وانما على العكس أن نذكر ما يوحد بينهما » (٧) .

وهو ثانيا يدعم مركزه وسمعته ضد كل التيارات التقليدية الكاثوليكية منها والبروتستنتية التي تترصد له . ولم يعد فعلا ابتداء من سنة ١٦٧٩ يشير الى أسبينوزا الا بالقدر الذي يساعده في نقد ديكرت من جهة أو تدعيم مذهبه من جهة أخرى . خاصة في كتابه عن الألوهية « التيوديس » theodicee الذي دافع فيه عن الحتمية الأخلاقية ضد الضرورة العمياء الأسبينوزية .

خلاصة القول اذن أن تحديد موقف ليينتر من أسبينوزا قد أوضح جوانب فلسفة كل منهما وأظهر ما بينهما من اختلاف أساسي يمكن أن نوجزه في الأمور الآتية :

١ — أعلن أسبينوزا أنه لا يدعى أنه اكتشف أحسن فلسفة وانما يعرف أن لديه معرفة بالحقيقي — خطاب أسبينوزا الى بورج Burgh بينما يعلن ليينتر منذ محاولاته الأولى ويكرر ذلك في كثير من المناسبات أنه يسعى الى تأسيس فلسفة تكون الأحسن .

(٧) نفس المرجع ص ٢٧٦ ، ٢٨١

وبعبارة أخرى حرص أسبينوزا على أن يكون موضوعيا وبعيدا
عن أى فكر ذاتى ويقدم الحقيقى على الأحسن ، فى حين ظل ليينتر ذاتيا
هدفه الأساسى أن يزود البشرية بمذهب يخدم الخير العام ويطابق بين
الأحسن والحقيقى^(٨) .

٢ - تقوم فلسفة ليينتر على حتمية اخلاقية بناء على اختيار
أحسن عالم ممكن وتسلسل العلة والمعلول : بينما تعتمد فلسفة أسبينوزا
على حتمية عقلية تفصل بين الفعل والجزاء وتفتح الطريق أمام العقل
الأخلاقى الحر .

٣ - حرص أسبينوزا منذ الرسالة اللاهوتية السياسية أن يحمى
الفلسفة وحرية الفكر من سيطرة اللاهوت وأن يميز بين مجال العقل
الأخلاقى الذى يخص الحكماء وسلوك الجمهور وضرورة طاعتهم للقانون
الأخلاقى - « على الجمهور أن يطيع وأن يعتقد أما الحكماء فمن واجبهم
وحدهم أن يفهموا » .

٤ - يفكر أسبينوزا فحسب فى حين يفكر ليينتر من أجل الانسان ،
ويدور مذهب ليينتر حول الانسان ومن أجله ، فى حين يدور مذهب
أسبينوزا حول اللانهاى ويسعى الى أبعاد التفكير الانسانى من الانسان
ويجعل الانسان جزءا من كل لا نهائى .

٥ - مذهب أسبينوزا أقل انتشارا ويصعب تقبل الجمهور له لأنه
لا يمدد الا بالقليل مما يحتاج اليه لراحته وسلوانه ولأنه يعتمد على
حدس ذهنى للكل ويغلب عليه التصوف الروحى ، فى حين انتشر مذهب
ليينتر لما فيه من بريق واهتمام بالعلم الحديث ودعوة تفاؤلية فى
مجالى الدين والأخلاق .

وبالاجمال يمكن القول اذن أن القرن السابع عشر شاهد حوارا بل

(٨) نفس المرجع ص ٣٠٧

صراعا فكريا خصيب بين ثلاثة من رواد الفكر العقلاني الحديث وقد حاولت من خلال تحديد موقف أسبينوزا من ديكارت وموقف ليينتر من كل من ديكارت وأسبينوزا أن أوضح أهم الموضوعات التي كانت مثار نقاش واختلاف بينهم وخاصة بالنسبة لمفهوم :

١ - الجوهر •

٢ - الله وصفاته •

٣ - المعرفة طبيعتها ودرجاتها •

٤ - النفس وصلتها بالجسد •

٥ - صلة الفلسفة باللاهوت •

وهي موضوعات نظر اليها كل واحد منهم من وجهة نظر خاصة وان كانت كلها عقلانية وجهة نظر واحديه يعرضها أسبينوزا من خلال مفهوم الطبيعة الطابعة والمطبوعة لله الجوهر الوحيد وما ترتب عليها من نتائج فلسفية وأخلاقية ودينية • ووجهه نظر ثنائية يقول بها ديكارت ويعتبر الفكر والامتداد جوهرين وما ترتب على هذه الثنائية من نتائج فلسفية تميزت بها الديكارتية بوجه عام • وأخيرا وجهة نظر ليينتر التعددية التي تعترف بعدد لا نهائى من الوحدات العنصرية يسودها الانسجام الأزلى وتحقق للانسان خلاصه وللمسيحية الاستقرار والانتشار •

وعلينا الآن أن ننتقل من التيار العقلاني بجوانبه الثلاثة التي تحدثنا عنها الى التيار التجريبي الذي يترعنه جون لوك فى إنجلترا لنرى موقف ليينتر من الفكر الانجليزى التجريبي بوجه عام • ومن فلسفة جون لوك بوجه خاص ومن نظريته فى المعرفة بوجه أخص خاصة وأن ليينتر خصص كتابا بأكمله للمرد على نظرية جون لوك وهو « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » وحرصنا على ترجمة الفصل الرابع منه الخاص بنظرية المعرفة •

موقف ليبنتز من فلسفة جون لوك :

يعتبر جون لوك أول من اهتم بالبحث عن أصول المعرفة في ذهن الإنسان وأول من نقد بشجاعة الأفكار الفطرية التي قال بها ديكارت على أساس من التحليل النفسى الحقيق وأعلن أنه لا مبادئ فطرية في العقل . وقد بحث في طبيعة ومصدر الأفكار مبينا أن مصدرها التجربة متمشيا في ذلك مع الاتجاه الانجليزى التقليدى ومتفقا مع الاسمين الذين رأوا في التصورات وفي المعانى المجردة مجرد بناء عقلى داخلى : أن الأفكار كما يفهمها الجميع ولكي يفهمها الجميع يجب أن يكون مصدرها التجربة والاحساس ، وإذا كانت اللغة بالألفاظ مجرد اشارات الى المعانى فلا بد وأن نتفق جميعا على دلالة هذه المعانى .

ويعتبر كتاب لوك « مبحث في الفهم الإنسانى » سنة ١٦٩٠ عملا فلسفيا خالدا يقول في مقدمته أنه عكف على تأليفه أثر مناقشة بينه وبين بعض الأصدقاء حول مشكلات تتصل بالدين والأخلاق ، ورأى أن من الخير لنا أن نشرع في تحديد طبيعة تصوراتنا وفي تحليل أصول مفاهيمنا قبل أن يناقش بعضنا البعض الآخر في مشكلات تتصل بصميم حياتنا ويشمل الكتاب أربعة أبواب : الباب الأول ينقد نظرية الأفكار والمبادئ الفطرية . الباب الثانى يعرض الأصول التى تتبع منها أفكارنا ويحلل التجربة الحسية ليرد الأفكار المركبة الى أبسط عناصرها . الباب الثالث يبحث صلة الفكر باللغة وتأثير الألفاظ في التفكير وينقد الفلسفة المدرسية في ضوء علاقة اللغة بالفكر ويوضح أنها في نهاية الأمر فلسفة ألفاظ وليست فلسفة معانى . الباب الرابع يحدد الاطار العام للمعرفة ويعرض نظريته في المعرفة .

تهدف الفلسفة عند لوك الكشف بطريقة منهجية عن أصول المعرفة وتبديد الأباطيل التى تعترض الطريق الى المعرفة السليمة . ويركز نقده على نزعتين هامتين أولاها الميل الى الاعتقاد بأن المعرفة تعتمد على مبادئ فطرية سابقة على التجربة والثانية اعتبار القياس المنهج الصحيح للمعرفة ويلاحظ أن اصرار المفكرين مع رد كل حجة الى القياس

قد أساء الى العلم • ولن يتقدم العلم الا اذا استخدم الاستقراء
واعتمد على الملاحظة والتجربة •

المعرفة عند لوك نوعان : معرفة يقينية ومعرفة احتمالية ، والمعرفة
الاحتمالية تتسل الجانب الأكبر من معرفتنا ، والمعرفة اليقينية من الضيق
بحيث لا نستطيع الاعتماد عليها وحدها فى حياتنا ويطرح سؤالين :

كيف نميز بين الاحتمال واليقين ؟

كيف ، نقيس درجة الاحتمال فى قضية من القضايا ؟

يعتمد اليقين على اتفاق أو اختلاف فكرتين بتدخل دليل أو أكثر
بينهما رابطة ثابتة واضحة ، أما الاحتمال فيعتمد على مظهر الاتفاق
والاختلاف بتدخل أدلة لا تكون الرابطة بينهما مطردة ثابتة ولكنها كافية
ليمضى الذهن الى الحكم على القضية بالصدق أو البطلان • وبعبارة
أخرى يعتمد اليقين على حدس يدرك الرابطة الضرورية أما الاحتمال
فيفترض الرابطة ليس لأنها ضرورية وانما لأن ثمة سبب خارجي
يعزز الرابطة •

وبالنسبة لقياس درجة الاحتمال يقترح لوك معيارين أولهما الاتفاق
بين ما توحى به القضية وسائر ما فى التجربة ، وثانيهما البيئة التى
تعزيز القضية وتشمل ستة نقاط :

- ١ - عدد الشهود المؤيدين •
- ٢ - سلامة هؤلاء الشهود •
- ٣ - مهارتهم •
- ٤ - خطبة المؤلف اذا صيغت البيئة فى كتاب •
- ٥ - إتساق الأجزاء والملابسات فى العلاقة •
- ٦ - الشهادات المعارضة •

أعلى درجات الاحتمال تكون حين يتفق الاعتقاد مع شهادة جميع

الناس فى جميع العصور أما المعرفة اليقينية فتعتمد على الربط بين الأفكار من خلال العلاقات الأربعة الآتية :

- ١ - الهوية •
- ٢ - الاضافة •
- ٣ - الارتباط الضرورى •
- ٤ - الوجود الحقيقى •

يقصد لوك بالهوية أن تكون الفكرة على ما هى عليه ، والفكرة الواحدة ليست هى الفكرة الأخرى • ويقصد بالاضافة ربط الأفكار بعلاقات مجردة عديدة ، ويقصد بالارتباط الضرورى ذلك الذى يتمثل فى الظواهر الطبيعية التى تستهدف اكتشاف القوانين ، أى الارتباط العلى بين الأشياء ، ويقصد بالوجود الحقيقى ما تظهره كل قضية تؤكد وجود جوهر أو تنفى وجوده مستقلا عن أدراكنا • هذه المعرفة اليقينية تعتمد على أساسين هما الحدس والبرهان : بالحدس ندرك العلاقة ادراكا فوريا كما تدرك العين الضوء ، وهى قوة قائمة فى الذهن تجعلنا نعرف الحقيقة بيقين مطلق ، أما البرهان فيزودنا أيضا بيقين مطلق ولكنه يختلف عن الحدس فى أنه يشمل عنصر الذاكرة وبالتالي فهو عملية مركبة فيها جهد ومشقة وانتباه • الذاكرة تكفل للذهن القدرة على استرجاع الخطوات التى تمكنه من الوصول الى النتيجة المطلوبة • وقد تخطىء الذاكرة ولهذا لا يجب أن نعتمد على البرهان اعتمادنا على الحدس^(٩) •

الحدس عند لوك يختلف عنه عند ديكارت ، أن موضوعه عند لوك ليس موضوعا عقليا خالصا — كما عند ديكارت — وانما هو علاقة بين بعض معطيات الاحساس والادراك المنعكس ، أى بين أفكار مركبة

(٩) د • فتقى الشنيطى : جون لوك ص ١١٨ ، ١٢٦

منستمدة أصلا من هذه المعطيات وباختصار معرفتنا محدودة بالتجربة
وحيثما لا يكون لدينا أفكار لن يكون لدينا معرفة •

الى جانب الاهتمام بالمعرفة ومحاولة تحديد مصدرها وطبيعتها
وحدودها أهتم لوك بفكرة الخطأ سواء ذلك الناتج عن سوء استخدام
اللغة أو غيره من أنواع الخطأ التى يذكر منها :

١ — أخذ ما هو غير محتمل على أنه محتمل ، اذا ما دام هناك درجات
للاحتمال فقد نتعجل باعتبار قضية ما فى درجة من الاحتمال أعلى مما هى
عليه فى الواقع • ويزجج هذا الى القصور فى التفكير وعدم التروى
أو الحماس أو الاندفاع أو الكسل أو الغباء •

٢ — قد يميل المرء بالحكم المسبق والعاطفة الى ترجيح كفة دليل
لأنه يأتى على هواه ويترك دليلا آخر أصح •

٣ — قصور الذاكرة والبرهان لاعتماده على الذاكرة لا يملك القياس
التام للقيم الذى يملكه الحدس وأن كنا نستطيع أن نستخدم المنهج
الرياضى الذى يحررنا من الاعتماد على الذاكرة •

٤ — خلط الماهية الاسمية بالماهية العقلية فقد نظن أن موضوع
تفكيرنا شئ من أشياء العالم المادى بينما لا يعدو أن يكون مجرد فكرة •
٥ — قد تضللنا الحواس فى كثير من الأحيان فنقع فى الخطأ اذا
افترضنا أن الواقع هو ما يظهر لنا •

أما الأخطاء التى تترتب على استخدام اللغة أو التى نقع فيها نتيجة
الاهمال فيمكن اجمالها فيما يلى :

١ — قد نستخدم كلمات لا تكون لدينا أفكار مطابقة لها فتكون
مجرد ترديد أصوات •

٢ — قد نستخدم الكلمات فى غير ثبات ونعبر بكلمة واحدة عن
مجموعة من الأفكار البسيطة •

٣ — قد نؤثر الغموض لنخلع على كلماتنا روعة وغخامة ونخفى ما فى خواطرننا من خلط ولبس •

٤ — قد نجعل الكلمات تقوم مقام الأشياء التى لا نستطيع الدلالة عليها وقد نأخذ الكلمات على أنها الأشياء ، أى قد نفترض أنه حينما توجد كلمة فلا بد وأن يوجد شئ مطابق لها •

٥ — قد نستخدم كلمات واضحة المعنى فى نظرنا وقد تكون غير واضحة للآخرين •

٦ — الاكتثار من الاسنارة والكناية والتشبيه •

ويقترح لوك لمتفادى هذه العيوب الوسائل الآتية :

١ — الاحتياط : عندما نستخدم كلمة لابد أن نكون على بينة من الفكرة التى تدل عليها •

٢ — معرفة الفكرة بوضوح وتميز وإذا كانت تدل على فكرة مركبة يجب أن تكون الفكرة متحددة بحيث نعرف الأفكار البسيطة التى نجمت عنها •

٣ — ينبغى استخدام الكلمات فى اتساق مع الاستعمال المألوف وإذا انحرفنا عن الاستعمال المألوف ينبغى أن نوضح بأية طريقة نفعل ذلك •

٤ — يجب بقدر الامكان استخدام الكلمة ذاتها فى نفس المعنى باطراد ولكننا لسوء الحظ نضطر فى كثير من الأحيان الى استخدام نفس الكلمة فى معانى مختلفة عن بعضها اختلافا طفيفا •

جدير بالملاحظة أن التعريف عند لوك تعريف للكلمات : أن نعرف هو أن تظهر معنى كلمة بكلمات أخرى ليست مترادفة ، أن نعرف هو أن نعلن المعنى ، أن اظهر معنى كلمة أو إعلان مغزاها لا يعدو أن يكون مجرد تقرير الفكرة التى تعنيها الكلمة • وفى هذا الصدد يقول لوك :

« لما كان معنى الكلمات لا يعدو لأفكار التي تمثلها هذه الكلمات عند من يستخدمها ، فان معنى أى لفظ يظهر ، وكلمة تعرف ، حين تمثل الفكرة التي ترمز اليها هذه الكلمة فى ذهن المتكلم لشخص. آخر وبذلك يتأكد مغزاها . تلك هي الفائدة الوحيدة والغاية من التعريفات » (١٠) .

بهذا يصبح التعريف عند لوك غير مترادف مع الماهية الحقيقية ويصبح التعريف بالجنس والفصل لونا واحدا من ألوان التعريف ، وليس هو اللون الوحيد .

هذه المواقف التي حددها لوك من خلال تحديده للمعرفة هي التي دفعت لابينتر الى الاهتمام أولا بدراسة هذه النظرية ثم تأليف كتابه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » ليرد فيه بتفصيل على هذه المواقف وليحدد موقفه الخاص . وبهذا حقق خطوة أساسية فى تطوير الفكر الألماني الحديث ونقل اليه فلسفة التنوير الانجليزية التي كان لوك رائدها ويعلن لابينتر فى بحثه عن الحكمة « لا شئ يمكن أن يدخل الغبطة الى نفوسنا الا بتنوير الذهن وخضوع الارادة له . وأن نبحث عن هذا النور فى معرفة الأشياء التي تسمى بالذهن الى أعلى » وإذا كان لوك وهيوم وغيرهما من فلاسفة الانجليز قد هاجموا ما بعد الطبيعة باعتبارها فكرا خالصا ؛ فان لابينتر قد دافع عن ما بعد الطبيعة . وإذا كان لوك قد أراد أن تكون الفلسفة دراسة تجريبية للذهن الانسانى فان لابينتر أراد اصلاح ما بعد الطبيعة التقليدية أو نقدها وبنائها على أسس العلم الحديث ومن أجل هذا ألف كتابه الأبحاث الجديدة فى الفهم الانسانى . « سنة ١٧٠٣ ليلقى الضوء على الكثير من المسائل الفلسفية التي أثارها لوك وخاصة السؤال الهام : هل النفس صفحة بيضاء وكل ما سطر بها مصدره الحواس والتجربة أم أن فيها أفكارا ومبادئ فطرية ؟

(١٠) بياجيه الترجمة الفرنسية ،

... اعتقد ليينتر أن الحواس لا تعطينا الحقيقة العامة التي نتصف بالضرورة الكلية وانما تعطينا أمثلة من الحقائق الجزئية والفردية أننا نكتشف في ذاتنا الحقائق الضرورية كلما توفرت لنا مناسبة لذلك بواسطة معطيات الحواس وبالتالي يكون نجاح التجارب تأكيداً للعقل وبعبارة أوضح لم ينكر ليينتر قيمة الحواس لأنها هي التي تقدم للعقل المناسبة التي تظهر فيها الحقيقة .

وفي سنة ١٦٩٦ كتب ليينتر ملاحظات أرسلها الى لوك ليطلع عليها ويرفقها ضمن الترجمة الفرنسية لكتابه الذي كان يعد للنشر في ذلك الحين في أمستردام ، وقد وجدت بعد ذلك ضمن أوراق لوك ونشرت ضمن رسائله بعد وفاته في لندن سنة ١٧٠٨ ونجدها في المقتطفات التي نشرها Maiseaux في أمستردام سنة ١٧٤٠ ج ٢ وفي مقدمة المقتطفات نجد خطاباً من لوك الى Maulineux . يعبر فيه عن تأله مما جاء في هذه الملاحظات من نقد وقد سجل ليينتر هذه الملاحظات بعنوان Reflexion sur l'entendement humain

ونوجزها فيما يلي :

يستهل نقده للكتاب بتأكيد أنه وجد فيه من العمق غير العادي ما جعله غير نادم على الوقت الذي خصصه لقراءاته ، خاصة وان موضوعه يتصل بأسس معارفنا وهو من الموضوعات التي كانت تشغل ذهنه والتي كان له فيها عدة تأملات ثم ينتقل الى مناقشة الأبواب الأربعة التي يشملها الكتاب :

في الباب الأول الخاص برفض المبادئ والأفكار الفطرية يرى ليينتر أن لوك لديه العديد من المبررات التي تدعوه الى رفضها ومن أهم هذه المبررات :

١ — أن الفلاسفة العاديين قد صاغوا المبادئ حسب هواهم .

٢ — أن الديكارتيين ، رغم أنهم أكثر دقة ، قد أساءوا استخدام

كلامتى أفكار ومبادئ بحجة ان الذين يتأملون الأفكار سبجدون فيها نفس الشيء الذى وجدوه وأن من يمارس طريقتهم فى التفكير سيصل الى نفس الأحكام التى وصلوا اليها ويقترح ليننتر أن يفعل الفلاسفة ما فعله أقليدس وأن يكتفوا بعدد قليل من البديهيات يعتمدون عليها فى استدلالاتهم وأن يتركوا للآخرين مهمة اثبات هذه البديهيات ، أى أن يصلوا الى بعض الوقائع المثبتة ويشير الى ما سبق أن ذكره من ايضاحات تتصل بالأفكار فى بحث صغير عنوانه « تأملات فى المعرفة والحقيقة والأفكار » ويتمنى أن يكون لوك قد اطلع عليها ، ويضيف أنه يقصد بالأفكار الحقيقية التى نتأكد من امكان تنفيذها ويميز بينها وبين الأفكار المشكوك فيها أو المستحيلة باعتبارها أفكارا وهمية من جهة وبينها وبين الأفكار المحتملة التى يمكن اثباتها أما قبليا بالاستدلال واعتمادا على أفكار أبسط منها ، أو بعديا عن طريق التجربة من جهة ثانية وبينها وبين الأفكار الأولية التى لا يمكن اثبات امكانها وليست فى الواقع سوى صفات الله من جهة ثالثة .

وبالنسبة للسؤال هل الأفكار والحقائق فطرية ؟ لا يجد ليننتر أى ضرورة لتقرير فطريتها ، فهى سواء جاءت كلها من الخارج أو من داخل أنفسنا فاننا سنفكر بدقة اذا التزمنا بما سبق أن ذكره وبشرط أن نتقدم بنظام وبدون حكم مسبق . ويؤكد أن أفكارنا ، بما فى ذلك تلك التى من الأشياء الحسية ، تأتى من أعماقنا ويمكن أن نحكم عليها فى ضوء ما قرره عن طبيعة واتصال الجواهر وما يسميه بوحدة الروح بالنفس ، ويرفض القول بالصفحة البيضاء مؤيدا ما قاله أفلاطون عن التذكر ويضيف أننا لا نتذكر فقط أفكارنا الماضية وانما لدينا استشعار لكل أفكارنا ولكل احساساتنا .

وعن الباب الثانى وخاصة ما يتصل بالأفكار يعلن ليننتر أنه غير مقتنع بالمبررات التى ذكرها لوك ليثبت أن الروح قد توجد أحيانا دون أن تفكر فى شيء ، ويرى أن الروح بل والجسم لا يكونا أبدا بدون فعل ،

وأن الروح لا تكون أبدا بدون تصور ما : لدينا مثلا أثناء النوم شعور غامض ومعتم للمكان الذى نكون فيه ولأشياء أخرى وقد اختلف معه أيضا بالنسبة لمشكلة الخلاء : اعتقد لوك وغيره بالخلاء واعتقد لابينتر نفسه فى فترة من فترات حياته الفكرية بالخلاء ثم عاد وتخلّى ورفض الدليل الذى ذكره لوك المأخوذ من الحركة والذى يفترض أن الجسم فى أساسه صلب وأنه مركب من عدد معين من الأجزاء الصلبة ، فهى هذه الحالة لن يكون للحركة أى محل بدون خلاء ولكن الواقع أن أجزاء المادة قابلة للتقسمة ولينة .

تعرض لابينتر أيضا لفكرة اللانهائى ويتفق مع لوك فى أنه لا يمكن القول بدقة أنه لا يوجد مكان ولا زمان ولا عدد لا نهائى ، وإنما الحق هو أنه أيا كان المكان أو الزمان أو العدد كبيرا فهناك دائما ما هو أكبر منه الى ما لا نهاية . وعلى هذا لن يوجد اللانهائى الحقيقى فى المركب أبدا ، ولكن هذا لا يمنع من أن يوجد اللانهائى المطلق ، الذى لا أجزاء له والذى يؤثر فى الأشياء المركبة لأنها تنتج من تحديدات المطلق وبعبارة أخرى اللانهائى الموجب ليس شيئا آخر سوى المطلق .

وهو أيضا لا يعترض على تعريف لوك للأفكار الكافية adequate ولكنه يقصد بها شيئا آخر ، فهى فى نظره تتطلب درجة معينة لأبد من توافرها لتصبح الأفكار كافية ويريد بهذه الدرجة ألا تكون الفكرة فى حاجة الى تفسير ، ولما كانت الأفكار الخاصة بالصفات النفسية كالضوء أو اللون أو الحرارة لا تصل الى هذه الدرجة فلا يمكن أن يعتبرها من الأفكار الكافية لأننا لا نعرف حقيقتها الا بالتجربة .

عن الباب الثالث الخاص بالكلمات أو الحدود يتفق مع لوك أيضا فى أن من الكلمات ما لا يمكن تعريفها وأن تعريف الصفات الحسية ليس تعريفا اسميا ومن ثم لن تمكننا من الحصول على تعريف حقيقى . ويشير الى تمييزه بين هذين النوعين من التعريفات : فالتعريف الاسمى

يفسر الاسم بعلامات الشيء فى حين يجعلنا التعريف الحقيقى نعرف
قبليا امكانية المحدد ويؤيد ما ذكره لوك بالنسبة لامكان البرهنة على
الحقائق الأخلاقية .

وفى الباب الرابع الخاص بمعرفة الحقيقة يجد ليينتر الكثير من
الأفكار الجيدة ولكنه يلاحظ أن لوك لم يعرض البديهيات العرض الذى
تستحقه ويرجع ذلك الى أننا باستثناء الرياضيات لا نجد فى المجالات
الأخرى ما هو هام وقوى . وقد حاول ليينتر معالجة هذا النقص ،
فهو لا ينقص من قدر القضايا الذاتية ويعترف بفائدتها فى التحليل .

ويتفق مع لوك فى أننا نعرف وجودنا بالحدس ، ونعرف وجود
الله بالاستدلال وأن المادة خالية من الادراك ولا يمكن أن تكون قادرة
على التفكير كما أنه لا ينقص من قدر دليل أنسلم على اثبات وجود
الله بل يحاول اكماله ويتفق معه أيضا فى أن التجربة وحدها لا تكفى
رغم أهميتها فى علم الطبيعة الا أنه يرى أن الذهن النافذ قادر على أن
يستدل نتائج من التجارب العادية قد تفوق وتزيد على ما يمكن أن
يستدله أى شخص آخر من التجارب الأكثر اختيارا . ويختلف مع
لوك لاعتقاده أن صورية المنطق غير مفيدة ويحاول اثبات أن العيب ليس
فى الأقية وخاصة الأقية المتعددة وانما العيب فى أننا لم نحسن
استخدامها .

وأخيرا يرفض دعوة بعض معاصريه الى احتقار كل ما جاءت به
الفلسفة المدرسية ويرى أن الأفضل أن نميز بين الطيب والخبيث وأن
نأخذ الطيب ونترك الخبيث .

هذا ولم يكتف ليينتر بذكر هذه الملاحظات وانما اهتم بتأليف
كتاب كامل جعل عنوانه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » يرد فيه
بتفصيل على ما ذكره بايجاز فى هذه الملاحظات .

وهذا ما سنعرضه فى الباب القادم الخاص بالعرض التحليلي
لنظرية المعرفة .

(ب) نظرية المعرفة عند ليبنتز :

تميزت فلسفة ليبنتز بالطابع التحليلي الذي يسعى الى تحليل كل فكرة من الأفكار ليصل الى ما تتضمنه من علاقات وتصورات وليستخلص ما يمكن فيها من مبادئ وقوانين . واذا كان تحليله لفكرة الجوهر والوحدة العنصرية قد أدى به الى اعتبار العالم الخارجى عالما يتكون من وحدات حقيقية وظواهر محكمة البناء ، أى من روح ومادة ، فان تحليله لفكرة الروح - والروح الانسانية بصفة خاصة - سينتهي الى تحديد نظريته فى المعرفة .

لقد رأينا فى حديثنا عن الوحدات العنصرية أنه قد قرر أن هذه الوحدات لا يختلف بعضها عن بعض الا من حيث أنها تعبير عن العالم من وجهة نظرها الخاصة والا من حيث درجة وضوح ما لديها من ادراكات ، بعض الادراكات واضح ومتميز وبعضها غامض وبعضها الآخر متناهى الصغر بحيث لا نشعر به رغم وجوده فعلا . كما رأينا كيف رتب ليبنتز هذه الوحدات العنصرية حسب وضوحها ترتيبا يتسلسل من الانتلخيا الى النبات فالحيوان فالانسان . يتميز الانسان بالمقدرة على الوعى الذاتى والتفكير بحيث يصل الى الأفكار والاستدلالات وما يتبعها من اكتشافات علمية ومعارف وتقدم .

هذه الاستدلالات اذا اعتمدت على أفكار كافية ومتميزة وواضحة تؤدى الى معرفة الحقائق الضرورية ، واذا اعتمدت على أفكار يشوبها الغموض أو عدم الكفاية فانها تكفى لمعرفة العالم الخارجى بما فيه من حقائق عرضة (١١) .

يقرر ليبنتز أن المعرفة فطرية ومكتسبة معا ويرفض أن يوجد تعارض بين هذين النوعين من المعرفة وبالتالي يتخذ موقفا مخالفا للنظريتين المسابقتين فى عصره : النظرية الديكارتية التى ترى أن المعرفة فطرية .

ونظرية لوك' التى تعتبرها مكتسبة : حقائق الاعداد مثلا فطرية ولكن هذا لا يمنع من تعلمها وكذلك الحال بالنسبة للعلوم الأكثر تعقيدا ، بالرغم من أن معرفتنا لها مكتسبة وتجريبية الا أن معرفتنا الفطرية لهذه العلوم كامنة فى نفوسنا شأنها فى ذلك شأن الخطوط الموجودة فى المرمر ، فان وجودها يسبق معرفتنا أنها موجودة •

وبعبارة أخرى انتهى لينتر الى القول بأن المعرفة فطرية ومكتسبة ، فطرية بمعنى أن الذهن لديه القدرة على معرفتها وأن هذه المعارف تنبثق من داخل الوحدة العنصرية ومكتسبة بمعنى أنها تتأثر بما تثيره ادراكاتها للعالم الخارجى وما تمدها به تجاربها من مادة خام تنتج الفرصة لنقل ما لديها من أفكار موجودة بالقوة الى الوجود بالفعل • تتقبل الوحدة العنصرية باستمرار الانطباعات الخارجية ثم تحليلها بفضل ما لديها من قوة نشطة الى معارف وأفكار ، ولكن هذه الأفكار لا تكون واضحة ومتميزة منذ البداية ، بل تبدو لأول وهله مختلطة وغامضة ولن تكتسب الوضوح والتميز الا عندما تصبح موضوع تفكير الوحدة العنصرية ووعيا •

لهذا رفض لينتر الرأى القائل بالتناقض بين المعرفة الفطرية والمعرفة المكتسبة ، ويقر وجود أفكار كامنة فى نفوسنا لا يحققها ولا ينقلها من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل الا ما تثيره الاشياء الضمنية وما يصاحبها من معرفة مكتسبة • وقد اعتمد لينتر فى الربط بين الفطرية والاكتساب على اعتبار الوحدة العنصرية كائنا كاملا يحتوى فى ذاته كل معارفه ويتصل بالعالم الخارجى وما فيه من وحدات عنصرية أخرى فتثير ما يمكن فى ذاته من ادراكات ومعارف • وهنا يطرح السؤال : كيف حدد لينتر موقفه من نظريتي ديكارت ولوك ؟

رفض لينتر تقرير ديكارت حدا فاصلا بين التفكير الواضح والتميز من جهة وما عداه من جهة أخرى اذ أن ذلك يدعو الى انكار الأفكار الغامضة وعدم الاعتراف بحقيقتها • كما رفض الاكتفاء بمبدأ عندهم

التناقض وحده لأنه لا يتفق مع الحقائق العرضية ، ورأى أن الوضوح فى الأفكار وتميزها لن يكون له قيمة ما لم يكن لدينا ما يؤيد هذا الوضوح والتميز وبالتالي لا يريد أن يجعل تقرير وجودنا كمقدمة للبحقائق الأخرى •

وكذلك الأمر بالنسبة لنظرية لوك التى تعتبر العقل لوحة خالية تنطبع عليها ما تثيره الحواس عند اتصالها بالعالم الخارجى فقد اعترف لبينتز بنوعى المعرفة : الفطرية والمكتسبة ولم يقتصر على هذا المفهوم الضيق وسعى الى تصور المعرفة تصورا عاما يشمل الحقائق التجريبية والحقائق الضرورية ، فالمعرفة لا يمكن أن تكون حدسية كلها لأننا لا نستطيع مقارنة الأشياء مباشرة باستمرار ولن تكون استدلالية دائما لأننا لا نستطيع الوصول دائما الى الأفكار المتوسطة وكذلك لن تكون حسية دائما لأن معرفتنا الحسية تنحصر فى معرفة الأشياء التى تؤثر فى اللحظة الراهنة على حواسنا • الواقع أن معرفتنا تجمع بين الحدس والاستدلال والحس •

وباختصار أرجع لبينتز خطأ كل من ديكارت ولوك الى تجاهل كل منهما عاملا من العاملين الهامين فى المعرفة : وهما الضرورى والعرضى ، يمكن قبول رأى ديكارت اذا كانت المعرفة كلها ضرورية ويمكن قبول رأى لوك اذا كانت المعرفة كلها عرضية • ولكن الحقيقة ان المعرفة الانسانية تجتوى عليهما معا • والنظرية الصحيحة هى التى تضمهما معا وهى التى انتهت اليها خلال تحليله لفكرة الوحدة العنصرية وتحديد صلة المعرفة بالحقيقة من جهة وبالأفكار من جهة أخرى •

فكما هى هذه الصلة ؟

رأى لبينتز أن وجود العالم الخارجى يؤكد وجود حقيقتين لا شك فيهما ، الأولى أننا نفكر والثانية أن أفكارنا مختلفة اختلافا كبيرا • من الأولى ينتج أننا موجودون وعن الثانية ينتج وجود شئ آخر خلاف أنفسنا ، هو علة ما فى أفكارنا من اختلاف •

يقرر ليبنتز وجود نوعين من الحقائق : حقائق عرضية تتناول ما فى العالم الخارجى من موجودات مادية وتعتمد على الخبرات الحسية والتجريبية ولا تحتاج الى دليل قبلى ، بل يكفى لتفسيرها دليل بعدى يبرهن على علتها الكافية ، ويوضح ما بينها من ارتباطات محكمة ويميز بين الارتباطات الحقيقية والارتباطات الوهمية . وحقائق ضرورية تعتمد على الدليل القبلى الذى ينبع من أنفسنا ويوضح عدم تضمنها على تناقض ويوصل الى ما تتضمنه من علاقات وارتباطات يقينية يقينا مطلقا .

ولكى تشمل المعرفة هذين النوعين من الحقائق لابد وأن يتسع معناها وتكون اما معرفة متميزة أو غامضة ، عملية أو شرطية أو حدسية ، كافية أو غير كافية . ولا تقتصر على ما أراده لوك من كونها البحث عن التوافق أو عدم التوافق . ان المعرفة بمعناها الواسع قادرة على تناول كل ما تتضمنه من أفكار وهنا يطرح السؤال :

كيف يدرك العقل الأفكار ؟

يقول ليبنتز من خلال عرضه لنظريته فى الأفكار : « فى مستطاع الروح أن يتمثل أى صورة أو أى شئ عندما تتاح له فرصة التفكير فيه . وأعتقد أن هذا يدل على أن الفكرة المتمثلة موجودة فى الروح سواء كنا نفكر فيها أو لانفكر ، الروح تشمل على فكرة الله وسائر الماهيات والموجودات ، هذا يتفق مع مبادئ ، اذ من الطبيعى ألا يكتسب العقل شيئا من الخارج ، وأعتقد أن من الخطأ القول أن الروح يتقبل الرسائل كما لو كانت له نوافذ وأبواب » .

ويتساءل ليبنتز فى كتابه « الأبحاث الجديدة فى الفهم الانسانى » : هل الروح لوحة خالية من كل أثر أم أنه مشتمل أصلا على مبادئ كثيرة من المنغريات والأفكار التى تثيرها الموضوعات الخارجية ؟

وأجاب ليبنتز بوجود الأفكار الفطرية التى يقسمها الى أفكار بسيطة وأفكار مركبة ، أفكار تأتى من حاسة واحدة وأفكار تأتى من أكثر من حاسة ، أفكار تنبع من الذهن مباشرة وأفكار

يُستترك في اظهارها الحس والفكر معا . ويبين مدى أهمية الإدراك في معرفة هذه الأفكار والتمييز بين الأفكار البسيطة والمركبة ، الصحيحة والخطئة ، الحقيقية والوهمية وينتهي ليننتر الى تقرير تداعى هذه الأفكار وارتباطها ببعضها ارتباطا يتيح معرفتها وبالتالي يؤكد خطأ لوك في انكاره وجود الأفكار الفطرية وعدم الاعتراف الا بالأفكار التى يؤيدها الواقع الخارجى .

ومن الطبيعى أن يحاول ليننتر تحديد ما يقصده بالأفكار الفطرية التى لا تعتمد على الحواس ويقارن بين الفكرة التى تقرر أن السكر ليس مرا ، وهى فى نظره فكرة غير فطرية ، والفكرة التى تقرر أن المربع ليس دائرة وهى فكرة فطرية ، وذلك لأن معرفة الحلاوة والمرارة تأتي عن طريق الحواس فى حين تعتمد معرفتنا للمربع والدائرة على الذهن .

أما كيف يميز ليننتر بين الأفكار الحسية وغيرها فيظهر مما ناله فى مقالته « ما بعد الطبيعة » : « كما أن من الممكن الاعتراف بتأثير الجواهر بعضها فى بعض فان من الممكن القول أننا نكتسب المعرفة من الخارج عن طريق الحواس لأن بعض الأشياء الخارجية تحتوى على بعض الأسباب الجزئية التى تحدد موقف أرواحنا من بعض الأفكار . هذه الأفكار الحسية ستكون أفكارا قابلة للتأثير ولكنها ستكون أفكارا مختاطة لا تعبر الا عن العالم الخارجى » ويقصد ليننتر بالأفكار الحسية تلك التى تعتبر عن الامتداد المكان وغيرها من العلاقات الخارجية فى حين أنه لم يعتبر فكرة المكان نفسها فكرة حسية ويقول : « أن الأفكار التى تأتي من أكثر من حاسة واحدة مثل تلك الخاصة بالمكان والشكل والحركة والسكون ، أفكار تعتمد على الحس العام ، أى على العقل نفسه ، لأنها أفكار تخص الفهم الخالص ولكنها تتصل بالعالم الخارجى ولا بد من الاعتماد على الحواس لمعرفةا » .

معنى هذا أن ليننتر يعتبر الصفات التى تبدو خارجية أفكارا حسية ويعتبر كل ما يدخل فى هذا الوجود الخارجى نفسه غير حسى ،

وبالتالى يعتبر كل الصفات المتعلقة بالوجود الخارجى صفات مختلفة ولا تصلح أن تكون حالات للوحدات الروحية ، أما الأفكار المشتقة من الفكر والتي ستكون واضحة فهي تلك التى يمكن أن تصف حالات الذهن ومن ثم لابد وأن تكون شيئاً فعلياً وليس ظاهرة من الظواهر •

وهذا يعنى أيضاً أن الأفكار الحسية تتصف بالغموض وعدم القدرة على تمثيل الأشياء الخارجية تمثلاً واضحاً ، ولكن هذا لن يحول دون اعتبارها فطرية هي الأخرى ، الاختلاف بينهما وبين الأفكار العقلية اختلاف فى درجة الوضوح فحسب ، وسبب هذا الغموض هو أنها تتصل بالظواهر فى حين تتصل الأفكار العقلية بحالات العقل وتتصف شيئاً فعلياً حقيقياً • الأفكار الحسية تمهدنا بالحقائق العرضية والإنكار العقلية تمهدنا بالحقائق الضرورية •

الادراكات المتناهية فى الصغر :

يعارض ليننتر قول لوك أنه لا يمكن أن يحدث شيء دون أن يشعر به العقل وتمسكه بانكار الاحساسات التى لا تشعر بها وتسأل مبينا خطأ لوك قائلاً : « كيف نفسر محتويات الذاكرة وما تتضمنه أفعالنا العادية وميولنا ؟ يستحيل تفسيرها اذا أنكرنا وجود هذه الاحساسات التى لا نشعر بها وضرب مثالا للفروق التى نجدها فى المرمر ، فهي موجودة فعلاً حتى قبل أن نعرف أنها موجودة ، وكذلك الحال بالنسبة لنا ، اذ لابد من وجود بعض الأفكار منذ البداية حتى وان كنا لا نعرف أنها موجودة ، ويذكر دليلاً ثالثاً يؤكد وجود هذه الادراكات التى لا نشعر بها ويقول أنه من المستحيل أن نفكر باستمرار فى كل أفكارنا ، والا فان الذهن سيفكر فى كل فكرة الى ما لا نهاية دون أن يستطيع الانتقال من فكرة الى أخرى • مثلاً عندما ندرك وجداناً معيناً فان الذهن سيفكر فى هذا الوجدان ثم يفكر فى أنه يفكر فى هذا الوجدان وهكذا الى ما لا نهاية •

يميز ليننتر بين الادراكات المتناهية فى الصغر والادراكات الغامضة؛ الادراك الغامض لا نشعر بكل أجزائه ويعطينا معرفة غامضة ، ويجعلنا غير قادرين على ذكر كل العلاقات المطلوبة للتمييز بين الأشياء الذى نريد معرفته وغيره من الأشياء . أما الادراك المتناهى فى الصغر فادراك على درجة من الدقة والصغر بحيث يصعب على الذهن ادراكه مباشرة وتمييزه عن غيره وعدم ادراك الذهن له لا ينفى وجوده ، بل هو موجود فعلا فى الذهن وأن كنا لا ندركه الا اذا تجمع مع غيره من الادراكات فالادراكات المتناهية فى الصغر فى حاجة الى أن تصل الى حجم معين حتى يتمكن العقل من ادراكها .

تقرير وجود الادراكات المتناهية فى الصغر ساعد ليننتر فى اثبات نظرية الأفكار وأن العقل ليس لوحة خالية كما ساعد فى اثبات ذاتية اللامتناهيات التى تقرر اختلاف الوحدات العنصرية بفضل ما فيها من اختلاف فى درجة وضوح ادراكاتها ، وبالتالي تعتبر تطبيقا لبدأ الاتصال فى المجال العقلى : كما أن الطبيعة لا تعرف الانتقال المفاجئ ، بل هى تنتقل من حالة الى أخرى انتقالا تدريجيا يمر بكل الحالات المتوسطة ، كذلك الأمر بالنسبة لادراكاتنا واحساساتنا ، فالعقل لا ينتقل من ادراك الى آخر الا بعد أن يمر بما يتوسطهما من ادراكات . وأخيرا ساعدت فى التوفيق بين نظرتي لوك وديكارت وجعلته يعترف بالمعرفتين معا معتمدا فى ذلك على منهجه التحليلي للقضايا والأفكار . فما هو إذن هذا المنهج التحليلي الذى استخدمه ؟

منهج ليننتر :

اهتم ليننتر بالمنهج الرياضى منذ أن كان طالبا فى جامعة «ليبزج» حيث تتلمذ على أستاذه يعقوب توماسيوس Jacob Thomasius وقدم بحثه عن « مبدأ التفرد » Principe de l'individualité ثم انتقل الى جامعة « يينا » Yena ودرس التاريخ والرياضة على يد أستاذه « إيرهارد فيجل » Ehrhard Weigel وحاول فى هذه الفترة

تطبيق المنهج الرياضي على كل الدراسات ونشر بحثه « فن الارتباط »
L'art de combinatorie سنة ١٦٦٦ وكان هذا البحث بمثابة
الأساس الأول لما تعرض له من دراسات في العلم الخلى ثم بدأ في تأليف
لغة عالمية يتفاهم بها الجميع على أن تؤخذ عناصرها من جميع اللغات .

أما اهتماماته بالمنهج الفلسفي فلم تظهر الا عندما نشر رسالته
عن « اسلوب تيزوليوي الفلسفي » de Stylo Philosophico Nisoli
وفيزوليوي هذا كان من كتاب عصر النهضة في ايطاليا في القرن
السادس عشر دافع عن المحدثين ضد المدرسين ، وحاول لينتتر في
رسالته أن يوضح خصائص الأسلوب الفلسفي الثلاثة وهي :
« الوضوح والصحة واللياقة » وقد نقد لينتتر نيزوليوي لأنه لم يميز
بين الفلاسفة القدماء والمدرسين ولأنه لم يعترف بعظمة توماس الكويني
ومكانته الفكرية .

وفي سنة ١٦٨٤ كتب مخطوطه
Meditationes de Cognitione Veritate et idéis.

ومخطوطه :

de scientia universali seu Calcule philosophico

حيث يعرض أسسه المنطقية ويظهر اهتمامه بتحليل القضايا
واخضاعها لصورة الموضوع والمحمول ويقول في خطاب الى أرنولد
سنة ١٦٨٦ « اذا ما حاولنا فحص الفكرة التي لدينا عن كل قضية
صادقة فاننا نجد أن فكرة الموضوع تتضمن كل ما يدخل فيها من محمولات
سواء كان ضروريا أو عرضيا ، ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا (١٢) » .

وفي هذا الصدد أكد « رسل » ان فلسفة لينتتر الحقيقية التي
تعتمد على المنطق اتخذت أساسا لها مبدأى التناقض والعلة الكافية ،

Mary Morris ; philosophical writings p. 71, 73. (١٢)

وصاغت نظريته فى قضية أساسية تقرر ان موضوع القضية الصادقة يتضمن محمولاتها ومن ثم يمكن اثبات كل الحقائق قبلها عن طريق التحليل وتصبح الحقائق كلها تحليلية^(١٣) .

هذا التحليل للموضوع لنصل الى ما يرتبط به من محمولات سيكون كاملا فى القضايا الضرورية المعتمدة على مبدأ عدم التناقض أما فى القضايا العرضية فيكفى الوصول الى علة كافية تبرر وجودها هكذا .

وقد حاول ليننتر تطبيق منهجه التحليلي هذا على نظريته فى الجوهر وفى الوحدات العنصرية (الموناد) وفى مجالات الأخلاق والدين . ولم يعد تحليل الموضوع يهدف الى الوصول الى الوضوح والتميز كما أراد ديكارت وانما أصبح يهدف الى الوصول الى ما يرتبط به من محمولات .

فى مجال الطبيعة مثلا انتهى اقتناعه بنظريته المنطقية فى القضية التحليلية الى تطبيقها على مشكلات العالم الخارجى والى تصور جديد للمادة ترتب عليه تعديل جوهرى فى نظرية الحركة الديكارتية وذلك بأن أدخل عنصرا جديدا هو القوة ، وترتب عليه تدعيم علم الديناميكا وتزويده بالمبادئ المنطقية الدقيقة التى تفسر ما يتناوله من ظواهر بتفسيرها علميا وصحيحا^(١٤) .

وباختصار اعتمد ليننتر على مبدئه المنطقى فى تفسير المادة والقوة والحركة والمكان والزمان تفسيريا تحليليا يجعل من المادة موضوعا ويجعل من القوة والمقاومة والحركة والوضع وغيرها من الصفات محمولا لهذا الموضوع . وأخيرا يجعل المادة ظاهرة محكمة البناء وليست جوهرًا ،

B. Russell ; p 4.

(١٣)

Emile Ban Biema l'espace et le temps chez libniz et (١٤)

Kant, p 161, 174, 188, 191.

وبالتالى فهي تخضع لبدأ العلة الكافية الذى يفسر لماذا هي كذلك وليست خلاف ذلك •

وفى مجال ما بعد الطبيعة واللاهوت يستخدم هذا المنهج التحليلى فى اثبات وجود الله ويرى من الضروري أن تتقدم فى ما بعد الطبيعة بنفس الدقة التى استخدمها أفليدس فى الهندسة • ويعلن أن من الواجب أن تلعب ما بعد الطبيعة بالنسبة للمعلوم الأخرى نفس الدور الذى تلعبه الهندسة بالنسبة للعلوم الرياضية • فالفلسفة الحقيقية يجب أن تخدم الدين بأن ترفعنا الى الله وتجعلنا نعرفه ونعجب به ، ولكن لا سبيل لتقديم ما بعد الطبيعة الا باتباع القواعد الخاصة بالمنهج الرياضى ،
فهى التى توصلنا الى براهين دقيقة عن وجود الله^(١٥) •

ويبرر لـيبنتز دعوته الى تطبيق المنهج الرياضى على اللاهوت بقوله :
« أن خالق الأشياء يتصرف كمهندس ماهر • أو بقوله « أن الله يعص كل شئ تبعا لقوانين الرياضة ، أو كما يقول فيثاغورس أن الله خلق كل شئ تبعا للأوزان والقياس والعدد » •

ولما كان التحليل المتام لا يساعدنا فى اثبات وجود الله لأنه مستحيل بالنسبة لنا ، فان التحليل الجزئى يمكن أن يكون أساس البرهنة على وجود الله وبالتالي حاول اثبات وجود الله بطريقتين احدهما قبلية والأخرى بعدية • الاتجاه البعدى يعتمد على فكرة القوة التى اعتبرها العلة القريبة لما فى العالم الخارجى من موجودات ، ثم يحاول تحايل فكرة العالم الجسمانى ويظهر عدم كفايته وضرورة استنتاج محرك أول • أما الاتجاه القبلى فقد اعتمد عليه ديكارت وأسبينوزا وغيرهما باستدلال الموجود من فكرة الله نفسها • وقد رأى لـيبنتز عدم كفاية هذه الأدلة القبلية وضرورة اكمالها باظهار ان مجرد أمكانها يكفى لاثبات وجود

Joseph Iwancki; Leibniz et les demonstrations (١٥)
mathematiques de l'existence de Dieu p 102.

الله • ويعان في كتابه « أبحاث جديدة في الفهم الانساني » : « أنه يمكن اثبات فكرة الله وأمكانها ووجودها بأكثر من طريقة ، حتى التناسق الأزلي نفسه يمدنا بوسيلة جديدة لا شك فيها • كل الوسائل التي استخدمت من قبل في اثبات وجود الله مقبولة وجيدة ويمكن استخدامها إذا أكملناها • وأنى لا أوافق مطلقا على استبعاد الأدلة المستخدمة من نظام الأشياء » (١٦) •

وفي سنة ١٦٨٦ دعا لبينتز في بحثه « مشروع لفن الاختراع » الى البحث عن اليقين ، الدقة في براهيننا واستدلالاتنا • لقد اطلع على محاولات السابقين له في هذا المجال وخاصة ريموندليل وفرنسيس بيكون وانتضح له أن هذه المحاولات ينقصها التحليل الكامل وأخذ على عاتقه أن يقيم منها جديدا عرضه في الخصائص الكلية
Caracteristique Universelle

وفي فن الارتباط وفي بحثه « اللغة العالمية » Langue Universelle حيث يقول : « أن الخصائص التي تعبر عن كل أفكارنا ستكون لغة جديدة يمكن كتابتها ونطقها ، هذه اللغة من الصعب تأليفها ولكنها سهلة التعلم • سيقبلها الجميع بسرعة وسهولة ولن يخطئ من يستخدمها اذ ستجنبه أخطاء الحساب والقواعد والتركيب ••• وكل ما أسعى اليه الآن هو أن يتحقق هذا المشروع اذا ما أطل الله في عمري خاصة واني لا أدين لأحد في اختراعه ، اذ جاءتني فكرته الأولى وأنا في الثامنة عشر من عمري كما بينت من قبل في فن الارتباط » •

وفي الخصائص الكلية « يقرر أن دراستنا لموضوع ما لا بد وان نخطو خطوتين : في الخطوة الأولى نبحث عما في هذا الموضوع من تصورات بسيطة ، وفي الخطوة الثانية نبحث عما بين هذه التصورات البسيطة من علاقات ، ثم علينا بعد ذلك أن نحاول التعبير عن هذه التصورات البسيطة بعلامات أو خصائص رياضية • ولكي نحقق الخطوة

Leibniz ; Nouveaux Essais ; p 386, 387.

الأولى لابد وان يكون لدينا قائمة كاملة من التعريفات لأنها هي التي ستكون وسيلتنا في الوصول الى التصورات البسيطة ، وهي التي تساعدنا في تشييد أبجدية حقيقية للأفكار ، وبالتالي من الضروري تأليف قاموس منطقي يمكن تسميته « دائرة معارف » تصبح الوسيلة الوحيدة الممكنة لتيسير الاختراع وتقدم العلم وتوفر علينا البحث من جديد عما هو موجود فعلا .

وفي الخطوة الثانية أى عند الانتقال من التعريفات الى التصورات الأولية أو البسيطة علينا أن نعتمد على الاستنباط أو الاستقراء : الاستنباط يساعد في استخراج فكرة ما من فكرة أخرى ، أو استنتاج نتيجة من مقدمات وتحديد ما بينهما من علاقات . أما في الحالات التي لا يساعدنا الاستنباط في الوصول الى ما بين الفكرتين أو الواقعتين من علاقة فاننا نلجأ الى الاستقراء ، وخاصة في الوقائع التي تتحل بما في العانم الخارجى من حقائق عرضية .

وأخيرا علينا أن نترجم هذه العلاقات التي تقوم بين التصورات التي حصلنا عليها الى حدود رياضية ، والافان نخرج من اللغة العادية غير المضبوطة وغير الكاملة ، ولن نتخلص مما يشوبها من غموض واختلاط .

وجدير بالملاحظة أن لبينتر تناول في بحثه « فن الارتباط » العلامات signes التي يمكن أن نعبر بها عما بين التصورات والأفكار من علاقات تعبيراً واضحاً ومتميزاً ، وقد لجأ أولاً الى الاعداد ويضرب لنا مثالا فيقول : « نضع لكل من الحدود البسيطة عدداً معيناً ثم نرمز للحدود المركبة بحاصل ضرب هذه الحدود البسيطة ، فلو رمزنا الكلمة حيوان بالعدد « ٢ » وكلمة عاقل بالعدد « ٣ » فان التعبير عن كلمة « انسان » هو $3 \times 2 = 6$. وقد سيطرت هذه الفكرة على ذهن لبينتر حتى سنة ١٦٧٩ حيث عدل الرموز ولجأ الى رموز أخرى ذات طابع جبرى نشرها في بحثه Specimen de Calcul universel .

وحاول تطبيقها فى بحثه « اللغة العالمية » بعد أن اتضح له أن هذه الرموز التى قد تصلح للتعبير عن العلاقات القائمة بين التصورات البسيطة لا تصلح للتعبير عن علاقات المكان والزمان ، والفعل والانفعال ، وغيرها من العلاقات التى تخص أفكارنا وبالتالي وجد من الضرورى البحث عن لغة عقلية *langue rationnelle* ذات قواعد خاصة ساعدنا فى التعبير عن أفكارنا تعبيرا واضحا وضوح العمليات الرياضية •

خلاصة القول اذن ان محاولة ليننتر ربط المنطق بالرياضة بقصد الحصول على منطق رياضى تحليلى يساعد على استدلال ما يتضمنه الموضوع من محمولات ويظهر أهمية مبدأ عدم التناقض باعتباره المبدأ الذى يعطينا التعريف الحقيقى الذى لا يتضمن تناقضا ويقرر صدق القضية أو كذبها • كما يظهر أهمية مبدأ العلة الكافية عندما لاحظ أن تحليلنا لتصور ما أو لفكرة ما قد لا يؤدى الى ما نعتمد عليه من أفكار أولية بسيطة وخاصة التصورات التى تتصل بالعالم الخارجى والتى يلزمها دليل تجريبي يحقق صدقها أو كذبها (١٧) •

وقد لاحظ ليننتر أنه فى حاجة الى منهج يكمل هذا المنهج التحليلى حتى يستطيع الوصول الى الاختراعات والاكتشافات • هذا المنهج الجديد يسميه « فن التركيب » ويشمل كل التركيبات الممكنة لأى فكرة بسيطة بحيث لو أمكن تكوين قائمة من الأفكار البسيطة أمكن أن نحصل على قائمة تتضمن كل ما يمكن أن يوجد فى العالم من أشياء لنفرض مثلا أننا رمزنا لخمسـة أفكار بسيطة بالرموز ا ، ب ، ج ، د ، هـ ، فمن الممكن أن نحصل على المركبات الآتية : ا ب ، ا ب ج ، ا ب ج د ، ا ب ج د هـ

أو ا ج ، ا ب د ، ا ب د هـ

أو ا د ، ا هـ وهكذا •

ويمكن أن نجعل أهم الأفكار الرئيسية التي توصل إليها من خلال منهجه التركيبي فيما يلي :

- ١ — من الممكن أرجاع جميع التصورات الى تصورات بسيطة بعملية تشبه تلك التي نصل بها الى المعاملات الأولى للأعداد .
- ٢ — يمكن تركيب كل التصورات المركبة اذا ما رتبنا البسائط .
- ٣ — لا يوجد الا عدد قليل من الأفكار البسيطة ولكن يتولد عنها الكثرة بفضل التركيب .
- ٤ — يجب أن نرسم للأفكار البسيطة برموز بسيطة والأفكار المركبة برموز مركبة ، الرمز المركب تعريف للتصور المركب .
- ٥ — يتكون التفكير من كشف الغطاء عن كل العلاقات الموجودة بين البسائط^(١٨) .

من الطبيعي أن يتعرض لسينتر لحاولات الديكارتين ولاحظ :

- ١ — محاولتهم تقسيم الموضوع الى عدد من القضايا الصغيرة يدفع الذهن الى المشتت ، ولهذا يفضل لسينتر أن نميز بين القضايا الهامة والقضايا الأقل أهمية أو التافهة .
- ٢ — لاحظ أن من يستعمل القضايا في استدلالاته لا يعرف متى يجب أن ينتهي ، لأن القضايا تذهب الى ما لا نهاية .
- ٣ — لاحظ لسينتر أننا نفترض بديهيات من الممكن البرهنة عليها وبالتالي لا تكون في عداد البديهيات .
- ٤ — اخضع ديكارت ارتباط الأشياء والأفكار لمبدأ واحد ، وعلى ذلك فإن الحكم عليها لا بد وأن يعتمد على ما فيها من وضوح ذاتي أو خلوها من التناقض . وقد أدى ذلك بديكارت والديكارتين وأسبينوزا الى جعل المنطق لا يهتم الا بالقضايا الذاتية التي يؤدي نفيها الى تناقض وأهملت غيرها من القضايا . وبعبارة أخرى اختصت بنوع معين

R. L. Saw; p 212, 213.

(١٨)

من الحقيقة مع انه يوجد أنواع أخرى من الحقيقة يلزمها مبدأ آخر ويقول فى بحثه « الوحدات العنصرية » (المونادولوجى) : « براهيننا مؤسسة على مبدأين عظيمين : مبدأ عدم التناقض الذى بفضلها تحكم ببطلان كل ما هو متناقض وصدق كل ما يعارض أو يناقض ما هو باطل • ومبدأ العلة الكافية الذى به لا نعد أى واقعة قائمة فى الواقع أو موجودة فى الوجود الفعلى ، لا نعد أى قضية صادقة ما لم يكن لها علة كافية تبين لماذا كانت الواقعة أو القضية على ما هى عليه ولم تكن على نحو آخر ، على الرغم من أن هذه العلة فى معظم الحالات تظل خافية علينا » (الفقرات ٣١ ، ٣٢) •

ويقول فى كتابه « مبادئ الطبيعة والعناية » سنة ١٧١٤ :

« لقد تكلمنا حتى الآن كعلماء طبيعة ويجب أن نرتفع الى ما بعد الطبيعة مستعملين المبدأ العظيم الذى لم يستعمل بعد الاستعمال الملائق به والذى يقرر أنه لا يوجد شئ بدون علة » (١٩) •

ويقول فى خطاب الى كلارك سنة ١٧١٥ : « لكى نتقدم من الرياضة الى الفيزياء لابد من مبدأ آخر هو مبدأ العلة الكافية وقد استخدمه أرشميدس عندما أراد التقدم من الرياضة الى الفيزياء فى كتابه (فى التعادل) On Equilibrium وان كان قد اكتفى باستخدامه فى حالة جزئية ، وذلك عندما أظهر أنه اذا وجد ميزان يتساوى ما فى كفتيه فائنا لو وضعنا فى هاتين الكفتين وزنين متساويين فانه سيبقى فى حالة سكون وذلك لعدم وجود علة تبرر أن يهبط أحد الجانبين أكثر من الآخر • أما الآن فان هذا المبدأ يصدق أى العلة الكافية لوجود الأشياء وهكذا دون أن تكون خلاف ذلك — يمكنه اثبات كل ما يتعلق باللاهوت وما بعد الطبيعة والفيزياء » (٢٠) •

R. Latta . p 58, 90.

(١٩)

M. Morris p 35.

(٢٠).

وهكذا حرص ليينتر على عدم الاكتفاء بمبدأ عدم التناقض كما فعل ديكارت كما حرص على أن يحاول تطبيقه فى جميع المجالات مؤكدا ان فحص فكرة أية قضية صادقة لابد وأن ينتهى الى أن فكرة الموضوع تتضمن كل ما يدخل فيها من محمولات سواء كان ضروريا أو عرضيا ، ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا .

لقد اتخذ ليينتر موقفا وسطا بين ديكارت وأرسطو ، فهو يتفق مع ديكارت فى الاهتمام بالمنهج الرياضى وامكان تطبيقه فى كل مجالات المعرفة وأن اخلف معه فى عدم الاكتفاء بتحليل الحقائق الضرورية . ويتفق مع أرسطو فى اعتبار القضية ذات الموضوع والمحمول الموحدة الأولية التى تقوم عليها كل معرفة ، كما يتفق معه فى ضرورة الاهتمام بالقياس ويعلم أن القياس المدرسى مع أنه ممل وطويل بحيث يؤدي الى الاضطراب والخطأ وجمود الذهن ، الا أنه يعتقد — ان اختراع القياس من أحسن حسنات الذهن البشرى وأهمها ، اذ هو نوع من الرياضية الكلية التى لم تعرف بعد المعرفة الكافية التى تبين أهميته ، خاصة وان استعماله الصحيح يعصمنا من الخطأ . كل ما فى الأمر أننا للأسف لا نعرف كيف نستخدمه . لهذا رأى ليينتر ضرورة تصور القضية التى موضوعها يتضمن محمولاته تصورا أوسع وأشمل من تصور أرسطو وذلك بأن أدخل فيها القضايا الضرورية والعرضية ، كما رأى ضرورة الاهتمام بالاستدلال الرياضى الذى يساعد على تحليل القضايا للوصول الى القضايا الأولية البسيطة وبذلك يكون قد حدد الأساس الحقيقى لفلسفته وهو أن معرفتنا لابد وأن تعتمد على القضية التحليلية وحاول تطبيق هذه القاعدة الأساسية فى مجالات الطبيعة وما بعد الطبيعة والملاهوت .

هذا الاهتمام بالجانب المنطقى من فلسفة ليينتر وما تعرض له من قضايا تحليلية دفع المهتمين بفلسفة ليينتر من المعاصرين الى اثاره مشكلة أساسية تتصل بصلة المنطق بما بعد الطبيعة وطرحت السؤال :

هل فلسفة ليينتر فى صميمها تطبيق للمنطق فى مجال ما بعد الطبيعة ؟
أم العكس أى أن منطق ليينتر مجرد انعكاس لجوانب ما بعد
الطبيعة وخاصة نظريته فى الوحدات العنصرية ؟
هذا ما سنعرض له فى حديثنا عن نقد ليينتر عندما نعرض لموقف
المعاصرين من هذه المشكلة •

نقد فلسفة ليينتر

تحدثنا حتى الآن عن فلسفة ليينتر وموقفه من رواد الفكر الفلسفى
المعاصرين له وخاصة ديكارت وأسبينوزا ولوك كما قدمنا عرضا تحليليا
للباب الرابع من كتابه « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » والخاص
بنظرية المعرفة وانتقلنا منه الى الحديث عن نظرية ليينتر فى المعرفة
ومدى اتفاقها أو اختلافها عن نظرية لوك وأخيرا تعرضنا للمنهج التحليلي
الذى استخدمه ليينتر فى تحديد ملامح فلسفته القائمة على مبادئ
التناسق الأزلى والوحدات العنصرية وحاولنا مرة أخرى المقارنة بين
المنهج التحليلي الذى استخدمه كل من ديكارت وليينتر وبقي علينا أن
نعرض لأهم النقاط التى تعرضت للنقد من معاصرى ليينتر ومن
المعاصرين لنا (٢١) •

١ - مفهوم المادة :

اعترض البعض على تصور ليينتر للمادة بقولهم انه جعل المادة
مثالية وفوق الحس وقد رد بياحيه على هذا الاعتراض فى مقدمته
لكتاب « أبحاث جديدة فى الفهم الانسانى » بقوله « أن ليينتر — فى
رأى — قد أثبت قبلنا وبطريقة هندسية تقريبا ، أن المادة ، فى ذاتها ،
تكون شيئا مثاليا وتفوق الحس • فمن البديهيات فى ما بعد الطبيعة

(٢١) بياحيه (مقدمة الترجمة الفرنسية) •

أن الله لا حواس له ولا يمكن أن يمتلك احساسات . فهو لا يمكن أن يشعر بالحر أو البرد ولا يحس برائحة الأزهار أو يسمع الأصوات أو يرى الألوان أو يحس بالاتصالات الكهربائية . وباختصار مادام الله عقل خالص فلا يمكن أن يتصور سوى المعقول الخالص ، ولا يعنى أنه يجعل أى ظاهرة من الظواهر الطبيعية وانما هو لا يعرفها الا بأسبابها المعقولة وليس بالانطباعات الحسية التى يحس بها المخلوقات ، المحسوس يفترض ذاتا حاسة وأعضاء وأعصاب وارتباط بين الأشياء معقولة . فالمادة اذن فى نظر الله ليست شيئا محسوسا ، والله لكونه عقلا مطلقا يرى بالضرورة الأشياء كما تكون ، وبالتالى فالأشياء فى ذاتها تكون كما يراها الله . المادة اذن فى ذاتها هى كما يراها الله ، وبما أنه لا يراها الا فى ماهيتها المثالية المعقولة فانها اذن شئ معقول وليست شيئا محسوسا ولذلك لا يمكن أن نلوم ليينتر أنه جعل المادة مثالية مادام ذلك ضروريا لأى مذهب يقبل الكلمة المقدسة والنظام السابق تنظيمه .

٢ - الوحدات العنصرية :

تعرضت لاعتراضات نذكر منها :

(١) اعتراض ايلر Euler :

فى خطاب له الى احدى أميرات ألمانيا يرتكر على أن من المستحيل أن نركب كلا ممتدا من عناصر غير ممتدة وينتهى الى أن النتيجة الضرورية لهذا المذهب هى أنكار حقيقة الامتداد والمكان والتورط فى مشكلات مثالية .

ويرى بياجيه أن من الممكن أن نفصل مذهب الوحدات العنصرية عن مذهب مثالية المكان وأن نرجى كل الأسئلة المتصلة بالمكان ونحتفظ بها دون أن نشوه افتراض الوحدات العنصرية .

لنفرض مع الذريين وكلاارك ونيوتن حقيقة المكان فلن يكون تصور
 للوحدات العنصرية في المكان أصعب من تصوير الذرات في المكان :
 النقطة النشطة غير القابلة للقسمة يمكن أن تكون في نقطة معينة من
 المكان واتحاد هذه النقط النشطة يكون التجمعات التي نسميها جسما .
 ويكفى أن نفترض أن هذه النقط من النشاط تكون على مسافة من
 بعضها البعض حتى يمكن أن يحدث اتحادها انطبعا بالامتداد المستمر ،
 وكثنا يعرف أن للرخام مساما ، أى فراغات بين الأجزاء ولكن نظرا لاننا
 لا ندرك هذه الفراغات بالحواس ، فإن المائدة المكونة من الرخام تبدو
 متصلة . وباختصار تتكون الأجسام من عنصرين كما يقول
 الفيثاغوريون : الوحدات العنصرية والفواصل . وكل ما بين لينتتر
 والفيثاغوريين من اختلاف هو أن الوحدات العنصرية عندهم مجرد
 نقط هندسية وعند لينتتر نقط نشطة ذات طاقة .

أما القول بصعوبة قبول أن تكون القوى غير الممتدة في مكان غان
 ذلك ممكنا عند أولئك الذين يعتبرون الروح قوة غير ممتدة وجوها فردا
 ويقولون أنها في مكان ، مع أنه ليس لها بماهيتها أى علاقة بالمكان .
 لا تناقض إذن في نظر هؤلاء أن تكون قوة بسيطة في مكان والا اضطروا
 الى انكار أن تكون الروح في مكان ، أى أن تكون في جسم ، بل وفي جزء
 معين من الجسم . أما الذين يعتبرون الروح فكرة الهية وصورة خالدة
 متحدة مؤقتا بالفردية فانها في هذه الحالة — كما عند أسبينوزا —
 لا تكون في مكان .

(ب) اعتراض أرنولد :

يرى أن مذهب الوحدات العنصرية يضعف دليل المحرك الأول
 لأنه يسمح بتخمين أن المادة يمكنها أن تتمتع بقوة نشطة وبالتالي
 بحركة تلقائية .

ويرى بياجيه أن رد لينتتر على هذا الاعتراض لم يكن حاسما

وانما اكتفى بقوله بضرورة أن نلجأ الى الله لنفسر تنسيق المحركات .
ومن ثم هو لم يتعرض للسؤال مباشرة لأن التنسيق دليل على النظام
والترتيب وهو دليل مختلف تماما عن دليل المحرك الأول . ولكن نلاحظ
ان ليبنتز لى يقرر حقيقة القوة فى الجوهر الجسمى استخدم فكرة
مقاومة الحركة أكثر من فكرة الحركة المفروض أنها تلقائية ، وعلى هذا
يمكن أن يكون أحد أدلته الرئيسية هو أن الجسم الذى يتحرك عندما
يتقابل مع جسم آخر يفقد من حركته بقدر ما يقابل من مقاومة الجسم
الآخر ويسميه بالقصور الذاتى أو المقاومة السلبية . تصبح هذه
المقاومة دليلا يكمل دليل المحرك الأول ولا ينقص من شأنه ، ما دام قبول أن
عناصر الأجسام مهياة تلقائيا للحركة ، فان هذا التهيؤ لا ينتقل الى
الفعل الا بأثاره فعل غريب ، اذ لا يبدأ جسم فى الحركة الا بحضور
جسم آخر . ليس من الضروري طبعا أن يوجد السبب الأول للحركة
فى الجسم المتحرك ، فقد يكون سببا كليا أو شاملا ، بل يكفى أن
يكون سببا مكملًا completive كما يسميه المدرسون ، خاصة وأن
ليبننتز يؤكد أن الفعل والوجود أمر واحد بالنسبة لأى موجود وأن
الجواهر السلبية تماما تكون عدما خالصا .

٣ — نظرية التناقض الأزلى :

١ — أرغولسد :

يعترض فى خطاب مؤرخ ٢٨ سبتمبر سنة ١٦٨٦ بقوله أنه
اقتنع بفكر الموضوع الذى يتضمن محمولاته وبقي فى شك فيما يختص
قول ليبنتز أن الله يختار العالم من ممكنات لا نهاية لها ويتساءل :
ما هو التعاون بين الجوهر أو ما يسمى بالانسجام الأزلى ؟ قد يؤلنى
شخص فى ذراعى وتؤكد روحى آلامى : أليس حركة تمزق الأنسجة
الجسدية هى التى تنتج الألم فى الروح ؟ أريد أن أرفع قبعتى أو أرفع
ذراعى ، أليس رغبة الروح هى التى تنتج حركة الجسم ؟

يرد لبينتز على هذا التساؤل بقوله بالتوازي النفسى الفسيولوجى وما يتبعه من قول بالادراكات المتناهية فى الصغر^(٢٢) . ولكى يوضح علاقة الروح بالجسد رغم أن كلا منهما يعمل تبعا لقوانين خاصة يقدم مثال صانع الساعات ، الله ليس صانعا للساعات تنقصه المهارة مثل ذلك الذى تصوره مالمبرانش ، بل هو صانع خبير وممتاز معا وذلك بان جعلها تبدأ معا ثم يترك العملية الميكانيكية تعمل وحدها بعد ذلك ، هذا هو موقف الصانع الكامل فى صناعته ، لقد وضع ابتداء من لحظة الخالق فى كل وحدة عنصرية ، وفى كل حالة كامنة كل ماستحتاج اليه من تصورات ، وقد ركبها بطريقة تجعل كل واحدة منها تثبط طبيعتها كما لو كانت وحدها فى هذا العالم ، ومع ذلك يجرى سلوكها متسقا فى كل لحظة مع سلوك الآخرين . هذا الاتساق لا ينقص من قوة الله بل على العكس هو خير دليل بعدى يمكن أن تقدمه لاثبات وجود الله منظور اليه على أنه كائن يمثل كل العلاقات بين الجواهر ، أما الوحدات العنصرية فلا يحكمها الا مبدأ تحقيق الأحسن والانسجام التام والنظام^(٢٣) .

٢ — الأب فوشيه دى كاريل :

فى خطاب الى لبينتز سنة ١٦٩٦ ينقد نظرية الانسجام الأزلى نفترض ان الله ينتج فى ارواحنا أفكارا معينة تتصل بحركات الأجسام ولكن لماذا لم ينتج هذه الأفكار بدون أن يتأثر فى عمله هذا بتوجيه الأجسام له ؟

وأجاب لبينتز : « ان الله يفضل وجود كثرة فى الجواهر على وجود قلة منها ، ووجد انه من الأفضل أن تتصل تغيرات الروح بشئ ، اخرج عنها ، فالانسجام الأزلى يمكن أن ينظر اليه على أنه نظرية توازى

Emile Thouvez discours de metaphysique p. 105, 106. (٢٢).

André Cresson; Leibniz p 43. 44.

(٢٣)

بين التغيرات فى الأجسام التى تتم وفقا لقوانين طبيعية ، وتغيرات الروح التى تتم وفق قوانين نفسية وحدود المجموعتين يتصل بعضها ببعض فى كل نقطة بدون أن يتداخلا ، وكل منهما يبسط طبيعته بانتظام بغير حاجة للتدخل الالهى » (٢٤) .

٣ - سبستارك Stark :

يرى أن ليبنتز اللاهوتى والفيلسوف بقيا شيئا واحدا وقد ساد كليهما فكرة الانسجام الآزلى بين الطبيعة والعناية ، وهى فكرة تترودنا بأجدية الأفكار الفلسفية وتمكننا من التعبير عن كل شئ فى السماء والأرض . ولكن يعترضنا الصعوبة الآتية : اذا اعتبرنا أن الآلة الانسانية تحتوى على عدد لا نهائى من الأعضاء ، وأنها دائما عرضة للاضطدام بالأجسام التى تحيط بها ، وأن آلافا من التغيرات تطرأ عليها نتيجة هذه الصدمات ، فكيف يمكن تصور أن هذا الانسجام الأزلى لن يضطرب وأنه يجب أن يستمر طوال حياة الانسان ؟ ولنفرض أن كثرة الأعضاء والعوامل الخارجية ضرورية للتغير اللانهائى فى الجسم الانسانى هل سيكون لهذا التغير الدقة المطلوبة ؟ هل لن يضطرب الترابط بين هذه التغيرات وتغيرات المروح ؟ ان هذا يبدو مستحيلا وعلى ذاك يمكن رفض نظرية ليبنتز باعتبارها مستحيلا ، ولاسيما أنها مرتبطة بصعوبة أكبر من صعوبة النظرية الديكارتية (٢٥) . التى تجعل الحيوانات مجرد آلات . فهو يقرر انسجاما بين موجودين لا يؤثر احدهما فى الآخر ، حتى لو افترضنا أنها كالخدم يجب أن تطيع أوامر سيدها فلن نستطيع القول أنها تعمل هذا دون تأثير حقيقى من سيدها ، لأن السيد سينطق بكلمات ويصدر اشارات ستحرك أعضاء الخدم .

ويعتمد سبستارك اذن فى نقده على نقطتين أساسيتين أولاهما احتمال وقوع اضطراب فى الارتباط الذى قررره ليبنتز بين المروح والجسد .

H.W. Joseph lectures on the phil of 'leibniz p. 64. (٢٤)

W. Strak theodicy of leibniz p. 40, 14, 111. (٢٥)

والثانية استحالة تقرير الانسجام بين موجودين لا يؤثر احدهما في الآخر : القول بان الانسجام الأزلي يتطلب خضوع أحد الطرفين للآخر ولو خضوعا غير مباشر •

وللرد على هذا النقد نقول ان ليينتر عندما قرر نظرية الانسجام الأزلي أعلن منذ اللحظة الأولى ان هذا الانسجام الأزلي دليل على قدرة الله وكماله ، فهو الذى خلق هذا العالم من بين عوالم أخرى ممكنة لا حصر لها • وقد اختاره باعتباره أحسن عالم ، كما أنه سبق ان قرر منذ اللحظة الأولى لخلقه كل ما سيتضمنه من تغيرات وتعديلات ، وما التعديلات والتغيرات سوى محمولات متضمنة فى الموضوع ، وما انتقالها من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل الا بفضل ما منحها الله من تصورات ومنيول داخلية تعمل وفق مبدأ الأحسن ؟ وبالتالي لن يحدث توقف أو خلل لأن أى نقص أو أى خلل فى هذه الوحدات العنصرية ينقص من قدرة الله وكماله ومن ثم يستحيل تصور حدوث اضطراب فى علاقة الوحدات ببعضها •

أما القول بأن من المستحيل وجود اتساق بين موجودين لا يؤثر احدهما فى الآخر ، فمن الممكن الرد عليه بما قاله ليينتر فى الفقرة الرابعة عشر من مقال ما بعد الطبيعة « ان الله جعل من طبيعة كل جوهر أن يتأثر بما يحدث لغيره من الجواهر ، ولكنه عاد فقرر أن هذا التأثير غير مباشر ، فمن المسلم به أن ادراكات وتغيرات كل جوهر تتجاوب مع ادراكات وتغيرات غيره من الجواهر وضرب مثلا وجود عدد من الأفراد فى موقف واحد ومكان واحد ولكنهم مع ذلك يعبرون عن هذا الموقف كل من وجهة نظره الخاصة • يكفى أن تكون هذه التغيرات متناسبة وليس من الضروري أن تكون متشابهة الله وحده القادر على أن يرى العالم ليس فقط كما تراه الوحدات العنصرية المخلوقة بل قد يراه أيضا مخالفا لما تراه •

وباختصار الوحدات العنصرية لا تؤثر فى بعضها البعض مباشرة وأن كان هذا لا ينفى وجود تأثير غير مباشر وارتباط وثيق ينظم ما بينهما من تأثير غير مباشر ويحقق ما قدره الله من انسجام أزلى .

٤ - معنى الإرادة :

فهم ليبنتز الإرادة فهما جديدا يختلف عن فهم الديكارتيين ، سواء فى ذلك إرادة الله أو إرادة الوحدات العنصرية ويؤكد ليبنتز ان كل إرادة تتطلب علة ذاتية تفسر لماذا هى هكذا وليست خلاف ذلك . وبمعنى آخر إرادة كل وحدة عنصرية تتبع من ذاتها وتحقق ما تتضمنه من أفعال وتصبح العلة الكافية لتغيراتها . أما إرادة الله فقد اعتبرها ليبنتز علة ما فى الكون من تغير تبعا لمبدأ الأحسن وتحقيقا للانسجام الأزلى ، أى أنه جعل إرادة الله تفصل بما فى هذا العالم من حقائق عرضية فحسب أما الحقائق الضرورية فيجب أن تعتمد على عقل الله وتصبح موضوعه الداخلى ولا صلة لها بإرادته ، وهو فى هذا يعارض الديكارتيين الذين اعتقدوا ان صدق الحقائق الضرورية يعتمد على إرادة الله .

هذا التصور الجديد للإرادة آثار كثيرا من الجدل بينه وبين الديكارتيين وخاصة أرنولد الذى رأى أن تصور ليبنتز لإرادة الله يؤدي الى الحتمية التى تلغى حرية الله تماما ، لأنه اذا كانت كل فكرة فردية لكل جوهر تتضمن كل أفعاله فى المستقبل بضرورة افتراضية ، فان الممكنات تكون ممكنة قبل أن يأمر بها الله . وتبعا لذلك يخضع الله لعالم من الأفكار الحتمية أعلى منه . وانتهى أرنولد من نقده الى أن لتصور ليبنتز لإرادة الله يقتنافى مع التصور المسيحى .

ويرد ليبنتز على أرنولد مدافعا عن وجهة نظره التى تقرر أن الفكرة الفردية لكل جوهر تتضمن مرة واحدة كل ما سيحدث له والذى استنتج منها أرنولد أن كل ما يحدث للفرد بل لكل الجنس البشرى يجب أن تحدثه

الضرورية الحتمية ، وأعلن لبينتز أن خطأ أرنولد يرجع الى الخلط بين الضروري افتراضا والضرورة المطلقة . هناك فرق كبير بين قولنا ان الله حر تماما فى أن يعمل وبين قولنا انه مضطر الى العمل وفقا لفروض معينة . لايجدر بنا أن نتصور الله كما يتصوره الذين يحاولون تشبيهه بالانسان الذى يتخذ قراراته تبعا للظروف ، فهذا يجعلنا نتصوره كأنه غير حر فى خلق ما يعتبره خيرا . يجب القول ان الله قد قرر منذ الأزل تتابع كل الأحداث دون أن يقلل هذا من حريته بأى حال من الأحوال . يجب ألا نعتبر ارادة الله خلق آدم معين على أنها منفصلة عن كل أفعال ارادته الأخرى بأبناء آدم ، وانما آدم معين يتمثله الله تمثلا أكمل من تمثله لغيره من الموجودات الممكنة ، فأدم هذا يصحبه ظروف فردية معينة ، ومن صفاته أن له على مر الزمان خلف معين ، قليل من التفكير يبين فى وضوح أن تحليل الحدود يوصلنا الى أن فكرة آدم الفردية تعطينا تمثلا كاملا لآدم معين له شروط فردية معينة تميزه عن غيره من الأشخاص الممكنة . وقد فضله الله لأنه يرضيه أن يختار هذا النظام المعين للكون وان كل ما سينتج تبعا لارادته سيكون ضروريا ضرورة فرضية فقط ولن ينقص هذا من حرية الله ولا من حرية العقول المخلوقة .

٥ — منهج التحليل الفلسفى والقضية التحليلية :

تناول برتراند رسل فى نقده فلسفة لبينتز عدة أسئلة منها :

١ — هل تخضع كل القضايا لصورة الموضوع والمحمول ؟

٢ — هل توجد قضايا تحليلية ؟ واذا وجدت هل هى أساسية وضرورية .

٣ — كيف يميز لبينتز بين القضايا الضرورية والعرضية (٢٦) ؟

بالنسبة للسؤال الأول يرى رسل أن من الممكن اثبات وجود

(٢٦) Mary Morris; philosophical writings of leibniz. p 59-61.

قضايا لا تخضع لهذه الصورة كالقضايا التى تعبر عن العلاقات المختلفة ، علاقة الموضع المكانى ، أو علاقة الأكبر والأصغر ، علاقة الكل والجزء ، وكذلك القضايا التى تعبر عن العدد مثل « هناك ثلاثة رجال » هذه القضايا لا تخضع لضرورة الموضوع والمحمول لأنها تؤكد تعددا فى الموضوعات وقد نعطى محمولا لكل موضوع من هذه الموضوعات ولكن لا يمكن أن نعتبرها مجرد جمع لعدة قضايا كل منها يتكون من موضوع ومحمول ، ومادامت فكرة العدد لا توجد الا نتيجة كونها قضية واحدة وتزول اذا أكدنا أنها مجموع ثلاث قضايا كل منها تمثل رجلا واحدا . هذا لا يعنى أن لبينتز أهمل مثل هذه القضايا بل حاول أن يخضعها لصورة الموضوع والمحمول ليحتفظ بنظريته ، وهذه هى نقطة الضعف . فالقضايا التى تعبر عن العدد أو العلاقات بين الوحدات العنصرية موجودة فعلا ومن المفروض أن يدركها الله ادراكا صحيحا وستؤدى الى القول ان الله يعتقد فى صدق ما لا معنى له أو الى القول أن هذه القضية صادقة ، ومعنى هذا أنه توجد قضايا صادقة لا تخضع لصورة الموضوع والمحمول .

بالنسبة للسؤال الثانى « هل توجد قضايا تحليلية ؟ » لاحظ رسل أن لبينتز يعتبر كل القضايا المتعلقة بالمنطق والحساب والهندسة قضايا تحليلية ، أما القضايا التى تعبر عن الوجود ما عدا تلك الخاصة بوجود الله قضايا تركيبية ، فى حين رأى رسل أن الأمثلة التى ذكرها لبينتز على أنها تحليلية تتعرض لأحد هذين العيبين : بعضها من الممكن أن تظهر أنها ليست تحليلية وذلك فى قضايا الحساب والهندسة وبعضها الآخر قضايا تحصيل حاصل ومن ثم فهى ليست قضايا على الاطلاق اذ معظمها لا يؤكد شيئا ولن يوصل الى حقيقة صادقة علاوة على أنها تحتاج الى افتراض قضايا تركيبية تعتمد عليها وتؤيد صدقها . أما بالنسبة للقضية $٢ + ١ = ٣$ التى اعتبرها لبينتز تحليلية كغيرها من قضايا الحساب ، والواقع أنها ليست تحليلية ، بل هى تركيبية . هذه القضية تعتمد على أن الفكرة البسيطة هى التى لا تؤدى الى تناقض .

ولكن اذا كانت القضية $٢ + ١ = ٣$ ممكنة فلا بد وأن تكون تركيبية لأن الفكرة الممكنة لا يمكن فى تحليلها الأخير أن تكون مجرد فكرة لا تؤدي الى تناقض ، لأن هذا التناقض نفسه يحتاج الى قضايا تركيبية نستدله منها .

وينتهى رسل الى أن خطأ نظرية ليينتر يرجع الى تقرير أن القضايا مثل القضية (المثلث المتساوى الاضلاع مثلث) قضايا تحليلية فى حين يرى رسل أنها ليست تحليلية كلها ، بل هى نتائج منطقية للقضايا التركيبية التى تؤكد ان مكونات الموضوع من الممكن أن توجد معا ولكن رسل عاد وغير رأيه وأعلن فى مقدمة طبعته الثانية لكتابه عن ليينتر أنه فى الفترة التى كتبه فيها لم يكن يعرف الا القليل عن المنطق الرياضى وعن نظرية جورج كانتور George Cantor فى العدد اللانهائى ، أما الآن بعد أن اطلع على هذه البحوث فقد أصبح من الضرورى أن يميز بين القضايا التى نستنتجها من المنطق والقضايا التى لا يمكن أن نستنتجها منه ، الأولى يمكن أن نعرفها على أنها تحليلية أما الأخرى فتركيبية وبذلك يكون رسل قد عاد فاقنع بصحة مذهب ليينتر الفلاسفى الذى يقوم على نظريته المنطقية فى القضية التحليلية (٢٧) .

أما السؤال الثالث : كيف يميز ليينتر بين القضايا الضرورية والعرضية فقد كانت اجابة ليينتر هى أن القضايا الضرورية تختلف عن القضايا العرضية كما تختلف اللانهائى عن النهاى أو كما تختلف الاعداد المقيسة عن الاعداد الملامقيسه . القضايا العرضية فى رأى ليينتر تحدثنا عن وجود فعلى وقع فى لحظة معينة من الزمن ، وأراد بهذا التحديد الزمنى فى الوقوع أن يستثنى القضية التى تثبت وجود الله وجودا فعليا : لأن هذه القضية — على خلاف سائر قضايا الوجود الفعلى — ضرورة الصدق . أما القضايا الضرورية فهى لا تشير الى واقع معين فى لحظة معينة أو بعبارة أخرى هى — باستثناء قضية وجود الله — القضايا

التي لا تؤكد وجود موضوعها وجودا فعليا وكأنها فى حقيقة أمرها قضايا شرطية تقول : اذا فرضنا وجود الشيء الفلانى وجودا فعليا فلا بد أن يوجد معه كذا وكذا من لواحقه • فصدق القضية الضرورية لا يعتمد على تحقق موضوعها تحققا فعليا • ووصف القضية الضرورية بأنها أزليه والصدق لا يعنى سوى أن صدقها لا يشير الى لحظة معينة من الزمن ، فهي صادقة أيا ما كانت اللحظة التي تتحقق فيها ولأنها ستظل صادقة حتى وأن لم تتحقق تط فى الواقع • لقد اعتمد رسل فى نقده فاسفة لبينتر على نقطة أساسية هى صلة ما بعد الطبيعة بالعلوم وخاصة الرياضيات وقد كان لديكارت وليبنتر فضل إثارة هذا الموضوع عندما ترعما الدعوة الى تطبيق المنهج الرياضى التحليلى على ما بعد الطبيعة •

يرد بوترو Boutroux وكوتوراه Couturat على انتقادات رسل ويظهران أنه لم يكن موفقا فى هذا النقد للأسباب الآتية :

١ — لم يفهم رسل دور مبدأ العلة الكافية الفهم الصحيح ، فقد امتاز هذا المبدأ بخاصية ميتافيزيقية ولا يعتمد على المنطق وحده كما هو الحال بالنسبة لمبدأ عدم التناقض • هذا التمييز بين المبدئين جعل لبينتر يعتقد أننا نستطيع تحليل العرضيات ولكن تحليلنا سيكون لانهائيا، أما خطأ رسل ففى أنه اعتقد أن هذا يعنى أن لبينتر اعتبر التركيب خاصية للعرضيات •

٢ — بالنسبة لفكرة الجوهر واعتبرها موضوعا يتضمن محمولاته فقد رأى « بوترو » أن تفسير رسل لا يتفق مع فكرة لبينتر • فتقد احتاج لبينتر لفكرة الجوهر ليوفق بين الكثرة والوحدة : فالموضوع كما تصوره لبينتر ليس الا معطى entité ما بعد طبيعى قبل أى شئ • وعلى هذا ليس من حقنا أن نطالب ما بعد الطبيعة باهمال الجوهر كموضوع لجرد أن العلم الحديث لم يهتم بهذه الموضوعات (٢٨) •

Pierre Boutroux ; Etudes critiques sur la philosophie de Leibniz; Revue de Metaphysique et morale; 1904 p. 329 — 333.

٣ — ما بعد الطبيعة عند ليبنتز لا تفرض ضرورة القول أن الحقائق الرياضية ، التي ليست الا علاقات ، لا نمك الا وجودا منطقيا فقط ، ولا تتبع الا من مبدأ عدم التناقض وبشكل تحليلي فحسب • الوقائع الرياضية فى نظر ليبنتز ذات دلالات وجودية خارج المنطق *extra logique* لانها تعبر عن علاقات بين الجواهر الحقيقية أو بين ما فى نفس من أفكار فطرية • كما يرى أن ارتباط أفكارى ليس من انتاجى وانما يعتمد على عقل الله •

وهذه هى النقطة التى هاجمها رسل قائلا أنها لا تعطينا أى أساس كاف يرضى الحقائق الرياضية مادما نؤكد أنها توجد فى العقل الالهى •

ويرى « بوترو » أن رسل لم يوفق كذلك فى تفسير ما قصد اليه ليبنتز من هذه النقطة وذلك لأنه لم يدرك أن ليبنتز لا يوافق على جعل الافكار الرياضية الاولى التى هى موضوع التعريفات ويمكن استخدامها كنقطة بداية — نتائج لبدا عدم التناقض كما أنه لا يعتقد أنها من خلق عقلنا وانما يتخذ لنفسه موقفا وسط يسوده التفسير ما بعد الطبيعى ونظرية العقل الالهى والافكار الفطرية • قد لا تكون هذه النظريات كافية ومرضية ولكنها بالرغم من هذا لاتجعل هذا الحل معييا من وجهة نظر المنطق • فقد قبل ليبنتز — مثل ديكارت — وجود روابط تسبق أى تدخل للمبادئ المنطقية فالحقيقة توجد فى الأفكار أو الحدود قبل أن تصل الى قضايا او الحقائق هذه الافكار البسيطة ستكون مادة التعريفات، فاذا أردنا بواسطتها تعريف الافكار المركبة فيلزمنا التأكد أن هذه الافكار المركبة ممكنة لهذا يجب أن نبدا بتحليل الافكار المركبة الى عناصرها ثم نبحث بعد ذلك هل هذه العناصر متفقة مع بعضها ، مع أنها غير متناقضة، ولكن ليبنتز يعود فيقرر أنه ليس من الضروري أن نعتد على التحليل، لكى نصل الى هذا القرار ، وانما يجب أن نعتد على الحدس ، اذ هو الذى يجعلنا نرى اذا ما كان ارتباط الافكار البسيطة التى تكون الفكرة المركبة ارتباطا متماسكا أم لا ؟

ينتهي بوترو من مناقشة نقد رسل الى تقرير أن ليينتر لا يستخرج كل الرياضة من مبدأ عدم التناقض ما دام قد اعتبر الحقائق الرياضية حقائق حدسية نجدها بشكل تحليلي بشرط أن يبدأ تحليلنا بالافكار التي ستكون مادة تفكيرنا • كل ما يمكن أن يأخذه على ليينتر هو أنه حصر كلمة تحليل في أضيق حدودها • فالبرهان التحليلي عند الرياضي يبدو ببساطة — في نظر ليينتر — كأنه قياسى يربط موضوعا بمحمول • والاجدر أن نتفق مع رسل في نقطة واحدة هي دعوته الى ضرورة النظر الى التحليل نظرة أوسع من نظرة ليينتر هذه النظرة سنجدها في الفلسفة الكانطية وما تلاها •

وعلى أية حال نفسير رسل لفلسفة ليينتر تفسيراً منطقياً ليس الا تفسيراً من جانب واحد ولا يرضى ليينتر نفسه • حقا هناك توازياً بين نظرياته المنطقية وما بعد الطبيعية ولكن هذا لا يجيز لنا أن نعتبر مجموعة واحدة من النظريات على أنها النظريات التي أرادها ليينتر فعلا ونترك الأخرى والاجدر بنا أن نفحصها لنرى ما بينها من علاقة ، خاصة وأن ليينتر نفسه نظر الى الفروض المتقابلة باعتبارها وجهات نظر مختلفة لنفس الموضوع • وكل ما يلزمنا هو أن نحدد الزاوية التي ننظر منها الى الموضوع أو الفكرة وأن نعبر عن وجهة نظرنا كما نراها أو نعتقد أنها وعلينا أن نجتمع بين وجهات النظر المختلفة اذا أردنا أن نحصل على رؤية شاملة ومتميزة لهذا العالم وما فيه من نظام وانسجام •

حقا ما أحوجنا اليوم الى هذا المنهج التحليلي وما أحوجنا الى هذه الرؤية الشاملة •

ثانيها

أبحاث جديدة في الفهم الانساني
نظرية المعرفة

عرض تحليلي للباب الرابع من كتاب ليينتر

أبحاث جديدة في الفهم الانساني

نظرية المعرفة

يعتبر باب المعرفة تلخيصا لاهم الافكار الرئيسية التي تناولها الحوار بين كل من فيلايت - المعبر عن رأى جون لوك ، كما جاء في كتاب « أبحاث في الفهم الانساني » ، وتيوفيل - المعبر عن رأى ليينتر في هذا الكتاب وهو بمثابة الرد على رأى لوك .

يشمل الباب ٢١ فصلا يتناول عدة موضوعات رئيسية :

(١) المعرفة :

ما هي ؟ درجاتها ؟ امتدادها وحقيقتها . (الفصول ٤٣، ٢٤، ١)

(ب) الحقيقة :

ما هي ؟ ما المقصود بالقضايا الكلية وما حقيقتها ؟ ما يقينها ؟ ما هي المبدئيات أو المسلمات ؟ ما المقصود بالقضايا التافهة ؟ (الفصل : ٨٤، ٧٤، ٦٥) .

(ج) الوجود وصلته بالمعرفة :

كيف تثبت وجودنا ووجود الله ووجود الاشياء الخارجية ؟ وسائل زيادة المعرفة وغيرها من اعتبارات . (الفصول ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩) .

(د) الحكم ودرجات التصديق :

ما الحكم ؟ وما الاحتمال ؟ وما هي درجات التصديق (الفصول ١٦ ، ١٥ ، ١٤) .

(هـ) مصادر المعرفة :

• العقل ، الايمان ، الحماس • (الفصول ١٧ ، ١٨ ، ١٩) •

(و) الخطايا :

أنواعه ، أسبابه ووسائل تجنبه (الفصل ٢٠) •

(ز) تصنيف العلوم :

• (الفصل ٢١) •

هذا ونعرض بايجاز لكل موضوع من الموضوعات لنبين أوجه الاتفاق والاختلاف بين لوك وليبنتر وكيف حاول تفادي ما تعرض له لوك من نقد أو خطأ •

(ا) المعرفة :

• تعريفها ، درجاتها ، أمتدادها ، حقيقتها •

يرى لوك أن المعرفة ادراك علاقة الارتباط والآفاق أو التقابل وعدم الاتفاق في حين يرى ليبنتز أن هذا التعريف ينظر الى المعرفة بمعناها الضيق ولا بد من أن نعرض لها بمعناها الاوسع والتي يقصد بها :

١ — العلاقة بين الافكار أو بين الحدود أو بين الحقائق أو بين القضايا •

٢ — المعرفة بمعنى تفسير أو وصف الاشياء أو تفسير الافكار أو القضايا أو الحقائق •

٣ — المباحث التي تتوسط الفكرة والقضية •

٤ — وصف الاشياء المثالية الخالصة •

٥ — وصف المستحيل •

٦ — تفسير ودحض الخطأ •

أما المعرفة بمعناها الضيق ، وهى المعرفة الحقيقية التى تقوم على ادراك الاتفاق أو عدم الاتفاق بين الافكار غيلاحظ لينتتر أن تعريف لوك يؤثر بعض الصعوبات منها •

١ — هذا الاتفاق بين الافكار يستبعد حالات أخرى تكفى فيها بالتفسير أو التوضيح دون الاهتمام بالبحث عن أدله تثبت حقيقتها •

٢ — هذا التعريف يصدق على الحقائق المقولية فقط ولا يتفق مع الحقائق الشرطية المنفصلة أو المتصلة التى تشمل أكثر من فكرتين •

وكما اختلفا فى مفهوم المعرفة اختلفا فى نوع الاتفاق بين الافكار ، يرى لوك أنها أربعة :

١ — التطابق أو الاختلاف •

٢ — العلاقة •

٣ — التواجد معا أو الارتباط الضرورى •

٤ — الوجود الحقيقى •

فى حين يجملها لينتتر فى نوعين فقط :

١ — المقارنة •

٢ — المؤازرة •

على أساس أن الارتباط بين الافكار ليس سوى نسبة أو علاقة ، مأخوذة بصفة عامة ، وبالتالى لا تخرج عن هاتين العلاقتين : المقارنة تعطى الاختلاف أو التطابق ، أما فى الكل أو فى الجزء ، أو ما يجعل الشئ مشابها أو مغايرا • والمؤازرة تحتوى ما يسميه لوك بالتواجد معا أو الارتباط بالوجود • ويلفت لينتتر النظر الى خطورة الاعتماد على الذاكرة ، وهو وان اتفق مع لوك فى القول أن المعرفة أما أن تكون فعلية تقوم على الادراك الحاضر لصلة الافكار ببعضها أو تكون عادية

يدرك فيها الذهن الاتفاق أو التباين ويحتفظ بها • فى الذاكرة • يقترح طريقة جديدة لكتابة الحساب توفر الجهد والوقت وتسهل المراجعة وتصحح الخطأ وينبه الى ضرورة مراعاة الدقة للوصول الى اليقين •

٢ - درجات المعرفة :

أعلى درجات المعرفة هى المعرفة الحدسية التى تعتمد على الادراك المباشر لاتفاق فكرتين دون تدخل أية فكرة أخرى وهى الاوضح والاكثر يقينا وتمدنا بالحقائق الاولى سواء منها الضرورية أو العرضية ، ويحاول ليبننر تأكيد أهمية الحقائق الضرورية التى نعبر عنها بتضايها ذاتية وتخضع لمبدأ عدم التناقض ويضرب أمثلة من أشكال القياس الارسطى المختلفة ليؤكد اهميتها وفائدتها خاصة فى التجريد • ويلفت النظر الى الخطأ الذى وقع فيه لوك عندما اعتبر القضية $1+2=3$ نموذجا للمعرفة الحدسية وذلك لأنه لم يميز بين المعرفة الحدسية والتعريف ، أما الحقائق الاولى العرضية فيقصد بها الخبرات المباشرة الداخلية المتصلة بالعاطفة ويضرب مثلا كوجيتو ديكارت والقديس أوغسطين وينتهى الى أنه الحقائق الاولى سواء الضرورية الخاصة بالمعقل أو العرضية الخاصة بالواقع تشترك فى خاصية أساسية هى أنه لا يمكن اثباتها بشئ له يقين أكثر •

بعد المعرفة الحدسية تأتى المعرفة الاستدلالية وهى ليست سوى تسلسل للمعرفة الحدسية وهى أقل وضوحا منها ويرى ليبننر أنها تحتاج الى فن التحليل لتصل الى الافكار المتوسطة ، وهذا التحليل بدوره يحتاج الى فن الابتكار الذى يحتاج الى جهد ومنسقة والى مساندة التركيب القائم على الاستقراء والذى ينتقل من البسيط الى المركب ، ونظرا لان التركيب وحده لا يكفى فلا بد من استخدام منهج الاستبعاد ليتخلص من الارتباطات غير المقيدة ، ولا بد أيضا من فن تقسيم الصعوبات واستدلال القضايا المتداخلة • صعوبة أخرى تعترض المعرفة الاستدلالية هى الاعتقاد أن الرياضيات وحدها هى القادرة على اليقين

الاستنباطى فى حين أن من الممكن استخدامه فى مجالات أخرى كالمناطق والقانون والاخلاق وما بعد الطبيعة والطبيعة والسبب فى ذلك أن من السهل فى الرياضيات أن تؤيد التجربة التفكير الاستدلالي فى حين يصعب ذلك فى المجالات الأخرى أو قد يكون استخدام التجربة مكلفا ومرهقا كما هو الحال فى علم الطبيعة مثلا ، والسبيل الى تفادى هذا الخطأ الذى وقع فيه القدماء هو أن تساند التجربة الاستدلال .

الدرجة الثالثة من درجات المعرفة هى الاعتقاد أو الايمان ولهذا من الضروري الاهتمام بالمعرفة الاحتمالية التى أهملها المناطقة حتى عصر ليينتر فى حين اهتم بها الاخلاقيون وخاصة الجيزويت ، وان وقعوا فى خطأ هام اذ خلطوا بين ما هو محتمل من جهة وما هو شائع بالمعنى الذى حدده أرسطو فى « الطوبىقا » والواقع أن المحتمل أكثر اتساعا من الشائع .

الدرجة الرابعة هى المعرفة الحسية التى تقرر وجود الجزئيات خارج الذات ويلفت النظر هنا الى ضرورة التمييز بين المعرفة الحسية والاحلام : هناك فارق بين أننا نحلم أننا فى النار وبين أننا فعلا فيها .

ينتهى النقاش حول درجات المعرفة الى تقرير لوك ثلاثة درجات هى : المعرفة الحسية والاستدلالية والحسية فى حين يضيف اليها ليينتر المعرفة الاحتمالية ويعترض على الشكك الذين ينكرون وجود الاشياء خارج الذات بأنهم أفسدوا ما فى قولهم من صواب بأن أرادوا أن يمتد شكهم الى الخبرات المباشرة والحقائق العقلية ، وفى هذا مبالغة لا داعى لها كما يلفت النظر الى ما بين الاحساسات والخيالات من اختلاف مؤكدا أن المحك الحقيقى لموضوعات الحس هو ارتباط الظواهر . المهم أن تكون الظواهر مرتبطة وأن تظهر التجربة أننا لا نخطئ فى المقاييس التى نقيس بها هذه الظواهر . كما يؤكد أن الخيال لن يمدنا بالافكار الواضحة ومن ثم لن يساعدنا فى فهم الارتباط .

٢ - حدود المعرفة :

معرفتنا محدودة أكثر من أفكارنا فنحن لا نستطيع الالمام بكل ما نرغب فى معرفته مما يتصل بما لدينا من أفكار ، بالاضافة الى مالدينا من أفكار مختلطة لا نعرفها معرفة كاملة والى أننا لا نملك المنهج الذى يحدد أفضل البناءات • وتطرح مشكلة أساسية هى : هل يفكر الكائن المادى ؟ وما يترتب عليها من صلة النفس بالجسد ويحاول لينتتر تناولها من خلال مبدأ التناسق الاولى موضحا أن المادة يقصد بها المادة الثانية وليس المادة الاولى التى هى شىء سالى غير كامل تعترض جوهرها بسيطا أو وحدة حقيقية لديها الادراك ولواحقه •

وبعبارة أخرى لتحديد صلة الروح بالجسد لا بد من الانتقال من عالم المحسوسات والمظواهر الى عالم المعقولات والجواهر • ومن ثم الانتقال من معرفة المادة من الخارج الى معرفة داخلها لتظهر ما هى قادرة عليه بصورة طبيعية المادة لا يمكن أن توجد بدون جوهر غير مادى ، أى بدون وحدات عنصرية (موند) ، وأما اذا لم يكن لهذه الجواهر هذا الترابط وهذا التناسق فلن يكون الله قد تصرف وفق النظام الطبيعى ، ويرفض القول أن الله قادر على أن يعطى المادة المقدرة على الادراك لان ذلك يعنى العودة الى القول بما قاله المدرسيون من ملكات أو يجعل من المادة جوهرًا •

النقطة الثانية التى تتصل بحدود معرفتنا تؤكد ضرورة الاكتفاء بالاحتمال والايمان فى معرفة الكثير من الاشياء وخاصة بالنسبة لخلود الروح أو غايات الاخلاق والدين والتى لا تحتاج الى الادلة مستمدة من الفلسفة كما أنها ليست فى حاجة الى المعجزات كما أعتقد البعض • ويوضح أهمية مبدأ التناسق الاولى الذى قرر صلة الروح بالجسد بصورة أكثر تنظيما وأكثر ترابطا يقضى على كل شك فى وجود ما ليس بامتداد ويؤكد أن التغيرات المختلفة لا تصدر عن الامتداد أو عن الطبائع السلبية أو الطبائع الجزئية النشطة الا بالفعل الكلى للجوهر الاسمى •

نقطة ثالثة تثيرها صلة الفكر بالمادة وتخص مصدر اللذة والالم وغيرها من الافكار كاللون أو الصوت وهل هذه من انتاج الجسد أم الروح ؟ يرى ليينتر أنها من انتاج الروح اتفاقا مع ما يحدث فى المادة ، أى انها تنتج حسب العلل التوافقية ، اما رغبة الله الطيبة فتبدو فى أنه نظم الاشياء وفق طبائعها بحيث لا تنتج ولا تحفظ سوى ما يناسبها وما يمكن أن تفسر حسب طبائعها • وبالتالي لا بد من وجود توازى مستمر بين قدرة الله وحكمته •

النقطة الرابعة تتصل بالصفات الحسية وما تروءنا به من قدرات وأفكار غامضة ومن ثم تتطلب الاعتماد على التجربة وربطها بأفكار عن الصفات الحسية تتطلب أن تكون معرفة الروابط هى المجال الاوسع لمعرفتنا •

النقطة الخامسة تتصل بالاخلاق وصلتها بكل من اللاهوت وما بعد الطبيعية وفيها يطرح أمران أولهما مال هذه المجالات الثلاثة من يقين لا يقل عن يقين الرياضيات والثانى محاولة ليينتر اعتمادا على فن الارتباط أن يستخدم الاشكال والرموز بدلا من الكلمات ويذكر المحاولات السابقة فى هذا المجال وخاصة محاولة كل من فيجيلوس وايرهارد وفيجل فى الاخلاق وصمويل بوفندور فى مجال الفقه ويلاحظ أن الامور الاخلاقية تتميز بقابليتها للتجديد بواسطة العقل وحده وهذا ما دفعه الى البحث عن الوسائل الصحيحة لامتداد فن البرهنة الى ما وراء الحدود القديمة المسائدة لدى علماء الرياضة ليطبقها على مجال الاخلاق وليؤكد أهمية التجربة فى العلوم الطبيعية والفلكية والطب والسياسة والاخلاق •

النقطة السادسة تتعرض لأسباب جهلنا وأخطائنا والتي أرجعها لوك الى :

١ - نقص الافكار •

٢ - عدم اكتشاف الارتباط بين الافكار •

٣ - اهمال تتبعها وفحصها بدقة •

٤ - عدم وجود الافكار المتوسطة سواء تلك التى تأتى عن طريق الحواس الداخلية أو الخارجية •

ويضيف ليننتر أن معظم شرونا ترجع الى خطئنا والى أننا نستخدم القليل مما تقدمه لنا الطبيعة الرحيمة مؤكداً أن لدينا الكثير من الأمور التى نفخر بها وأننا حققنا الكثير فى مجال تفسير الظواهر بفضائل اعتمادنا على التجارب ، وكل ما ينقصنا هو فن استخدام التجربة الذى سيكمل البدايات المتواضعة التى تحققت فعلاً ، كما يلغى النظر الى أننا تقدمنا أيضاً فى كشف الارتباطات بين الافكار بفضل سيطرة العقل على المادة الذى جعل من الانسان اله صغيراً يحاكى المهندس البارع الخالق للكون معتمداً على مبدأ التناسق الازلى وتبين القوانين التى تخضع لها الاجسام أما عدم الحصول على الافكار المتوسطة فـيجع الى سوء استخدام الكلمات وهو سبب الكثير من الفوضى السائدة فى معارفنا ليس فقط فى مجال الاخلاق وما بعد الطبيعة بل فى الطب أيضاً ولن نتخلص من هذا العيب الا باستخدام الرموز الجبرية أو غيرها من الوسائل التى لها نفس الطبيعة •

٤ - حقيقة المعرفة :

البحث فى حقيقة المعرفة يطرح سؤالين أساسيين :

(أ) هل الافكار فطرية أم مكتسبة ؟

(ب) هل الابله وسط بين الانسان والحيوان ؟

يرفض ليننتر قول لوك أن الافكار البسيطة مكتسبة وتعتمد على الحواس ويؤكد أنها فطرية لا تخضع لأى تأثير مباشر على النفس وأن أساس يقين الحقائق الكلية يكون فى الافكار نفسها مستقلة عن الحواس ، أما حقيقة الاشياء العرضية فتعتمد على مدى ارتباط الظواهر التى نعرفها بالحواس بالصورة التى تتطلبها الحقائق الذهنية • وبهذا يبدو

مجال الاختلاف بين ليينتر ولوك : ليينتر يميز بين الحقائق الكلية والحقائق العرضية ولوك يميز بين الافكار البسيطة والافكار المركبة من جهة وبين الافكار المركبة المتصلة بالجواهر وتلك المتصلة بالاعراض من جهة أخرى •

يرى ليينتر أن الافكار المركبة ليست من اختراعنا ، كما أن أفكارنا عن الجواهر التي توجد خارج أنفسنا تكون حقيقية بقدر اتفاقها مع النماذج الاصلية الموجودة في عقلنا وإذا عجز العقل عن الحكم باتفاقها أو ارتباطها أصبحت غامضة شأنها شأن الصفات الخاصة بالحواس •

السؤال الثانى يتصل بتعريف الانسان. ويرى ليينتر أن الانسان يتميز بملكة التفكير ومن ثم لا يمكن للابله أن يكون وسطا بين الانسان والحيوان • ويرفض أن نحكم على الابله أو المشوه بمجرد الشكل الخارجى ، فنحن لا نهتم بالشكل وانما بالعقل والله لم يخلق هذا الكائن عبثا •

(ب) الحقيقة :

ما هى ؟ هل هى اسمية ؟ وما أنواعها ؟ وما صلتها بالقضايا ؟

١ — معنى الحقيقة :

الحقيقة فى نظر لوك هى ارتباط العلامات وفق اتفاق الاشياء فيدا بينها أو انفصال هذه العلامات فى حالة عدم اتفاق الاشياء فيما بينها وبعبارة أخرى الحقيقة هى اتفاق القضايا مع الاشياء التى تعبر عنها • يعترض ليينتر على هذا التعريف للأسباب الآتية :

١ — الصفة لا تكون قضية ومع ذلك هناك ارتباط بين الصفة والموصوف (الانسان عاقل) •

٢ — النفس يختلف عن الانفعال •

٣ — الاتفاق أو عدم الاتفاق لا يقتصر على القضية وحدها (هناك اتفاق بين البيضتين مثلا وعدم اتفاق بين الخصمين) •

٤ — الحقيقة لا تقتصر على الكلمات فحسب •

لهذا رفض ليينتر أن تكون الحقيقة اسمية ، لأن هذا سيؤدي الى وجود حقائق لفظية تختلف عن الحقائق التى نكتبها بحروف المطبعة ، ما دمنا سنميز بينها بالعلامات فحسب • الحقيقة عند ليينتر تعتمد على علاقة الموضوعات بالافكار وليست على العلاقة اللغوية القائمة بين القضية والشيء • يكتفى الذهن أحيانا بملاحظة الحقيقة دون محاولة فهمها فى الوقت الحاضر مقتنعا بأنه يستطيع فهمها عندما يريد •

يميز ليينتر بين أنواع ثلاثة من الحقيقة : الحقيقة الاخلاقية التى تعتمد على الصدق والحقيقة ما بعد الطبيعية التى تصف الوجود والحقيقة الناتجة من اتفاق القضايا التى فى الذهن مع الاشياء التى تخصها • وهذا النوع الأخير هو الذى يهتم به أكثر ولهذا يهتم بتحديد معنى القضايا وخاصة القضايا الكلية ويوضح حقيقتها ويقينها • ويتعرض للاستئلة الآتية :

١ — هل يمكن معرفة الحقائق العامة والجزئية ؟

٢ — هل معرفتها مرتبط بالكلمات التى تعبر عنها ؟

٣ — ما دور البديهيات ؟ وما فائدتها ؟ هل يمكن الاستغناء عنها •

٢ — القضايا الكلية :

يرى لوك أن معرفة الحقائق العامة لا تكون الا بقدر ما هى مدركة ومعبر عنها بالكلمات • ويعترض ليينتر على هذا متعرضا لخصائص اللغة وامكان استخدام الاشكال بدلا من الكلمات حتى يسهل الاتصال بين الامم من جهة واثراء اللغة السائدة وجعل تصوراتها أكثر حقيقية والكتابة أكثر راحة من جهة أخرى •

وإذا كان لوك يميز بين فرعين من اليقين : يقين الحقيقة عندما ترتبط الكلمات بطريقة معينة في قضايا وتعتبر بدقة عن الاتفاق أو الاختلاف كما هو ، ويقين المعرفة الذي يتكون من ادراك اتفاق ، واختلاف الافكار بقدر ما تعبر عنه القضايا • فأن ليبنتز يرى أن يقين المعرفة يكفى دون استخدام الكلمات وأن من الممكن الحصول على عدد لا حصر له من القضايا العامة التي تصدر عن العقل وعن صفات أخرى نعرفها في موضوعها والتي لها حقائقها ومفاهيمها الداخلية التي يمكن أن نعرفها بالعلاقات الخارجية • وبعبارة أخرى يرفض ليبنتز افتراض لوك أن الصفات الحسية وما نحصل عليه من أفكار تتصل بالاشكال والحركات الطبيعية انما تعتمد فقط على رغبة الله الذي يمنحنا هذه الافكار • مؤكداً على العكس من ذلك أن التكوين الداخلي للأجسام هو الذي يجعلنا نحصل على الصفات التي تخضع بدورها لأسباب معقولة ، حتى عندما لا نستطيع معرفتها حسياً ، كما في تحليلنا للون الاخضر الى اللونين الازرق والاصفر فاليقين الذي نصل اليه هنا يقين تجريبي يتصل بالواقع وليس بالضرورة أن يكون يقيناً قائماً على اتفاق أو عدم اتفاق الافكار • يعود ليبنتز مرة أخرى الى بيان أهمية ومزايا المنهج الذي استخدمه، والذي يعتمد على الارقام بدلا من الحروف •

وبالنسبة للبديهيات ودورها في المعرفة فان لوك يرى عدم جدواها فهي لا تمدنا بأى معرفة للكائنات الخارجية باستثناء وجود الله • ويعترض ليبنتز على ذلك موضحاً أن قضية مثل « أنا موجود » قضية واضحة بذاتها ولا يمكن إثباتها بقضية أخرى ولا بحقيقة مباشرة أو أنها قضية واقعة قائمة على تجربة مباشرة وليست قضية ضرورية غري ضرورتها في الاتفاق المباشر للافكار : الله وحده هو الذي يرى كيف يرتبط المدان : أنا والموجود وبالتالي هذه القضية بديهية بالمعنى الأوسع للكلمة أى باعتبارها حقيقة مباشرة وغير قابلة للبرهنة •

وإذا كان لوك يرفض القاعدة السائدة في المدارس والتي تقرر أن « كل تفكير صادر عن الأشياء المعروفة فعلا والمسلم بها » وبالتالي

يرفض أن نعتد الحقائق على البديهيات بحجة أن البديهيات ليست أولية ، ودليله على ذلك أن الطفل لا يحتاج اليها ليميز بين قطعة خشب وقطعة سكر ، فإن ليننتر فى مناقشته مفهوم البديهيات وأهميتها يستعرض الاعتراضات التى ذكرها لوك ويرد عليها مبينا وجه الخطأ فى كل اعتراض ونجملها فيما يلى :

١ — القول ان البديهيات ستكون كثيرة ومتعددة يرد عليه بإمكان إخضاعها الى أقل عدد ممكن •

٢ — القول أن وظيفة البديهيات الأساسية هي أسكات المعارضين وليس دعم العلوم ، يرد عليه بقوله أن الهندسة وغيرها من العلوم الرياضية تعتمد أصلا على البديهيات •

٣ — القول أن الوحي قادر على تعريفنا بديننا ولسنا فى حاجة الى البديهيات ، يرد عليه أن هذا يشبه القول أن الطب القائم على التجربة لن يحتاج الى العقل فى شئ : اللاهوت الحقيقى وهو الطب الحقيقى للنفوس والمؤسس على الوحي لا يستغنى عن اللاهوت الطبيعى المعتمد على بديهيات العقل •

٤ — القول بوجوب التمييز بين وسيلة اكتساب المعرفة ووسيلة تعليمها فالبديهيات تصلح لتعليم الآخرين وتوصيل المعارف اليهم ولا فائدة لها فى اكتساب المعرفة • يرد ليننتر أن العلوم المختلفة وخاصة الرياضيات والطبيعات لا تستغنى عن البديهيات التى بدونها ستظل اكتشافاتها ناقصة •

٥ — القول أن الحاجة الى البديهيات جاءت نتيجة لما قررتة المدارس من اعتبار النقاش محكا لمهارة المتخصصين •

يتعرض ليننتر لفن الجدل مبينا ظروف انتشاره ومدى تطبيقه فى المجالات المختلفة ، وهو فن هام ولكن لسوء الحظ أسئ تنظيمه وأسئ

استخدامه • العيب ليس فى فن الجدل وانما فى طريقة استخدامه
ويجب اعادة تنظيمه •

٦ - القول أنها ليست وسيلة لتحديد النزاع وانما هى وسيلة
لجعلها لانهائية ولارهاق الخصم يرد لينتظر بالتعرض للنتائج السيئة
التي تترتب على الاستطراد والتفريعات ويطلب بأن تكون التعريفات
فى أضيق نطاق •

٧ - يرفض القول أن الفلسفة المشائية هى التي أدخلت فن
الجدل وأعتبرت البديهيات أساسا للعلوم وسندا هاما للتقدم فى معرفة
الاشياء • ويؤكد أن صياغة البديهيات يرجع أصلا الى الغريزة العامة
والعاقلة لدى الجنس البشرى وأن المدارس المشائية لم تفعل سوى
تنظيمها وترتيبها •

٨ - القول أنها تستخدم أحيانا فى تأييد الاخطاء وخاصة عندما
ترتبط بأفكار خاطئة أو غامضة أو غير يقينية ، ويؤكد لينتظر أن سوء
استخدام البديهيات لا يعنى لوم استخدامها بوجه عام والاحق بنا أن
نتنمرن على صياغة الادلة التي نستخدمها صياغة صورية تتحاشى الوقوع
فى الخطأ •

٩ - القول بأن استخدام البديهيات فى القضايا اللفظية لا يعطى
أى معرفة عن الجواهر الموجودة خارج أنفسنا • ويرد لينتظر مؤكدا أن
استخدام البديهيات ساعد فى تقدم علم البصريات وعلم الضوء وأثبت
كل ما يحدث خارج أنفسنا من أفعال الضوء بناء على البديهية التي تقر
ان الطبيعة تعمل بأقصر الطرق •

ويختم لينتظر دفاعه عن البديهيات واهميتها ودورها فى الوصول
الى الحقيقة مؤكدا أن العيب ليس فى استخدام البديهيات وانما فى
سوء استخدامها •

ويعرض لينتتر بعد ذلك للسؤال : هل القضايا الذاتية ذات فائدة ؟ يرى لوك أن القضايا الذاتية لا فائدة منها ولا تتضمن أى معرفة اللهم الا أنها تظهر للمرء ما يمكن أن يكون قد تورط فيه من لا معنويه •

ويوضح لينتتر أن هذا ليس بالامر التائه ما دام أخضاع قضية ما للمعقولية يعنى أثبات نقيضها ويذكر المبررات التى تؤكد أن هذه القضايا مفيدة وبالتالي يرد على اعتراضات لوك الآتية :

١ — لا يتعلم المرء من مجرد القول أنه لا يمكن أثبات ونفى نفس الشيء فى نفس الوقت ولكنه يتعلم ذلك من خلال الممارسة وبملاحظة أنه يفعل ذلك فى مناسبات متعددة دون أن يفكر فى ذلك •

٢ — يصعب التخلص من أدلة الخلف التى تؤدى الى اللامعقول •

٣ — من الممكن أن تشكل العديد من هذه القضايا بأقل جهد ولكنها ستكون قليلة النفع •

ويرد لينتتر على هذه الانتقادات مؤكدا ضرورة أن نوضح كيف يجب استخدام هذه القضايا استخداما صحيحا يظهر فائدتها وخاصة فى مجال التعبير عن القضايا الاخلاقية وهى وان كانت لا تعرفنا شيئا جديدا فأنها على الاقل تجعلنا نفكر فى ضوء ما نعرف : قولنا « الانسان العاقل انسان » يجعلنا نفكر فى أن الانسان ليس معصوما وأنه ميت • وقولنا « النقود الفضية قابلة للصهر » يجعل الشخص الذى فى حاجة الى قذيفة لمسدسه أن يفكر فى طريقة يصهر بها النقود الفضية التى معه ليصنع منها القذيفة التى يحتاجها •

أما القول أن القضايا العامة المعبرة عن الجواهر قضايا تافهة لان كل من يعرف دلالات كلمات مثل جوهر ، أنسان ، حيوان ... الخ يستطيع أن يشكل العديد من القضايا التى لا يمكن الشك فيها ولكنها غير مفيدة ، والدليل على ذلك ما فى كتب ما بعد الطبيعة واللاهوت المدرسى من

قضايا وأستدلالات لا حصر لها • قراءتها لا تعلمنا شيئاً عن الله أو العقل
أو الاجسام أكثر مما كنا نعرفه قبل قراءتها •

يرد ليينتر موضحاً أنه رغم أن كتب ما بعد الطبيعة وغيرها التي
من هذا النوع لا تعلمنا سوى كلمات ولا تعطينا سوى الافكار الغامضة ،
وفى هذا أساءة للعلم ، الا أن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن لدى
المدرسين أمثال « سوريز » نماذج من الحوار جديرة بالاعتبار وأنهم
ناقشوا أفكاراً مثل اللامتناهى ، المستمر ، العرضى ، المجرد ، مبدأ
التفرد ، النفس وملكانها ، المعون الالهى للمخلوقات •

وبعبارة أخرى يجب الاعتراف أن هذه المعادن غير النقية لا تخلو
من ذهب خالص ، ومن الواجب أن نستفيد منها دون أن نضيع وقتنا فى
الحشو من الكلام غير المفيد • ويعلن محاولة تشييد ما بعد الطبيعة
حقيقية تقيم الحقائق على العقل مدعماً بالتجربة ويتعشم أن يحقق تقدماً
ملحوظاً فى مجال المعرفة العامة وأن تقترب ما بعد الطبيعة من الصورة
التي طالب بها أرسطو ، أى ان تصبح العلم المرغوب فيه وأن تصبح
علاقتها بغيرها من العلوم كعلاقة المهندس بالعمال ، أى أن تصبح العلم
الاعم الذى تعتمد عليه باقى العلوم وتستمد منها مبادئها وأن تصبح
علاقتها بالاخلاق كعلاقة النظرية بالممارسة مؤكداً أن اعتماد الاخلاق على
ما بعد الطبيعة يضىء على العدالة والفضيلة شمولاً واتساعاً ولا يجعل
الاخلاق تقتصر على الحاضر كما كان الامر لدى سقراط أو الامبراطور
مارك أنطون وأبيقور وإنما ستدعمه ما بعد الطبيعة بنظريات عامة
تسمح بفهم ما فى الكون من نظام وتناسق وتساعد على رؤية مستقبل
بدون حجب •

النقطة الاساسية اذن فى نظر ليينتر هى الاهتمام بالقضايا الذاتية
والتعرف على ما يمكن أن تقدمه من فائدة فى مجال المعرفة وخاصة
عندما تحسن استخدامها ويقترح تشييد ما بعد طبيعة حقيقية تساعد
على اقامة اخلاق جديدة لا تكفى بالحاضر وإنما تتطلع الى المستقبل •

واذا كان لوك قد حاول التخلي عن ما بعد الطبيعة التقليدية لما فيها من تصور فان ليننتر يصير على التمسك بها ويدعو الى تطويرها وتجديدها لتنتمشى مع مقتضيات عصره وتكون سنداً للاخلاق .

(ج) الوجود وصلته بالمعرفة :

ينتهى النقاش الى طرح السؤال : كيف نعرف الوجود الحقيقى ؟ يرى لوك أن القضايا الكلية لا تعطى سوى الارتباط بين الاشياء الموجودة والماهيات والتي لا نعرفها الا بالتجريد ومن ثم فهي لا تعطى أى معرفة للوجود الحقيقى ، ويرد ليننتر موضحاً أن أولئك الذين يميزون بين الماهية والوجود ينسبون كل ما هو عرضى الى الوجود ، والافضل ان ننظر الى العرضى بصورة أضيق بحيث يصبح الطبعى وسطاً بين ما هو أساسى أو جوهرى وما هو عرضى وبحيث يمكن القول أن السيولة طبيعية بالنسبة للماء وليست أساسية .

وبالنسبة لكيفية معرفة الوجود الحقيقى فقد ذهب لوك الى أننا نعرف وجودنا بالحدس ونعرف وجود الله بالاستدلال ووجود الاشياء الاخرى بالاحساس . الحدس لا يسمح بأدنى شك فى وجودى ويمدنى بأعلى درجة من اليقين لهذا الوجود ويضيف ليننتر أن الادراك المباشر لوجودنا يزودنا بالحقائق الاولية سواء منها القبلية المعتمدة على العقل أو البعدية المتصلة بالواقع .

ولكن كيف نثبت وجود الله ؟

يذكر لوك الادلة الاتية :

١ - وجود الله لا يحتاج الا التفكير فى أنفسنا وفى وجودنا الذى لا شك فيه .

٢ - معرفة-أننا نوجد تتطلب وجوداً حقيقياً .

٣ - العدم الخالص لا ينتج.كائننا حقيقياً وما دام كل ماله بداية يجب أن يوجد شيء آخر فأننا نستنتج وجود شيء ما منذ الازل ..

٤ — كل شيء يستمد وجوده من غيره يستمد أيضا كل ما يخصه وكل ملكاته وبالتالي لابد أن يكون قادرا •

٥ — لا يمكن للمادة أن تكون مصدرا لمعرفة الانسان •

٦ — الله الكائن الخالد والخالق والقادر والعاقل ومن العبد المقول أن الانسان قد خلق بالصدفة •

يعترض ليينتر على استنتاج لوك وجود شيء ما منذ الازل لما يثيره من غموض ، ولانه اذا كان هذا يعنى عدم وجود زمان لا يوجد فيه شيء • فان العدم لن ينتج شيئا اطلاقا وبالتالي لن نوجد نحن أنفسنا وفى هذا تناقض مع الحقيقة الأولى من حقائق الواقع • واذا كان هذا يعنى أنه شيء خالد فليس فى الاستدلال الذى ذكره لوك ما يثبت انه اذا وجد شيء فلا بد وأن يكون خالدا •

الاعتراض الآخر الذى يذكره ليينتر هو ذلك الذى يمكن أن يذكره الانيقوريين مثلا الذين ينكرون أن يكون شيء واحد مصدرا لكل شيء ولكل القدرات •

الاعتراض الثالث يرى أنه على فرض أن تفكيرنا يصدر عن كائن مفكر فليس ضروريا أن يكون ذلك الكائن المفكر هو الله •

وقد أعترض ليينتر أيضا على أدلة ديكارت المشتقة من فكرة الله وخاصة الدليل المشتق من دليل « أتسلم » الذى يثبت وجود الله قبلنا عن طريق فكرته الخاصة دون أن يلجأ الى آثاره ويرتكز اعترضه على أن الدليل كما ذكره ديكارت غير تام وحاول أن يتم هذا الاستدلال ليصبح ذا وضوح رياضى ويظهر ما يمكن أن يترتب على هذا الدليل ما بعد الطبيعى من نتائج أخلاقية •

كما يعترض على دليل ديكارت الثانى الذى يثبت وجود الله بناء على وجود فكرته فى أنفسنا — كلاهما يعيبهما فى نظر ليينتر أنهما

يفترضان أن الله ممكن • وفى هذا نوع من الغموض فنحن مثلاً عندما نتحدث عن الحركة الآلية المستمرة فنحن نعرف ما نقول مع أن هذه الحركة نفسها مستحيلة فنحن اذن لا نحصل عنها الا على فكرة ظاهرية ، كما يعييهما أنهما لا يثبتان أنه اذا حصلنا على فكرة الله فمن الضرورى ان تكون صادرة عن الأصل • وينتهى من مناقشة أدلة كل من لوك القائمة على وجودنا ووجود الاشياء الحسية أو أدلة ديكارت القائمة على وجود فكرة الله فى انفسنا الى تفضيل ما ذكره من أدلة تعتمد على مبدأ التناسق الأزلى دون أن يستبعد أى دليل يعتمد على نظام الاشياء فى انبات وجود الله فكلها أدلة مقبولة لا يجوز اهمالها انما يجب اكمالها •

بعد اثبات وجود الله يدور البحث حول اثبات أنه كائن مفكر ولا يمكن أن يكون ماديا وقد أثبت لوك استحالة أن يكون ماديا بقوله « الجزء من المادة لا ينتج شيئا بنفسه ولا يمنحه الحركة وبالتالي أما أن تكون حركته خالدة أو أن تكون قد طبعت فيه بواسطة كائن أقوى ، اذا كانت حركته خالده فلن تكون قادرة على إنتاج المعرفة • الفكرة العامة التى لدينا عن المادة تجعلنا نعتبرها كأنها شيء وحيد فى العدد ولكنها ليست أساسا شيئا فرديا وبالتالي اذا كانت المادة أول كائن خالد مفكر فلن يكون كائنا وحيدا فريدا لانهايا ، وانما سيكون عدد لانهايا من الكائنات الخالدة اللانهائية المفكرة المستقلة بعضها عن بعض ، محدودة القوة • ومن ثم لن يستطيع أبدا أنتاج هذا النظام وهذا التناسق وهذا الجمال • الذى نلاحظه فى الطبيعة اذن لن تكون المادة أول كائن خالد » •

يوافق ليينتر على استدلال لوك ويكملة ليصبح متفقا مع مبدأ التناسق الأزلى ، فهو لا يعتبر المادة وحدة عنصرية وانما هو مجرد تكتل من عدد لانهاى من الكائنات ، فى حين تستمد الوحدة العنصرية ايجابيتها وسلبيتها من علة أسمى وأعم ، حتى يتسنى لها أن تحقق التناسق والجمال السائد فى الطبيعة •

الفارق الاساسى بين دليل كل من لوك وليبنتز هو أن دليل ليبنتز ما بعد طبيعى يجعل كل وحدة عنصرية تعبر بطريقتها الخاصة عما يحدث خارجها ولا يمكنها أن تؤثر على الكائنات الأخرى الا بسبب داخلى يعتمد على الملة الكلية التى تجعلها فى تناسق مع غيرها وكل ما يأخذه ليبنتز على لوك أنه يتردد فى اكمال استدلاله وأنه لم يضع فى الاعتبار ما ذهب اليه الافلاطونيون الذين لديهم فكرة مختلفة عن كل من العقل والمادة .

والآن كيف نعرف وجود الاشياء الاخرى ؟

هل يمكن الاعتماد على المعرفة الحسية فى اثبات وجود الاشياء الخارجية ؟

يرى لوك أن الانطباعات والتأثيرات التى تسببها الاشياء الخارجية كقيلة أن تجعلنا نعرفها وبعبارة أخرى شهادة الحواس كاملة زقادرة أن تعطينا يقينا ومن المبعث اذن أن نشك فى وجود البشر فى العالم عندما لا نراهم ، كما أن الذاكرة تساعدنا فى معرفة الاشياء الماضية ولكنها لا تساعد فى الحكم على وجودها الحاضر وباختصار يرى أن معرفة الاشياء الاخرى خلاف انفسنا والله يمكن أن تعتمد على الحواس أو على الذاكرة أو على الايمان والوحى . أما ليبنتز فيرى أن الذاكرة خادعة وقد يدعمها الايمان فى بعض الاحيان وقد تعتمد على الصدفة أحيانا .

وإذا كان لوك قد صنف القضايا الى جزئية تتصل بالوجود وعامة تتصل بارتباط الافكار والحقائق الخالدة ، فان ليبنتز يصنفها الى قضايا واقع وقضايا العقل ، قضايا العقل عامة ضرورية أما قضايا الواقع يمكن أن تكون عامة ولكن عموميتها ليست كاملة لانها لا تعتمد على الضرورة وقد يزودنا العقل بقضايا احتمالية وممكنة وقضايا مختلفة مشتقة من مقدمات بعضها يأتى من الواقع وبعضها يأتى من القضايا الضرورية .

وإذا تساءل البعض عن الاساس الحقيقى ليقين الحقائق الضرورية الخالدة اجاب ليبنتز الاساس هو العقل الكلى السامى الذى هو المبدأ المنظم للموجودات .

وسائل زيادة معارفنا :

ينتقل الحوار الى المنهج اللازم للوصول الى اليقين ويؤكد لينبتر أن مبدأ المبادئ وأساس المعرفة الحقيقية هو حسن استخدام الأفكار والتجارب اعتمادا على التعريفات والبديهيات وبعبارة أخرى لابد من منهج يقوم على فن الاكتشاف والحصول على الأدلة وتوضيح الافكار المتوسطة وتنظيمها • ويعتمد هذا المنهج على أساسين رئيسين أولهما البدء بالبديهيات والتعريفات لنصعد بخطوات صغيرة وبتسلسل مستمر الى اثبات الحقائق التي قد تبدو في بداية الأمر انها تفوق طاقة البشر وثانيها الاعتماد على التجربة التي تفسر الظواهر وتساعد على التنبؤ في مجال الممارسة • ويشير انى ما حققه سيكون في مجال التجريب فقد استطاع صياغة القواعد التي تمكن « نوبل » من ممارستها وتطبيقها في مجال العلوم الطبيعية • كما يشير الى ما حققه ديكارت وأسبينوزا اعتمادا على المبدأ الذي يقرر أن كل شيء في الطبيعة يتم آليا •

(د) الأحكام ودرجات التصديق

١ - معنى الحكم :

ينتقل الحوار الى مجال جديد يتصل بالأحكام وما يتبعها من احتمال وتصديق وما نثيره من مشاكل تتصل بدور كل من العقل والايمن والحماس في الوصول الى الحقيقة •

يبدأ الحوار بتحديد التعريفات المختلفة للحكم التي يذكرها لوك وهي :

- ١ - الحكم ملكه نستخدمها احيانا وقد نقنع به بالضرورة أحيانا وقد نقبله لنقص في المهمة أو الصبر أو المهارة أحيانا أخرى •
- ٢ - هو التصديق عندما نسلم بالصدق قبل الحصول على الدليل فاذا أئفق مع حقيقة الاشياء أصبح الحكم صوابا •

ويضيف ليينتر الى ذلك أنه الفعل الذى نفعله بعد أن تعرف السبب • هذه التعريفات للحكم تتطلب التمييز بينه وبين الاعتقاد على أساس ان الاعتقاد ليس يقينا ، كما يتطلب التمييز بين التخمين والظن فالتخمين يعتبر صوابا الى ان يثبت العكس أما الظن فيحتاج الى أن نقابله بظن آخر ، التخمين لا يقصد به التسليم قبل الدليل وانما يقصد به التسليم مقدما بناء على اساس فى انتظار الدليل الذى ينقصه •

أما الاحتمال فيقصد به لوك الارتباط الظاهرى القائم على ادلة لا تظهر الارتباط الثابت فى حين يقصد به ليينتر ما يقوم على ما يبدو صادقا أو ما يتفق مع الحقيقة وهنا أثر النقاش حول أهمية شهادة الآخرين : يرى لوك أنها بالرغم من أنها تجعل الواقع محتملا لا يجب أن تتخذ رأى الآخرين أساسا حقيقيا للاحتمال ؟ فى حين يرى ليينتر أن شهادة الآخرين لها أهميتها فى مجالات معينة وخاصة لدى القضاة وفى حسم النزاع بين رجال الدين •

٢ - درجات التصديق :

رأى لوك أن درجات التصديق تعتمد على أسس الاحتمال ولا تتجاوز درجة الظاهر الذى نجد فيها ولن تقوم على رؤية فعلية وعلى ذلك يجب ألا نتمادى فى الشك أو نتمسك بالخطأ أو نتوقف عن الحكم فى الأمور التى لن نصل فيها الى معرفة يقينية •

ويضيف ليينتر أن قرارات ذهننا المعتمدة على الاحتمال يجب ألا تكون ثابتة وعلينا أن نكون مستعدين لمراجعة تفكيرنا كلما اعترضنا أسس جديدة أما اذا لم يكن لدينا الوقت للتروى علينا أن نتبع الحكم الذى نصدره باعتباره حكما صحيحا •

يحذرننا لوك من ارغام أى فرد على اعتقاد شئ ما ومن استخدام العنف فى ارغام الآخرين على قبول أى رأى • ويتفق معه ليينتر فى هذه النقطة ويضرب أمثلة من تعنت بعض رجال اللاهوت مما أدى الى

نشوب الحروب الأهلية بين المتعصبين والمتسامحين • ويؤدّد أن الآخرين الحق في التمسك باعتقاداتهم بل ونشرها اذا آمنوا بأهميتها باستثناء الاعتقادات التي تحت على الجريمة فمن واجبنا القضاء عليها واستخدام العنف لو استدعى الأمر •

أما عن درجات التصديق فهي تتمشى مع نوع القضايا : القضايا التأملية لا تعتمد على شهادة البشر وقضايا الواقع تعتمد على شهادتهم ويمكن ترتيبها على النحو التالي :

١ — اليقين أو أعلى درجات الاحتمال عندما تتفق شهادة جميع الناس في جميع العصور مثلا النار تحرق •

٢ — الثقة التي نعتد على ما يقرره جميع المؤرخين •

٣ — اعتقاد ثابت عندما تؤيد طبيعة الاشياء أو لا تعارض هذا الواقع •

٤ — الظن والتخمين والشك عندما تتعارض شهادة الشهود مع التيار الطبيعي أو عندما يتعارض الشهود بعضهم مع بعض يصبح ظنا وفي هذه الحالة يلزما الدقة لنصدر حكما صوابا •

يقارن ليننتر بين هذه الدرجات من التصديق وبين ما قرره رجال القانون من قرائن وتخمينات ومتواترات سواء منها ما يتصل بالقوانين المدنية أو القوانين الجنائية ، كما يقارنها بما لدى الأطباء من درجات التصديق تعتمد على علامات ودرجات الاختلاف التي تساعد في تشخيص المرض • ويلفت النظر الى ضرورة ادخال عنصر الصدفة أو الحظ ، ويستطرد ليتحدث عن اهتمام علماء الرياضيات بدراسة الصدفة في الألعاب وخاصة « دى ميرى » و « بسكال » و « هيوجينز » ويطالب بضرورة الاهتمام بدرجات الاحتمال كما يحذرنا من شهادة المعاصرين للواقعة وما يشوبها من هجاء أو تشهير أو مبالغة • كما ينصحنا بضرورة التأكد مما نأخذه عن الأصول القديمة أو الأساطير أو القصص القديمة

وذلك بأن نطابق بينها وبين ما يصاحبها من مخطوطات أو آثار فنية ،
كما ينصحنا الاهتمام بالتنقيب فى الماضى وكتابة تاريخ الفنون المختلفة
التي تتصل بالملابس أو فن الخياطة أو غيرها وباختصار يقترح أن نحصل
على تاريخ كلى شامل يسجل معارف ومهارات البشر وتكون بمثابة أمثلة
غير عادية تحثنا على الفضيلة •

الى جانب درجات التصديق بالاشياء التي تقع تحت حواسنا
هناك تصديق بالاشياء غير الحسية وغير القابلة لأي شهادة مثل وجود
وطبيعة الملائكة والشياطين والكواكب الأخرى ، وهي كلها أمور تعتمد على
المقارنة ولا تبدو محتملة الا بقدر تناسبها مع الحقائق المقررة ونظرا لأننا
نتدرج من المحسوس الى اللامحسوس فأننا نحتاج الى شهادة الوحي
والايمان ومن ثم لابد من التمييز بين التصديق الطبيعى والتصديق
المتصل بالوحي والايمان والذي يفوق الطبيعة •

(هـ) مصادر المعرفة : العقل والايمان والحماس :

١ — معنى العقل :

التمييز بين التصديق الطبيعى والتصديق المتصل بالايمان يطرح
أسئلة تتصل بالمقصود بكل من العقل والايمان والحماس من جهة والصلة
بينهما من جهة أخرى ؟

يعرف لوك العقل بأنه :

- ١ — المبادئ الواضحة والحقيقية •
- ٢ — النتائج المستدلة من هذه المبادئ •
- ٣ — الملكة التي تميز الانسان عن الحيوان والعلة النهائية •

وظيفته أن يمدنا بالمعارف وينظم اعتقاداتنا ويشمل ملكتين : الفطنة
التي تحصل على الأفكار المتوسطة ، والاستدلال أو استخراج
النتائج • وله أربعة درجات :

- ١ — اكتشاف الأدلة •
- ٢ — تنظيمها بطريقة تظهر ارتباطها •
- ٣ — ادراك الارتباط فى كل جزء من الاستدلال •
- ٤ — استدلال النتيجة •
- ويقصد به لينتتر :
- ١ — الحقيقة المعروفة التى بارتباطها بحقيقة أخرى أقل منها تصديق الأخيرة •
- ٢ — علة كل من الحكم والحقيقة •
- ٣ — العقلى القبلى أى معرفة علة الأشياء استجابة للعقل وأحيانا تسمى هذه العلة عقلا •
- ٤ — الملكة التى تدرك هذه الرابطة بين الحقائق •
- ٥ — ملكة التفكير وتشمل جزئين متميزين : الاختراع والحكم •
- ويطرح سؤال آخر يتصل بأهمية القياس ودوره كأداة للعقل ووسيلة لملكة التفكير • وقد رأى لوك عدم جدواه لعدة أسباب منها :
- ١ — يساعد فى رؤية الارتباط بين الأدلة فى مثال واحد وحسب •
- ٢ — الذين يستخدمون أشكاله وانماطه يعملون وفق قانون واضح وضعه استاذهم دون أن يفهموا علته •
- ٣ — اذا كان القياس ضروريا فلن يعرف العقل الانسانى أى شىء قبل اكتشافه خلق الله الانسان حيوانا ذا ساقين وترك لارسطو مهمة أن يجعل منه حيوانا عاقلا •
- ٤ — عدد قليل من الناس يمكنهم الاهتمام بمفحص أسس الأقيسة •

٥ — هذه الوسيلة ليست الوسيلة الوحيدة ولا الافضل للتفكير ،
وأرسطو نفسه لم يصل اليه بواسطة هذه الاشكال وانما عن طريق
التوافق الواضح بين الافكار •

٦ — المعرفة التى نكتسبها بواسطة النظام الطبيعى فى الاستدلال
أفضل بدون سند من أى قياس •

٧ — يلزمنا أن نعرف أى الارتباطات لديه الفكرة المتوسطة بين
أول القياس وآخره وهذا ما لا يمكن لأى قياس أن يثبته • فالعقل هو
الذى يستطيع أدراك هذه الافكار عن طريق التجاور ورؤيته الخاصة فما
فائدة القياس ؟

٨ — يمكن أن نستخدم الأقيسة فى اكتشاف الخطأ المستتر راء
بريق البلاغة وتجنب الفطنة المقنعة ولكن الفحص الدقيق أظهر أنه علينا
نميز بين الافكار التى تعتمد عليها النتائج وتلك التى تكون سطحية وأن
نرتبها فى نظام طبيعى يظهر تنافرها •

٩ — اذا كان القياس مفيدا فلن يفوت الأمراء أن يستخدموه فى
المناقشات الهامة التى تخص عرشهم أو مصالحهم •

١٠ — هذه الأشكال المدرسية لا تخطو من خداع ومن النادر جدا
أن تقنع الخصم •

١١ — اذا أدخلت استدلالات خاطئة فى القياس فمن الواجب
اكتشاف هذا الخطأ بوسيلة أخرى غير القياس •

بالرغم من هذه العيوب لا يرى لوك مانعا من استخدام القياس
ولا يرى داعيا لأن نحرّم أنفسنا من وسيلة يمكنها أن تساعد الفهم :
وحجته فى ذلك انه اذا كان هناك عيون لا تستطيع أن ترى بدون نظارة
فليس معنى ذلك أن نلزم الجميع باستخدام النظارة •

أما دفاع لينقتر عن القياس فيعتمد على أنه من أحسن ما صنع العقل

البشرى وأحقها بالتقدير وهو نوع من الرياضة الكلية يحتوى على فن العصمة من الخطأ ، بشرط أن نحسن استخدامه وهذا ليس يسيرا دائما ويتطلب استخدام الأدلة الصورية بالمعنى الذى يجعل كل استدلال نستدله بطريقة صورية لا يحتاج لاضافة أى موضوع آخر • ويستطرد فى ذكر أمثلة من الأقيسة ليوضح كيف نستخدم الصور المنطقية بالطريقة التى يريدها • ويثبت خطأ قول لوك أن القياس لا يستخدم الا لرؤية الارتباطات بين الأدلة فى مثال واحد فحسب • وليؤكد أهمية استخدام الحساب الجبرى أو حساب اللامتناهى الذى يدعو اليه لما يمتاز به من مزايا •

بعد الانتهاء من تعريف العقل والدفاع عن القياس واثبات أهميته فى التفكير الاستدلالي يعرض لسينتر لنقطة أخرى هى الحجج التى يمكن استخدامها للاقناع والتى يجملها لوك فى الحجج الاربعة :

- ١ — الاقناع عن طريق السلطة والمركز •
- ٢ — المطالبة بدليل أفضل •
- ٣ — الضغط على الشخص بما يقول هو نفسه •
- ٤ — استخدام الأدلة للاقناع •

ويلفت لسينتر النظر الى ضرورة التمييز بين ما يحسن قوله وما هو جدير بأن نعتقده • لدينا العديد من الحجج التى يمكن أن يستخدمها العقل لاقناع الآخرين ، كما يلفت النظر الى التمييز بين ما يعارض العقل وما يفوق العقل : الاول يشمل كل ما هو غير متفق مع أفكارنا الواضحة والتميزة والثانى يشمل كل احساس لا نرى ان صدقه أو احتماله يمكن أن يخضع للاحاساس أو التفكير وبذلك يكون وجود أكثر من الله واحد يعارض العقل وبمحت الموتى يفوق العقل • وينبها الى ما يمكن أن يثيره تعبير « يفوق العقل » من غموض أو لبس ، فقد يقصد به كل ما نجعله ولا نستطيع معرفته فى حالتنا الحاضرة ، مع أن هناك من الوقائع

معرفتها تفوق عقلنا ليس لأنها فوق الحس وإنما لنقص المعلومات أو الاعضاء التى اذا حصلنا عليها أمكن معرفتها . والواقع أنه ليس هناك ما يفوق العقل لان الله يستطيع دائماً أن يعطينا الوسائل لمعرفة أى حقيقة وهنا تطرح مسألة الصلة بين العقل والايمان ويرفض ليينتر القول بتقابلهما ويفضل القول أن الايمان يؤسس على العقل وبالتالي رفض القول أنه لا داعى لبذل الجهد وتقديم الحجج والمبررات للأمور التى نتصل بالاعتقاد وكذلك القول بفصل الفلسفة عن اللاهوت . ويؤكد أن نظام الطبيعة نفسه مؤسس بناء على رغبة الله الطيبة بحيث يمكن أن يستبعد عنها ، لمبررات عليا تتطلبها العناية كل ما لا يجب أن يحدث الا بناء على أدلة جيدة لا يمكن أن تأتى الا من شهادة الله نفسه التى يجب أن تمتثل لها كلية عندما تتحقق كما ينبغى .

نقطة أخرى يثيرها صلة العقل بالايمان هى ضرورة التمييز بين الوحي الأصيل والوحي التقليدى : الأول يصنعه الله مباشرة فى العقل ، والثانى يأتى بالطرق العادية للاتصال ولا يعطى أفكاراً جديدة بسيطة كما أن الوحي المباشر لا يخطئ مطلقاً ولهذا من نسلم بأى قضية باعتبارها وحياً الهياً اذا ما تناقضت مع المعرفة المباشرة والا لما وجد اختلاف بين الحق والباطل أو بين الاعتقاد الصادق والاعتقاد الباطل ، لانه ليس من المناسب مطلقاً أن يصدر من الله ، هذا الصانع الخير لوجودنا والنسذى نسلم بحقيقته ، ما يقلب أسس معارفنا ويجعل كل ملكاتنا بغير فائدة . وتأكيذاً لما ذهب اليه من صلة العقل بالايمان بعرض لبعض المشكلات التى أثارها اللاهوتيون منها :

١ - النزاع القائم بين أصحاب المذهب الذى ينكر الثالوث والوهية المسيح من جهة والكاثوليك أو المصلحين من جهة أخرى مبينا خطأ أصحاب هذا المذهب لرفضهم ما لا يتفق مع نظام الطبيعة طالما لم يتمكنوا من اثبات استحالة ، وخطأ خصومهم الذين دفعوا هذا السر الى حدود التناقض فأضروا بالحقيقة التى حاولوا الدفاع عنها .

٢ — النزاع حول الضرورة المنطقية والضرورة الطبيعية وهل يمكن للجسد ألا يكون في محل ، ويرى أنه اذا لم نتمكن من اثبات الضرورة المنطقية فلا أقل من اثبات الضرورة الطبيعية •

٣ — النزاع حول التسليم بحرفية النص أو القول بالتأويل ويرى أن هناك أمورا يجب قبول النص فيها وحالات أخرى لابد من تأويلها •

٤ — النزاع حول إمكان اثبات التثليث عقليا ومحاولة البعض ذلك •

٥ — النزاع حول الذين ماتوا قبل ان يعرفوا العهد القديم ولديهم ايمان طبيعي يمكن أن ينقذهم ويناقش الرأيين السائدين في عصره الرأي الذي يقرر أن الله لا يرفض عنايته لهؤلاء الذين لديهم المشاعر الطيبة ، والرأي الذي يتهم حتى الأطفال الذين توفوا دون تعميد ويميل لسينتر الى الفريق الأول مؤكدا أن الله أكثر محبة للبشر من البشر مقتنعا بأن الله لن يعمل شيئا لا يكون مليئا بالخيرية والعدالة •

وأخيرا يعرض لسينتر لقضية الالهام وما يتصل به من حماس ديني لدى بعض الافراد الذين يتصورون أنهم أصحاب الهام أو وحي مباشر • ويشير قضية هل يصلح الخيال مرشدا ومصدرا للوحي ؟ أننا نعرف أن للشيطان ضحايا ، فاذا أكتفينا بالاعتناع وحده لن نميز بين أوهام الشيطان والهامات الروح القدس ، حقا اننا نستطيع التثبت مما يقوله القديسون الذين يتقبلون الوحي من الله مباشرة بالعلامات الخارجية والمعجزات التي تدعم النور الداخلي •

يعترض لسينتر على هذا النوع من الحماس الديني القائم على الخيال الخصب لدى بعض الأشخاص والذي يجعلهم يتخيلون أمورا وتصورات لم تكن لديهم من قبل • ويذكر العديد من الأمثلة عن الشخصيات التي عرف عنها ذلك (الأنسة التي تخيلت أنها تتحدث الى المسيح وأنها زوجته ، القديسة تريزا في أسبانيا) . ويلاحظ أنهم يلزمهم المعجزات التي تدعم دعواهم حتى تؤمن بهم • ويؤكد عدم جدوى هذه التنبؤات

التي لا أساس لها والتي كان لها آثارها الضارة على من اعتقدها ، وان كان من الممكن أن تستفيد منها فى جوانب أخرى لان الله يستطيع أن يستخدم الخطأ ليدعم الحقيقة ، ولكن يجب ألا نسمح لأنفسنا أن نستخدم الخداع وسيلة لغاية طيبة . أما عقائد الدين نفسها فليست فى حاجة مطلقا الى تجليات جديد ويكفى أن نقترح قواعد ملائمة نتبعها دون حاجة الى معجزات ، والمسيح نفسه ، مع أنه لجأ الى المعجزات ، رفض أحيانا أن يعتمد عليها فى اقناع المنحرفين الذين طالبوه بالادلة ، ما دام لم يأت الا ليبشر بالفضيلة وما يدعو اليه العقل الطبيعى والانبياء .

(هـ) الخطأ :

يرجع لوك خطأ البشر الى أربعة أسباب أساسية :

- ١ — نقص الأدلة .
- ٢ — قلة الخبرة فى استخدامها .
- ٣ — نقص فى ارادة استخدامها .
- ٤ — قواعد الاحتمال الخاطئة .

يهتم ليننتر بما يضمن استمرار الحياة وينقصهم الكثير كالمقراءة وتعلم اللغات وملاحظة الطبيعة والاهتمام بالفن وليس لديهم الوقت للتفكير فى الجانب الروحى والترود بالثقافة الدينية أو غيرها من الثقافات .

تدفعنا هذه الحالة الى التساؤل هل يمكن أن ترجع سعادة البشر أو شقاؤهم الى الصدفة ؟ وهل الاجدر بهم أن يتخلوا عن الاعتقادات السائدة وعدم الانقياد وراء مرشديهم والمسؤولين فى بلادهم ؟

يجيب ليننتر أن الامر لا يرجع الى الصدفة ويؤكد أن الذين لا يستطيعون الاعتماد على أنفسهم أو التفرغ للبحث فى الحقائق الصعبة

التي لا تمس مشاغل حياتهم ، يمكنهم أن يتبعوا المشاعر المسموح بها وأن يكون لديهم قابلية للتصديق والارادة الطيبة التي تسمو بهم والتي يزودهم بها الله الخير والعدل والرحيم بعبادة . أما أولئك الذين ينقصهم المهارة لتقييم ما لديهم من أدلة ، ويكتفون بقياس أو قياسين ، فلا حصر لهم وهناك نماذج منهم في كل مكان (في القصور أو البورصة أو المستشفيات أو المنازل الصغيرة) ويرى ليننتر أن الاغنياء ينقصهم هذه المهارة أكثر من الفقراء لأنهم يضعون أنفسهم باختيارهم في نوع من الفاقة والحرمان تمنعهم من التفرغ للاعتبارات الهامة ، أما أولئك الذين ينقصهم القدرة وهم قلة فإن ما لديهم من فطرة سليمة وممارسة يكفى لتحقيق كل ما لا يحتاج الى يقظة اذ أن أرواحهم رغم ما بينها من اختلاف أصيل لا ينقصها سوى حسن التوجيه . فريق آخر لديهم الارادة ولكن يغلب عليهم الانغماس في المذات أو الكسل أو الاهمال والنفور من الدراسة والتأمل مما يعوقهم عن البحث عن الحقيقة بل هناك من يخشى مواجهة الحقيقة ويفضل البقاء في الجهل . وهناك من يسلم قيادة نفسه لغيره ممن هم أقل مكانه ولكنهم متفوقون في العلم والمعرفة . وهؤلاء هم أسوأ نموذج من البشر لا ليس أسوأ من عبودية الذهن . ويضيف ليننتر انى هذه النماذج من البشر الذين يقعون في الخطأ أولئك الذين يهملون صحتهم التي هي أكبر ثروة ، وأولئك الذين ينظرون الى الفكر على أنه من عمل الشيطان ولا بد من التغلب عليه بتوجيه ذهنهم وجهه أخرى . ويرجع كل هذا الى عدم الاهتمام بالعلوم والفنون وتاريخ اللغات ويقترح ليننتر تأليف موجز (مختصر) يضم اهتمامات الانسان يشبه ذلك الموجز الذي قدمه القديس أوغسطين لقوى وحاجات الدولة .

أما الاخطاء الصادرة من المقاييس الخاطئة للاحتمال فأن لوك يرجعها الى :

- ١ - القضايا المشكوك فيها والتي نأخذها على أنها مبادئ .
- ٢ - الافتراضات المقبولة .

٣ - السلسلة *

ويضرب لوك مثالا للقضايا المشكوك فيها والتي نأخذها على أنها مبادئ موقف الشخص العادي من مشكلة سر القربان ومدى تجاوبه مع النظرية التواجدية التي قالها اوثر والتي تؤكد أن الوجود الجوهر الالهي في القربان لا يمنع وجود الخبز والخمر ، ويرد عليه ليينتر من خلال شرح النظرية الانجليكية وموقفها من الحضور الحقيقي لجسد الرد في سر القربان ويقارن بينها وبين نظرية كل من لوثر وكالفين .

أما الاخطاء الناتجة عن قبول الافتراضات والتمسك بها كأنها مبادئ مؤكدة والتي يصعب التخلص منها ، فإن ليينتر ، مع اتفاقه مع لوك في خطورة هذه النقطة ، يحاول أن يوضح أهمية هذه الافتراضات في مجال العلم مستندا الى ما حققه كوبرنيك وديكارت من ثورة علمية بناء على افتراضات ثبت صحتها رغم المعارضة الشديدة التي تعرضوا لها لعدم توافر الحرية الفكرية والفلسفية .

أما عن الاخطاء الناتجة من السلطة التي يساء فهمها والتي تجعل الناس في جهل فهي أخطر من غيرها وتقوم على نظرية قديمة اعتقدها القدماء واستمرت طوال القرون ليؤمن بها معاصري لوك وليينتر والتي ترى أن المرء يكون في مأمن من الخطأ عندما يؤمن بما هو سائد وشائع يحاول لوك أن يبين خطورة التسليم بهذا الرأي ويوضح أن التأمل في الدوافع الخفية التي يتعرض لها العلماء والرؤساء والاحزاب يظهر أنهم بعيدون تماما عن الحب الخالص للحقيقة . ويشير ليينتر مرة أخرى الى كتاب القديس أوغسطين الذي يعرض فيه موقفه من السلطة ويؤكد أننا لا نملك أرغام أي شخص على اتباع اعتقاد ما أو التخلي عن اعتقاد ما لاننا لا نملك الدليل المعارض وليس من حقنا أن نغير شيئا بدون سبب . ويستشهد على ذلك بما حدث عندما عجز لاهوتيو حزب روما عن تدعيم سلطة الكنيسة وسلطة أصحاب المقام الاسمي فيها بالاحتكام

الى الاستدلال العقلى فاضطروا الى اخضاعها لتقرير الواقع والاعتراف بالعرف . وهذا ما فعله أيضا كل من « هنرى هولدن » الانجليزى فى كتابه « تحليل الايمان » وجريستر العالم الجيزوينى فى كتابه أيضا « تحليل الايمان » عندما قررا أن الدور الحقيقى للكنيسة هو تقرير نظرية سائدة فعلا أو توضيحها ، ويقترح ليينتر لتفادى هذا الخطر تأليف سجل يضم القضايا التى تقررها أو تحرمها المجالس والبابوات والقساوسة والرؤساء التى تخدم تاريخ الكنيسة وتساعد البشر فى الوصول الى ايمان ضمنى بدلا من أن يستسلموا استسلاما أعمى ، قد يكون بحسن نية ، لاحكام الآخرين ، وقد اكتفت الكنيسة الرومانية بهذا الايمان الضمنى الذى يجعل الثقة شرطا ضروريا للسلام .

(ز) تصنيف العلوم :

نصل الى الفصل الأخير الذى يعرض فيه ليينتر موقفه من تصنيف لوك العلوم الى ثلاثة أنواع :

١ — علم الطبيعة أو الفلسفة الطبيعية التى تضم كل ما يتصل بالاجسام ومتعلقاتها من عدد وحجم وشكل وأرواح وملائكة بل والله نفسه .

٢ — الأخلاق أو الفلسفة العملية الذى يعلمنا الوسيلة التى نحصل بها على ما هو خير ومفيد ولا يقتصر على معرفة الحقيقة فحسب بل يدعو الى ممارسة ما هو صواب .

٣ — المنطق أو معرفة العلامات التى تدل على أفكارنا وتساعدنا فى تبادلها مع الآخرين .

يرى لوك أن هذه الفروع الثلاثة تمثل ثلاثة ممالك مستقلة منفصلة عن بعضها ومتميزة عن بعضها يعترض ليينتر على تصنيف لوك لأنه تصنيف عرفة القدماء وثانيا ما يثيره من صعوبات أهمها :

١ — المنطق كعلم للتفكير والحكم والاختراع يختلف عن علم اشتقاق الكلمات واستخدام اللغات ، والتقسيم الذى قال به لوك يجعلنا نتبع فى العلم نفس الطريقة التى نتبعها فى المعاجم •

٢ — لا بد فى علم المنطق من التعرض لتعريف الحدود •

٣ — هذا التصنيف يجعل كل علم من العلوم الثلاثة يبتلع العلمين الآخرين : فالأخلاق والمنطق مثلاً سيدخلان فى مجال علم الطبيعة لأن الحديث عن الأذهان أى الجواهر التى لديها فهم وأرادة يجعلنا نتعرض لعلم المنطق والأخلاق • كذلك الأمر بالنسبة للفلسفة العملية أى الأخلاق باعتبارها تساعد على تحقيق سعادتنا وتتطلب علم اللاهوت والسياسة والقانون والطب • وباختصار ستصبح الممالك الثلاثة فى صراع مستمر وحرب دائمة ما دام كل مملكة منها تعتدى على حقوق المملكتين الأخرتين •

هناك تصنيف آخر قال به الاسميون الذين يعترفون بوجود من العلوم الجزئية بقدر ما يوجد من حقائق والتى يمكن تشكيلها فى مجموعات يمكن ترتيبها •

تصنيف ثالث يقارن معرفتنا بمحيط ذا مساحة واحدة ولا يقسم الى أقسام الا بخطوط وهمية تعسفية وذلك لأن الحقيقة الواحدة يمكن أن توضع فى أكثر من مكان حسب الحدود التى تحتويها أو حسب الاسباب التى تعتمد عليها أو النتائج التى يمكن أن نحصل عليها •

أما التصنيف الذى يقترحه ليبنتز فيعتمد على ثلاثة نظم رئيسية نظام تركيبى يرتب الحقائق حسب نظام الأدلة ، كما يفعل الرياضيون بحيث تعتمد كل قضية على ما قبلها ونظام تحليلى عملى يبدأ بالخبرات التى تجعل السعادة فى القمة ويمدنا بالوسيلة التى تجعلنا نكتسب هذه الخبرات وتجنب الشرور والثالث نوع من الفهرست للحدود التى ترتبها أما حسب المحمولات التى نعبر عنها أو ترتبها أبجدياً وفق

اللغة المعترف بها لدى العلماء هذا الفهرست ضرورى للحصول على كل القضايا التى يدخل فيها هذا الحد . ويلاحظ ليينتر أن هذا التقسيم يتفق مع تقسيم لوك فالنظام التركيبى يتفق مع علم الطبيعة والنظام التحليلى يتفق مع الاخلاق والفهرست الخاص بالحدود يتفق مع المنطق ولكنه يختلف عن تقسيم لوك فى أن هذه المجالات مترابطة رغير منفصلة وغير متميزة كما أراد لوك غنى ترتيبات مختلفة لنفس الحقائق .

ويضيف ليينتر تصنيفا آخر يقسم العلوم حسب الملاكات والمهن الى اللاهوت والتشريع والطب والفلسفة ، على أن ترتب الحدود الداخلة فى كل قسم ترتيبا أبجديا ويؤخذ على هذا التصنيف ما فيه من أخطاء كثيرة وما فيه من تسميات مختلفة لنفس الشئ الواحد .

ويختم ليينتر حوارہ برأيه الذى عبر عنه فى أكثر من مجال وهو الا نحقق أى تصنيف أو أى فكرة والا نرفض أى وجهة نظر وانما واجبنا أن نعمل على استكمال ما فيها من نقص وتحاشى ما فيها من خطأ أو عيب وينصح الشباب بأن يقبلوا على تعلم التاريخ وفن الكلام وأصول اللاهوت وما بعد الطبيعة كما ينصح الفلاسفة والمفكرين من معاصريه بالاهتمام بالاهتمام الذى يحتقروا المهن الاخرى وأن يجمعوا بين النظر والعمل فقد كان الأطباء قديما يجمعون بين الطب والجراحة والصيدلة ، وأن يلموا بفنون الحرب والموسيقى والرسم والنحت بل عليهم ألا يحتقروا الحرف المختلفة . أنهم أن فعلوا ذلك أصبحوا بحق معلمى الجنس البشرى وحققوا الكثير وساعدوا على تغيير الحالة الحاضرة التى يعيشها مجتمعهم وخاصة فى مجالى الأدب والسياسة واذا كانت البشرية قد حققت تقدما منذ قرن أو قرنين فان ما ننتظره من اصلاح وتقدم وخير للجنس البشرى سيكون أكثر فى المستقبل خاصة لو منح الله البشر حاكما صالحا .

ثالثا

ترجمة الباب الرابع
نظرية المعرفة

الباب الرابع

فى المعرفة

الفصل الاول : فى المعرفة بوجه عام :

فيلاليت :

١ — لقد تحدثنا حتى الآن عن الأفكار والكلمات التى تمثلها • نصل الآن الى المعارف التى تمدنا بها الافكار ، لأنها لا تتصل الا بأفكارنا •

٢ — والمعرفة ليست سوى ادراك علاقة الارتباط أو الاتفاق أو التقابل وعدم الاتفاق التى توجد بين فكرتين من أفكارنا • وهى كذلك دائما سواء كنا نتخيلها أن نخمنها أو نعتقدها فنحن مثلا ندرك بهذه الطريقة أن الابيض ليس بالأسود •

وان هناك ارتباط ضرورى بين زوايا المثلث ومساواتها بقائمتين •

تيوفيل :

اننا ننظر الى المعرفة نظرة أعم ما دامت توجد ايضا فى الأفكار أو الحدود قبل أن نصل الى القضايا أو الحقائق ، ويمكن القول أن ذلك الذى رأى بوعى ، الاكثر من صور النباتات والحيوانات ، والاكثر من أشكال الآلات ، والاكثر من الاوصاف أو التمثلات للمنازل أو القلاع ، والذى قرأ الاكثر من القصص البارعة ، والذى استمع للاكثر من الحكايات الشيقة ، أقول أن ذلك الشخص لديه معرفة أكثر من أى شخص آخر حتى وان لم توجد كلمة واحدة صادقة فى كل ما وصف أو عكى له ، لأن ممارسة القدرة على تمثيل ذهنه للكثير من التصورات والافكار الواضحة والفعلية تمكنه أكثر من تصور كل ما يعرض له ، ومن المؤكد أنه سيكون أكثر ثقافة وأقدر من شخص آخر لم ير ولم يقرأ ولم يسمع شيئا ، بشرط

الا يأخذ فى هذه القصص والتمثيلات ما هو غير حق على أنه حق والا تعوقه انطباعاته عن التمييز بين الحقيقى والخيالى ، أو التمييز بين الموجود والممكن لهذا لم يخطئ بعض المناطق من عصر الاصلاح التابعين لراموس .

١ — عندما قالوا أن الحجج ومصادر الكشانات (الادلة كما يسمونها) تستخدم كثيرا فى تفسير أو وصف مناسب تماما لبحث غير مركب أى لشيء أو فكرة وموافقاته لاثبات المبحث المركب كالفرض (الموضوع) أو الحقيقة . ويمكن أيضا تفسير الغرض لتعرف مغناه وقوته ، دون أن يتطلب ذلك التعرض لحقيقته أو اثباته ، مثل ما نراه فى المواعظ أو الخطب الاخلاقية التى تفسر فقرات معينة من الكتاب المقدس أو فى قرارات بعض نصوص القانون المدنى أو الكنيسى ، حيث نفترض مقدما صدقها . يمكن أيضا القول أن هنيك مباحث تتوسط الفكرة والقضية . وهى أسئلة منها ما يتطلب فقط الاجابة بلا أو نعم وهى أقرب من القضايا . ولكن هناك أيضا أسئلة تتطلب الكيف والجاتات الخ . وحيث يلزم أن نضيف الكثير لنجعل منها قضايا ، حقا أنه يمكن القول أنه فى الاوصاف (حتى الاشياء المثالية الخالصة) يوجد اثبات مضمحل للمكانية ولكن من الحق أيضا أن من الممكن أن نتناول تفسير واثبات الخطأ مما يساعد أحيانا فى حسن دحضها ، كما أن من الممكن أن نطبق فن الوصف على المستحيل .

هذا ما نجده مثلا فى قصص الكونت سكانيانو Scandiano الخيالية والتى سار على منوالها آريوست Arioste وفى تفضض أماديز دى جول Amadis des Gaules وغيرها من القص القديمة . وقصص العفاريت التى بدأت تنتشر مرة أخرى منذ سنوات . وفى القصص الحقيقية التى كتبها لوسيان Lucien

٢ — ورحلات سيرانودى برجيراك Cyranoe de Bergerac علاوة على ما فى المزارف الاسطورية للرسامين (فى القرن ١٥ ، ١٦ فى

إيطاليا) • ومن المعروف أيضا أن لدى علماء البلاغة العديد من المقدمات والتمرينات التمهيدية • ولكن إذا أخذنا المعرفة بمعنى أضيق ، أى المعرفة الحقيقية ، كما فعلت هنا ياسيدى ، أقول أن من الحق تماما أن الحقيقة تقوم دائما على الاتفاق أو عدم الاتفاق بين الافكار ، ولكن ليس من الحق بوجه عام أن تكون معرفتنا للحقيقة ادراكا لهذا الاتفاق أو عدم الاتفاق • لأنه عندما لا نعرف الحقيقة التجريبية ، لأننا اختبرناها دون أن نعرف ارتباط الأشياء والعلة الموجودة فيما نختبر فإننا لا نملك ادراكا لهذا الاتفاق أو عدم الاتفاق ، وما لم يكن هذا يعنى أننا نشعر بصورة غامضة دون أن ندركه • ويبدو من أمثلك أنك تطلب دائما معرفة تدرك فيها الارتباط والتقابل وهذا ما لا يمكن أن نوافقك عليه • علاوة على ذلك يمكن أن نتناول المبحث المركب ليس فقط لنبحث عن أدلة الحقيقة ولكن أيضا لنفسره ونوضحه وفق الحجج والافكار النموذجية كما سبق أن وضحت • وأخيرا لدى ملاحظة أبعديها على تعريفك هو أنه يبدو فقط متفقاً مع الحقائق (المقولية) التى تشمل على فكرتين : موضوع ومحمول ولكن هناك أيضا معرفة للحقائق (الشرطية) أو التى يمكن إخضاعها لها (كالشرطية المنفصلة وغيرها) حيث يوجد ارتباط بين القضية الاولى (المقدم) والقضية الثانية (التالى) ومن ثم يمكن أن تدخل أكثر من فكرتين •

٣ في خاتمة :

علينا أن نقصر هنا على معرفة الحقيقة وأن نطبق على ارتباط القضايا ما سنقوله عن ارتباط الافكار لكى نفهم كلا من القضايا الحملية والشرطية معا واعتقد أن من الممكن أن نخضع هذا الاتفاق أو عدم الاتفاق لاربعة أنواع هى :

١ - تطابق أو اختلاف •

٢ - علاقة •

٣ — التواجد معا أو الارتباط الضروري •

٤ — الوجود الحقيقى •

٤ — لأن الذهن يدرك مباشرة أن فكرة ما ليست هى فكرة أخرى ،
أن الابيض ليس أسود •

٥ — ثم يدرك الارتباط بينهما بأن يقارنهما • مثلا المثلثان الذى
تتساوى قاعدتهما متساويان والموجودان بين مستقيمين متوازيان
متساويان •

٦ — بعد هذا ، هناك تواجد معا (وبالأحرى ارتباط) مثل فكرة
استمرار مصاحبة الثبات لأفكارنا الأخرى عن الذهب •

٧ — أخيرا هناك وجود حقيقى خارج الذهن كما نقول : الله موجود •

تـيـوـفـيـل :

أعتقد أنه يمكن القول أن الارتباط ليس سوى النسبة أو العلاقة ،
مأخوذه بصفة عامة • وقد أوضحت من قبل أن كل نسبة تكون أما مقارنة
أو مؤازرة • المقارنة تعطى الاختلاف والتطابق أما فى الكل أو فى البعض ،
وما يجعل منه نفس الشيء أو مغاير له ، المشابه أو غير المشابه • المؤازرة
تحتوى ما تسميه أنت التواجد معا أى الارتباط بالوجود • ولكن عندما
نقول أن شيئا يوجد أو أن له وجود حقيقى ، هذا الوجود نفسه يصبح
المحمول ، أى له مفهوم مرتبط بالفكرة التى يتعلق بها وهناك ارتباط بين
هذين المفهومين • يمكن أيضا أن ندرك وجود موضوع فكرة ما مثل مؤازرة
هذا الموضوع لى ، وهكذا أعتقد أنه يمكن القول أنه لا يوجد سوء متارنة
أو مؤازرة • ولكن المقارنة التى تدل على التطابق أو الاختلاف ، ومؤازرة
الشيء لى يصحان الرابطتين الجديرتين بالتمييز من بين غيرها • ربما
يمكن عمل أبحاث أعمق وادق ولكنى أكتفى هنا بذكر الملاحظات •

٨ - فيلالييت :

توجد معرفة فعلية هي الادراك الحاضر لعلاقة الافكار . وهناك ماهية عادية (مألوفة) عندما يدرك الذهن بوضوح اتفاق الأفكار ويحتفظ بها بطريقة معينة في الذاكرة بحيث كلما فكر في القضية تأكد أولا من الحقيقة التي تحتويها دون أدنى شك . لأنه يعجز عن أن يفكر بوضوح وتتميز في أكثر من شيء واحد في نفس الوقت وإذا لم يعرف البشر سوى الموضوع الفعلي لأفكارهم فأنهم سيظلون جهلاء وذلك الذي سيعرف أكثر لن يعرف سوى حقيقة واحدة .

تيوفيل :

حقا أن علمنا ، وحتى البرهاني منه يجب أن نصل اليه غالبا بسلسلة طويلة من النتائج . ولا بد من أن يتطلب تذكر برهان سابق نواجهه بوضوح تام عندما نقرر النتيجة والا لزمنا أن نكرر باستمرار هـذا البرهان وأيضا عندما يستمر لا نستطيع فهمه بأكمله دفعة واحدة لأن كل أجزاءه لن تحضر في الذهن في نفس الوقت . وعلى هذا اذا وضعنا باستمرار نصب أعيننا الجزء السابق ، لن نتقدم أبدا لنصل الى الجزء الاخير الذي يكمل النتيجة ، هذا يجعل من الصعب تقرير العلوم بدون كتابة ، ما دامت الذاكرة لن تكون متأكدة بما فيه الكفاية . ولكن لاننا سجلنا كتابة البرهان الطويل ، مثل برهان أبولو Apollonius

٣ - ومررنا بها كلها كأننا نفحص حلقات السلسلة حلقة بعد حلقة ، وبهذا نقدر استطاع البشر التأكد من أدلتهم الاختبارات ما دام النجاح سيبزر الكل . ما فائدة الادلة اذن ما دام النجاح سيكون من نصيب الكل في النهاية .

ومع ذلك فهذا يظهر أن كل اعتقاد قائم على تذكر الرؤية الماضية للحجج أو المبررات ، ان يكون في مقدرتنا ولا في ارادتنا الحرة للاعتقاد

أو عدم الاعتقاد ، ما دامت الذاكرة ليست بالشيء الذى يعتمد على
ارادتنا •

٩ - فيسـالـلـيت :

حقا أن معرفتنا المألوفة نوعان أو درجتان ، أحيانا لا يتمثل الذهن
أبدا الحقائق المخزنة بالذاكرة وانما يرى الذهن الرابطة بين الافكار
الداخلية فيها ولكنه أحيانا يقتنع بتذكر الاتفاق دون أن يحنقظ بالحجج،
بل أحيانا دون أن يستطيع وضعها اذا أراد • يمكن أن يتخيل المرء أنه يثق
فى ذاكرته أكثر من أن يعرف حقا الحقيقة التى هو بصدها ، وقد ظهر
لى فيما مضى أن، ثمة وسط بين الاعتقاد والمعرفة وأنها تأكيد يفوق
الاعتقاد البسيط! القائم على شهادة الآخرين ، ومع ذلك أجد ، بعد أن
فكرت فيها تماما أن هذه المعرفة تتضمن يقينا كاملا • كونى أتذكر يعنى
أنى أعرف (الذكري ليست سوى تجديد شىء مضى) أنى كنت ذات مرة
متأكدا من حقيقة هذه القضية « ان مجموع زوايا المثلث تساوى قائمتان »
الا أن عدم تغير نفس الروابط بين نفس الأشياء الثابتة ، تصبح حاليا
الفكرة الوسيطة التى تجعلنى أرى أنه اذا كانت متساوية ذات مرة فستكون
كذلك مرة أخرى وعلى هذا الاساس تروندنا هذه البراهين الجزئية للرياضيات
بالمعارف العامة ، والا فلن تمتد معرفة عالم الهندسة لتتعدى هذا الشكل
الجزئى الذى رسمه وهو يبرهن •

تـيـوـفـيـل :

الفكرة الوسيطة التى نتحدث عنها ياسيدى نفترض اخلاص ذاكرتنا،
ولكن يحدث أن تخدعنا ذاكرتنا وأننا لم نتخذ كل الاحتياطات وعمل
كل الاجراءات الضرورية مع أننا قد نعتقد ذلك الآن • هذا يبدو بوضوح
فى مراجعة الحسابات • يوجد أحيانا مراجعون رسميون مثل أولئك الذين
يعملن فى مناجم « هارز » Harz ولكى يصبح محصول المناجم
أكثر انتباها فرضت غرامات مالية على كل غلطة فى الحسابات ومع ذلك

وجدت الاخطاء رغم هذه الغرامات • ومع ذلك كلما زدنا العناية كلما أمكن الثقة في البراهين السابقة • لقد اقترحت طريقة لكتابة الحسابات تجعل من يجمع مجموعات الاعمدة (الجداول) يسجل على الورق آثار تقدم البرهان ، بحيث لا يخطو أى خطوة لا فائدة منها • يمكنه دائما أن يراجعها وأن يصحح الأخطاء الأخيرة دون أن تؤثر على الخطوات الأولى : وبهذه الطريقة لن تتطلب المراجعة التى يريد أن يقوم بها أى شخص آخر بدون أى جهد تقريبا لأنه يستطيع فحص نفس الآثار بنظرة عين : بالإضافة الى وسائل التحقق من حسابات كل بند بنوع من البرهان العادى جداً ، دون أن تريد هذه الملاحظات عمل الحساب • هذا يوضح تماما أن من الممكن أن يحصل الناس على براهين دقيقة على الورق ، وأن لديهم بدون شك عددا لا نهائيا • ولكن ما لم نتذكر أننا استخدمنا الدقة التامة ، فإن نحصل على هذا اليقين فى المذهب وتتكون هذه الدقة فى نظام يجعل من ملاحظة كل جزء تأكيدا للكل • كما يحدث عندما نفحص السلسلة من خلال حلقاتها • أو معاينة كل حلقة منها لنرى ان كانت قوية ، ونعتمد على القياس باليد حتى لا نغفل أحداها ، وعندئذ نتأكد من صلاحية السلسلة • بهذه الطريقة نصل الى اليقين الكامل بقدر الطاقة البشرية ولكنى — بالنسبة للرياضيات — لا أوافق معك فى أن البراهين الجزئية للشكل الذى نرسمه تمدنا باليقين العام الذى يبدو أنك تقره • لأنه يجب أن تعرف أنه ليست الاشكال هى التى تعطى الدليل عند علماء الهندسة ، رغم أن هذا الاسلوب (*) Ethétique الشكلى يجعلنا نعتقد ذلك • قوة البرهان مستقلة عن الشكل المرسوم ، التى ليست سوى مجرد تبسيط لما نريد أن نقوله وأن نلفت نظر الذهن اليه • أنها القضايا الكلية ، أى التعريفات والمسلمات والمنظريات التى تم اثباتها فعلا ، فهى التى تعمل البرهان وتسنده عندما لا يوجد الشكل • ولهذا نجد عالما فى الهندسة مثل شيبيلوس قد قدم أشكال اقليدس بدون حروفها التى يمكن أن تربطها بالبرهان الذى يلحقه

(*) يقصد بهذا الاسلوب ان يبدأ عالم الهندسة بوضع القضية التى يريد اثباتها ثم يحاول بواسطة رسم الشكل أن يثبت المطلوب .

بها . وعالم آخر مثل هرلينوس Herlinus أخضع نفس البراهين
للاقيسة والاقيسة المركبة .

الشخصيات

١ — Ramistes تلاميذ راموس أو بيير دي لارامى ، مصلح منطقي
مشهور فى القرن ١٦ ومعارض كبير لارسطو ، ولد فى « كوث » Cuth
(غيرماندوا) عام ١٥١٥ وتوفى فى باريس عام ١٥٧٢ فى مذبحة القديس
بارتيلمي . أهم أعماله هى :
1 — dialecticae partitiones
2 — aristoteliene animaduersiones .
3 — Schola dialecticae.

لقد ذكر M. ch. Waddington القائمة الكاملة لأعماله فى كتابه
« عن حياة وكتابات راموس » .

٢ — Lucien سفسطائى وصاحب مصنفات فى موضوعات
متعددة مشهور فى العصر القديم ولد فى ساموسات وعاش فى القرن
الثانى الميلادى (حوالى ١٢٠ الى ٢٠٠) من كتاباته العديدة نذكر خصوصا
محاوراته عن الآلهة والموتى ، وبحثه عن فن كتابة التاريخ ، ومجتمع
الآلهة ، طوائف فى مزااد Sectes a l'encan. أجمل طبعة قديمة لأعماله
هى طبعة هيمسرهوز Hemsterhuys التى أكملها الاخوة « رتر »
(٤ مجلدات فى امستردام عامى ١٧٤٣ ، ١٧٤٤) أما التراجم الفرنسية
فهى لا حصر لها وقد تالبت M. Talbot طبعة كاملة أخيرا
(مجلدين باريس ١٨٦٠) .

٣ — ipollonius de perge. فى مامفيللى أحد أكبر أربعة علماء
هندسة فى العصر القديم (مع أقليدس ، أرشميدس ، وديوفانت
diophante) ولد حوالى ٢٧٤ ق.م ازدهر فى عصر بطليموس
فيلوبانور philopator (٢١٣ — ٢٢١) وتاريخ وفاته غير معروف

بحثه عن Sections coniques مشهور شهرة عناصر elements
أقليدس • نشر halley طبعة جميلة فى أكسفورد عام ١٧١٠ •
٤ — Scheubelius عالم هندسة فى القرن ١٦ نشر
Euclidis sex libros priores de geometricis principiis, graece
et latine.
أعمال أقليدس الستة السابقة لمبادئ الهندسة ، الاغريقية
واللاتينية •

٥ — Euclide عالم هندسة كبير فى العصر القديم (لا يجب
أن نخلط بينه وبين الفيلسوف أقليدس الميغارى (تلميذ سقراط)
لا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته نعرف فقط أنه عاش فى
الاسكندرية فى حكم بطليموس ابن لاجوس فى القرن الثالث ق.م
أهم أعماله هو كتابه (المبادئ) الذى ما زال حتى اليوم أساس
التعليم • طبعة يونانية — لاتينية — فرنسية نشرها payrard
باريس عام ١٨١٤ •

الفصل الثانى

درجات معرفتنا

١ - **فيلايت** : المعرفة : اذن تكون حدسية عندما يدرك الذهن اتفاق الفكرتين مباشرة بذاتها دون تدخل أى فكرة أخرى . فى هذه الحالة لن يتعب الذهن لاثبات أو فحص الحقيقة . أنها كرهية العين للضوء ، يرى الذهن أن الابيض ليس أسود وأن الدائرة ليست مثلثا وأن الثلاثة تساوى اثنين وواحد . هذه المعرفة هى أوضح وأكثر يقينا والتي يقدر عليها الضعف الانسانى ، أنها تعمل بطريقة لا تقاوم ولا تسمح للذهن بالتردد . انها معرفة أن الفكرة تكون فى الذهن كما ندركها ، وكل من يطلب يقينا أكثر فهو لا يعرف ماذا يطلب .

تيوفيل : الحقائق الأولية التى نعرفها بالحدس نوعان مثل الحقائق المشتقة . أنها بعدد حقائق العقل أو حقائق الواقع . حقائق العقل ضرورية وحقائق الواقع عرضية . الحقائق الأولية للعقل هى تلك التى أسميها باسم عام هو التطابق *identiques* موجبة أو سالبة : الموجبة مثل الآتى : كل شيء هو ما هو عليه . والكثير من الامثلة التى نريدها أ هى أ ، ب هى ب ، ساكون ما أكونه . كتبت ما كتبت . ولا شيء ، فى الشعر أو النثر ، يكون لا شيئا أو قليلا من الشيء المثلث المتساوى الاضلاع ، وهذا الشكل مثلث . القضايا العطفية والشرطية المنفصلة وغيرها القابلة هى الاخرى لهذا المتطابق واعتبر ضمن القضايا الموجبة لا أ هى لا أ وهذه القضية الشرطية ، اذا كان أ هى لا ب ينتج أن أ هى لا ب . وبالمثل اذا كان لا أ هو ب ج ينتج أن لا أ هو ب ج . اذا كان الشكل الذى له زاوية منفرجة مثلثا فان الشكل الذى ليس له زاوية منفرجة يمكن أن يكون مثلثا متساوى الاضلاع والزوايا *Regulier* أصل الآن

الى التطابق السلبي الذى يكون أما متناقضاً أو متبايناً *disparates* مبدأ التناقض هو بوجه عام : القضية تكون إما صادقة أو كاذبة • والتي تشير الى نمطين من البيانات الصادقة احدهما أن الصدق والكذب لا يجتمعان معا فى نفس القضية الواحدة وثانيهما أن القضية ان تكون صادقة وكاذبة معا • علاوة على مقابلها أى نفي الصدق والكذب لا يجتمعان ، أو لا يوجد وسط بين الصدق والكذب ، أو لا يمكن أن يكون القضية لا صادقة ولا كاذبة • ولكن كذ هذا يصدق على كل القضايا التي يمكن تخيلها •

• مثل : ما هو أ لن يكون لا أ • مثلاً حقا أنه قد يوجد شخص ما ليس حيوانا • يمكن تغيير هذه البيانات بأكثر من طريقة تطبيقها على القضايا العطفية والشرطية المنفصلة وغيرها أما عن القضايا المتباينة فهي القضايا التي تقول ان موضوع فكرة ما ليس بموضوع فكرة أخرى مثل الحرارة ليست نفس الشيء واللون ، وأن الانسان والحيوان ليسا نفس الشيء مع ان كل انسان حيوان كل هذا يمكن أن تؤكده مستقلا عن أى برهان أو اخضاعه للتقابل أو مبدأ التناقض ، ما دامت هذه الافكار مفهومة بحيث لا يحتاج هنا الى تحليل ، ومن جهة أخرى يمكن أن نتعرض الى سوء الفهم : لان قولنا أن المثلث والشكل ثلاثى الاضلاع ليسنا نفس الشيء ، قد يخدعنا ، مادام اعتبارنا له يجعلنا نرى أن الجوانب الثلاثة والزوايا الثلاثة يسيران معا دائما • كما يمكن أن يخدعنا القول أن رباعى الاضلاع والمثلث ليسا نفس الشيء ، لانه قد يحدث أن يحصل الشكل الوحيد ذا الاضلاع الاربعة على كل الزوايا القائمة • ومع ذلك يمكن القول دائما فى التجريد أن المثلث ليس بالشكل ثلاثى الاضلاع ، أو أن المبررات الصورية لكل من المثلث والشكل ثلاثى الاضلاع ليست هي نفسها كما يقول الفلاسفة • انها ارتباطات مختلفة لنفس الشيء • ان الشخص الذى يسمع بصبر ما قلناه حتى الآن سيفقد صبره أخيرا وسيقول • اننا نتسلى بذكر بيانات تافهة وان كل الحقائق المتطابقة لا تجدى فى شيء ولكنه قد يصدر حكمة هذا لانه لا يكون قد تأمل الأمور بما فيه

الكفاية • فنحن مثلاً نثبت النتائج المنطقية بناءً على المبادئ الذاتية (التطابق) وعلماء الهندسة يحتاجون لمبدأ التناقض في براهينهم التي تدفع إلى المستحيل • فلنكتفى هنا بأن نظهر استخدام التطابق (القضايا المتطابقة) في البرهنة حتى نتأخر البرهان أقول أذن أن مبدأ التناقض وحده يكفي لإثبات الشكلين الثاني والثالث من القياس عن طريق الشكل الأول، مثلاً يمكن استنتاج في الشكل الأول من Barbara: كل ب هي ج •
كل أ هي ب •
∴ كل أ هي ج •

لنفرض أن النتيجة كاذبة (أو أن القضية بعض أ ليس ج صادقة) إذن إحدى المقدمتين ستكون كاذبة أيضاً • لنفرض أن الثانية صادقة لا بد أن تكون الأولى كاذبة، التي تقول أن كل ب هي ج إذن سيكون نقيضها صادق أي بعض ب لن يكون ج، وأن هذه ستكون نتيجة في برهان جديد مشتق من كذب النتيجة وصدق إحدى مقدمات البرهان السابق وهذا هو البرهان الجديد: بعض أ ليس ج وهذا يقابل النتيجة السابقة المفروضة أنها كاذبة كل أ هي ب وهي المقدمة السابقة المفروضة أنها صادقة ∴ بعض ب ليس ج وهي النتيجة الحاضرة والصادقة في مقابل المقدمة السابقة الكاذبة (وهذا البرهان من النمط *disamis* من الشكل الثالث التي نستدلها بوضوح وبلمحة نظر من النمط *barbara* للشكل الأول • باستعمال مبدأ التناقض فحسب • وقد لاحظت في شبابه عندما كنت أنظر في هذه الأشياء أن من الممكن استنباط أنماط الشكلين الثاني والثالث من الشكل الأول بهذا المنهج وحده، بافتراض أن النمط الأول جيد وبالتالي بما أن النتيجة كاذبة أو نقيضها صادق، وإحدى المقدمات صادقة أيضاً يلزم أن تكون المناقضة للمقدمة الأخرى صادقة • حقاً إن المدارس المنطقية تفضل استخدام العكس لنستنتج الأشكال الأقل أهمية من الشكل الأول وهو الأهم لأن هذا يبدو لنا سبباً للتلاميذ • ولكن بالنسبة لأولئك الذين يبحثون عن البراهين الاستدلالية حيث يجب استخدام أقل الافتراضات الممكنة فأنتنا لا نستدل بافتراض

القضية المعكوسة ما يمكن أن نستدله بالمبدأ الاول فقط . وهو مبدأ التناقض والذي لا يفترض شيئا . لقد أبديت هذه الملاحظة الهامة : يمكن استدلال الاشكال الاقل أهمية والتي نسميها مباشرة ، وأقصد بها الثانى والثالث بواسطة مبدأ التناقض وحده ، أما النىء الاقل أهمية غير المباشر وهو الرابع والذي ينسب العرب اكتشافه الى جالين مع اننا لا نجد عنه شيئا فى أعماله التى بقيت لنا ، ولا لدى غيره من المؤلفين الاغريق ، أقول ، أن هذا الشكل الرابع لديه هذا العيب وهو اننا لا نستدله من الشكل الأول أو الاساسى بهذا المنهج وحده ، وأنه يجب استخدام افتراض آخر هو القضايا المعكوسة (عكس القضايا) وبهذا يصبح أبعد بدرجة من الثانى والثالث وهما فى مستوى واحد بالنسبة لبعدها عن الاول ، بينما يحتاج الرابع فى استدلاله لكل من الثانى والثالث . لأنه وجد من الانسب تماما أن تستدل القضايا المعكوسة التى يحتاج اليها بواسطة الشكل الثانى أو الثالث والذي يمكن استدلالهما مستقلين عن القضايا المعكوسة على النحو الذى ذكرته أنه بغير دى لا رامى Pierre de la Ramée الذى أبدى هذه الملاحظة بالنسبة لقابلية استدلال القضية المعكوسة بواسطة هذه الاشكال وإذا لم أكن مخطئا فإنه قد اعترض على كل المناطق الذين يستخدمون القضية المعكوسة فى الدور المنطقى والاجدر الا نتهمهم بالدور وأنا نعترض على تقديم ما هو تالى Hysteren proteron أو العكس (لانهم لم يستخدموا هذه الاشكال بدورها لاثبات العكس) وذلك لان القضايا العكسية تستحق أن تستدل بواسطة هذه الاشكال أكثر من استدلال هذه الاشكال بالقضايا العكسية (ولكن حيث أن هذا الاستدلال للقضايا العكسية يظهر أيضا استخدام القضايا الذاتية (المتطابقة *identiques*) الموجبة التى يعتبرها كثيرون باطله *frivoles* تماما وسيكون من الانسب بالاحرى أن نتناولها هنا .

لا أريد التحدث هنا الا عن القضايا العكسية الخالية من الاستدلال السلبي *Sontra position* وهى تكفي هنا لانها بسيطة وعرضية كما

يسمونها • القضايا العكسية البسيطة نوعان هي القضايا الكلية السالبة
 مثل : لا مربع يكن منفرج الزاوية اذن لا منفرج الراوية يكون مربعا
 والجزئية الموجبة مثل : بعض المثلثات يكون منفرج الزاوية ، اذن بعض
 منفرجى الزاوية يكون مثلثا • أما العكس بالعرض كما يسمونه فتخص
 القضايا الكلية الموجبة مثل كل مربع يكون مستطيل اذن بعض المستطيل
 مربع • يقصد هنا باستمرار الشكل القائم الزوايا ، ويقصد بالمربع الشكل
 ذو الاربع أضلاع متساوية • والآن يلزم استنباط هذه الانواع الثلاثة
 من القضايا العكسية وهى :

١ — لا يكون ب . . لا ب هي أ

٢ — بعض أ يكون ب . . بعض ب هي أ

٣ — كل أ يكون ب . . بعض ب يكون أ

استنباط القضية العكسية الاولى فى *caesare* من الشكل الثانى

لا أ يكون ب

كل ب يكون ب

. . لا ب يكون أ

واستنباط القضية العكسية الثانية فى من الشكل الثالث

كل أ يكون أ

بعض أ يكون ب

. . بعض ب يكون أ

استنباط القضية العكسية التالية فى من الشكل الثالث

كل أ يكون أ

كل أ يكون ب

. . بعض ب يكون أ

وهذا يظهر أن القضايا (المتطابقة) الخالصة والتي تبدو غير مقيدة لها استخداما الجدير بالاعتبار في التجريد والعام . وهذا يعلمنا أنه لا يجب احتقار رأى حقيقة • بالنسبة للقضية « الثلاثة = اثنين + واحد » التي تذكرها يا سيدى • كمثال للمعارف الحدسية أقول لك انها ليست سوى تعريف للحد ثلاثة لان التعريفات الابطسط للاعداد تصاغ بهذه الطريقة اثنين تكون واحد وواحد ، الاربعة ثلاثة وواحد ... وهكذا •

حقا أنه يوجد فى داخلها ايضا حقائق خفية قد لاحظتها فعلا وهى أن هذه الافكار ممكنة وأننا نعرف ذلك حدسيا ، بحيث يمكن القول أن المعرفة الحدسية مشمولة فى التعريفات ما دامت امكانياتها تبتدأ أولا • وبهذه الطريقة كل التعريفات الكاملة تحتوى على حقائق أولية للعقل وبالتالي معارف حدسية • وأخيرا يمكن القول بوجه عام أن كل الحقائق الأولية للعقل تكون مباشرة كمباشرة الافكار •

بالنسبة للحقائق الأولية للواقع فنقصد بها الخبرات المباشرة الداخلية ذات مباشرة عاطفية وهنا نجد الحقيقة الاولى التى قال بها الديكارتيون أو القديس أوغسطين : أنا أفكر إذن أنا موجود أى أنى شئ أفكر ولكن يجب معرفة أنه كما أن القضايا الذاتية تكون كلية أو جزئية وأن كلاهما واضحا (ما دام وضوح قولنا أ هى أ لا يقل عن وضوح القول أن الشئ يكون ما يكون) فان الامر كذلك بالنسبة للحقائق الاولى للواقع • لانه ليس فقط يتضح لى مباشرة انى افكر وانما يتضح لى ايضا أنه لدى أفكار مختلفة ، وأنى أحيانا أفكر فى أ وأحيانا أفكر فى ب ... الخ • وهكذا فان المبدأ الديكارتي جيد ولكنه ليس الوحيد من نوعه • وترى من هذا أن كلا من الحقائق الأولية للعقل أو الواقع تشترك فى أننا لن نستطيع اثباتها بشئ له يقين أكثر •

٢ - فيلاليت : أنى مرتاح تماما يا سيدى لأنك تقدمت بعيدا فى أمور تتصل بالمعرفة الحدسية حاولت أن أسمها فحسب • ولكن المعرفة الاستدلالية ليست سوى تسلسل لمعرفة حدسية فى كل الارتباطات

للافكار الوسيطة • لان الذهن لا يستطيع احيانا الربط ، المقارنة أو التطبيق المباشر للافكار بعضها على بعض مما يضطره الى اسخدام افكار أخرى وسيطة (واحدة أو أكثر) للكشف عن الاتفاق أو عدم الاتفاق الذى نبحث عنه ، وهذا ما نسميه بالبرهنة كما فى البرهنة على تساوى الزوايا الثلاثة للمثلث لزاويتين قائمتين نجد بعض الزوايا الاخرى التى أما أن نتساوى مع الزوايا الثلاثة للمثلث أو أنها تساوى زاويتين قائمتين •

٣ — الافكار التى ندخلها نسميها *preuves* أدلة ونسمى استعداد الذهن لان يجدها باللفطنة •

٤ — وحتى عندما نجدها فان اكتساب هذه المعرفة يتم بجهد ويقتلعة وليس بنظرة عابرة ، لانه يجب الالتزام بتعاقب الافكار الذى يتم تدريجيا ويتؤده •

٥ — هناك شك يسبق البرهان أو الاستنباط •

٦ — انها أقل وضوحا من الحدسية • ومثل الصورة التى يعكسها العديد من المرايا فأنها تضعف كلما انعكست من مرآة لأخرى وتصبح غير ممكن التعرف عليها بالنسبة لضعيف البصر ، وكذلك الحال بالنسبة للمعرفة التى نصل اليها بتتابع طويل للبراهين •

٧ — ومع أن كل خطوة يقوم بها الذهن فى البرهان تكون معرفة حدسية أو رؤية بسيطة الا أنه فى هذا التتابع الطويل للبراهين لن تحتفظ الذاكرة بهذا الارتباط بين الافكار بدقة فان الناس يأخذون احيانا القضايا الكاذبة على أنها استنباطات •

تيوفيل : علاوة على البصيرة الطبيعية أو المكتسبة بالخبرة هناك فن آخر لايجاد الافكار الوسيطة *le medium* هذا الفن هو التحليل • الا أنه من الافضل تقرير أنه يلزمنا هنا احيانا الوصول الى صدق أو

كذب قضية معطاء ، وذلك لن يكون سوى الاجابة على السؤال ()
اي السؤال هل هذا يكون أو لا يكون ؟ واحيانا يلزمنا الاجابة على
سؤال آخر أصعب نسأل فيه مثلا بواسطة من ، كيف ؟ ويلزمه الكثير
لكى يصبح تماما •

هذه الاسئلة فقط هي التى تترك جزءا من القضية على بياض
ويسمىها الرياضيون بالمشكلات كما عندما نطلب ايجاد مرآة تجمع كل أشعة
الشمس فى نقطة أى أن نسأل عن شكلها أو كيف تصنع • أما بالنسبة
للاسئلة الاولى حيث يلزم فقط الجواب بصواب أو خطأ وحيث لا يلزم
أى أضافة فى الموضوع أو المحمول ، فإن لديها قليل من الابتكار ومع
ذلك هناك نماذج منها ولن يكفى فيها مجرد الحصول على الحكم وحده •
حقا أن الرجل الذى يحكم أى القادر على الملاحظة والاحتياط ولديه
متسع من الوقت والصبر وحرية الذهن اللازمة ، يمكنه فهم أصعب
استنباط اذا ما عرض كما يجب • ولكن أعدل رجل على وجه الارض
لن يستطيع دائما ، بدون عون آخر أن يجد هذا الاستنباط • وعلى هذا
يوجد ابتكار هنا ايضا : وقد كان لدى علماء الهندسة قديما أكثر مما
لديهم الآن • لانه عندما كانت العناية بالتحليل أقل كن يلزمه الكثير من
البصيرة للوصول اليه ، ولهذا اعتقد بعض العلماء فى العصر القديم
وغيرهم من الذين لم ينفثوا بما فيه الكفاية على المناهج الجديدة ،
أنهم حققوا العجائب عندما توصلوا الى برهان لنظريات ابتكرها
الآخرون • ولكن أولئك المهتمين بفن الابتكار يعرفون متى يكون ذلك
جديرا بالاعتبار ومتى لا يكون ، مثلا عندما ينشر شخص ما تربيع مساحة
تشمل خطا منحنيا وخطا مستقيما ، وينجح فى جميع اجزائه والتى
اسمىها عامة يصبح دائما فى مقدورنا ، تبعا لمناهجنا ، أن نجد البرهان
بشرط أن نريد تحمل المشقة • ولكن توجد تربيعات جزئية ذات نسب
معينة ، حيث يمكن ان يطوق الشئ بآخر وليس فى مقدورنا حتى الآن
أن نطابق سطحا على اخر ويحدث احيانا أن يقدم لنا الاستقراء حقائق
فى الاعداد وفى الاشكال لم نكتشف بعد سببها العام • لانه يلزمنا

الكثير حتى نصل الى كمال التحليل في الهندسة وفي الاعداد ، كما يفتخر الكثيرون ممن يتصورون أنفسهم ممتازين ولكنهم متسرعون وطموحون . اذ أن هناك مشقة في ايجاد حقائق هامة ومشقة أكثر في ايجاد الوسائل لعمل ما نبحث عنه ، حتى ولو كان حقا أننا نبحث ، وهي مشقة تفوق تلك اللازمة لاستنباط حقائق اكتشفها شخص آخر . نصل أحيانا الى حقائق جميلة عن طريق التركيب ذلك بأن ننقل من البسيط الى المركب ، ولكن عندما يتطلب الامر أن نجد الوسيلة لعمل ما نقترح فلن يكفي التركيب عادة وأحيانا تصبح محاولة عمل كل الارتباطات المطلوبة كمن يريد أن يشرب من البحر ، مع أننا نستطيع أحيانا الاستعانة بمنهج الاستبعاد exclusions الذي يستبعد جزءا كبيرا من الارتباطات غير المفيدة وهو منهج لا تسمح الطبيعة أحيانا بقبول أى منهج سواء ولكننا لا نملك دائما الوسائل لتتبعها . التحليل اذن هو الذى يعطينا مخرجا من هذا البتية اذا كان هذا ممكنا ، لان هناك من الحالات ما يتطلب طبيعة السؤال نفسه أن نتحسس في كل مكان ما دامت المختصرات لن تكون ممكنة باستمرار .

٨ - فيلايت : ولكن ، حيث أن الاستنباط يفترض دائما الممارف الحدسية فان ذلك على ما أعتقد ، يتيح الفرصة لهذا البديهية : كل برهان يأتي من أشياء معروفة فعلا ومتفق عليها فعلا *ex præcognitis* ولكن ستكون لدينا الفرصة للتحدث عن الاخطاء *et prae concessis* الموجودة في هذه البديهية عندما سنتحدث عن البديهيات التي تسبب لاسس براهيننا .

تيوفيل : أنى شغوف لمعرفة أى الاخطاء يمكن أن تجدها في بديهية ما تبدو معقولة تماما اذا لزم دائما أن نخضع كل شيء للمعارف الحدسية ، فان الاستنباطات ستصبح أحيانا مطولة بصورة غير محتملة . لهذا ثمرس الرياضيون على تقسيم الصعوبات وأن يستبدلوا القضايا المتداخلة على حدة وفي هذا أيضا فن . لأنه حيث أن الحقائق الوسيطة

أى القضايا الأولية التى نفرضها لتسهيل اثبات النظرية والتى نسميها lemmes والتى تبدو انها خارج العمل ، يمكنها أن تخصص بطرق متعددة وستكون مفيدة لمساعدة الفهم والذاكرة واختيار ما يساعد على الاختصار أو ما يبدو جديرا بالتذكر وجدير بذاته لأن نستدله • ولكن هناك عائق آخر وهى أنه ليس من اليسير أن نستنبط كل المسلمات وأن نخضع ، تماما ، الاستنتاجات للمعارف الهندسية • ولو أردنا انتظار ذلك لما أمكننا الوصول حتى الآن الى علم الهندسة هذا وربما لم نض قد حصلنا بعد على علم الهندسة • ولكن هذا ما تحدثنا عنه فعلا فى محادثتنا الأولى وستتاح الفرصة لان نقول عنه أكثر فيما بعد •

٩ — فيلايت : سنعود اليها عن قريب : الآن سألاحظ مرة أخرى ما سبق أن تناولته أكثر من مرة وهو أن هناك فكرة شائعة أنه لا توجد سوى العلوم الرياضية التى تقدر على اليقين الاستنباطى ولكن حيث أن الاتفاق وعدم الاتفاق الذى يمكن معرفته حدسيا لا يخص الافكار الخاصة بالاعداد والاشئال فحسب فإنه ربما لخطأ تطبقى من جانبنا ، اعتقدنا أن الرياضيات وحدها هى التى تصل الى الاستنباطات •

١٠ — لقد عرض العديد من الاسباب لهذا • العلوم الرياضية ذات فائدة عامة ، وأقل اختلاف فيها يسهل تماما التعرف عليه •

١١ — هذه الافكار الاخرى البسيطة التى تكون مظاهر أو مواقف ناتجة فينا ليس لها مقياس دقيق لدرجاتها المختلفة •

١٢ — ولكن عندما يصبح الاختلاف بين هذه الصفات المرئية كبيرا بقدر يكفى لان يثير فى الذهن افكارا واضحة التمييز مثل تلك الخاصة بالازرق والاحمر فانها تدبج قادرة ايضا على استنباط مثل تلك الخاصة بالعدد والامتداد •

تيوفيل : توجد أمثلة كثيرة للاستنباط خارج الرياضيات ويمكن

المقول أن أرسطو قد ذكرها فى تحليلاته الاولى^(١) الواقع أن المنطق ايضا قابل للاستدلالات كالمهندسة ويمكن القول أن منطق علماء المهندسة أو طريقة المناقشة التى شرحها أقليدس وقررها عند الحديث عن القضايا تعتبر امتدادا أو أعلاء خاصا للمنطق العام . أرشميدس وهو أول من توصلنا الى أعماله ، مارس فن البرهنة فى مناسبة تدخل فى علم الفيزيكا كما فعل فى كتابة عن التوازن .

وعلاوة على ذلك يمكن القول أن لدى الفقهاء العديد من الاستدلالات الجيدة . خاصة قدماء المشرعين الرومان الذى نحفظ بمقتطفات منها فى مجموعة القوانين اليونانية .

أنى متفق تماما مع لورانت فال Laurent Valle الذى لا يعجب بهولاء المؤانين ، ولا بغيرهم لانهم يتكلمون بطريقة دقيقة وواضحة تماما فحسب بل لانهم أيضا يفكرون بطريقة تقترب جدا من الاستدلال وحيانا تكون استدلالية تماما . وكذلك لا أعرف أى علم ، باستثناء علم القانون وعلم الاسلحة قد أضاف الرومان اليه شيئا جديرا بالاعتبار عما تسلموه من اليونان .

tu regere imperio popules Romane momento :

Haetibi erunt artes pacique impnero morem, parcere subjec-
tis et debellare superbes.

هذه الطريقة الدقيقة لماشرح جعلت كل مشرعى مجموعة القوانين اليونانية مهما ابتعد بعضهم عن البعض فترات زمنية ، كأنهم مؤلف واحد واننا نبذل جهدا كبيرا للتمييز بينهم عندما لا تكون أسماء المؤلفين مذكورة على رأس المقتطفات ، تماما كما حدث عندما بذلنا جهدا كبيرا

(١) التحليلات الاولى : من المعروف أن أورجانون أرسطو يشمل ستة كتب : ١ — تفسير الكلمات . ٢ — المقولات . ٣ — التحليلات الاولى تبحث القياس . ٤ — التحليلات الثانية التى تبحث الاستدلال . ٥ — الطوبيقا حيث يبحث الامكن . ٦ — نحوض سوفسطائية والتى تبحث فى السفسطة .

للتمييز بين ما قاله كل من أقليدس وأرشميدس وبولون عندما قرأنا استدلالاتهم في مواد تناولها كل واحد منهم • يجب الاعتراف ان الاغريق قد فكروا بدقة في الرياضيات وتركوا للجنس البشرى نماذج لفن الاستدلال : لانه اذا كان لدى البابليون والمصريون هندسة اقل تجريبيًا فانه على الاقل لم يبق منها شيء ولكن من المدهش أن هؤلاء الاغريق أنفسهم قد فشلوا تماما بمجرد أن ابتعدوا ولو قليلا عن الاعداد والاشكال ليصلوا الى الفلسفة • لانه من الغريب الا نرى أى أثر للاستدلال عند افلاطون وأرسطو (باستثناء تحليلاته الاولى) وعند كل الفلاسفة القدماء ، لقد كان بوكلس proclus عالم هندسة ولكنه يبدو شخصا آخر عندما يتحدث عن الفلسفة مما سهل عليه أن يفكر تفكيرًا استدلاليا في الرياضيات أن من المستحيل أن تؤيد التجربة هذا التفكير في كل لحظة وهذا ما يحدث ايضا في اشكال القياس • ولكن لا نجد فيما بعد الطبيعة والاخلاق مثل هذا التوازي بين التجارب والبراهين • وفي الفيزياء تتطلب التجارب جهدا وتكاليفا • لقد تراخى الناس في بداية الامر وبالتالي تعرضوا للضلال عندما تجردوا من التجربة هذا المرشد المخلص الذي يسانداهم في خلواتهم كما تفعل هذه الالة الصغيرة التي تتخرج ويحمي الأطفال من السقوط أثناء المشي • هناك بدائل succedneum وهذا ما لم يتجه اليه وما زال غير متجه اليه وسأتحدث عنه في مكانه فالاحمر والازرق غير قادرين على أن يمدانا بالمادة اللازمة للاستدلالات عن طريق الأفكار التي لدينا عنها لأن هذه الأفكار غامضة وهذه الألوان لا تمدنا بالمادة اللازمة للبرهنة عن طريق التجربة حيث غراها مصاحبة لبعض الافكار المتميزة ولكن دون أن نظهر ارتباطها بأفكارها الخاصة •

١٤ — فيلايت : علاوة على الحدس والاستدلال اللذان يمثلان درجتى معرفتنا يظل الباقي في أيما أو اعتقادا وليس معرفة • على الاقل بالنسبة لكل الحقائق العامة • ولكن للذهن ادراك آخر، يتصل بالوجود الخاص للكائنات النهائية خارجنا وهي المعرفة الحدسية •

تيوفيل : الاعتقاد القائم على القريب من الحق le Vraisemblable (المحتمل) ربما يستحق اسم المعرفة والا سقطت معظم المعارف التاريخية وكثير غيرها ولكن دون مناقشة الاسماء ارى أن البحث عن درجات الاحتمال سيكون هاما ومازال ينقصنا حتى الآن وذا عيب كبير لدى مناطقنا لانه عندما لا نستطيع التقرير المطلق للسؤال يمكننا دائما تحديد درجة الاحتمال *exdatis* وبالتالي يمكن الحكم حكما معقولاً أى الأجزاء أكثر ظهوراً . وعندما يربط أخلاقيونا (أقصد بهم الأكثر حكمة أمثال المحدثين من الجزويت) الأكثر يقينا بالأكثر احتمالا ويفضلون الأكثر يقينا على المحتمل فأنهم فى الواقع يعدون عن الأكثر احتمالا ، لان السؤال هنا عن اليقين هو السؤال عن الشر الاقل احتمالا الذى علينا أن نتحاشاه . وعيب الاخلاقيين المتراخين بالنسبة لهذا الموضوع هو أنهم الى حد ما لديهم فكرة محدودة جدا وغير كافية تماما عن المحتمل الذى خلطوا بينه وبين الشائع *eudoxe* أو *opinable* الذى قال به أرسطو ، لأن أرسطو أراد فى الطوبيقا ان يتفق مع اعتقادات الآخرين كما يفعل الخطباء ، والسوفسطائيون الشائع *eudoxe* يعنى عند أرسطو ما يقبله أكبر عدد ممكن أو الاكثر سلطة لقد أخطأ بأن حصر الطوبيقا فى هذا فقط ، وأضطرته هذه الفكرة الى أن يرتبط بالمسلمات المقبولة فحسب ، وأغلبها غامض كأننا لا نفكر الا بناء على النزوات أو الامثال . ولكن المحتمل أكثر اتساعا : يجب أن نستخرجه من طبيعة الاشياء ورأى الاشخاص ذوى السلطة له وزن وهو أحد الاشياء التى يمكن أن تساهم فى جعل الاعتقاد أكثر احتمالا ولكنه ليس هو الذى يحسم كل احتمالية . وعندما كان « كوبرنيك » الوحيد تقريبا فى اعتقاده الذى كان دائما الاكثر احتمالا من اعتقاد باقى البشر . الا انى لا أعرف هل تقرير فن اعتبار الاحتمال لن يكون مجديا الا كجزء هام من معرفتنا الاستدلالية وقد فكرت فى هذا أكثر من مرة .

فيلايت : المعرفة الحدسية أو التى تقرر وجود الكائنات الجزئية خارج أنفسنا ، تذهب أبعد من الاحتمال البسيط ، ولكنها لا تملك كل

يقين درجتى المعرفة الذى تحدثنا عنهما ، لا شىء أكثر يقينا من أن الفكرة التى نتلقاها عن موضوع خارجى تكون فى ذهننا ، أنها معرفة حدسية : ولكن يعتقد البعض أنه يمكن أن نناقش القول ، أن معرفة كهذه يمكنها أن تستدل بيقين وجود أى شىء خارج أنفسنا يتصل بهذه الفكرة ، لأنه من الممكن أن يحصل الفاس على هذه الافكار فى الذهن عندما لا يوجد شىء منه فعلا . بالنسبة لى اعتقد أنه يوجد اختلاف كبير بين الادراكات التى نحصل عليها عندما ننظر الى الشمس فى الصباح وعندما نفكر ليلا فى هذا الكوكب ، الفكرة المتجددة بمساعدة الذاكرة تختلف تماما عن الفكرة التى تأتينا حاليا بواسطة الحواس وقد يقول البعض أن الحلم يمكنه أن يعطينا نفس الاثر وارد عليهم أولا أنه لا يهم كثيرا ان أزيل هذا المشك لأنه اذا لم يكن الكل الا حلما فلن تجدى البراهين ، ولن تكون الحقيقة والمعرفة شيئا على الاطلاق . وثانيا فى نظرى أنهم يعرفون تماما الفرق بين كوننا نحلم اننا فى النار وبين أننا فيها فعلا . واذا أصروا على شكهم سأقول لهم أنه يكفى أننا نجد بالتأكيد أن اللذة أو الألم تتبع تأثير موضوعات معينة فينا ، صادقة كانت أم حلما وان هذا اليقين يساوى ما لدينا من سعادة أو بؤس وهما أمران لم نهتم بهما . وعلى هذا أعتقد أننا نستطيع القول بأنواع الثلاثة من المعرفة الحدسية ، الاستدلالية والحسية .

ثيوفيل : اعتقد انك على حق يا سيدى وأظن أن من الممكن أن تصنيف معرفة احتمالية الى هذه الانواع من اليقين أو المعرفة اليقينية ، على هذا يوجد نوعان من المعرفة كما يوجد نوعان من البراهين ، احدهما ينتج عن اليقين والآخر لن يؤدي الا الى الاحتمال لفصل الى المعركة التى يثيرها الشكك أمام الاعتقاديين بالنسبة لوجود الاشياء خارج أنفسنا لقد عرضنا لها فعلا ولكن يجب أن نرجع لها هنا . لقد ناقشتها فيما مضى بالكلمة وبالكتابة مع المرحوم الأب فوشيه ، كاهن ديجون وهو رجل عالم وبارع وان كان متمسكا بالاكاديميين الذين ساهم فى احياء مذهبهم كما فعل جاسندى عندما بعث فلسفة بيقور . لقد ساعده نقده

للبحث عن الحقيقة ، والابحاث الاخرى الصغيرة التى طبعها بعد ذلك على التعرف على مؤلفها بصورة أفضل : وقد نشر ايضا فى جريدة العلماء اعتراضاته على مذهبى الانسجام الازلى ، عندما نشرته للجمهور بعد أن حاولت تفهمه لعدة سنوات ولكن حال موته دون أن يرد على اجابتي ، لقد بشر دائما بضرورة تجنب الاحكام المتسعة والحصول على أكبر يقين ولكن علاوة على أنه هو نفسه لم يلتزم بتنفيذ ما نصح به ، وله عذره فى ذلك ، ويبدو لى أنه لم يتنبه الى امكان أن يفعلها غيره ، بل ويميل بدون شك الى الاعتقاد أن أحد لم يفعلها غيره . ولكنى عرفته أن حقيقة الاشياء الحسية لا تقوم الا فى ربط الظواهر بأسبابها وأن هذا هو ما يميزها عن الاحلام : ان حقيقة وجودنا وعلة الظواهر من طبيعة مختلفة ، لانها تقرر الجواهر وقد أفسد الشكك ما فى قولهم من صواب بأن أبعدوه بعيدا جدا بل وأرادوا أن يمتد شكهم ليصل الى الخبرات المباشرة والحقائق الهندسية (وهذا طبعا ما لم يفعله الاب فوشيه) وباقى حقائق الذهن وفى هذا مبالغة كثيرة . ولكن اذا عدنا اليك يا سيدى فانك محق فى قولك ان هناك اختلاف بين الاحساسات والخيالات ولكن الشكك يقولون ان الاكثر والاقل لن يغير اطلاقا فى الجنس . على أى حال بالرغم من أن الاحساسات عادة تكون أكثر حيوية من الخيالات فأننا نعرف طبعا أن هناك حالات يتأثر فيها الأشخاص الخياليين بخيالاتهم أكثر مما يتأثر غيرهم بحقيقة الاشياء . بحيث اعتقد أن المحك الحقيقى بالنسبة لموضوعات الحواس ، هو ارتباط الظواهر ، أى الارتباط بين ما يحدث فى الاماكن والازمنة المختلفة وفى خيرة اشخاص مختلفين ، يكونوا هم أنفسهم بالنسبة لبعضهم البعض ظواهر هامة لهذا الموضوع (ويتحقق ارتباط الظواهر ، الذى يضمن حقائق الواقع بالنسبة للاشياء المحسوسة خارج أنفسنا بواسطة حقائق الذهن كما توضح الهندسة مظاهر البصريات ومع ذلك يجب الاعتراف أن كل هذا اليقين ليس بالدرجة العليا التى تعرفت عليها لانه ليس مستحيلا ، من وجهة نظر ما بعد الطبيعة ، أن يوجد حلم متتابع ويدوم بدوام حياة

الانسان ، ولكن من التناقض بالنسبة للعقل أن نشكل كتاب بالصدفة من عشرة حروف الطباعة بصورة عشوائية • وبالنسبة للباقي حقا أنه لا يهم أن نسميه حلما أولا ، بشرط أن تكون الظواهر مرتبطة ، مادامت التجربة تظهر لنا أننا لا نخطئ في المقاييس التي نقيس بها الظواهر عندما نتخذ وفق حقائق الذهن •

١٥ — فيلاليت : ضلا عن ذلك فإن المعرفة لا تكون دائما واضحة • حتى ولو كانت الافكار واضحة ، الرجل الذي لديه أفكارا واضحة عن زوايا المثلث ومساواتها لقائمتين ، كأى رياضى فى العالم يمكنه أن يحصل على أدراك غامض تماما بالنسبة لتلاؤمها •

تيوفيل : عادة يظهر اتفاق أو عدم اتفاق فى الافكار عندما نفهمها بعمق • ومع ذلك أعترف أنه يوجد أحيانا أفكارا مركبة بحيث يلزم كثيرا من العناية لكى نعلن ما تخفيه ، ويمكن لهذا الاعتبار أن تظل اتفاقات أو عدم اتفاقات معينة غامضة • أما بالنسبة للمثال الذى ذكرت فأنى لاحظ أنه لكى نحصل فى الخيال على زوايا مثلث فلن نحصل بهذا على أفكار واضحة • الخيال لا يستطيع أن يمدنا بصورة مشتركة عن المثلثات الحادة الزاوية والمنفرجة الزاوية ومع ذلك فكرة المثلث تكون مشتركة بينها : وعلى هذا لا تتكون هذه الفكرة فى الصور ، وليس من السهل أن نظن أننا نفهم بعمل زوايا المثلث •

٢ — أرشميدس : أعظم عالم هندسة فى العصر القديم ولد فى سراقوس عام ٢٨٧ وتوفى فى حصار هذه المدينة عام ٢١٢ ونعرف مبدأه المشهور الذى أصبح أساسا للهيدروستاتيكا hydrostatique الطبعة الكاملة لأرشميدس هى طبعة أكسفورد نشرها ستانهورب عام ١٧٩٣ وترجمها الى الفرنسية بيراريد Peyrard عام ١٨٠٧ فى مجلد واحد وعام ١٨٠٠ فى مجلدين •

٣ — فال (لورانث) (Valla (Lauont) عالم لغوى مشهور •

فى القرن ١٥ ولد فى روان عام ١٤٠٦. وتوفى فى نابلى عام ١٤٥٧
أعماله الرئيسية التى تتصل بالفلسفة هى : حوار ضد أرسطو عام ١٤٩٩
عام ١٥١٨ *dialectica contra Aristotelios*
عام ١٥١٩ *de libertate arbitrii* عن حرية الاختيار .
de voluptate et vero bono.

٤ - بروكس : فيلسوف من الافلاطونية الجديدة ولد فى بيزانس
عام ٤١٢ وتوفى فى اثينا عام ٤٨٥ أعماله الرئيسية هى : اصول اللاهوت ،
اللاهوت عند أفلاطون ، تفسير طيماوس وقد نشر دكتور كوزمان أعماله
غير المطبوعة بباريس ١٨٦٤. التى تضم تفسير باريمنديس *commentare*
sur le premier alcibiade et malo. وببحثه *libertate* ، *de providencia* ،
النص غير موجود ولم نعرفه الا من الترجمة اللاتينية التى قام بها .
guillaumed mobika. ^c

٥ - نيمز فى اللاهوت الأخلاقى عدة اعتقادات الاحتماليون
probabilisme الذين يسمحون بالعمل وفق اعتقاد محتمل حتى ولو
كان أقل من غيره *probabiliorisme* الذين ينصحون بالأقل نعمل الا
وفق الاعتقاد الأكثر احتمالا *tutorisme* الذين ينصحون بالأقل نختر
الا الأكثر يقينا ، أى نضحي بالأقل مثلا : من المؤكد أننا نأخذ الجانب
الأكثر جدية . انظر بحث لنيقولا *nicole* المرفق بالترجمة اللاتينية
للمسائل الريفية .

(١) جالينوس *Gaien , galenius* طبيب مشهور فى القديم ولد فى
عام ١٣١ فى برجام *Pergam* لا تعرف فترة ولادته ولا موته . من بين
أعماله العديدة تلك التى تهم الفلسفة أكثر كتابه المشهور (استخدام الأجزاء)
de usa partium وهو مقدمة وتطبيق مستمر لهذا العلل النهائية أجمل
وأكمل طبعة له هى ترجمة كوهن اليونانية اللاتينية . لبيزج ٢٠ مجلد ١
١٨٢١ - ١٨٣٣ *daremborg* دار بمرج ترجمة فرنسية ظهر فيها
مجلدان . بباريس . (٨٥٤ - ١٨٥٦) .

٦ - يقصد بهم بسكال الـ Casuistes (أى دارسى أحوال
الضمير) قد رفضهم بسكال .

٧ - الأب فوشيه (Foucher : Jabbé) ولد فى ديجون
عام ١٦٤٤ وتوفى فى باريس عام ١٦٩٦ ساند الفلسفة الاكاديمية ، أى
الشك ، على طريقة شيشرون ، أهم مؤلفاته : مقالة فى البحث عن الحقيقة ،
أو عن فلسفة الاكاديميين ، بازييس ، نقد البحث عن الحقيقة (للبرانش)
باريس عام ١٦٧٥ . عن حكماء القدماء باريس عام ١٦٨٢ .

الفصل الثالث

امتداد المعرفة البشرية

- ١ - فيلالييت : معرفتنا لا تتعدى أفكارنا *
- ٢ - ولا يتعدى أدراك اتفاقها أو عدم اتفاقها *
- ٣ - لا يمكن أن تكون دائمة حدسية لاننا لا نستطيع دائما مقارنة الاشياء مباشرة مثلا تساوى مقدار المثلثين القائمين على نفس القاعدة ولننهما مختلفان *
- ٤ - وكذلك لن نستطيع دائما استدلال معارفنا لاننا لا نستطيع دائما ايجاد الافكار الوسيطة *
- ٥ - وأخيرا معرفتنا الحسية لا تخص سوى وجود الاشياء التى تؤثر حاليا على حواسنا *
- ٦ - على هذا ليس فقط أفكارنا محدودة تماما وانما ايضا معرفتنا محدودة أكثر من أفكارنا لا شك مطلقا فى أن معرفتنا البشرية لا تستطيع أن تمتد بعيدا ، واذا أراد البشر الاهتمام باخلاص بايجاد وسائل اكمال الحقيقة بحرية ذهنية كاملة وبكل التطبيق والصفة التى يستخدمها لخرافة أو مساندة الخطأ والدفاع عن مذهب الذى يعلنونه أو حتى جزءا معيناً واهتمامات معينة بما يشغلهم ، فانه رغم كل هذا لن نستطيع معرفتنا أبدا الالام بكل ما نرغب معرفته مما يتصل بما لدينا من أفكار .
مثلا ربما لن نستطيع أبدا ايجاد دائرة تساوى مربعا ومعرفة بيقين هل توجد مثل هذه الدائرة ؟

تيو فيل :

هناك أفكار مختلطة حيث لا تستطيع مطلقا التنبؤ بمعرفة كاملة لها،

من الأفكار الخاصة ببعض الصفات الحسية • ولكن عندما تكون متميزة • فقد تأمل ذلك بالنسبة للمربع المساوى لدائرة • أثبت أرشميدس فعلا وجوده • لأنه سيكون ذلك الذى يصبح ضلعه *côté* المتوسط النسبى بين نصف قطر الدائرة ونصف محيطها • وأثبت أيضا مستقيما *ساويا* مساويا لمحيط الدائرة بواسطة متوسط مستقيم للمحورى كما أثبت غيرها بواسطة مماس المربع *ساويا* وهى طريقة لتربيع الدائرة الذى أعجب بها كالافيس *Clavius* ولن نتحدث عن الخيط المطبق على المحيط ثم نمده أو المحيط الذى ندخرجه لفرسم خطبا منحنيا من نقطة الدائرة ثم نحوله الى خط مستقيم • يطالب البعض بالا يتم هذا التركيب الابواسطة المسطرة والفرجار ولكن لن نستطيع تبشك معظم مشكلات الهندسة بهذه الطريقة • يلزما اذن ايجاد النسبة بين المربع والدائرة • ولكن هذه النسبة لن تستطيع التعبير عنها بالارقام العقلية المحدودة *rationnels finis* ويلزما لى لا نستخدم الا الارقام العقلية أن نعبر عن هذه النسبة نفسها بمجموعة لا نهائية من هذه الارقام التى حددتها بطريقة بسيطة جدا • الآن يلزما البحث : هل لا توجد بعض الكميات المحدودة عندما لا تكون سوى صماء *محدودة* أو أكثر من صماء يمكنها أن تعبر عن هذه المجموعة اللانهائية ، أى هى يمكن ايجاد بالدقة مختصرا لهذا لكن.التعبيرات المحدودة وخاصة غير العقلية *irrationnelles* اذا ذهبنا الى الاكثر من الصماء يمكنها أن تتغير بطرق عديدة حتى يمكن أن نحصياها • وأن نحدد بسهولة كل ما يمكن • وربما توجد وسيلة لعملها، اذا أمكن التعبير عن هذه الصمم بمعادلة عادية أو حتى غير عادية أيضا ، التى تدخل غير العقلى وحتى مجهول الاسس ومع أنه يلزما حسابا كبيرا لنتم ذلك وحيث لن نحلها بسهولة ما لم نجد ذات يوم مختصرا يخرجنا منها • ولكننا لن نستطيع استبعاد كل التعبيرات النهائية ، وهذا ما أعرفه وأنه لعمل كبير أن نحدد أفضلها • كل هذا يبين ان الذهن البشرى يقترح اسئلة عجيبة ، وخاصة عندما نضيف اليها اللامتناهى • ولا يجب أن نغدهش اذا اجتهد ذهننا ليصل الى غايته ،

ومثلما يعتمد الكل فى هذه الأمور الهندسية على موجز مختصر ، وهذا ما لا يمكن أن نعد به فأننا لا نستطيع دائما أن نخدع الكسور لأقل الحدود أو أن نجد قواسم *diviseurs* عدد ما • حقا أننا نستطيع دائما الحصول على هذه القواسم لأن احصاؤها نهائى • ولكن عندما يكون ما يجب فحصه متغيرا انى ما لا نهاية ويرتقى من درجة الى درجة قلن نسيطر عليه اذا اردنا من الشاق جدا أن نستخدم المنهج لنحاول الوصول الى مختصر أو قاعدة المتوالية التى تعطينا من ضرورة التقديم أكثر ، ونظرا لان الفائدة التى تعود علينا لن تساوى الجهد الذى نبذله ، فأننا نترك النجاح فيها لمن يجىء بعدنا ، الذين قد يسعدهم أن يجدو الوسيلة التى تقلل من الاطناب اذا ما اعتمدوا على الاسنعدادات والاكتشافات الجديدة التى سيقدمها لهم عصرهم هذا لا يعنى أن الاشخاص الذين قد اهتموا بهذه الدراسات من وقت لآخر قد ارادوا عمل الواجب عليهم ليحققوا تقدما ، فأننا لا نأمل أن نقدم كثيرا فى فترة ما ، ولا يجب أن نتخيل أن الكل قد أنجز ما دام ، حتى فى الهندسة العادية ، مازلنا لا نملك المنهج الذى يحدد أفضل البناءات وعندما تكون المشكلات أقل تركيبا يلزمنا أن نمزج تحليلنا بنوع من المتواليات "هندسية" أو العددية التركيبية *progression de synthèse* ليكون نجاحنا أفضل •

وأتذكر أنى سمعت أن السيد / دى ويت Witt لديه بعض التأملات ، فى هذا الموضوع •

تأملات :

انها صعوبة أخرى أن تعرف هل يفكر الكائن المادى الخالص أم لا ؟ وربما ما لم يساعدنا الوعى ، ورغم أن لدينا الافكار عن المادة وعن التفكير ، لن نقدر أبدا على معرفة ، بالعقل ، ما يستحيل أن تكتشف بالتأمل فى أفكارنا الخاصة ، اذا لم يمنح الله لبعض الكتل من المادة ، التى يرى أنها مهيأة لذلك ، القدرة على الادراك والتفكير ، أو اذا لم يوجد ويزبط بالمادة المهيأة بهذه الصورة بجوهر غير مادى يفكر ، لأنه بالنسبة

لأفكارنا لن يكون تصور أن الله يمكن أن يضيف الى فكرتنا عن المادة ملكة التفكير ، بأصعب من فهم أنه يربط بها جوهر آخر من ملكة التفكير ، ما دمننا نجعل مما يتكون التفكير وأى نوع من الجواهر ، يرى هذا الكائن مخلوق الا بفضل رغبة وطيبة الخالق .

توفيل :

لا شك فى أن هذا السؤال أهم بكثير اذا قارناه بالسؤال السابق ، ولكن اسمح لنفسى ياسيدى أن أقول انى أتمنى أن يتيسر لنا تناول النفس ودفعها الى ما فيه خيرها وان تشفى الاجساد من أمراضها ، وأعتقد أن فى مقدرتنا أن نحدد ذلك . أتعشم أن تعترف بذلك على الاقل حتى أتمكن من التقدم دون أن أجرح الاحساس ودون ادعاء العلم بدلا من ذكر المبررات الجيدة ، لأنه علاوة على أنى أتحدث وفق الاحساس العام والمقبول ، أعتقد أنى قد أضفت اليها اهتماما غير عام ، أولا : اعترف ياسيدى أنه عندما لا نمك الا الافكار الغامضة عن التفكير والمادة ، كالعادة لا يجب أن نندهش اذا لم نر الوسيلة لحل هذه الاسئلة ، وكما لاحظت من قبل ، أن الشخص الذى ليس لديه أفكارا عن زوايا المثلث الا بالطريقة التى لدينا عنه عادة ، لن يظن الى أنها تساوئى باستمرار زاويتين قائمتين . يجب أن نعتبر المادة ، مأخوذة على أنها كائن كامل ، (أى المادة الثانية فى مقابل المادة الاولى التى هى شئ سلبى تماما ، وبالتالي غير كامل) أى على أنها كتلة أو ما ينتج عن الكتلة وأن كل كتلة حقيقية تفترض جواهر بسيطة أو وحدات حقيقية ، وعندما تعتبر مرة أخرى ما هى طبيعة هذه الوحدات أى الادراك ولو احققه فاننا ننتقل بهذا الى عالم آخر ، أى العالم المعقول للجواهر ، بدلا من أن نظل ، كما كنا من قبل بين ظواهر الاحساس ، هذه المعرفة لداخل المادة تظهر بمافيه الكفاية ما هى قادرة عليه بصورة طبيعية وأنه حينما يزودها الله بالاعضاء المناسبة للتعبير عن التفكير ، فلن يعيب الجواهر اللامادى الذى يفكر أن يعطيها لها بفضل الانسجام الازلى الذى هو

أيضا نتابع طبيعى للجواهر • إن تستطيع المادة أن توجد بدون الجواهر غير المادية أى بدون الوحدات وتيعا لذلك لا يجب أن يسأل هل الله حير فى أن يعطينا لها أم لا ؟ وإذا لم يكن لهذه الجواهر فى ذاتها المترابط أو الانسجام الذى تحدثت عنه ، فلن يكون الله قد تعرف وفق النظام الطبيعى عندما نتحدث ببساطة عن اعطاء أو التسليم بوجود القوى فأننا نعود الى الملكات العارية التى قال بها المدرسون وبتخييل الكائنات الصغيرة الموجودة التى يمكنها أن تدخل وأن تخرج كما يفعل الحمام فى برجه • أننا نجعل منها جواهر دون أن نفكر فى ذلك • القدرات الاولى تكون الجواهر نفسها والقدرات المشتقة أو اذا أردت : الملكات ليست سوى طرق الوجود يجب اشتقاقها من الجواهر ولا نشقتها من المادة الا باعتبارها آله ، أى بقدر ما ننظر إليها بالتجريد على أنها الكائن غير الكامل للمادة الأولى أو ما هو السلبى الخالص تماما • وهذا ما اعتقد أنك ما زلت توافق ، ياسيدى على أنه ليس فى مقدور الآلة العارية أن تولد الادراك والاحساس والعقل • يجب اذن أن يولدها شيء آخر جوهري •

ارادة أن يتصرف الله بطريقة أخرى ، أن يعطى للأشياء أعراضا ليست حالات من الجود أو تعديلات مشتقة من الجواهر ، يعنى الالتجاء الى المعجزات وما يسميه المدرسون *la puissance opedietiale* أى القدرة الخاصة للسلطة الكنسية العليا بطريقة من التمجيد تفوق الطبيعية ، مثل ادعاء بعض اللاهوتيين أن نار الجحيم تجرق النفوس المتفرقة ، ففى هذه الحالة يمكن أن نشك هل النار هى التى تعمل ؟ ، هل الله نفسه هو الذى قدم الاثر ، عندما يعمل بدلا من النار ؟

فياللايت :

انك تدهشنى بتوضيحاتك وتواجه العديد من الاشياء التى سأعرضها بالنسبة لحدود معارفنا • لقد قلت لك أننا لسنا فى حالة البصيرة Vision كما يقول اللاهوتيون ، وأن الايمان والاحتمال يجب أن

يكفيها في كثير من الأشياء ، وخاصة بالنسبة لخلود الروح ، وأن جميع غايات الاخلاق والدين تقوم على أسس جيدة بما فيه الكفاية دون حاجة لادلة على هذا الخلود مستمدة من الفلسفة وأن من الواضح أن ذلك الذي بدأ في ايجادنا هنا باعتبارنا كائنات حساسة وعاقلة ، والذي حافظ علينا في هذه الحالة لعدة سنوات ، يمكنه ويريد أن نتمتع أيضا بحالة من الحساسية مشابهة في الحياة الاخرى ويجعلنا قادرين على تقبل الثواب الذي حدده للبشر تبعا لسلوكهم في هذه الحياة ، وأخيرا يمكن أن نحكم بهذا أن ضرورة تحديد موافقتنا أو معارضتنا لخلود الروح ليس من الاهمية التي أراد المتحمسون لعواطفهم الخاصة أن يقتنعوا بها .

سأقول لك كل هذا وأكثر من هذا بهذا المصدد ، ولكني أرى الآن كم هو مختلف أن أقول أننا حساسون ومفكرون وخالدون بصورة طبيعية عن أننا لن نكون كذلك الا بمعجزة . في الواقع أنها معجزة حقا أن أعرف أنه يجب قبول أن الروح ليست خالدة : ولكن فكرة المعجزة هذه علاوة على أنها لا أساس لها ، لن تؤثر تأثيرا طيبا في ذهن الكثير من الناس .

وأرى أن الطريقة التي نتناول بها الأمر تجعلنا نحدد بشكل معقول السؤال الحاضر دون الحاجة لالتمتع بحالة البصيرة . والتواجد في صحة هذه العبقريات السامية التي تنفذ تماما الى التركيب الداخلي للأشياء وتسمح لنا ، رؤيتنا الحية والثاقبة واتساع مجال المعرفة . بتخيل السعادة التي يجب أن نتمتع بها . ولقد أعتقدت أنه يفوق معرفتنا تماما « أن نخلط الاحساس بمادة ممتدة وأن نخلط الوجود بشيء ليس ممتدا اطلاقا » ولهذا كنت مقتنعا أن أولئك الذين يشتركون هنا وفي المنهج المخالف للصواب لبعض الأشخاص الذين يرون أن الأشياء التي يعتبرونها من جهة معينة تكون غير مفهومة ، يتوقعون مطاطتي الرأس الى الجانب المقابل حتى وأن كان لا يقل لا معقولية عن الجانب الأول ويرجع هذا ، في رأيي ، الى أن البعض لأنهم أنغمسوا كثيرا في المادة لن يستطيعوا أن يفروا أي وجود لما هو ليس مادي ، وآخرون لا يجدون سوى الفكر وينحصرون في الملكات الطبيعية للمادة ، ويستنتجون أن

الله نفسه لا يستطيع أن يمنح الحياة والادراك لجوهر صلب دون أن يمنح
جوها خالدا بينما أرى الآن أنه إذا فعل ذلك سيكون بمعجزة ، ويبدو
أن عدم المقابلية لفهم وحدة النفس بالجسد أو المزج بين الاحساس
والمادة قد زال بفرضك الاتفاق الازلى بين الجواهر المختلفة .

تـيـوـفـيـل :

الواقع أنه لا يوجد ما هو غير مفهوم فى هذا الغرض الجديد
ما دام لا ينسب الى الروح والاجساد سوى تعديلات نختبرها فى ذاتنا
وفيهما ، وأنه يقررهما فقط بصورة أكثر تنظيما وأكثر ارتباطا مما كنا
نعتقد حتى الآن . والصعوبة الباقية هى بالنسبة لأولئك الذين لا يريدون
تخيل الا ما هو معقول ، كأنهم يريدون رؤية الأصوات أو استماع الالوان ،
وهم الذين ينكرون وجود كل ما ليس ممثدا ، مما يضطرهم الى انكاره
حتى بالنسبة لله نفسه أى التخلّى عن كل من الاسباب ومبررات
التغيرات من جهة وهذه التغيرات من جهة أخرى : هذه الاسباب لا يمكن
أن تصدر عن الامتداد والطبائع السلبية الخالصة عن الطبائع النشطة
الجزئية والسفلى بدون الفعل الخالص الكلى للجوهر الاسمى .

فـيـلـالـيـت :

بقى الاعتراض على الاشياء التى يمكن أن تقبلها المادة بصورة
طبيعية . الجسد بقدر ما يمكن تصوره غير قادر الا على أن يطرق
ويؤثر على جسد . والحركة لا يمكن أن تنتج شيئا آخر سوى حركة ،
بحيث أننا عندما نوافق أن الجسد ينتج اللذة أو الألم أو حتى فكرة
اللون أو الموت ، فإنه يبدو أننا مضطرون للتخلّى عن عقلمنا وأن نذهب
أبعد من أفكارنا الخاصة وأن ننسب هذا الانتاج لرغبة خالقنا وحده .
ما المبرر اذن لاستنتاج ألا يكون الأمر كذلك بالنسبة للادراك فى المادة ؟
أكاد أرى ما يمكن أن يكون عليه الاجابة ومع أنك قد قلت فعلا بعض
الشيء أكثر من مرة ، الا أنني سأستمع لك الآن أكثر مما سبق وأنى

مستعد تماما لأن أسمع مرة أخرى ما ستجيب به فى هذه المناسبة الهامة .

تيفويل :

انك تحكم ياسيدى بأنى سأقول أن المادة لن تستطيع انتاج اللذة والالام أو الاحساس فى أنفسنا أنها الروح هى التى ستتجها بنفسها ، اتفاقا مع ما يحدث فى المادة ، ويبدأ بعض الماهرين من المحدثين فى اعلان أنهم لا يفهمون العلل التوافقية *occasionnelles* الا مثلى ، ولكن اذا قررنا هذا فلن يحدث شئ غير معقول باستثناء أننا لا نستطيع توضيح كل ما يدخل فى ادراكاتنا الغامضة التى تتصل باللانهاى ، والتى هى تعبيرات مفصلة لما يحدث فى الاجسام : أما بالنسبة للرغبة الطيبة للخالق ، يجب القول أنه منظم وفق طبائع الاشياء ، بحيث أنها لا تنتج ولا تحفظ سوى ما يناسبها والذى يمكن أن يفسر بواسطة طبائعها ، على الاقل بوجه عام ، لأنه قد يعوزنا التفصيل أحيانا مثل ما تعوزنا العناية والقدرة على تنظيم حبات رمل الجبل وفق نظام شكلها ، رغم أنه لا يوجد بها شئ يصعب فهمه سوى الكثرة . وبعبارة أخرى اذا أعوزتنا هذه المعرفة فى ذاتها ، واذا لم نستطع حتى تصور سبب الارتباط بالجسد بوجه عام ، وأخيرا اذا منح الله الاشياء القدرات العرضية معزولة عن طبائعها ، وبالتالي بعيدة عن العقل بوجه عام ، فأنها تصبح بابا خلفيا تذكرنا بالصفات الحقيقية التى لا يمكن لأحد فهمها ، وبهذه الشياطين الصغيرة للكاث غير قادرة للعقل . وهى شياطين مساعدة تبعدو كآلهة المسرح أو مثل جنيات أماديس *les fées d'Amadis* والتى تفعل عند اللزوم كل ما يريد الفيلسوف ببساطة وبدون آلات . ولكن أن ننسب أصلها الى الرغبة الطيبة لله فلن يبدو مناسباً لذلك الذى يكون العقل الاسمى ، والذى لديه كل شئ منظم والكل مرتبط . هذه الرغبة الطيبة لن تكون طيبة ولن تكون رغبة اذا لم يوجد توازى مستمر بين القدرة والحكمة عند الله .

فيلايت :

معرفتنا للذاتية والاختلاف تذهب أبعد بكثير من أفكارنا ، ولكن معرفتنا للرابطة بين أفكارنا (٩ ، ١٠) بالنسبة لتواجدها معا في نفس الذات تكون غير كاملة تماما معدومة تقريبا (١١) خاصة بالنسبة للصفات الثانوية كالالوان والاصوات والاذواق (١٢) لاننا لا نعرف ارتباطها بالصفات الاولى أى (١٣) كيف تعتمد على الحجم ، والشكل ، أو الحركة • (١٥) اننا نعرف القليل عن عدم توافق هذه الصفات الثانوية ، لان الموضوع لا يستطيع أن يحصل على لونين مثلا في نفس الوقت ، وعندما نراها في حجر بنى متغير الالوان opale أو في نقيع من Lignum nephriticum فان هذا يبدو في الاجزاء المختلفة للموضوع (١٦) نفس الامر بالنسبة للقدرات النشطة والسلبية للجسام • ابحاثنا في هذه المناسبة يجب أن تعتمد على التجربة •

تيوفيل :

أفكار الصفات الحسية تكون غامضة ، والقدرات التي يجب أن تنتجها لا تزودنا بالتالى الا بأفكار يدخلها غموض • وعلى هذا لن نستطيع معرفة روابط هذه الافكار الا بواسطة التجربة ، بقدر ما نخضعها لأفكار متميزة تصاحبها ، كما نفعل مثلا بالنسبة لالوان قوس قزح وطيف الشمس وهذا المنهج يعطينا نوعا من البداية لتحليل مفيد جدا في الفيزياء ولاشك في أن الطب لم يتقدم تقدما معتبرا مع الزمان الا باستخدامه ، وخاصة اذا اهتم به الجمهور أكثر من اهتمامه حتى الآن •

بالنسبة لمعرفة الروابط فهذا هو المجال الاوسع لمعارفنا ، ومن الصعب تحديد الى أين يمكن أن يمتد • يعتمد التقدم على الفطنة في

ايجاد الافكار المتوسطة • أولئك الذين يجهلون الجبر لا يمكنهم تصور الاشياء المدهشة التى يمكن عملها فى هذا النوع بواسطة هذا العلم •

ارى ان من السهل تحديد أى الوسائل الجديدة لاثمام الاجزاء الاخرى من معارفنا يمكن ان يكتشفها ذهن نافذ • على الاقل الافكار الخاصة بالكمية ليست هى الوحيدة القابلة للاستدلال ، هناك أفكار أخرى ربما تكون الجزء الاهم من تأملاتنا التى يمكن أن نستدل منها معارف يقينية اذا لم تقف النقائص والانفعالات والمصالح حائلا دون تنفيذ مثل هذا المشروع •

تيوفيل :

لا يوجد ما هو أصوب مما تقوله الان يا سيدى • هل هناك أهم ، على فرض انه حق ، مما اعتقد أننا حددناه بالنسبة لكل من طبيعة الجواهر والوحدات ، والمتعددات الذاتية والاختلاف ، تكوين الافراد ، استحالة الفراغ والذرات ، أصل تماسك الاجسام ، وقانون الاستمرار وغيرها من القوانين الطبيعية ، تناسق الاشياء ، وخلود الارواح ، وحدة الروح والجسد ، بقاء الارواح وحتى ارواح الحيوان بعد الموت ؟ ليس فى كل هذا شيء اعتقد انى استطيع أن أثبت أو قابل للاستدلال • ؟

فيلايت :

حقا أن افتراضك يبدو مرتبطا تماما وبسيط جدا : يعترف أحد الرجال البارعين ممن أراد دحضه فى فرنسا ، أنه تأثر به تماما • وهو متميز ببساطته فيما أرى • ويحسن أن تؤكد هذه النظرية أكثر فأكثر ذات يوم • ولكن حديثنا عن الاشياء التى تهمنا أكثر ، أقصد الاخلاق ، التى اعترف أن ما بعد الطبيعة التى تقول بها تمدها بأسس مدهشة : ولكن دون تعمق أكثر ، لديها الكفاية رغم أنها ربما لا تمتد بعيدا ، اتذكر انك لاحظت ذلك ، ما دامت غير قائمة على اللاهوت الطبيعى الذى

تقول به • ومع ذلك الاعتبار الوحيد لخيرات هذه الحياة يساعدنا فى تقرير نتائج هامة تنظم المجتمعات البشرية • يمكن أن يكون حكمنا فيها صائبا ومن المؤكد أن يقيننا فيها لن يقل عما فى الرياضيات ، مثلا هذه القضية « لن يمكن ان يوجد ظلم حيث لا يوجد تملك » وهى قضية لا تقل يقينا عن أى استدلال من استدلالات اقليدس ، باعتبار أن التملك حق فى شىء ما والظلم يعنى اغتصاب الحق • كذا الامر بالنسبة لهذه القضية : لا توجد أى حكومة توافق على الحرية المطلقة • لان الحكومة تعنى قوانين معينة وتطلب تنفيذها • والحرية المطلقة تعنى أن كل واحد قادر على أن يفعل ما يريد •

تيوفيل :

تستخدم كلمة ملكية بطريقة مختلفة قليلا عن الاستخدام العادى لاننا نقصد بها حق شخص ما فى شىء ما واستبعاد حق شخص آخر • وعلى هذا حتى اذا لم توجد ملكية ، حيث يكون كل شىء مشتركا وشائعا ، سيوجد ظلم • يجب أيضا أن نفهم من تعريف الملكية أن كلمة شىء تعنى ايضا فعل action والا فإنه عندما لا يوجد حق على الاشياء ، سيكون من الظلم دائما أن نمنع البشر من العمل حيث يحتاجون • ولكن وفق هذا التفسير يصبح من المستحيل الا توجد ملكية • أما بالنسبة للقضية الخاصة بعدم اتفاق الحكومة مع الحرية المطلقة ، فإنها تدخل ضمن القضايا اللازمة morallaires وأى القضايا التى يكفى ملاحظتها • ونجد منها الكثير فى التشريع وهى قضايا أكثر تركيبا مثل تلك التى تتصل بما نسميه بالشروط أو تلك الخاصة بـ *jus accrescende* ومواد أخرى كثيرة قد اظهرتها عندما نشرت فى شبابى بحوثا عن الشروط وحيث اثبت بعضها وسأعود اليها مرة أخرى اذا سنحت لى الفرصة •

فيلاليت :

أن ذلك يسر المتطلعين ويساعد على نلبية رغبة من يستطيع طبعها
دون تنقيح •

نيوفيل :

هذا ما حدث بالنسبة لفن الارتباطات الذي اشتكى منه فعلا ،
فقد كان ثمرة شبابى الاول ومع ذلك اعيد طبعه بعد فترة طويلة دون
استشارتى ودون أن يشار الى أنها طبعه ثانية مما جعل البعض يعتقد ،
وفى هذا أساءة الى ، أنى كنت قادرا على نشر مثل هذا العمل فى سن
متقدمة . لانه رغم ما فيه من افكار لها نتائجها التى مازلت اقرها ، فان
ايضا بها بعض الافكار لا يمكن تقبلها الا من طالب ناشئ •

فيلاليت :

أرى أن الاشكال تعتبر أكبر علاج لعدم يقين الكلمات وهذا
ما لا يمكن أن نجده فى الافكار الاخلاقية • علاة على أن الافكار الاخلاقية
أكثر تركيبا من الاشكال التى نعتبرها عادة فى الرياضيات ، وعلى هذا
يتعب الذهن فى حفظ الارتباطات الدقيقة الموجودة بين الافكار الاخلاقية
بطريقة كاملة تجعلها ضرورية فى حالة الاستدلالات الطويلة • وبالنسبة
للمحاسب اذا لم نعبر عن المواضيع المختلفة بعلامات نعرف دلالتها الدقيقة
والتي تظل ومستظل امام بصرنا فسيكون من المستحيل تقريبا أن تقوم
بأعمال كبيرة •

٢٠ — تعطينا التعريفات علاجا ما بشرط أن نستعملها باستمرار
فى الاخلاق • وعلاوة على ذلك ليس من السهل التنبؤ باى المناهج يمكن
أن يقترحها الجبر أو أى وسيلة أخرى لها نفس الطبيعة لكى نزيل
الصعوبات الاخرى •

تيوفيل :

اخترع المرحوم أرهارد فيجل Erhard Weigel بعبقرية أشكالا عن الامور الاخلاقية وعندما نشر تلميذه المرحوم Samuel de puffendorff اصول الفقه الكلى jurisprudence universelle المتفق مع افكار السيد فيجيليوس Weigelius اضيف فى طبعة اثينا Iona ابحاث هذا العالم الرياضى فى مجال الاخلاق ، ولكن هذه الاشكال كانت نوعا من الاستعارات تشبه الى حد ما قائمة سيبس Cubes ، وأن كانت أقل شعبية ، وتستخدم بالاحرى فى الذاكرة لحفظ وتنظيم افكارنا ، اكثر من استخدامها فى الحكم لاكتساب معارف استدلالية . أنها لا تنس دورها فى ايقاظ الذهن . الاشكال الهندسية تبدو ابسط من الامور الاخلاقية . ولكنها ليست كذلك ، لان المحتوى يشمل اللانهائى حيث يجب أن نختار منه ، مثلا لكى نقطع المثلث الى أربعة أجزاء متساوية بواسطة زاويتين قائمتين عموديين فيما بينهما . انه سؤال بسيط ولكنه صعب ، ليس الامر كذلك فى الاسئلة الاخلاقية ما دامت قابلة للتحديد بواسطة العقل وحده وعلاوة على ذلك ، المجال لا يسمح هنا بالحديث عن :
de proferendis scientiae demonstrandi pomoeris.

واقترح الوسائل الصحيحة لامتداد فن البرهنة الى ما وراء الحدود القديمة التى ما زالت على ما كانت عليه لدى أصحاب الرياضية حتى الآن ، واتعشم ، اذا منحنى الله الفرصة اللازمة لهذا ، أن اقدم ذات يوم بحثا استخدم فيه هذه الوسائل دون أن اتقيد بالسابقين .

فيلايت :

انك يا سيدى اذا حققت هذا القصد كما يجب فانك ستخدم تماما الفيلايت امثالى أى أولئك الراغبين بجد فى معرفة الحقيقة . ومن الطبيعى انها مريحة للاذهان ولا يوجد ما هو مشوه ولا هو غير متفق مع

الفهم أكثر من الكذب • ومع ذلك لا يجب أن نتعشم أننا سنعتمد كثيرا على هذه الاكتشافات طالما قد تدفع الرغبة وتقدير الثروة أو القوة البشر الى التعصب للأفكار السائدة تمشيا مع الموضة • والبحث بعد ذلك عن الادلة وجعلها مقبولة ، أو تمويه وتغطية تشويهها • وعندما تسعى الاطراف المختلفة الى اقناع كل من يخضع لسلطتهم بهذه الافكار دون فحص هل هي خاطئة أو صواب ، فأى ضوء جديد يمكن أن نتوقعه فى العلوم التى تتصل بالاخلاق ؟ هذا الجزء من الجنس البشرى الواقع تحت الساطة عليه أن ينتظر ، فى أغلب أنحاء العالم بدلا من ذلك ، ظلمات كثيفة كتلك التى فى مصر اذا لم يمثل النور الالهى امام ذهن البشر ، وهو النور المقدس الذى لن تستطيع القدرة البشرية أن تطفئه •

تيوفيل :

لن أياس أبدا من ان يوجد الوقت أو البلد المهادى الذى يمكن للبشر من البدء فى استخدام العقل بطريقة لم يسبق لهم استخدامها • لانه فى يجب ألا تياس من شئ واعتقد أن هناك تغيرات نحو الافضل أو الاسوأ سيتعرض لها الجنس البشرى ، وان كان النصر أخيرا للخير • لنفرض أننا سنرى يوما أميرا كبيرا يشبه ملوك سوريا ومصر القدماء ، أو يشبه سليمان ، يتولى الحكم لفترة طويلة فى سلام تام ، ولأنه يجب الفضيلة والحقيقة ويتمتع بذهن كبير صلب ويضع فى اعتباره أن يجعل الناس سعداء متفقين فيما بينهم وأكثر سيطرة على الطبيعة ، فأى العجائب يمكن أن يحققها فى عدد قليل من السنوات لانه من المؤكد أنه يمكن ، فى هذه الحالة ، أن نعمل فى عشرة سنوات مالا يمكن أن نحققه فى مائة وربما ألف سنة ، ذلك اذا تركنا الامور تسير فى مجراها العادى •

ولكن بدون هذا ، اذا ما افسحنا الطريق للعديد من الناس ، كما حدث لعلماء الهندسة فان هذا سيرضيهم ويحقق لهم المجد • ان الجمهور اذا احسن قيادته سيتجه ذات يوم الى تقدم الطب أكثر مما يفعل

اليوم ، وستهتم كل الدول بنشر تاريخها للطبيعى فى صورة القوائم الفلكية أو مجلات دورية كمجلة *mercures galans* ^(١) وان تترك أى ملاحظة جيدة دون تبجيل ، وستقدم المساعدات لكل من يهتم بها أو يتقن فن عمل امثال هذه الملاحظات ، وكذلك كل من يستخدمها لتقرير الكلمات الجامعة وسيأتى الوقت الذى يتزايد فيه عدد الاطباء الممتازين والذى يتناقص فيه عدد أفراد مهن معينة يقل الاحتياج اليها ، ويصبح الجمهور فى حالة تسمح له بتسجيع البحث فى الطبيعة ، وبوجه خاص العمل على تقدم الطب وعندئذ سيصل هذا العلم الهام الى أبعد مما هو عليه فى حالته الحاضرة ويتزايد أمام بصرنا . فى الواقع اعتقد ، أن هذا الجانب من السياسة يجب أن ينال رعاية أكثر من الحكام . بعد الجانب الخاص بالفضيلة ، وأن من أهم الثمرات التى نجنيها من الأخلاق أو من السياسة القويمة هو أنه سيقودنا الى طب أفضل عندما يبدأ البشر فى أن يصبحوا أكثر حكمة مما هم عليه ، وعندما يتعلم النظام اتقان استخدامهم لثرواتهم وقدرتهم من أجل سعادتهم الخاصة .

٢١ — فيلاليت :

بالنسبة لمعرفة الوجود الحقيقى (وهو النوع الرابع من المعارف) يجب القول أننا لدينا معرفة حدسية لوجودنا ، ومعرفة استدلالية لمعرفة الله ، وحسية للأشياء الاخرى . وسنتحدث بتفصيل فيما يلى .

تيوفيل :

لن نجد ما هو أدق من ذلك .

(١) *mercures galants* عنوان لمجلات مختلفة تهتم بالسياسة والادب واعلانات واخبار متنوعة وقد اختار *de visé* سنة ١٦٧٢ هذا العنوان للجريدة التى انشأها واستمرت حتى سنة ١٨٥٣ تحت عدد من المديرين واتخذت عدة اسماء وتعرضت للتوقف لفترات . وقد حاول لينتز الحصول على نسخة كاملة من اعدادها .

٢٢ - فيلاليت :

الآن بد أن تحدثنا عن المعرفة ، يبدو من المناسب لكى نحسن اكتشاف الحالة الحاضرة لذهننا ، أن نعتبر قليلا الجانب الغامض وأن نتعرف على جهلنا لأنه يفوق معرفتنا وهامى أسباب هذا الجهل •

ينقصنا بعض الافكار ، أننا لن نكتشف الارتباط بين الافكار التى لدينا ، وأننا نهمل تتبعها وفحصها بدقة •

٢٣ - بالنسبة لعيوب الافكار ليس لدينا افكارا بسيطة سوى تلك التى تأتينا عن طريق الحواس الداخلية أو الخارجية • أما بالنسبة لمخلوقات العالم التى لا حصر لها وصفاتها فأننا منها بمثابة العميان بالنسبة للالوان ، لا نملك حتى الملكات اللازمة لمعرفةا ، وحسب كل الظواهر يقف الانسان فى الصف الاخير من بين الكائنات العاقلة •

نيوفيل :

لا أعرف هل هناك من هم بعدنا فى الصف ؟ ولماذا نحقر أنفسنا بدون ضرورة ربما نحتفظ لانفسنا بمكان أفضل من الحيوانات العاقلة ، لان الجنيات العليا يمكنها أن تحصل على أجسام ذات صورة مختلفة بحيث لا يناسبها اسم حيوان • أننا لا نستطيع القول أن لشمسنا ، من بين غيرها من الشمس ، ما يعلوها بقدر ما هو أسفل منها ، واننا قد أحسن وضعنا فى هذا النظام ، لان الارض تشغل مركز الافلاك وأن بعدها قد أحسن اختياره بحيث تسمح لحيوان متأمل أن يسكن فيها • على أى حال لدينا الكثير من الامور التى نفتخر بها أكثر من تلك التى نشكو منها ، ومعظم ضرورنا يجب أن ترجع الى خطئنا • واننا قد نخطئ اذا اشتكيننا من عيوب معرفتنا ، ما دمنا نستخدم القليل مما تقدمه لنا الطبيعة الرحيمة •

٢٤ — فيلالييت :

ومع ذلك فمن الحق اننا نعجز عن معرفة المسافة المقصوى لكل أجزاء العالم نقريبا الواقعة امام بصرنا . ومن الواضح أن العالم المرئى ليس سوى جزءا من هذا الكون الفسيح ، أننا محصورون فى ركن صغير من المكان أى فى تلك شمسنا ومع ذلك لا نعرف حتى ما يحدث فى الكواكب الإخرى التى تدور حولها وحول كرتنا الارضية .

٢٥ — هذه المعارف تنقصنا لحجمها وبعدها ولكن هناك اجسام أخرى خافية علينا لصغرها وهى تلك التى يهمنا معرفتها أكثر لانه اعتمادا على تشابكها يمكننا استدلال استخدامات وعمليات تلك المرئية ، ومعرفة لماذا يؤدى الراوند (rhubarbe) وهو عشب طبى — الى الاسهال ، ولماذا يقتل الشوكران (ciguë) — وهو عشب طبى سلم — ولماذا يخدر الافيون ... الخ .

٢٦ — وعلى هذا مهما استطاعت الصناعة البشرية أن تقيم الفلسفة التجريبية على الاشياء الفيزيقية فأنى أميل الى الاعتقاد اننا لن نصل أبدا الى معرفة علمية لهذه الموضوعات .

توفيل :

اعتقد أننا لن نصل أبدا ابعد مما نتمنى ومع ذلك يبدو لى أننا نحقق تقدمات معتبرة بالنسبة لتفسير بعض الظواهر ، لان مالدينا من تجارب عديدة يمكن أن تمدنا بالمعطيات التى تفوق الكفاية بحيث لا ينقصنا سوى فن استخدامهما ، ولن أياأس أبدا من محاولة دفع البدايات الصغيرة طالما يمدنا التحليل اللامتناهى بالوسيلة التى تربط الهندسة بالفيزيكا وطالما نرودنا لاديناميكا بالقوانين العامة للطبيعة .

٢٧ — فيلالييت :

مازالت العقول بعيدة جدا عن معرفتنا ، اننا لا نستطيع تكوين

أبى فكرة عن نظمها المختلفة : ومع ذلك فمن المؤكد أن العالم الذهني أكبر وأجمل من العالم المادى •

تيوفيل :

هذه العوالم تكون دائما متوازية تماما ، وبالنسبة للعقل الفعالة وليس بالنسبة للعقل النهائية • لانه ما أن تسيطر العقول على المادة حتى تنتج تنظيمات مدهشة • يبدو هذا من التغيرات التى حققها البشر لتجميل سطح الارض كأنهم آله صغار يحاكون المهندس البارع للكون وأن كان ذلك باستخدام الاجسام وقوانينها فحسب • ماذا يمكننا أن نخمن عن هذه الكثرة الهائلة من العقول التى تفوقنا ؟ وحيث أن العقول تشكل فيما بينها نوعا من الدولة وخاضعة لله ، حاكمها كامل فاننا بعيديون تماما عن فهم نظام هذا العالم المعقول ، وادراك الآلام والمكافآت التى أعدت لمن يستحقها وفق عقل عادل تماما وأن نتخيل ما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يدخل أبدا قلوب الانسان • ومع ذلك كل هذا يعرفنا أننا لدينا كل الافكار الواضحة واللازمة لمعرفة الاجسام والعول وليس التفصيل الكافى للوقائع ، ولا الحواس النافذة التى توضح الافكار الغامضة أو الممتدة بحيث ندركها كلها •

٢٨ — أما بالنسبة للارتباط الذى ينقصنا معرفته فى الافكار التى نملكها سأقول لك أن التأثيرات الآلية للاجسام ليس لها أى ارتباط بأفكار الألوان ، الاصوات ، الروائح ، الاذواق ، اللذة ، والاليم • وأن ارتباطها لا يعتمد الا على الرغبة الطيبة وأرادة الله الحرة •

ولكنى أتذكر أنك تحكم بوجود توافق كامل وأن لم يكن دائما تشابها تماما • ومع ذلك فأنت تعرف أن التفاصيل الدقيقة جدا للامور الصغيرة التى تدخل فيها يعوق توضيح ما تخفيه ، رغم أنك مازلت تأمل أن تقترب منه كثيرا ومن ثم لا تريد القول مع مؤلفى الشهير • ٢٩ (أنه لن الجهد البصائغ أن تهتم بمثل هذا البحث ، خشية أن يسيء هذا

الاعتقاد الخاطيء الى تقدم العلم • لقد تحدثت اليك ايضا عن الصعوبة التي اعترضتنا حتى الان عند تفسير الارتباط الموجود بين الروح والجسد ، مادمننا ندرك أن الفكرة تنتج الحركة في الجسد وليست الحركة هي التي تنتج الفكرة في الذهن • ولكن منذ أن أدركت فرضك الخاص بالاتساق الازلي زالت هذه الصعوبة تماما وبسهولة • ٣٠)
بقى اذن السبب الثالث لجهلنا ، وهو أننا لا نتابع الأفكار التي لدينا أو التي يمكن أن نمثلها ولا نحاول ممارسة الحصول على الأفكار الوسيطة • هكذا نجهل الحقائق الرياضية مع أنه لا يوجد أى نقص في ملكاتنا ، ولا أى شك في الاشياء نفسها • وسوء استخدام الكلمات هو الذي ساهم أكثر في المحيولة دون تبين التوافق أو عدم التوافق بين الافكار ••

وقد استطاع الرياضيون تجنب الجزء الأكبر من الصعوبة بان صاغوا أفكارهم دون الاعتماد على الاسماء وتعودوا على تمثيل الافكار وليس أصواتها في ذهنهم • ولو تصرف البشر في اكتشافاتهم للعالم المادى ، بنفس الطريقة التي تصرفوا بها بالنسبة للعالم الذهني وإذا كانوا قد خلطوا الجميع في سديم من الكلمات ذات دلالة غير يقينية ، فانهم سيظلون يتناقشون الى ما لا نهاية حول مناطق الكرة الارضية ، أو المد والجذر ، أو بناء السفن والطرق ، وما كنا قد توصلنا الى الجانب الآخر منها ولظلت الاجزاء الواقعة على الجهة المقابلة من الكرة الارضية مجهولة كما كانت من قبل عندما أعلننا أنها نوع من البدع •

ثيوفيل :

هذا السبب الثالث لجهلنا هو الوحيد الذي يستحق اللوم • ونرى يا سيدى أنه يتضمن ايضا اليأس من التقدم أكثر • لقد أزعجنا كثيرا هذا الوهن في العزيمة وقد أعاق بعض الأشخاص الجديرين بالاعتبار والمهريين ، تقدم الطب لاعتقادهم الخاطيء أن أى عمل يقومون به في

هذا المجال يعتبر جهدا ضائعا • عندما ترى الفلاسفة الارسطيين القدماء يتحدثون عن الظواهر الجوية وعن قوس قزح مثلا ، يستجد أنهم يعتقدون أنه لا يجب فقط التفكير فى تفسير واضح لهذه المظاهرة ومن ثم ظنوا أن محاولات مورليوس Marolyeus ومارك أنطوان دى دومينيس (Marc Antoine de Dominis) ليست سوى محاولات خيالية تشبه محاولات أيكاروس الاسطورى (الذى تخلص من سجنه بصنع جناحين والطيران بهما) ومع ذلك ترتب على ذلك الكشف عن العالم • من الحق أن سوء استخدام الالفاظ قد سبب جزءا كبيرا من الفوضى الموجودة فى معارفنا ليس فقط فى الاخلاق وما بعد الطبيعة أو فيما تسميه العالم الذهنى ، وإنما ايضا فى الطب حيث تزايد سوء استخدام الحدود أكثر • لا تستطيع الاشكال هنا مساعدتنا كما فى المهندسة ولكن الجبر أظهر أن من الممكن تحقيق اكتشافات كبرى دون اللجوء دائما الى افكار الاشياء • بالنسبة للبدعة الخاصة يتعرف الاجزاء الواقعة على الجهة المقابلة من الكرة الارضية ، أقول أن من الحق أن بونيفاس Boniface أرشيدوق ماينس قد اتهم فرجيل دى سالزبورج فى خطاب كتبه للبابا ضده فى هذا الموضوع ، وأجابه البابا بطريقة تظهر أنه يؤيد بونيفاس دون أن يؤثر هذا الاتهام على فرجيل وظل الخصمان قديسين ، واحتفظ بذكراه علماء بافيري Baviere الذين اعتبروا فرجيل مبشرا لكارنيتى Carinthie والبلاد المجاورة لها •

(١) دى ويت (Jean) witt المشهور باعتباره رجل دولة وعالم هندسة ولد بدور درشت Dordrecht سنة ١٦٢٥ وتوفى مع شقيقه كورتى سنة ١٦٧٢ مقتولا فى الثورة التى أوصلت جيلوم دوانج لقبه المقاطعات المتحدة وقد ترك كتابه *Elementa linearum curvarum* فى ليد سنة ١٦٥٠ .

(٢) Puffenaorf أحد مؤسسى القانون الطبيعى ولد Dippoldswald سنة ١٦٣٢ وتوفى ببرلين ١٦٩٤ . أبحاثه اثرئيسية ١٧٤٤ ترجمه للفرنسية Barbeyrac مع ملاحظات فى مجلدين سنة ١٧١٢
1 — de jurenaturae etgentium libro octo
2 — elementa jurisprudentiae de officio hominis libri duo.

الفصل الرابع

فى حقيقة معرفتنا

١ — فيلايت :

يظن أولئك الذين لم يفهموا أهمية الحصول على أفكار جيدة وفهم اتفاقها أو عدم اتفاقها ، أن تفكيرنا فيها بعناية بمثابة بناء قصور فى الهواء • وأن مذهبنا لا يحتوى إلا ما هو مثالى وخيالى • قد يتميز الانسان المشاذ الذى يتمتع بخيال خصب، بأنه يتبع بأفكار أكثر جيوية وأكثر عددا ، ومن ثم سيكون لديه معرفة أكثر ، وكذلك سيكون لدى الشخص المتحمس من اليقين فى رؤياه أكثر مما لدى الرجل ذو الذوق السليم من استدلالات بشرط أن يتحدث هذا المتحمس تبعا لذلك ، وسيكون حقا ايضا قولنا ان « هذه المرأة الشريرة التى ذكرتها الاساطير اليونانية ليست هى ذلك الكائن الخرافى الذى نصفه رجل ونصفه فرس » يشبه تماما قولنا أن المربع ليس بدائرة •

٢ — أجب أن أفكارنا تتفق مع الاشياء •

٣ — ولكننا قد يطالبنا البعض بمحك •

٤ — أجب ايضا أولا أن هذا الاتفاق واضح بالنسبة للأفكار البسيطة لذهننا ولما كان الذهن غير قادر على تشكيلها بنفسه وجب أن تنتجها الاشياء التى تؤثر على الذهن ، وثانيا •

٥ — ولما كانت كل أفكارنا المركبة ، ماعدا أفكارنا عن الجواهر ، نماذج أصلية يشكلها الذهن نفسه دون أن يقصد منها أن تصبح نسخا لى شىء كان ، ولا تستمد أصولها من وجود أى شىء • فلن ينقصها أن تتفق تماما مع الاشياء الضرورية للمعرفة الحقيقية •

توبيخيل :

سيكون يقيننا قليلا وبالأحرى معدوما اذا لم يكن له كأساس
لافكاره البسيطة سوى تلك التى يستمدّها من الحواس . هل نسيت
يا سيدى كيف أظهرت أن الافكار تكون اصلا فى ذهننا وأن أفكارنا
نفسها تأتي من أعماقنا ، دون أن يكون للمخلوقات الاخرى أى أثر
مباشر على الروح . طبعاً أساس يقيننا بالنسبة للحقائق الكلية والخالدة
يكون فى الافكار نفسها مستقلة عن الحواس ، كذلك لا تستقل الافكار
الخالصة والذهنية عن الحواس ، مثلاً أفكارنا عن الكائن ، الواحد ،
نفس الشيء ... الخ فى حين تصدر أفكارنا عن الصفات الحسية كاللون
والطعم ... الخ (والتي لا تكون فى الواقع سوى اوهام) عن الحواس ،
أى عن أفكارنا المختلطة . وأساس حقيقة الاشياء العرضية والمفردة
يكون فى النجاح الذى يجعل ظواهر الحواس مرتبطة بالصورة التى
تتطلبها الحقائق الذهنية بالضبط . هذا هو الفرق الذى يجب أن نقرر ،
بدلاً من ذلك الذى نقرره أنت بين الافكار البسيطة والمركبة ، وبين الافكار
المركبة المتصلة بالجواهر وتلك المرتبطة بالاعراض ، وهو فرق لا يبدو لى
مؤسساً ما دامت كل الافكار الذهنية لديها نماذجها الاصلية فى الامكانية
الخالدة للاشياء .

٦ - فيلايت :

حقاً أن أفكارنا المركبة لا تحتاج لنماذج أصلية خارج الذهن الا
عندما يخص جوهرها موجوداً يجب عليه أن يوجد بصورة فعالة ، خارج
أنفسنا ، الافكار البسيطة التى تتركب فيها . معرفة الحقائق انرياضية
صادقة ، مع أنها لا تدور الا حول أفكارنا ولا نجد فى أى جزء منها
دوائر دقيقة . ومع ذلك نحن واثقون من أن الاشياء الموجودة ستلتق
مع نماذجنا الاصلية بشرط أن يوجد ما نفترضه .

٧ — هذا ما يستخدم أيضا فى تبرير حقيقة الاشياء الاخلاقية •

٨ — قوانين ششرون لا يقلل من اتفاقها مع الحقيقة أنه لا يوجد شخص فى العالم ينظم حياته بالضبط وفق نموذج الانسان الخير الذى صورته لنا ششرون •

٩ — ولكن يمكن القول أنه اذا كانت الافكار الاخلاقية من اختراعنا فأى فكرة غريبة ستحصل عليها عن العدالة والاعتدال ؟

١٠ — اجيب أن عدم اليقين لن يكون الا فى اللغة ، لاننا لا نفهم دائما ما يقال وقد لا نفهمه دائما بنفس الصورة •

تيوفيل :

يمكن أن تجيب أيضا يا سيدى ، بل والافضل فى نظرى ، ان افكار العدالة والاعتدال ليست من اختراعنا ولا حتى افكارنا عن الدائرة والمربع ، واعتقد أنى أظهرت ذلك •

١١ — فيلاليت :

بالنسبة لافكار الجواهر التى توجد خارج أنفسنا ، معرفتنا تكون حقيقية بقدر اتفاقها مع هذه النماذج الاصيلية وبهذا الصدد لا يجب على المذهن أن يربط الافكار تعسفيا طالما هناك القليل من الافكار البسيطة التى يمكن أن تؤكد انها تستطيع أولا تستطيع أن توجد معا فى الطبيعة وراء ما يبدو لنا من خلال الملاحظات الحسية •

تيوفيل :

ذلك حق كما سبق ان قلت أكثر من مرة ، لان هذه الافكار ، عندما لا يستطيع العقل الحكم باتفاقها أو ارتباطها ، تكون غامضة مثل تلك الخاصة بالصفات الخاصة بالحواس •

١٣ - فيلالييت :

من الاحسن ايضا بالنسبة للجواهر الموجودة ، الا تنحصر فى الاسماء أو الاجناس التى نفترض تقريرها بالاسماء • هذا يجعلنا نعود الى ما ناقشناه احيانا بالنسبة لتعريف الانسان • فهل حديثنا عن الابله الذى عاش أربعين عاما دون أن يبدو أنه يستخدم ذهنه ، يجعلنا نقول أنه يشغل مكانا وسطا بين الانسان والحيوان ؟ قد يكون هذا تناقضا حادا أو خطأ ذا نتائج خطيرة جدا ومع ذلك بدا لى ، قبل ذلك ، ومازال يبدو للبعض من أصدقائى ، أنى لن أستطيع كشفه ، وانه بفضل حاكم سابق يقوم على هذا الافتراض الخاطيء أن هذين الاسمين « الانسان والحيوان » يعينان جنسين متميزين مختلفين تماما لهما ماهيات حقيقية فى الطبيعة بحيث لا يستطيع أى جنس آخر تدخل فيما بينهما ، كما لو أن كل الاشياء قد صبت فى قوالب حسب العدد الدقيق لهذه الماهيات •

١٤ - عندما نسأل هؤلاء الاصدقاء تحت أى جنس من الحيوانات يمكن أن ندخل هؤلاء البلهاء اذا لم يكونو بشرا ولا حيوانات ، أجابوا أنهم بلهاء وهذا يكفى •

وعندما نسألهم ما مصيرهم فى العالم الآخر ؟ أجاب أصدقائنا أنه لا يهمهم أن يعرفوا ذلك ولا ان يبحثوا فيه • فليسقطوا أو فليقفوا ، أن هذا من شأن ربهم Rom, xiv,4 وهو طبيب ومخلص ولا يتصرف مع مخلوقاته وفق الحدود الضيقة لأفكارنا أو آرائنا الخاصة ، ولا يميزهم وفق الاسماء والاجناس التى يسرنا أن نتخيلها ، ويكفينا أن أولئك القادرين على التعلم سيحاسبون عن سلوكهم وسينالوا أجرهم وفق ما عملوه فى جسدهم ii, Corinth . v. 110

١٥ - سأقدم لك باقى استدلالاتهم • يقولون أن المسألة هى ،

إذا وجب حرمان السفهاء من حالة ستحدث فإن الامر لا يعد واحد
افتراضين خاطئين ، الاول أن كل كائن لديه القوة والمظهر الخارجى
للانسان مقدور عليه حالة من الخلود بعد هذه الحياة ، والثانى أن كل من
ولد بشرا يجب أن يتمتع بهذه الميزة • استبعد هذه التخيلات وسترى
ان هذه الانواع من الاسئلة تافهة ولا أساس لها • واعتقد اننا ننكر
الافتراض الاول وأننا لا نملك الذهن المتعمق الذى يعتقد أن الحياة
الخالدة واجبة لاي شكل ذا كتلة مادية ، بحيث يجب أن تحصل الكتلة
على الاحساس بصورة ابدية لجرد انه قد وضع بهذا القلب •

١٦ — ولكن الافتراض الثانى يدعمه ، قد يقال أن هذا الابله
جاء من أبوين عاقلين وبالتالي يجب ان يحصل على روح عاقلة • لا أعرف
بأى قاعدة منطقية يمكن أن نقرر مثل هذه النتيجة وكيف بعد ذلك نجرؤ
على تحطيم الانتاجات المشوهة والمزيفة • آه ! قد يقال انها مسوخ !
حسنًا ! فليكن • ولكن هل سيظل هذا الابله دائما شرسا ؟ هل عيب الجسد
هو الذى يجعلنا منه مسخا وليس العيب الذهنى ؟ اننا نعود الى
الافتراض الاول والسابق رفضه وهو أن الخارج يكفى • الابله سليم
التكوين انسانا ، فيما نعتقد • لديه روح عاقلة ، رغم أنه لا يبدو هكذا •
ولكن اذا ما أصبحت أذنيه أطول قليلا ، ومديه أكثر ، أصبح الانف
أكثر انبساطا عن العادة فأننا قد نتردد فى الحكم عليه • أما اذا أصبح
الوجه أضيق ، وأطول ومسطح أكثر ، فأننا عندئذ سنحدد موقفنا • وأما
اذا ما كانت الرأس رأس حيوان ما فلا شك أنه سيكون مسخا ويصبح
هذا فى نظرك استدلالا على أنه لا يملك روحا عاقلة ويجب أن يتحطم •
أنى أسألك الآن أين تجد المقياس المضبوط ، والحدود الاخيرة التى تجعل
منها روحا عاقلة هناك أجنة بشرية ، نصف حيوان ، ونصف انسان ،
وأجنة أخرى ثلاثة أجزاء منها تشارك فى احدهما والجزء الاخير يشارك
فى الآخر كيف نحدد بالضبط الملامح التى تدل على العقل ؟ أكثر من

هذا ، هل يكون هذا المسخ جنسا وسطا بين الانسان والحيوان ؟ هاهو
الابله الذى نحن بصدده •

تيوفيل :

أنى مندهش لعودتك الى هذا السؤال الذى فحصناه بما فيه الكفاية
وأكثر من مرة وانك لم تعلمه لأصدقائك • اذا ميزنا الانسان عن الحيوان
بملكة التفكير ، فلن يوجد وسطا : يجب أن يحصل عليه الحيوان الذى
نحن بصدده أو لا يحصل عليه • ونظرا لان هذه الملكة لا تظهر احيانا ،
فأننا نحكم عليها من خلال الدلائل التى لا تكون استدلالية فى الحقيقة ،
الى أن يظهر هذا العقل ؟ لاننا نعرف بالتجربة ان أولئك الذين فقدوه
أو أولئك الذين لديهم قدرة الممارسة ، قد نتوقف وظيفته • الولادة
والشكل يعطيان دلالات عاى ما هو مستقر • ولكن علاقة الولادة قد يمحوها
الشكل المختلف تماما عن البشرية كما فى حالة الحيوان الذى ولدته
أمرأة فى زيلاند عند ليفبنوس Levinus Lemnius (الكتاب ١
فصل ٨) وله منقار مدبب وعنق طويلة مستديرة وعينان لامعتان ، وذيل
مدبب ، خفة كبيرة فى الجرى • وقد قيل أن هناك مسوخا أو (أخوة
لومبارد Lombards كما يسمونهم الاطباء قديما ، بسبب ما قيل من أن
نساء لومبارد كن عرضة لهذه الانواع من الولادة التى تقترب كثيرا من
الشكل البشرى • حسنا • ليكن هذا • كيف اذن يمكن تحديد الحدود
المضبوطة لاشكل الذى يجب اعتباره بشريا ؟ وأجيب بطريقة تخمينية ليس
لدينا شيئا دقيقا • وبهذا تنتهى المشكلة • قد يعترض البعض بأن الابله
لا يبدى تعقلا ومع ذلك نعتبره انسانا ولكن اذا كان لديه شكلا ممسوخا
فلن يكون انسانا • هل هكذا نهتم بالشكل أكثر من العقل ؟ لا بدون شك •
نرى اذن انه ينقصه أكثر مما ينقص الابله ؟ عيب عدم ممارسة العقل
قد يكون مؤقتا ولكنه لن يزول لدى أولئك الذين لهم رأس كلب • وعلاوة
على ذلك اذا لم يكن هذا الحيوان الذى له شكل انسان انسانا فليس

هناك ضرر كبير فى اعتباره اثناء شكننا فى مصيره • وسواء أكان لديه
روحا عاقلة أو لديه روح غير عاقلة ، فلم يخلقه الله عبثا ، وهذا ما سنقوله
كذلك بالنسبة للرجال الذين يظلون فى حالة مشابهة دائما لحالة الطفولة
الاولى أن مصيرهم سيكون نفس مصير أرواح هؤلاء الاطفال الذين
يموتون فى مهدهم •

الفصل الخامس

فى الحقيقة بوجه عام

فيلايت :

١ — لقد تساءل البعض منذ عدة قرون ما هى الحقيقة ؟

٢ — يعتقد أصدقاؤنا أنها ارتباط أو انفصال العلامات حسب اتفاق الاشياء فيما بينها أو عدم اتفاقها • ويتصد بارتباط أو انفصال العلامات ما يسمى بالقضية •

تيوفيل :

لكن المصفة لا تكون قضية : مثلا : الانسان عاقل • ومع ذلك هناك ارتباط بين حدين • وكذلك النفى فهو شئ آخر خلاف الانفصال ، لان نطقنا كلمة انسان وبعد فترة ننطق كلمة عاقل لا يعنى نفيا كذلك الاتفاق أو عدم الاتفاق ليس هو ما نقصده تماما بالقضية ، هناك اتفاق بين المبيضتين بينهما هناك عدم اتفاق بين الخصمين • نلزمنا هنا طريقة من الاتفاق أو عدم الاتفاق خاصة تماما • وهكذا اعتقد أن هذا التعريف لا يفسر مطلقا النقطة التى نحن بصددھا أما الذى لا أقره كثيرا فى تعريفك للحقيقة ، هو القول بأننا نبحث عن الحقيقة فى الكلمات • ومن ثم فلن تكون الحقيقة هى نفسها اذا تحدثنا عنها بالفرنسية أو اللاتينية أو الالمانية أو الانجليزية ، ويلزمنا أن نقول مع هوبز أن الحقيقة تعتمد على رغبات البشر وبهذا يصبح حديثنا غريبا • أننا ننسب الحقيقة لله أيضا وقد اعترفت لى ، على ما اعتقد انها ليست فى حاجة الى علامات • واخيرا انى مندهش أكثر من مزاج أصدقاؤك الذين يرضون بجعل الماهيات حقائق أسمية •

فيلاليت :

لا نذهب بعيدا بسرعة • انهم يفهمون الافكار من خلال العلاقات •
هكذا ستكون الحقائق أما ذهنية أو اسمية حسب انواع العلامات •

نيوفيل :

سيكون لدينا اذن حقائق لفظية يمكن أن نميزها عن الحقائق المكتوبة
التي حررت بالحبر المعادي أو بحبر المطبعة ما دمنا سنميز بينها بالعلامات •
يجب اذن أن نضع الحقائق في ضوء علاقة موضوعات الافكار والتي
تجعل احداها متضمنة أو غير متضمنة في الاخرى • هذا لا يعتمد مطلقا
على اللغات • ويجعلنا نشترك مع الله والملائكة : وعندما يعلن الله حقيقة
فأننا نكتسب تلك التي لديه في فهمه لانه مهما كان الاختلاف لامتناهيا
بين أفكاره وافكارنا سواء في الكمال أو الامتداد ، فمن الحق دائما اننا
نتفق في نفس الارتباط ومن الواجب اذن ان نضع الحقيقة في هذا
الارتباط ويمكننا ان نميز بين الحقائق المستقلة عن لغتنا وبين التعبيرات
التي نكتشف انها تناسبا •

فيلاليت :

٣ — ليس حقا تماما أن البشر يصنعون الكلمات مكان الاشياء ،
ولو في ذهنهم ، خصوصا عندما تكون الافكار مركبة وغير محددة •
ولكن من الحق ايضا ، كما لاحظت انت ان الذهن يكتفى فقط بملاحظة
الحقيقة دون فهمها في الوقت الحاضر ، مقتنعا بانه يستطيع فهمها عندما
يريد • علاوة على ان من السهل ان ندرك الفعل الذي نمارسه في الاثبات
أو النفي عندما نفكر فيما يحدث فينا وانه ليس بين الاشياء (٨) نتفق
ايضا انه على الاقل يمكن ان نسمى القضايا لفظية وانها عندما تكون
صادقة تكون قد جمعت بين كونها لفظية وصادقة في نفس الوقت •

٩ — لان الخطأ يكمن فى ربط الاسماء بطريقة غير تلك التى تجعل افكارها تتفق أو تختلف •

١٠ — وعلى الاقل الكلمات ستكون ادوات للحقيقة •

١ — هناك ايضا حقيقة اخلاقية تتكون من الحديث عن الاشياء حسب اقتناع ذهننا وهناك أخيرا الحقيقة الميتافيزيقية وهى الوجود الحقيقى للاشياء وفق الافكار التى لدينا عنها •

تبروفيل :

يسمى البعض الحقيقة الاخلاقية صدقا ، ونعتبر الحقيقة الميتافيزيقية لدى عامة الميتافيزيقيين على أنها صفة للوجود ولكنها صفة غير مفيدة وتكاد تكون خالية من المعنى ولنكتفى اذن بالبحث عن الحقيقة فى تراسل القضايا التى فى الذهن مع الاشياء التى تخصها • حقا انى نسبت ايضا الحقيقة الى الافكار بقولى ان الافكار تكون صادقة أو كاذبة ، ولكن أقصد بها فى الواقع حقيقة القضايا التى تثبت امكانية موضوع الفكرة • وبهذا المعنى يمكن القول ايضا ان الكائن يكون حقا أى القضية التى تثبت وجوده الفعلى أو على الاقل الممكن •

الفصل السادس

القضايا الكلية ، حقيقتها وقيمتها

٢ - فيلاديت :

كل معرفتنا تكون عن الحقائق عامة أو جزئية • فنحن لا نستطيع ابدا أن نجل الاوى وهى الاكثر اعتبارا مفهومة ولا أن نفهمها نحن انفسنا الا فى النادر ، وبقدر ما هى مدركه ومعبر عنها بالكلمات •

نيوفيل :

اعتقد أن هناك ملاحظات أخرى يمكن أن نذكرها ، نراها من خلال خصائص اللغة ويمكن أن نقدم خاصية كلية أكثر شعبية وتفرق خصائصهم ، اذا استخدمنا اسكالا صغيرة بدلا من الكلمات والتي ستمثل الاشياء المرئية بملامحها ، والاشياء الغير مرئية بواسطة تلك المرئية التى تصاحبها وتضيف اليها ملاحظات معينة اضافية ، ملائمة لتجعلنا نفهم اعرابها وجزئياتها • هذا يساعدنا أولا فى الاتصال بسهولة بالانم البعيدة ، ولكن اذا ادخلناها ايضا بيننا دون ان نتخطى طبعا عن الكتابة العادية فان استخدام هذه الطريقة فى الكتابة ستكون مفيدة جدا فسترى الخيال وتمدنا بأفكار أقل خفاء وأقل حرفية مما لدينا الآن • حقا أن فن الرسم لم يكن معروفا تماما ، وترتب على ذلك انه باستثناء الكتب المطبوعة بهذه الطريقة ، لم يستطع احد استخدام طريقة أخرى سوى طريقة الطباعة ، اى وجود اشكال محفورة جاهزة للطباعة على الورق وأن يضاف اليها بعد ذلك بالريشة الاعراب والأدوات النحوية ، ولكن بمرور الزمان تعلم الناس الرسم منذ الشباب حتى لا يحرموا من سهولة هذا الشكل المرسوم الذى ينطق امام اعينهم ويرضى الناس تماما • كما أن للفلاحين تقاويم معينة نقول لهم دون كلام جزءا كبيرا مما يطلبون :

واتذكر أنى رأيت مطبوعات هجائية فى حجم خفيف يشوبها قليل من الالغاز وبها اشكال ذات دلالة بنفسها ممزوجة بالكلمات ، فى حين أن حروفنا والاشكال الصينية ان يكون لها اى دلالة الا بارادة البشر •

٣ — فيلاليت :

اعتقد أن فكرتك ستحقق المطلوب طالما ستزيد من كمال ذهننا وتجعل تصوراتنا أكثر حقيقة • ولكن نعود الى المعارف العامة وبقينها ، سيكون من المناسب ملاحظة أن هناك يقين الحقيقة وأنه هناك أيضا يقين المعرفة • عندما ترتبط الكلمات بطريقة معينة فى القضايا التى تعبر عن الاتفاق أو الاختلاف كما هو من حقنا فإنه يكون يقين الحقيقة • ويتكون يقين المعرفة من ادراك الاتفاق أو الاختلاف فى الافكار بقدر ما نعبر عنها فى القضايا • وهذا ما نقصد به عادة من كوننا متأكدين من القضية •

تبوغيل :

المواقع أن هذا النوع الاخير من اليقين يكفى دون استخدام الكلمات وليس سوى المعرفة التامة للحقيقة ، بينما لن يكون النوع الاول من اليقين سوى الحقيقة نفسها •

٤ — فيلاليت :

ولكن نظرا لاننا لن نكون متأكدين من حقيقة أى قضية عامة الا اذا عرفنا الحدود الدقيقة لدلالة الالفاظ المركبة منها فمن الضروري أن نعرف ماهية كل جنس وهو ليس بالصعب بالنسبة للافكار البسيطة والانماط • ولكن فى الجواهر حيث من المفروض أن نحدد الاجناس بماهية حقيقية متميزة عن الاسمية ، فان امتداد ، اللفظ العام يصبح غير اكيد تماما ، لاننا لا نعرف هذه الماهية الحقيقية وبالتالي فى هذا المعنى لن نكون متأكدين من أى قضية عامة نصدرها على موضوع الجواهر

ولكن عندما نفترض أن اجناس الجواهر ليست سوى اختصار للأفراد الجوهرية (*individus substantiels*) • فى انواع معينة مرتبة تحت اسماء عامة تتفق مع الافكار المجردة المختلفة التى نقصدها بهذه الاسماء ، فلن نشك فى كون القضية المعروفة جيدا كما يجب حقيقة أم لا •

تيوفيل :

لا أعرف يا سيدى لماذا تعود مرة أخرى لنقطة هى موضوع خلاف بيننا والتى اعتقد أننا قد فرغنا منها • ولكن أخيرا أنى راض لذلك لانك تتيح لى الفرصة لأوضح لك الحقيقة مرة أخرى • أقول لك اذن اننا نستطيع التأكد مثلا من الف حقيقة نتصل بالذهب أو هذا الجسم الذى نعرف ماهيته الداخلية بواسطة الثقل النوعى من المعروف هنا ، أو بواسطة قابليته للسحب أو غيرها من العلامات الأخرى • لاننا نستطيع القول أن من المعروف أن الجسم ذا القابلية الكبرى للسحب يكون أيضا أكثر الاجسام المعروفة ثقلا نوعيا • من الحق أنه لن يستحيل أن نجد ذات يوم ما لا حظناه حتى الآن على الذهب فى جسمين يميز بينهما صفات أخرى جديدة وهكذا لن يكون أخس الانواع كما نعتبره حتى الان مؤقتا • يمكن أيضا لاي نوع ظل نادرا ، آخر ظل منتشرا ، قد نحكم بصددهما محتفظين باسم الذهب الحقيقى للنوع النادر وحده لنستخدمه فى العملة اعتمادا على الأبحاث الجديدة التى تخصه • وبالتالى لن نشك مطلقا أيضا فى ان الماهية الداخلية لهذين النوعين لن تختلف وأنه عندما يتحدد تعريف الجوهر الموجود حاليا فى كل الاعتبارات • (كما بالنسبة للإنسان لن يكون بناء على الشكل الخارجى) فلن نكف عن الحصول على عدد لا حصر له من القضايا العامة تخص موضوعه يصدرها العقل ، وصفات أخرى سنعرّفها فيه • كل ما يمكن قوله عن هذه القضايا العامة هو أنه فى حالة اعتبار الإنسان الجنس الأدنى^(١) ونحصره فى سلالة

(١) الجنس الأدنى *Species infime* هو الجنس الذى لا يمكن أن يليه جنس آخر ولا يمكن اعتباره نوعا •

آدم فلن نحصل ابدا على خصائص للانسان تتصل بذلك الذى نسميه (in quarto moao) • أو ما يمكن أن نعبر عنه بالقضية المعكوسة (reciproque) أو القابلة للتحويل ببساطة ، أن لم يكن ذلك بصفة مؤقتة كما فى قولنا أن الانسان هو الحيوان العاقل الوحيد • اذا اخذنا الانسان على انه المعبر عن جنسنا فان الامر يظل مؤقتا باعتباره الحيوان العاقل الوحيد من بين الحيوانات المعروفة لنا ، لان من الممكن أن يوجد ذات يوم حيوانات اخرى تشارك البشر الحاليين فى كل ما يميزهم حتى الآن ، لكنها ستكون من أصل آخر • تماما كما كان من الممكن تصور ان الاستراليين الوهميين قد ملأوا اقطارنا ، فان من المحتمل ايضا أن نجد الوسيلة التى تميزهم عنا ولكن فى حالة عدم تمييزهم ، ولنفرض أن الله قد منع امتزاج هذه الاجناس وأن المسيح لم يكفر عن احد سوانا ، فانه يلزمنا الحصول على علامات صناعية تميزهم •

سيوجد بالطبع اختلاف داخلى ولكن نظرا لانه ان يمكن التعرف عليه فاننا سنخضع للمفاهيم الخارجية للخلق والتى سنحاول أن نرفقها بعلامة صناعية ثابتة نعطيها مفهوما داخليا ووسيلة ثابتة تميز جنسنا عن غيره من الاجناس • ان هذا مجرد تحايل لاننا لا نحتاج الى اللجوء الى هذه التمييزات ما دمنا الحيوانات العاقلة الوحيدة على هذه الارض • ومع ذلك تساعدنا هذه التحايلات فى التعرف على طبيعة افكار الجواهر والحقائق العامة الخاصة بها • ولكن اذا لم نعتبر الانسان الجنس الادنى والجنس الدال على سلالة آدم وانما اعتبرناه بدلا من ذلك النوع العام الذى يشترك فيه عدة اجناس تخص الآن سلالة وحيدة معروفة ، وانما يمكن أن تخص سلالات اخرى يمكن تمييزها أما بالخلق أو بعلامات أخرى طبيعية كما فى حالة هؤلاء الاستراليين المزعومين فاننى اقول حينئذ أن هذا النوع سيكون لديه قضايا معكوسة ولن يكون التعريف الحالى للانسان مؤقتا • نفس الامر بالنسبة للذهب ، لانه على فرض اننا حصلنا ذات يوم على نوعين متميزين أحدهما نادر حتى الآن والاخر منتشر وربما صناعيا ، ولنفرض أن اسم ذهب يجب أن يطلق على هذا

النوع الحاضر أو الذهب الطبيعي والنادر ، لنحفظ بواسطته سيولة العملة الذهبية ، القائمة على ندرة هذه المادة فان التعريف المعروف حتى الآن ، بناء على المفاهيم الداخلية ، لن تكون سوى مؤقتة ويجب أن نضيف اليها العلامات الجديدة التي سنكتشفها لنميز الذهب النادر أو المصنف القديم عن الذهب الجديد الصناعي . ولكن اذا لزم أن يظل اسم الذهب شائعا للجنسين ، أى ، اذا قصدنا الذهب نوعا لا نعرف حتى الآن الفروع المندرجة تحته والتي نعتبرها الآن اجناسا أدنى (ولكن مؤقتا لحين معرفة التفريع) واذا وجدنا ذات يوم جنسا جديدا أى ذهبا صناعيا يسهل صنعه ويمكن أن يصبح منتشرًا ، اقول انه بهذا المعنى لا يجب أن نحكم على هذا النوع بأنه مؤقت ، وانما على أنه دائم . وكذلك دون أن أجهد نفسى فى اطلاق اسماء للانسان أو الذهب فأيا كان الاسم الذى للنوع أو الجنس الأدنى المعروف ، وحتى عندما لا نعطيه أى اسم فان ما سنقوله سيصدق دائما على افكار الانواع والاجناس ولن نعرف الاجناس الا بصورة مؤقتة احيانا بتعريفات الانواع . ومع ذلك سيكون مسموحا دائما ومن المعقول أن نفهم ان هناك ماهية حقيقة داخلية نحصل عليها بقضية عكسية ، سواء للنوع أو الاجناس التى تجعلنا نعرفها عادة بالعلامات الخارجية . لقد اقترحت حتى الآن أن السلالة (race) تتحول ولا تتغير اطلاقا ولكن اذا انتقلت السلالة الى جنس آخر فاننا بالاحرى سنضطر الى الالتجاء الى علامات أخرى ومفاهيم داخلية أو خارجية دون أن نرتبط بالسلالة .

٧ - فيلايت :

... الافكار المعقدة ، والتي تبررها الاسماء التى نطلقها على اجناس الجواهر ، تكون مجموعات من افكار عن صفات معينة لاحظنا تواجدها معا فى سند غير معروف نسميه جوهرًا ولكننا لا نعرف بيقين أن الصفات الاخرى تتواجد معا ضرورة مع مثل هذه الارتباطات وعلى الاقل بالنسبة لصفاتها الاولى لا نستطيع اكتشاف اعتمادها .

تبويبيل :

سبق ان لاحظت أن نفس الامر يوجد فى افكار الاعراض التى طبيعتها أصعب الى حد ما كما فى أشكال الهندسة مثلا ، لانه عندما يخصص الامر مثلا شكل مرآة تجمع كل الاشعة المتوازية فى نقطة باعتبارها بؤرة ، فمن الممكن أن نجد العديد من الصفات لهذه المرآة ، قبل أن نعرف تركيبها ، ولكننا سنظل غير متأكدين بالنسبة لكثير من الارتباطات التى يمكن أن نحصل عليها ، الى أن نجد فيها ما يدل على التكوين الداخلى للجواهر ، أى تركيب هذا الشكل من المرآة • الذى سيكون مفتاحا للمعرفة التالية • •

فيلايت

لكن عندما نعرف التكوين الداخلى لهذا الجسم ، لن نجد منه سوى الاعتماد الذى يمكن أن تحصل عليه الصفات الاولى أو ما نسميها الواضحة ، أى نعرف ما يعتمد عليه حجمه ، أو شكله أو قواه المحركة ولكن لا نعرف ابدا الارتباط الذى يمكن أن يكون بينها وبين الصفات الثانوية أو الغامضة ، أى الصفات الحسية مثل الالوان الاذواق • • المخ •

تبويبيل :

انك مازلت تفترض ان هذه الصفات الحسية أو بالاحرى الافكار التى نحصل عليها لاتعتمد مطلقا على الاشكال والحركات الطبيعية وانما فقط على رغبة الله وحده الذى يمنحنا هذه الافكار • يبدو اذن انك نسيت يا سيدى ما أوضحته لك أكثر من مرة ضد هذا الرأى مادمت تحكم أن هذه الافكار الحسية تعتمد على بيان الاشكال والحركات وتعتبر عنها بدقة مع اننا لا نستطيع أن نوضح هذا البيان فى خليط من سريرة كبيرة جدا وصفائر من الافعال الآلية التى تؤثر على حواسنا • ومع ذلك اذا وصلنا الى التكوين الداخلى لبعض الاجسام سنرى ايضا متى يجب

أن تحصل على هذه الصفات التى ستخضع هى نفسها لاسبابها المعقولة ، حتى عندما لا يكون فى مقدرونا معرفتها حسيًا فى هذه الافكار الحسية التى تكون نتيجة غامضة لافعال الاجسام علينا ، كما هو الامر الآن بالنسبة للتحليل الحاصل للاخضر الى أزرق وأصفر • وليس لدينا ما نطلبه تقريبا بالنسبة اليه الا ما يخص العناصر الداخلة فى تركيبه ، نحن طبعا غير قادرين على توضيح فكرتى الازرق والاصفر بناء على فكرتنا الحسية من الاخضر ولهذا بالذات تكون فكرة غامضة • ان هذا يشبه تقريبا عدم قدرتنا على توضيح فكرة أسنان العجلة ، أى السبب من خلال ادراك الشفافية الصناعية التى نلاحظها لدى الساعاتى ، والنتيجة عن سرعة دوران العجلة ذات الاسنان بحيث تختفى الاسنان ويبدو مكانها شيئا شفافا مستمرا وهميا يتكون من مظاهر متتابعة للاسنان والحلقات التى تتوسطها والتى تتابع بسرعة بحيث لا يستطيع خيالنا تمييزها • نجد اذن هذه الاسنان فى الفكرة الواضحة لهذه الشفافية وليس فى هذا الادراك الحسى الغامض الذى من طبيعته أن يكون وأن يظل غامضا ، وبصورة اخرى اذا كف الغموض (كما عندما تكون الحركة بطيئة بحيث يمكن ملاحظة الاجزاء وتتبعها) فان تكون هى نفسها ، أى لن يكون هذا القوهم للشفافية • ونظرا لاننا لا نحتاج لتخيل أن الله هو الذى رغب فى أن يعطينا هذا الوهم وأنه مستقل عن حركة الاسنان والحلقات المتوسطة ، حيث اننا على العكس ندرك أنه ليس سوى تعبير غامض عما يحدث فى الاشياء المتتابة الحركة التى تختلط فى تشابه ظاهرى : وعلى هذا من السهل أن نحكم بنفس الشيء كذلك بالنسبة لالوهام الحسية الاخرى التى مازلنا لا نمك تحليليا كاملا لها كالألوان والاذواق ... الخ والحقيقة أنها تستحق اسم ألوهام أكثر من لفظة صفات أو حتى افكار • ويكفيها فى كل الاحوال أن نفهمها كما نفهم هذه الاشفافية الصناعية دون أن تكون معقولة ، ولا يمكن الادعاء اننا نعرف عنها أكثر من ذلك ، لان من المتناقض أن نريد أن نظل هذه الالوهام الغامضة وأن نحاول مع ذلك توضيح العناصر المكونة لتركيباتها عن طريق

المتخيل : انك بذلك تريد أن تجد لذة فى أن يخدعك منظور مريح وأن ترى العين هذه الخديعة فى نفس الوقت ، وفى هذا افساد لها . انها اخيرا حالة يكون فيها

*Nihil plus agas
quam si des operam, ut cum ratione insanias.*

ولكن احيانا يحدث للبشر أن يبحثوا عن nodum in scripo. وأن يخلقوا صعوبات حيث لا توجد صعوبات بأن يطلبوا مالا استطاع وأن يشتكو بعد ذلك بعدم قدرتهم وبمعرفة المحدودة .

٨ - فيلاليت :

« كل ذهب ثابت » أنها قضية لا نستطيع معرفة صدقها بيقين .
لانه اذا كان الذهب يعنى جنسا من الاشياء متميزا بماهية حقيقية اعطته له الطبيعة فأننا نجعل أى الجواهر الجزئية تكون من هذا الجنس ، وبهذا لا نستطيع اثبات بيقين أن كان من الذهب أم لا واذا اعتبرنا الذهب يتمتع بلون اصفر معين ، قابل للطرق ، قابل للانصهار : اثقل من أى جسم آخر معروف ، فلن يصعب علينا أن نعرف ما يكون ذهبا وما لا يكون ، ولكن مع ذلك لن يمكن أن نثبت أو ننكر أى صفة أخرى بيقين سوى ماله بهذه الفكرة ارتباط وعدم اتفاق يمكن اكتشافه ولكن الثبات ليس له أى ارتباط معروف باللون : الوزن ، والافكار البسيطة الاخرى التى افترضت انها تكون الفكرة المركبة التى لدينا عن الذهب ، من المستحيل أن نستطيع معرفة ، بيقين ، صدق هذه القضية « كل ذهب يكون ثابتا » .

تيوفيل :

اننا نعرف بيقين أن الاثقل من الاجسام المعروفة هنا يكون ثابتا تماما كما نعرف بيقين أن النهار سيطلم غدا . وذلك لاننا اختبرنا ذلك آلاف المرات : أنه يقين تجربى يتصل بالواقع ، حتى عندما لا نعرف صلة الثبات بالصفات الاخرى لهذا الجسم . كما أنه لا يجب ، أن نقابل بين شيئين متفقين وينسبان الى نفس الشيء . عندما أفكر فى جسم

يكون أصفر ، قابل للانصهار ومقاوم في البوتقة في نفس الوقت ، فأنى افكر في جسم ماهيته النوعية ، حتى وأن كانت غير معروفة في داخلها ، تظهر هذه الصفات من أعماقنا وتجعلنا نعرفه بواسطتهما ولو بصورة غامضة على الأقل لا أرى أى سوء في ذلك ولا يستحق أن نعود من وقت لآخر لنهاجمه •

١٠ — فيلاليت :

يكفينى الآن معرفة أن ثبات ائقل الاجسام لا تكون معروفة أبدا عن طريق اتفاق أو عدم اتفاق الافكار • واعتقد بالنسبة لى أن من بين الصفات الثابتة للاجسام وما يتصل بها من قدرات لن تستطيع ذكر صفتين يمكن معرفة بيقين ضرورة تواجدهما معا أو عدم قابلية الاتفاق بينهما ، ماعدا الصفات التى تخص نفس الحاسة الواحدة وتستبعد احدهما الاخرى بصورة ضرورية مثل عندما نقول أن ما هو ابيض ليس بأسود •

تيوفيل :

اعتقد اننا قد نجد أمثلة منها قولنا أن كل جسم له مرئى • كل جسم صلب يحدث صوتا عندما نطرقه في الهواء • نعمات الاحبال والخيوط تتضاعف بتضاعف الاوزان التى تسبب توترها حقا أن ما نساءل عنه يصدق فقط عندما تدرك اتصاد الافكار المتميزة مع الافكار الحسية الغامضة •

١١ — فيلاليت :

ليس من الضروري دائما أن نعتقد أن الاجسام تحصل على صفاتها بنفسها مستقلة عن أى شىء آخر ، قطعة الذهب ، اذا ما انفصلت عن ضغط وتأثير أى جسم آخر ، ستفقد في الحال لونها الاصفر ووزنها ، وربما تصير أيضا سهلة التفتيت وتفقد قابليتها للطرق • انك تعرف كيف تعتمد النباتات والحيوانات على الارض والهواء والشمس ، ولكن هل تعرف أن كان للكواكب المثبتة بعيدا عنها تأثيرا عليها •

تيوفيل :

هذه ملاحظة ممتازة جدا ، وإذا كانت بعض القرائن الخاصة
باجسام معينة معروفة لنا فأنتنا لا نستطيع الحكم علي أثرها بدون معرفة
داخل تلك الاجسام التي تلمس أو تنفذ خلالها .

١٣ - فيلاليت :

على أى حال ، حكمنا قد يذهب ابعد من معرفتنا . لان الاشخاص
المواظبين على عمل الملاحظات تمكنهم التعمق أكثر ويستطيعوا احيانا ،
بواسطة احتمالات معينة تفرضها الملاحظة الدقيقة والتلميحات المعينة
التي توضع معا ، افتراض تخمينات دقيقة تتصل بذلك الذى لم تكتشفه
التجربة بعد ، ولكن الامر سيظل دائما مجرد تخمين .

تيوفيل :

لكن اذا كانت التجربة تدعم هذه النتائج بطريقة ثابتة ، لا تجد
أن فى قدرتك اكتساب قضايا معينة بهذه الوسائل ؟ أقول من المؤكد
ذلك ، على الاقل تلك التى تقرر مثلا أن الاجسام ثابتة وأن ذلك الذى
يليهما سيكون سريع الزوال ، لانه يبدو لى أن يقين^(١) (بمعناه الاخلاقى
أو الطبيعى) وليس ضرورة (أو يقين ما بعد طبيعى) هذه القضايا التى
نتعلمها بالتجربة وحدها وليس بالتحليل والربط بين الافكار تقرر بيننا
وبحق .

(١) اليقين ما بعد الطبيعى يختلف عن الاخلاقى أو الطبيعى اختلاف
يقين حقائق الفعل عن حقائق الواقع . حقائق الفعل تعتمد على ضروريات
الفكر ومن ثم يقينها مطلق . أما حقائق الواقع ، فى نظر ليبنتز ، فتعتمد على
الاختيار للاحسن ولديها وضوحا نسبيا تقرره التجربة ، ومن ثم ضرورتها
افتراضية فقط .

والمبدأ الذى نعتد عليه هو التمييز المدرسى المشهور بين فهم الإرادة الله
وهو مبدأ غالبا ما يشير اليه ليبنتز ، خصوصا عندما يقرر عرضيه العالم
ويتحاشى الحتمية الكلية التى قال بها اسبينوزا ، وتبعنا لهذا المبدأ يصبح فهم
الله مصدر الحقائق الضرورية وإرادة الله مصدر الحقائق العرضية . (على
أى حال هذا التمييز لا تحل مشكلة عرضية العالم الطبيعى ولا حرية
الانسان الاخلاقية) . الترجمة الانجليزية ص ٤٦٢ .

الفصل السابع

القضايا المسماة بديهيات أو مسلمات

١ - فيلايت :

يوجد نوع واحد من القضايا التي تحت اسم بديهيات أو مسلمات تصبح مبدىء العالم ، ولانها واضحة بذاتها اقتنعنا بتسميتها فطرية ، مع أنه لا يوجد شخص واحد ممن أعرف حاول اظهار سبب وأساس وضوحها النهائي الذى يضطرنا الى أن نقتنع بها • على أى حال لا بأس من أن نتناول هذا الموضوع ونرى هل هذا الوضوح الكبير يخص هذه القضايا • وحدها ؟ وأن نبحت كذلك الى أى حد تساهم فى معرفتنا •

تيوفيل :

هذه الدراسة مفيدة وهامة جدا • كذلك يجب الا نفترض يا سيدى أنها كانت مهمة تماما • مستجد فى مئات الاماكن أن المدرسين قالوا أن فهم حدود هذه القضايا يجعلها واضحة *ex terminis* ، بل أنهم اعتقدوا أن قوة الاعتقاد تكمن فى معرفة الحدود ، أى فى ارتباط الافكار • ولكن علماء الهندسة فعلوا أكثر من ذلك ، أنهم حاولوا اثباتها • لقد ذكر بروكلس فعلا أن طاليس الميلاطى *Thales of Miletus* أحد أقدم علماء الهندسة المعروفين ، رغب فى اثبات القضايا التى قرر أفليدس وضوحها ، كما أن أبولونيوس اثبت مسلمات أخرى • وكذلك بروكلس • المرحوم روبيرفال *Roberval* الذى جاوز الثمانين من عمره حاول نشر « العناصر الجديدة » للهندسة الذى اعتقد أنى حدثتك عنه فعلا ، ربما ساهم فى ذلك أيضا أرنولد بكتابه « العناصر الجديدة » الذى اثار ضجة حوله • لقد عرض جزءا منه فى الاكاديمية الملكية للعلوم وقد وجد البعض ما يقولونه بالنسبة لاثبات البديهية « اذا اضفنا الى

المتساويات أحجاما متساوية فانها تصبح متساوية » اثبات البديهية الاخرى التى لها نفس الوضوح وهى « اذا طرحنا من المتساويات احجاما متساوية فان الباقي سيكون متساويا » وقيل كان من الواجب عليه اقتراضها أو اثباتهما معا . ولكنى لم أكن من هذا الرأى واعتقد أن من الافضل دائما أن نقال عدد البديهيات ، ولاشك أن الجمع أسبق من الطرح وابسط ، لاننا نستخدم الحدين فى الجمع على حد سواء وليس الامر كذلك فى الطرح . لقد فعل أرنولد « عكس ما فعله السيد » روبرفال (Roberval) بل أنه افترض أكثر من أقليدس . أن ما نعتبره احيانا مبادئ أساسية سواء كانت واضحة أو غير واضحة . قد يكون افضل بالنسبة للمبتدئين الذين توقفهم الحيرة . ولكن بالنسبة لتشييد العلم ، الامر مختلف وهذا ما نأخذه احيانا فى الاخلاق وفى نماذج المناطق ذات الرصيد الطيب وأن كان جزءا منها مازال غامضا ومفخطا لقد اعلنت منذ زمن طويل ان من المهم أن نثبت كل بديهياتنا الثانوية التى نستعملها عادة وذلك بأن نخضعها لبديهيات أولية أو مباشرة أو غير قابلة للاثبات والتى اسميها اخيرا بالمتطابقات .

٢ — شيلاليت :

تكون المعرفة واضحة بذاتها عندما ندرك مباشرة اتفاق الافكار أو عدم اتفاقها .

٣ — ولكن توجد حقائق لا نعتبرها بديهيات مع أنها لا تقل وضوحا بذاتها . ولنبحث هل يمكن أن تروونا بالانواع الاربعة للاتفاق الذى تحدثنا عنها من قبل (الفصل الاول الفقرة ٣) والفصل الثالث (٧) وأنصدها بالتطابق ، الارتباط ، العلاقة ، الوجود الحقيقى .

٤ — بالنسبة للمتطابق لدينا العديد من القضايا الواضحة عن الافكار المتميزة لاننا نستطيع نفى احداها عن الأخرى كما عندما نقول

أن الانسان ليس بحصان وأن الاحمر ليس بأزرق كما أن قولنا ما يكون
يكون أوضح من قولنا الانسان هو الانسان •

تيوفيل :

هذا حق وقد لاحظت فعلا أن من الاوضح أيضا القول فى صورة
المتطابق بوجه خاص أ هي أ ، أكثر من قولنا بصورة عامة يكون المرء
ما يكونه • ولكن ليس مؤكدا دائما كما سبق أن لاحظت كذلك أن ننفى
موضوعات الافكار المختلفة بعضها البعض كما عندما يريد أن يقول أحدنا :
الشكل الثلاثى (أو ماله ثلاث جوانب) ليس مثلثا ، لان فى الواقع
الثلاثية ليست المثلثية • وبالمثل ، عندما يقول احدنا : أن لؤاؤات السيد
(سلوسيس Slusius) الذى حدثك عنه منذ زمن غير طويل ليست
خطوطا من القطع المكعبة المتكافئة ••• parabole ، فإنه سيخطئ ،
مع أن هذا قد يبدو واضحا لدى الكثير من الناس لقد اعترض المرحوم
(هاردى • Hardy) مستشار قصر باريس وعالم هندسة ممتازة
ومستشرق ومهتم بالهندسات القديمة وهو الذى نشر شروح (مارينوس
Marinus) على معطيات (data) أقليدس على اعتبار المقطع المائل
للمخروط الذى نسميه بالاهليجى مختلفا عن المقطع المائل الاسطوانى •
وذلك لان استدلال Serenus بدا له زائفا ولم استطع التغلب عليه
بتحذيراتى خاصة وأنه عندما قابلته كان فى عمر السيد روبرفال
(Roberval) وكنت مازلت شابا والفارق بيننا لا يسمح بأن أكون
مقنعا له رغم ما حاولته معه هذا المثال يوضح ، بشكل عابر ، ما يمكن
أن يفعله الحكم السابق على الآخرين وخاصة الممتازين منهم وهو احدهم
فقد ذكره (هاردى) باحترام فى خطابات ديكارت ولكنى ذكرته فقط
لاظهر كيف يمكن أن نخطئ عندما ننفى فكرة شخص آخر عندما لا نكون
قد تعمقناها بالقدر الذى نحتاجه •

• — فيلالييت :

بالنسبة للارتباط أو التواجد معا لدينا القليل من القضايا الواضحة

بذاتها ومع ذلك يمكن مثلا اعتبار القضية التي تقرر أن الجسمين لا يكونا
فى نفس المحل قضية واضحة بذاتها •

تيوفيل :

يعارضك الكثير من المسيحيين ، كما سبق أن أوضحت • وحتى
ارسطو ومن بعده أولئك الذين يقبلون التركيز الحقيقى والدقيق والذين
يخضعون الجسم بأكمله لحيز أصغر بكثير من الحيز الذى يشغله من
قبل ، أولئك الذين مثل المرحوم (كومينوس Comenius) (٣) الذى
أدعى فى كتابه الصغير والدقيق أنه سيقرب الفلاسفة الحديثة بناء على
تجربته الخاصة بالبندقية القديمة كل هؤلاء لن يوافقوك ايضا ، أما اذا
اعتبرت الجسم مجرد كتلة صماء فان ايضاك سيكون صادقا لانه
سيكون متطابقا أو قريبا من المتطابق ، ولكن سينكرون عليك اعتبار
الجسم الحقيقى بهذه الصورة وقد يقولون على الاقل أن الله أقدر على
أن يجعله على شكل آخر بحيث تتفق هذه الصلابة مع النظام الطبيعى
للأشياء التى قررها الله ، التى تؤكدنا خبرتنا ومع ذلك فإنه يتطلب منا
أن نعترف انها ايضا تتفق مع العقل •

فيلاليت :

بالنسبة لعلاقات الانماط (modes) اقام الرياضيون عدة بديهيات
على علاقة المساواة ، مثل البديهية التى ذكرتها وهى « اذا طرحنا أشياء
متساوية من أشياء متساوية كان الباقي متساويا » • ولكنى اعتقد انها
لا تنقل وضوحا عن قولنا ان واحد + واحد يساوى اثنين • واذا استبعدنا
اصبعان من اصابع اليد الخمسة واستبعدنا اصبعان من الخمسة باليد
الآخرى سيكون عدد الاصابع الباقية متساوية •

تيوفيل :

أن واحد + واحد يساوى اثنين ليس بحقيقة بالمعنى الدقيق ،

انما هو تعريف للاثنتين مهما كان فى هذا من صدق ووضوح أى هو تعريف لشيء ممكن • بالنسبة لبدئية أقليدس التى نطبقها على اصابع اليد أو وافق أنه من السهل أيضا تصور ما نقوله عن الاصابع عما نقوله بالنسبة لـ أ ، ب واننا نلاحظه بوجه عام حتى لا تكرر احيانا نفس الشيء أن ذلك يشبه ذلك الذى يفضل الحساب مستخدما الارقام الجزئية بدلا من استخدام القواعد الكلية ، وهذا يجعلنا نحصل على أقل مما نستطيع • لان من الافضل أن نحل هذه المشكلة العامة (الحصول على رقمين مجموعهما يعطينا رقما معينا ، والفارق بينهما يعطينا رقما معينا) • أكثر من البحث فقط عن رقمين مجموعهما (١٠) والفارق بينهما (٦) لانه اذا تقدمت فى المشكلة الثانية على نمط الجبر العددي سيكون الحساب هكذا : $أ + ب = ١٠$ ، $أ - ب = ٦$ اذن اذا اضفنا الطرف الايمن على الايمن والطرف الايسر على الايسر سسيكون $أ + ب + أ - ب = ١٠ + ٦$ أى (مادما سنطرح + ب ، - ب) $٢أ = ١٦$ أو $أ = ٨$ واذا طرحنا الجانب الايمن من الايمن والايسر من الايسر (نطرح $أ - ب$ هو أن نضيف $أ + ب$) يصبح $أ + ب - أ - ب = ١٠ - ٦$ أى $٢ب = ٤$ أو $ب = ٢$ وهكذا اصل الى حقيقة أن أ ، ب التى ابحت عنهما هما ٨ ، ٢ وهما المطلوبان اذ أن مجموعهما ١٠ والفارق بينهما ٦ ولكنى لم أحصل على المنهج العام لاي اعداد أخرى نريد أو يمكن أن نضعها بدلا من (١٠ ، ٦) وهو منهج استطيع أن أحصل به بنفس السهولة التى حصلت بها على هذين الرقمين (٨ ، ٢) بأن أضع س ، ص بدلا من الرقمين ١٠ ، ٦ لاننا لو تقدمنا بنفس الطريقة السابقة سيكون لدينا $أ + ب + أ - ب = س + ص$ أى $٢أ = س + ص$ أو $أ = س + ص$ وسيكون أيضا $أ + ب - أ - ب = س - ص$ أى $٢ب = س - ص$ أو $ب = س - ص$ هذا الحساب يعطينا النظرية أو القاعدة العامة وهى أنه عندما نطلب عددين ، لدينا مجموعهما والفارق بينهما ، ما علينا سوى أن نأخذ بالنسبة لكبر الاعداد المطلوبة نصف المجموع الحاصل من المجموع والفارق

المذكورين ، وبالنسبة لاقول الارقام المرقومة نصف الفارق بين المجموع والفارق المذكورين ، نرى ايضا انى استطيع الاستغناء عن الحروف .
اذا استخدمت الارقام كأنها حروف أى بدلا من ذكر ١٢ = ١٦ ، ٢ = ٤
اكتب ١٢ = ١٠ + ٢ ، ٦ = ١٠ - ٤ . مما يعطينى ١٠ + ٦ = ١٦ ،
٦ = ١٠ - ٤ . وهكذا فى الحساب الجزئى كما فى الحساب العام
أخذنا العلامتين ١٠ ، ٦ على أنهما أرقام عامة كما لو أنهما الحرفان
س ، ص لى أحصل على حقيقة أو منهج أكثر عموما ، ونأخذ هاتين
الخاصيتين ١٠ ، ٦ على أنهما الرقمان الدالان عليهما ، فعلا سأحصل
على مثال حسى ويمكن أن يستخدم كبرهان . وكما استبدل (Viète)
الحروف بالارقام ليصل الى عمومية أكثر : أردت أن أعيد استخدام
خصائص الارقام ما دامت قد تكون افضل من الحروف حتى فى الحساب
الجبرى : نفسه . لقد وجدت ذلك ذا فائدة كبرى فى الحسابات الكبرى ،
لأنها تجنب الاخطاء بل ونطبق عليها البراهين . مثل تلك الخاصة بـ
onjection du novenaire فى وسط الحساب ، دون أن تصل الى
النتيجة عندما يستخدم بمهارة فى المواضع positions بحيث تصدق
الافتراضات فى الجزئى ، بالاضافة الى الاستخدام الذى يظهر
العلاقات والترتيبات التى لا تستطيع الحروف وحدها أن تحسن توضيحها
بالذهن ، كما أظهرت فى موضوع آخر ، عندما وجدت أن الاعداد البيانية
الجيدة تصبح مساعدا جيدا للذهن البشرى .

٧ - فيلاليت :

بالنسبة للوجود الحقيقى ، الذى اعتبره النوع الرابع للاتفاق
يمكن أن نلاحظه فى الافكار . أنها لن تستطيع أن تمدنا بأى بديهية ،
لأننا لا نملك حتى المعرفة الاستدلالية للكائنات خارج انفسنا ،
باستثناء الله وحده .

تيوفيل :

يمكن القول دائما أن هذه القضية ، أنا موجود ، قضية ، قضية ، قضية

لها هذا الوضوح الاخير لكونها قضية لا يمكن اثباتها بقضية أخرى ، أو بحقيقة مباشرة • والقول : أنا أفكر أذن أنا موجود ، لا يثبت بالدقة الوجود بالفكر ، ما دام التفكير وكونه مفكرا هما نفس الشيء ، والقول أنى أفكر يعنى فعلا القول أنى أكون • ومع ذلك لديك المبرر الذى يجعلك لا تعتبر هذه البديهيات لانها قضية واقع مؤسنة على تجربة مباشرة وليست قضية ضرورية • ترى ضرورتها فى الاتفاق المباشر للأفكار • على العكس ، لا يوجد سوى الله الذى يرى كيف يرتبط هذين الحدين أنا والوجود ، أى لماذا أوجد ، ولكن وإذا نظرنا للبديهية بصورة أعم على أنها حقيقة مباشرة أو غير قابلة للبرهنة ، يمكن القول أن هذه القضية : أنا موجود ، بديهية ، وعلى أى حال يمكن تأكيد أنها حقيقة أولية • أى أنها إحدى الايضاحات الأولية المعروفة التى تنتشر فى النظام الطبيعى لمعارفنا ، لأنه من الممكن الا يكون المرء قدتمد تشكيل هذه القضية مع أنها طبعا فطرية بالنسبة الينا •

٨ — فيلاليت :

لقد اعتقدت دائما أن للبديهيات تأثير قليل على الاجزاء الاخرى لمعرفتنا • ولكنك أنرت بصيرتى بأن أظهرت لى استخداما هاما للمتطابقات ومعدرة ، أرجو أن تسمح لى بأن اعبرك عما فى خاطرى بالنسبة لهذا الموضوع ، لان ايضاحاتك ستساعد الآخرين على أن يعودوا الى صوابهم •

٨ — انها قاعدة مشهورة فى المدارس أن كل تفكير صادر من الاشياء المعروفة فعلا المسلم بها (*ex praecognitis et praeconcessis*) يبدو أن هذه القاعدة تعتبر هذه البديهيات حقائق معروفة للنفس قبل غيرها ، وأن الاجزاء الاخرى لمعرفتنا مجرد حقائق تعتمد على البديهيات •

٩ — اعتقد أنى أظهرت (الكتاب الاول الفصل الاول) أن هذه البديهيات ليست بأول ما نعرف ، فالطفل يعرف جيدا أن قطعة الخشب

التي أشير إليها ليست قطعة من السكر الذي تذوقها أكثر من أى بديهية تعجبك • لكنك ميزت بين المعارف المفردة أو خبرات الواقع وبين مبادئ المعرفة الكلية والضرورية (والتي أعرف أن من الضروري أن تعتمد على البديهيات) كما ميزت أيضا بين النظام العرضى والطبيعى •

تيوفيل :

لقد أضفت أيضا أنه فى النظام الطبيعى القول : أن الشيء يكون ما يكون يسبق القول : أنه ليس شيئا آخر ، لأن الامر هنا لا يخص تاريخ اكتشافاتنا ، المختلف باختلاف الاشخاص ، وانما يخص الرابطة والنظام الطبيعى للحقائق ، الذى يكون هو نفسه دائما • أما ملاحظتك ، أن ما يراه الطفل ليس سوى واقع ، فأنها تستحق تأمل أكثر ، لأن خبرات الحواس لا تعطى أبدا حقائق يقينية تماما ، كما لاحظت أنت بنفسك منذ قليل) ولا خالية من خطر الوهم لأنه اذا كان من المسموح عمل تخيلات ميتافيزيقية ممكنة فان من الممكن أن يتغير السكر الى قطعة خشب بطريقة غير قابلة للادراك ، لكى نعاقب الطفل اذا كان خبيثا ، كما يتغير الماء الى نبيذ ليلة نويل اذا كان الطفل قد احسنت تربيته • لكنك قد تقول أن الالم الذى تطبعه قطعة الخشب لن يصبح ابدا اللذة التى يعطيها السكر • واجيب أن الطفل سيحرص فيما بعد على صياغة قضية خاصة حرصه على ملاحظة هذه البديهية « اننا لن نستطيع ، بحق ، القول أن ما يكون لن يكون فى نفس الوقت » مع انه يستطيع جيدا أدراك الفرق بين اللذة والالم كذلك الفرق بين يدرك ولا يدرك •

١٠ - فيلايت :

ومع ذلك اليك كمية من الحقائق الاخرى التى تكون واضحة بنفسها مثل هذه البديهيات « اثنين زائد واحد يساوى ثلاثة » قضية واضحة ووضوح البديهية التى تقول أن الكل يساوى جميع أجزائه معا •

ثيوفيل :

بيدو انك نسيت يا سيدى كيف اوضحت لك أكثر من مرة أن القول « $1 + 2 =$ » ليس الا تعريفا للحد ثلاثة ، بحيث يصبح قولنا أن واحد زائد اثنين يساوى ثلاثة يساوى قولنا ان الشيء يساوى نفسه . بالنسبة للبديهية « الكل يساوى جميع اجزائه معا » لم يستخدمها أقليدس بصراحة كما أنها تحتاج لتحديد ، لأنه يجب اضافة أن هذه الاجزاء لا يجب أن يكون لها هي نفسها جزءا عاما : لان ٧ ، ٨ أجزاء من ١٢ . النصف الاعلى والجزء معا يصبحان أكثر من الانسان ما دام التجويف الصدرى مشترك بينهما : ولكن أقليدس يقول أن الكل أكبر من الجزء وهذا أمر لا يمكن الاعتماد عليه . والقول أن الجسم أكبر من الجزء لا يختلف عن بديهية أقليدس الا فى أن هذه البديهية تنحصر فيما يجب بالضبط ولكن بالتمثيل وباتخاذ الجسم شكل الانسان يصبح المعقول محسوسا ، لان القول : هذا الكل يكون أكبر من جزئه هذا فى الواقع القضية القائلة أن أى كل يكون أكبر من جزئه ، وأن اختلفت ملامحه من التنميق أو الاضافة تماما مثل قولنا أن أب تعنى أ — وعلى هذا لا يجب أن نقابل هنا بين البديهية والمثال باعتبارهما حقائق مختلفة وانما نعتبر البديهية كأنها الحقت بالمثال وجعلت المثال حقيقيا . الامر يختلف عندما لا نلاحظ البداهة فى المثال نفسه وعندما يكون اثبات المثال مجرد نتيجة وليس فقط تفرعا للقضية الكلية كما يمكن أن يحدث بالنسبة للبديهيات .

فيلاليت :

يقول مؤلفنا الماهر هنا : أريد أن اسأل هؤلاء السادة ، الذين يزعمون أن كل معرفة أخرى (التى ليست بواقع) تعتمد على المبادئ العامة الفطرية والواضحة بذاتها ، أى مبدأ يحتاجون لاثبات أن اثنين واثنين تكون اربعة ؟ أننا نعرف (فى نظرة) حقيقة هذه الانواع من القضايا دون مساعدة أى برهان ، فما رأيك يا سيدى ؟

تيوفيل :

اقول اني انتظرك مستعدا تماما • القول بان اثنين واثنين يساوى اربعة ليس بحقيقة مباشرة لنفرض أن اربعة تعنى ثلاثة وواحد • يمكن اذن اثباتها واليك كيف •

تعريفات : (١) اثنين = واحد وواحد •

(٢) ثلاثة = اثنين وواحد •

(٣) اربعة = ثلاثة وواحد •

بديهية : بضع الاشياء المتساوية مكان بعضها تظل المساواة •

الاثبات : $2 + 2 = 1 + 1 + 2$ (تعريف رقم (١)) $2 + 2$

$1 + 1 + 2 = 1 + 3$ (تعريف رقم (٢)) $1 + 1 + 2$

$1 + 3 = 4$ (تعريف رقم (٣)) $1 + 3$

اذن بناء على البديهية $4 =$

$2 + 2 = 4$ ما يلزم اثباته يمكن بدلا من القول ان $2 + 2 = 1 + 1 + 2$ أى أضع $2 + 2$ تساوى $1 + 1 + 2$ • وهكذا بالنسبة للباقي • ولكن يمكن أن نفهمه ضمنا لاننا عملنا بناء على بديهية أخرى تقول أن الشيء يساوى نفسه ، أو أن ما هو نفسه يكون متساويا •

فياليت :

هذا الاستدلال ، وأن كان ضروريا بالنسبة للنتيجة المعروفة ، يستخدم فى اثبات كيف تعتمد الحقائق على التعريفات والبديهيات • وهكذا اتنبأ بما ستجيب به على العديد من الاعتراضات التى يمكن أن تعترض بها على استخدام البديهيات • يعترض بأنه ستوجد كثرة لا تحصى من المبادئ • ولكن ذلك عندما نحسب ضمن المبادئ النتائج

الطبيعية التى تتبع التعريفات بمساعدة بديهية ما ، وما دامت التعريفات أو الافكار لا يمكن حصرها فان المبادئ ستكون كذلك ايضا بنفس المعنى ولنغرض معك أن المبادئ غير القابلة للبرهنة تكون بديهيات ذاتية لها اعتبارها ولن يمكن ايضا حصرها بواسطة التمثيل ولكن فى الأساس يمكن اعتبار أ هي أ ، ب هي ب على أنها نفس المبدأ أن اختلفت الصياغة •

تيوفيل :

علاوة على ذلك هذا الاختلاف فى الدرجات الموجود فى الوضوح يجعلنى لا اتفق مطلقا مع مؤلفك المشهور فى أن كل هذه الحقائق التى نسميها مبادئ والتى تعتبر واضحة بذاتها لانها قريبة جدا للبديهيات الاولى التى يمكن اثباتها ، تكون مستقلة تماما ولا يمكنها أن تستمد من غيرها أى ضوء أو أى دليل • اننا نستطيع دائما اخضاعها للبديهيات نفسها أو لحقائق اخرى اقرب الى البديهيات مثل حقيقة اثنين واثنين = اربعة وقد حكيت لك كيف انقص السيد (Roberval) عدد بديهيات أقليدس بأن اخضع بعضها لبعض •

١١ - فيلاليت :

هذا الكاتب الذكى judicieux الذى اتاح الفرصة لمناقشاتنا ، يرى أن البديهيات وظيفة ولكنه يعتقد بالاحرى أن وظيفتها أن تسد افواه المعاندين أكثر من أن تدعم العلوم • ويقول : وسأكون مسرورا لو استطاع أى شخص أن يذكر لى احدى هذه العلوم المبينة على البديهيات العامة والتى لا يمكنها أن تصمد بدون البديهيات •

تيوفيل :

لاشك أن الهندسة احدى هذه العلوم • استخدام أقليدس بوضوح البديهيات فى الاستدلالات وهذه البديهية (الجمان المتجانسان يكونان

متساويين عندما لا يكون احدهما أكبر ولا أصغر من الآخر) تصبح أساسا لاستدلالات أقليدس وأرشميدس لحجم منحنى (curvilinear) استخدم أرشميدس بديهيات لم يكن أقليدس فى حاجة اليها ، مثلا ، المخطين الذى لكل منهما تجويفه فى نفس الاتجاه دائما سيكون أطولهما ذلك الذى يحتوى الآخر ، لا يمكن أيضا تجاهل البديهيات المتطابقة فى الهندسة مثل مبدأ التناقض أو الاستدلالات التى تقود الى المستحيل . أما عن البديهيات الأخرى التى يمكن استدلالها فمن الممكن تغطيتها تماما واستخراج النتائج مباشرة من الذاتيات والتعريفات ، ولكن أطناب الاستدلالات وما نقع فيه من تكرار لا نهاية له يسببان غموضا مزعجا ، اذا كنا نريد أن نتقدم بسهولة علينا البدء باستمرار بدلا من فرض القضايا الوسيطة المبرهن عليها فعلا ، ان افتراض الحقائق المعروفة يفيد خصوصا بالنسبة للبديهيات فقد يضطر أحيانا علماء الهندسة الى استخدامها فى كل لحظة دون ذكرها ، لدرجة أن ننخدع فنعتقد أنها غير موجودة لاننا نذكرها فى الهامش .

فيلايت :

انه يعترض على مثال اللاهوت ويقول مؤلفنا أنه بالوحي نعرف هذا الدين المقدس وبدون مساعدته لن نستطيع ابدا البديهيات تعريفه لنا ، فالنور يأتي من الاثياء نفسها أو مباشرة من الصدق الالهي الذى لا يخدع .

تيوفيل :

ان هذا يشبه القول أن الطب مؤسس على التجربة اذن لن يفيدنا العقل بشيء اللاهوت المسيحي وهو الطب الحقيقى للنفوس مؤسس على الوحي الذى يجيب على التجربة ، ولكى يصبح متكاملنا يلزمنا أن نضيف اليه اللاهوت الطبيعى المستمد من بديهيات العقل الخالد ، هذا المبدأ نفسه الذى يقرر أن الصدق صفة الله والذى به نعرف أن يقين الوحي قائم ليس بديهية مأخوذة من اللاهوت الطبيعى ؟ .

فيلا ليت :

مؤلفنا يريد أن نميز بين وسيلة اكتساب المعرفة ووسيلة تعليمها أى نميز بين التعلم والايصال • بعد أن شيدت المدارس وعين المدرسون لتعليم العلوم التى اخترعها آخرون ، استخدم المدرسون هذه البديهييات ليغرسوا هذه العلوم فى ذهن تلاميذهم واقناعهم ببعض الحقائق الجزئية فى حين استخدم المخترعون الاوائل الحقائق الجزئية للوصول الى الحقيقة بدون اللجوء الى البديهييات العامة •

ثيوفيل :

أتمنى أن يبرر لى أحد هذه العملية المزعومة بأمثلة من بعض الحقائق الجزئية ولكن اذا دققنا فى الأمر فلن نجد ممارستها فى تثبيات العلوم • واذا لم يجد المخترع سوى حقيقة واحدة جزئية فلن يكون سوى نصف مخترع • اذا كان فيثاغورث قد لاحظ أن المثلث الذى أضلاعه ٣ ، ٤ ، ٥ يمتاز بمساواة مربع الوتر لجانبيه (أى أن $٩ + ١٦ = ٢٥$) هل يمكن أن يكون لهذا مخترعا لهذه الحقيقة الكبرى التى تشمل كل المثلثات قائمة الزاوية التى أصبحت بديهية لدى علماء الهندسة ؟ حقا قد يتصادف أحيانا أن يواجه العبقرى مثالا لدفعه الى البحث عن الحقيقة العامة ، ولكن هذا أمر نادر يصعب أن نصل اليها ، علاوة على أن هذا الطريق للكشف ليس الاحسن ولا الاكثر استعمالا لدى أولئك الذين يتقدمون بنظام وبمنهج ، ولا يستخدمونه الا فى الحالات التى تصبح فيه أقصر المناهج هى أفضلها ، انه كما اعتقد البعض أن أرشميدس قد توصل الى تربيع القطع المتكافئة بأن وزن قطعة من الخشب مقطوعة قطعاً متكافئة ، ان هذه التجربة الجزئية جعلته يصل الى الحقيقة العامة ، لكن أولئك الذين يعرفون عمق هذا الرجل العظيم يرون جيدا أنه لم يكن فى حاجة الى مثل هذه المساعدة • وحتى عندما يتيح هذا الطريق التجريبي للحقائق الجزئية الفرصة لكل الاكتشافات فلن يكون كاذبا لتقديهما • والمكتشفون أنفسهم قد اسعدهم ملاحظة البديهييات والحقائق العامة عندما استطاعوا الحصول

عليها والتي بدونها تظل اكتشافاتهم ناقصة تماما . كل ما يمكن أن ننسبه
اذن للمدارس والمدرسين هو أنهم جمعوا ورتبوا البديهيات والحقائق
العامة الأخرى : وشكرا لله أن تم ذلك بعناية وباختيار والا أصبحت
العلوم مشننة ومشوشة أعرف أن هناك أحيانا فارق بين المنهج المستخدم
لتعليم العلوم والمنهج الذى يستخدم للحصول عليها ولكن ليس هذا هو
الذى يهمنا الآن لقد اتاحت أحيانا ، كما أوضحت فعلا ، الصدفة
الفرصة للاكتشافات . اذا لاحظنا هذه المناسبات واحتفظنا بها للخلف ،
(فى ذلك فائدة كبرى) فان هذا التفصيل سيكون مفيدا جدا فى تاريخ
الفنون ؛ ولكنه لن يفيد فى تشييد المذهب . أحيانا يتقدم المكتشفون
تقدما معقولا نحو الحقيقة ، ولكن بعد أن يسيروا مسافات طويلة . وأرى
أن المؤلفين قد يؤدون خدمة جليلة للجمهور اذا سجلوا باخلاص فى
كتاباتهم خطوط محاولاتهم ، ولكن اذا طالبنا أن يثيّد بناء العلم بهذه
الطريقة فاننا سنكن كمن يريد أن يحتفظ بكل الاجهزة التى استخدمها
المهندس فى بناء المنزل . المناهج الجيدة للتعليم هى تلك التى تمكننا من
الحصول على العلم واذا لم يكن العلم تجريبيا أى اذا استخدمنا الادلة
والبراهين المستمدة من الأفكار فى تعليم الحقائق فسيكون ذلك دائما
بواسطة البديهيات والنظريات والقواعد وغيرها من القضايا العامة . أمر
آخر هو عندما تكون الحقائق جامعة مثل الكلمات الجامعة التى قالها
هيموقراط aphorismes d' Hippocrati منها حقائق الواقع أو الحقائق
العامة أو على الأقل تلك التى غالبا ما تكون صادقة ومأخوذة بالاحظة
أو قائمة على التجربة ، وليست فى حاجة الى أدلة مقنعة تماما . وليس
هذا بالأمر الذى يخصنا هنا لأن هذه الحقائق لا تعرف ابدا بارتباط
الأفكار .

في الخاتمة :

هذه هى الطريقة التى يدرك بها مؤلفنا المبقرى كيف جاءت حاجتنا
للبيديهيات لقد قررت المدارس النقاش محكا لمهارة الناس وحكمت بانتصار

ذلك الذى يظل بمبدان المعركة وذاك الذى يصمد حتى النهاية ولكن
لا بد من تقرير البديهيّات كوسيلة لا قناع المعاندين •

تـيـوـفـيـل :

لا شك فى أن مدارس الفلسفة قد احسنت ربط العمل بالنظر
كما فعلت المدارس الحديثة فى الطب والكيمياء والرياضيات وتمنح الجائزة
لن يحسن العمل بتفوق فى الاخلاق أكثر من ذلك الذى يحسن الحديث •
ومع ذلك نظرا لوجود مواد يكون الحديث فيها هو المؤثر وأحيانا المؤثر
الوحيد ، والعمل الرئيسى الذى لا يظهر مهارة الانسان بمدى نجاحه
فى المحاضرات ومن المعروف أنه فى بداية الاصلاح دعا البروتستانت
خصوصهم الى الحوار والمناقشة وأحيانا كان نجاحهم فى هذه المناقشات
سببا لتأييد الجمهور للاصلاح وتعرف أيضا أهمية فن الحديث والقاء
الضوء والقوة على الأدلة ، او ما يمكن أن نسميه فى النقاش وخاصة
فى مجلس الدولة والحرب والعدالة ، وفى مجالس الاستشارة الطبية ، بل
وفى المحادثات • نضطر الى اللجوء لهذه الوسيلة وأن نقنع بالكلمات
بدلا من الوقائع فى هذه المقابلات بحجة أن الأمر يتصل بحوادث
أو واقع مستقبل حيث يصعب معرفة حقيقته عن طريق أثره • وهكذا
فان فن المناقشة أو الصراع بالحجج الذى أوضحت هنا سلطته وأمثلة
عليه فن كبير وهام جدا ولكن لسوء الحظ أسىء تنظيمه ، ولهذا السبب
ففى بعض الأحيان لا تصل الى نتائج قد نستنتج استنتاجا خاطئا •
ومن أجل هذا قصدت أكثر من مرة ذكر ملاحظات على محاورات اللاهوتيين
الذين اتصلت بهم لآظهر العيوب التى يمكن بملاحظتها والحلول الممكنة
استخدامها ، بالنسبة للاستشارات الخاصة بالمشروعات • غالبا ما يخضع
أصحاب السلطة ، اذا لم يكن لديهم الذهن القوى للسلطة أو البلاغة
التي تتغلب عليهم وتتجمع ضد الحقيقة • وباختصار فن المحاضرة والمناقشة
فى حاجة الى أن يعاد تأسيسه •

بالنسبة لزايا ذلك الذى يكون آخر المتكلمين فلا مجال له تقريبا

الا فى المحادثات الحرة : لأنه فى المجالس التى يتخذ فيها بنظام الاقتراع فالنتيجة واحدة سواء بدأ الفرد الحديث أو كان الأخير ، وذلك لأن العرف قد جرى أن يفتتح الرئيس الجلسة ويختتمها أى أن يطرح الموضوع ويحسمه الا أنه يتخذ القرار وفق أغلبية الأصوات • وفى المناقشات العلمية آخر من يتكلم هو المسؤول أو المدافع عن الأطروحة ويظل فى ميدان المعركة باستمرار • وقد جرت العادة على أن يناقشه الاعضاء لا أن يربكوه والا تحول الامر الى عدااء • ولنقول الحق ، الأمر لا يتصل بالحقيقة فى هذه اللقاءات وكثيرا ما يناقش نفس المجلس الفروض المتعارضة فى أوقات مختلفة • لقد أشاروا الكاسولون Cassaubon الى قاعة السوربون وقالوا له : هذا هو المكان الذى ناقشوا فيه طوال عدة قرون فكان جوابه ماذا أنجزوا ؟

فيـــــــــــــــــلا ليت :

ودع ذلك حاول البعض الا يستمر النقاش البى ما لا نهاية • والوصول الى وسيلة للفصل بين المتخاصمين حتى لا يتورطوا فى سلسلة لا نهائية من الأقيسة • هذه الوسيلة هى أن نقدم قضايا عامة معينة ، واضحة بذاتها فى أغلب الأحيان ، ومن طبيعتها أن يقبلها الجميع برضاء تام يجب أن تعتبر مقاييس عامة للحقيقة ، وتصبح بمثابة مبادئ (ما دام المتناقشان لم يفترضا غيرها) لا يمكن أن يتخطاها أحد وعلى الطرفين أن يلتزما بها وهكذا اذا ما أطلقنا على هذه البديهيات اسم مبادئ فلن يمكن انكارها فى النقاش وسينتهى الموضوع ولهذا يرى مؤلفنا أن البعض قد أخطأ حين اعتبرها مصدر المعارف وأسس العلوم •

تـــــــــــــــــيــــــــــــــــو فيـــــــــــــــــل :

نشكر الله اذا التزموا بهذا فى المناقشات ، ولن يكون لدينا ما نقوله مادامنا بذلك نقرر شيئا • وماذا يمكن أن نفعل أفضل من أن نخضع للتناقش أى الحقائق المتنازع حولها الحقائق واضحة ولا تقبل النزاع ؟

الليس فى ذلك تقريرها بطريقتة استدلالية ؟ ومن يستطيع أن يشك فى أن تصبح هذه المبادئ التى تحسم المناقشات ، تقريراً لحقائق وفى نفس الوقت مصادر للمعارف ؟ لأنه ما دام الاستدلال جيداً فلا يهم أن نعمله ضمناً فى مكتبنا أن نقرره على منبر الخطابة • حتى عندما تصبح هذه المبادئ مطالب أكثر من أن تكون بديهيات ، ونقصد بالمطالب ما يقصده ارسطو ، وليس ما يقصده أقليدس أى باعتبارها فروض نريد تأكيدها ، ما أن تتاح الفرصة لاثباتها ، ستكون هذه المبادئ وسيلة لاختراع الاسئلة الأخرى الى عدد قليل من القضايا • هكذا أنى مندهش اذ أرى من يلوم أمراً منسوعاً اعتماداً على حكم مسبق • فصاحبك مثلاً قد وقع فى نفس الخطأ الذى يقع فيه الناس نتيجة عدم الانتباه • لسوء الحظ يحدث شئ آخر تماماً فى المناقشات العلمية • بدلاً من تقرير البديهيات العامة يعملون كل ما فى وسعهم لضعافها بتعريفات لا جدوى منها ، وقد يقنع البعض باستخدام قواعد فلسفية معينة مما ملئت بها الكتب الكبرى رغم قلة حظها من اليقين والتحديد ومن ثم يجدوا لذة فى التخلص منها عن طريق اظهارها •

انها ليست وسيلة لتحديد المنازعات وانما هى وسيلة لجعلها لا نهائية ولأرهاق الخصم أن الأمر هنا يشبه من يقودنا الى مكان معتم حيث نتخبط هنا وهناك وحيث لا يتمكن أحد من التحكم من ضرباته • هذا الاختراع مدهش بالنسبة للمدافعين عن فروضهم • أنه درع (فولكان Vulcain) الذى يعصمهم أنه (orci galea) أو خوذة (بلوتون • Haume de pluton) التى تجعلهم غير مرئيين • أنهم سيكونون غير مهرة أو سيىء الحظ اذا أمكن الإمساك بهم رغم كل هذا • حقا هناك قواعد لها استثناءات ، خصوصا فى الموضوعات التى يدخل فيها كثير من الملحقات كما فى الفقه ولكن لكى يصبح الاستخدام أكيدا يجب أن تكون هذه الاستثناءات محددة عددا ومعنى بقدر الامكان: وعندئذ قد يحدث أن يكون للاستثناء استثناءاته الفرعية ، أى انعطافات وأن يكون لهما انعطافات مضاعفات • الخ • ولكن فى النهاية

يجب ارتباط هذه الاستثناءات وتفريعاتها فى المناقشات العلمية فلا بد دائما أن تتم المناقشة والقلم باليد لنسجل كل ما يقوله الدارفان • وسيكون ذلك ضروريا أيضا فى المناقشة التى تتخذ صورة الأقسية المتعددة التى تبرز من وقت لآخر بالتمييزات التى تعرض أقوى ذاكرة فى العالم لأن تخطئ بينها ، ولكن لا أحد يحرص على أن يجهد نفسه ليدفع ضرورة الأقسية ويسجلها لاكتشاف الحقيقة ، خاصة عندما لا تكون ذات عائد والتى لن نصل الى نهايتها عندما نريد ما لم تستبعد هذه التمييزات أو تحسن تنظيمها •

فيـــــــــــــــــالليت :

حقا ، كما لاحظ صاحبنا أن منهج المدرسة ، لأنه تدخل فى النزاعات خارج المدرسة ليسكت المنازعين ، أصبح له أثره السئ • لأنه ما أن نحصل على الافكار المتوسطة حتى يمكن رؤية الارتباط بدون الالتجاء الى البديهيات وقبل أن تكون قد انتجبت وهذا يكفى للأشخاص المعلمين وسلسى القيادة ، ولكن منهج المدارس ، لأنه شجع وأعطى للناس حق المعارضة ومقاومة الحقائق الواضحة لدرجة أنهم تناقضوا أو عارضوا المبادئ المقررة ، لا نندهش أبدا حينما نجدهم فى الحديث العادى لا يخلطون من عمل ما يعتبر مفخرة وفضيلة فى المدارس ، ويضيف المؤلف أن أناسا معقولين منتشرين فى العالم ولم يفسدهم التعليم ، يجدون مشقة فى تصديق أن منهاجا كهذا أقره أشخاص جعلوا مهنتهم حسب الحقيقة وفنوا حياتهم فى دراسة الدين والطبيعة ، ويقول أنه لن يفرض هنا الى حد تؤدى هذه الطريقة فى التعليم الى أبعاد أذهان الشبان عن حب البحث المخلص للحقيقة أو بالاحرى جعلهم يشكون هل توجد حقيقة فى العالم ، أو على الأقل جديرة بأن ترتبط بها • ونضيف أن ما يعتقد تماما هو أنه باستثناء المناطق التى اعتنقت الفلسفة المشائية فى مدارسهم التى انتشرت عدة قرون والتى لا تعلم أى شئ آخر للعالم سوى فن المناقشة ، لا يوجد من يعتبر هذه البديهيات أسسا للعلوم وسندا هاما للتقدم فى معرفة الاشياء •

توضيح : —————

يرى مؤلفك الماهر أن المدارس وحدها هي القادرة على صياغة البديهيات بينما هي ترجع الى الغريزة العامة والعاقلة جدا للجنس البشرى ، ويمكن الحكم على ذلك بالامثال التى تستخدمها كل الأمم ، والتى ليست عادة سوى بديهيات يقتنع بها الجمهور . ومع ذلك عندما ينطق الاشخاص ذوى حكمة بشئ يبدو معارضا للحقيقة فمن الواجب أن نعطيهم الحق بأن نشك فى وجود العيب فى تعبيراتهم ونرجح أنه يوجد فى مشاعرهم : وهذا ما ينطبق على مؤلفنا الذى سادأ باظهار الدافع الذى يدفعه ضد البديهيات وهذا ما يبدو بوضوح فى الأحاديث المعادية حيث لا يلزمنا أن نتدرب كما نتدرب فى المدارس . أن من الأمور المنتقدة أن تريد أن تكون مقتنعا لتستسلم .

ومن ثم فى أغلب الاحيان نميل الى حذف القضية الكبرى التى نفهمها وأن نقنع بالقياس المضمر (قياس بمقدمة واحدة) . أحيانا بدون صياغة المقدمات حيث يكفى أن نذكر الفكرة المتوسطة أو الحد الأوسط ، فان الذهن يفهم الرابطة دون أن نعبر عنها . والامر مقبول عندما تكون الرابطة مما لا نزاع حولها ، ولكنك تعترف أيضا ياسيدى أنه قد نشرع أحيانا فى افتراضها وقد تولد عنها استدلالات زائفة بحيث يحسن أحيانا عندما نضع فى اعتبارنا جانب اليقين أكثر من جانب الاختصار أو البلاغة ، ومع ذلك تسرع مؤلفك فى الحكم ضد البديهيات جعله يرفض تماما فائدتها فى تقرير الحقيقة ، ووصل الى اعتبارها شريكة فى فوضى المحادثة . حقا أن الشبان الذين تعودوا على التمرينات العلمية يهتمون قليلا بالتمرين ولا يهتمون بأن يستخرجوا من التمرين أكبر ثمرة يمكن أن يحصلوا عليها ، وهى المعرفة ، أنهم يجهدون أنفسهم ليتخلصوا منها فى العالم . ومن احدى المشاغبات أنهم لا يرغبون الخضوع للحقيقة الا أنا جعلوها واضحة حسيا ، مع أن الجدية وحتى الكياسة ترغمهم على الا يصلوا الى هذه النهايات التى تجعلها غير مناسبة وتعطى عنها .

فكرة سيئة • ويجب أن نعترف أن هذا عيب يصاب بعدواه رجال الآداب • ومع ذلك ليس الخطأ فى الرغبة فى اخضاع الحقائق للبديهيات وانما فى جعلها فى غير محلها ولا حاجة لها ، لأن الذهن البشرى يواجه الكثير فى لحظة واحدة مما يضايقه أن ترغب فى اجباره على الوقوف فى كل خطوة يعملها ، وأن يعبر عن كل ما يفكر فيه • أن هذا يشبه تماما ما يحدث عندما نحاسب تاجرا أو نزيلا فى فندق بأن نرغمه على أن يحسب كل شىء بأصابعه لكى يكون متأكدا ، وطلبنا هذا يجعلنا سفهاء أو أغبياء • الواقع ، أن بيترون Petrone على صواب فى قوله أن الشبان أصبحوا أغبياء وطائشين فى أحيانا حيث يجب أن توجد مدارس للحكمة ، ولكنهم أحيانا أيضا يصبحون مزهوين ومشوشين ومتخاضمين ومتقلبي الاحوال وغير متفقين وهذا كله يعتمد أحيانا على مزاج اساتذتهم • وعلاوة على ذلك أجد أخطاء أكبر بكثير فى الحادثة من تلك الخاصة بطلب وضوح أكثر • لأننا عادة نقع فى الخطيئة المقابلة ولا نطلب منها ولا نعطيها ما يكفيها ، وإذا كان احدهما غير مناسب فان الآخر مفسد وخطير •

١٢ - فى لاليت :

نفس الأمر أيضا بالنسبة لاستخدام البديهيات عندما نربطها بأفكار خاطئة ، غامضة ، وغير يقينية ، لأنه عندئذ تستخدم البديهيات فى تأييد أخطائنا ، بل وفى اثبات التناقض مثلا ذلك الذى يتصور مع ديكارت الجسم ليس شيئا آخر غير الامتداد ويمكنه اثبات بسهولة بهذه البديهية (ما يكون يكون) أنه لا يوجد فراغ أى مكان لا يشغله الجسم لأنه يعرف فكرته الخاصة ، يعرف أنه يكون ما يكونه وليس فكرة أخرى ، وعلى هذا كانت الكلمات الثلاثة امتداد ، جسم ، ومكان تدل على نفس الشئ • ومن الحق بالنسبة له أيضا أن يقول أن المكان جسم تماما كما يقول أن الجسم جسم •

١٣ - ولكن بالنسبة لشخص آخر الذى يقصد بالجسم الامتداد الصلب فإنه يستنتج بنفس الطريقة أن القول : أن المكان ليس جسما

قول أكيد تماما مثل أى قضية يمكن اثباتها بهذا : من المستحيل أن يكون
الشيء ولا يكون فى نفس الوقت *

تـيـوـفـيـل :

ان اساءة استخدام البديهيات لا يستدعى لوم استخدامها
بوجه عام . كل الحقائق عرضة لهذا العائق عندما نربطها بأخطاء . يمكن
أن نستنتج ما هو خاطئ ، بل ما هو متناقض وفى هذا المثال لسنا
فى حاجة مطلقا لهذه البديهيات الذاتية التى ينسب اليها سبب الخطأ
والتناقض . ويمكن أن نرى هذا اذا أمكن صياغة دليل أولئك الذين
يستنتجون من تعريفاتهم أن المكان جسم أو أن المكان ليس بجسم ،
صياغة صورة . هناك أيضا شىء من المبالغة فى هذه النتيجة : الجسم
ممتد وصلب ، اذن المضاف ، أى الممتد . ليس جسما ، والممتد ليس شيئا
جسميا على الاطلاق ، لأننى لاحظت فعلا وجود تعبيرات سطحية عن
الافكار ، أو تلك التى لا تضاعف الأشياء كما عندما يقول أحدها :
أقصد بالتلاثية (triquetrum) المثلث ذو ثلاثة أضلاع وأستنتج
من ذلك أن كل ما هو ثلاثى الأضلاع ليس مثلثا . وهكذا يمكن للديكارتى
أن يقول أن فكرة الممتد الصلب له هذه الطبيعة أى أنها تعطى ما يزيد
عن حاجتنا ، اذا ما أخذنا الممتد على أنه شىء جوهرى فخل ممد سيكون
صلبا ، أو كل ممتد سيكون جسميا وبالنسبة للخلاء سيكون من حق
الديكارتى أن يستنتج من فكرته أو صورة الفكرة (facon d' idée)
عدم وجود الخلاء مطلقا ، على فرض أن فكرته جيدة . ولكن لن يكون
من حق أى شخص آخر ، أولا أن يستنتج امكان وجود الخلاء
بناء على فكرته ، ومع أنى لست مؤيدا للرأى الديكارتى ، الا أنى أعتقد
أنه لا يوجد خلاء واحد فى هذا المثال اساءة أكثر لاستخدام كل من
الافكار والبديهيات *

١٥ - فيـلاليت :

على الأقل ، يبدو أن هذا الاستخدام للبديهيات فى القضايا اللفظية
لن يعطينا أدنى معرفة عن الجواهر الموجودة خارج أنفسنا •

تـيـوفـيـل :

ان لى رأى آخر • مثلا هذه البديهية ، أن الطبيعة تعمل بأقصر
الطرق ، أو على الأقل بأكثرها تحديدا ، تكفى وحدها لتبرير كل علم
البصريات وعلم انعكاس الضوء • ومبحث انكسار الضوء أى كل ما يحدث
خارجنا فى أعمال الضوء كما سبق أن أوضحنا ذلك وقد أثبت ذلك السيد
(مولينييه Molineux) فى بحثه عن انكسار الضوء وهو
كتاب جيد جدا •

فيـلاليت :

طبعا قد يدعى البعض أنه عندما نستخدم المبادئ الذاتية لاثبات
قضايا بها كلمات تعبر عن أفكار مركبة ، مثل كلمتى انسان وفضيلة فإن
استخدامها يصبح خطيرا جدا ويجعل الناس يعتبرون أو يقولون خطأ
على أنه حقيقة واضحة • لأن الناس يعتقدون أن تمسكنا بنفس الحدود
يعنى أن القضايا تدور حول نفس الاشياء ، رغم اختلاف الافكار التى
تعنيها هذه الحدود ، بحيث أن الناس ، لأنهم اعتادوا على أن ينزلوا الى
الكلمات على أنها اشياء فأنهم قد استخدموا هذه البديهيات فى اثبات
القضايا المتناقضة •

تـيـوفـيـل :

ما أظلم أن نلوم هذه البديهيات المسكنة على ما يجب أن ينسب
الى سوء استخدام الحدود وغموضها لنفس السبب سنلوم الاقيسة ،
لأننا نسى الاستنتاج عندما تكون الحدود غامضة • ولكن القياس

برىء ، لأنه فى الواقع يوجد أربعة حدود وهذا ضد قواعد القياس
لنفس السبب . نلوم حساب علماء الحساب أو الجبر لأننا بوضع
س بدلا من ص أو أخذ أ على أنه ب سهوا فأننا نستنتج نتائج خاطئة
ومتناقضة .

١٩ - فيـلاليت :

كنت أعتقد على الأقل أن البديهيات قليلة الفائدة عندما يكون
لدينا أفكارا واضحة ومتميزة ، رأى الآخرون أنها ليست ذات فائدة بل
أدعوا أن ذلك الذى لن يميز النصواب عن الخطأ بدون هذه الأنواع من
البديهيات لن يستطيع ذلك أيضا اعتمادا عليها .

ومؤلفنا يظهر (الفقرتين ١٦ ، ١٧) أنها لا تستخدم أبدا فى
تقرير هل هذا انسان أم لا ؟

تـيو فيل :

إذا كانت الحقائق بسيطة جدا وواضحة وقريبة جدا من الذاتيات
والتعريفات فأننا لن نستخدم البديهيات لنستخرج منها هذه الحقائق ،
لأن الذهن يستخدمها ضمنا ويصل الى النتائج مرة واحدة دون تخزين .
ولكن بدون البديهيات المعروفة فعلا سيجد علماء الرياضة مشقة فى
التقدم ، لأنه فى النتائج الطويلة من الاحسن أن نتوقف من وقت لآخر
وأن نعمل نوعا من الاعمدة التى تدل على المسافات فى وسط الطريق
والتي يلاحظها الآخريـن بدون هذا ، هذه الطرق الطويلة ستكون غير ملائمة
تماما ، وقد تبدو مختلطة وغامضة لا تساعد على التمييز وتحديد مكاننا
بالضبط ويصبح شأننا شأن من يذهب الى البحر بدون بوصلة
فى ليلة حالكة الظلام لا يرى فيها شطا ولا عمقا أو شأن من يسير فى
هذه الارض المسيجة حيث لا يوجد أشجار ولا تلال ولا جداول وهى
أيضا تشبه السلسلة ذات الحلقات ، التى تستخدم فى القياس وبها

عدة مئات من الحلقات المتشابهة المتتابعة ولا تفصل بينها أى فواصل
أو خرزات السبحة؛ أو غيرها من التقسيمات التى تعبر عن أبعاد الأقدام.
الست أقدام ، الخمس ياردات ، الخ .

ان الذهن الذى يحب الموحدة فى الكثرة يربط اذن بين بعض النتائج
ليشكل منها نتائج متوسطة وهذا هو دور البديهيات والنظريات . بهذه
الطريقة نجد لذة أكثر ونورا أكثر وتذكر أكثر وتطبيق أكثر وقليل من
التكرار ، واذا أراد بعض التحليليين الا يفترضوا هاتين البديهيتين
المهندسيتين — أن مربع وتر المثلث قائم الزاوية يساوى ضعف مربع
جانبيه الزاوية القائمة وأن الجوانب المتصلة بالمثلثات
المتشابهات تكون متناسبة وبالتالى تخيلوا أنه مادامنا
نستطيع اثبات هاتين النظريتين بربط الافكار التى تتضمنها ، فمن الممكن
تخطيها بسهولة وذلك ياسيدى بأن نضع مكانها الافكار نفسها ، فأنهم
سيجدون أنفسهم قد ابدعوا تماما عن حسابهم ، وحتى لا تظن أن دور
هذه البديهيات محصور فى حدود العلوم الرياضية فقط يمكنك أن تلاحظ
أنه لن يقل ذلك فى القانون فمن المبادئ الوسيطة التى تجعله سهلا
والذى تساعد فى مواجهة هذا المجال الفسيح على خريطة جغرافية ، هى
أن تخضع عددا من القرارات الجزئية لمبادئ أعم . مثلا ستجد أن عددا
من قوانين جوستنيان الخاصة بالدعوى والدفع تلك التى نسميها
(in factum) تعتمد على هذه البديهية

ne quis alterius damno fiat locupletior

أى لا يجب أن يستفيد المرء من الضرر الذى يلحقه بآخر ، أنه يلزمنا أن
نعبر عنها بدقة أكثر . حقا أنه علينا أن نميز بين قواعد القانون . . انى
أتحدث عن الأفضل وليس عن قواعد قانونية معينة ادخلها الاسانذة وتكون
غامضة مع أنها يمكن أن تصبح جيدة ومفيدة ، اذا أعدنا صياغتها ، بينما هى
بتفريعاتها اللانهائية لن تصلح الا فى التشويش ، ولكن القواعد الجيدة أما
أن تكون أقوالا مأثورة أو بديهيات واقصد بالبديهيات كلا من المسلمات
والنظريات . واذا تشكلت الأقوال المأثورة بالاستقراء والملاحظة وليس .

بالعقل قبلها ، وصاغها رجال مهرة بعد الاطلاع على هذا النص التشريعى
الموجود ضمن جوستانيان التى تحدثت عن قواعد القانون حيث جاء
بها قوله :

non ex regula jus sumi , sed ex jure quod est regulam fieri.

أى أننا نستخرج القواعد من قانون معروف لكى نحسن تذكره ،
ولكننا لا نقرر القانون بناء على هذه القواعد • ولكن هناك بديهيات
أساسية تشكل القانون نفسه لا تستمد من سلطة الدولة التعسفية فأنها
تشكل القانون الطبيعى • وهذه هى القاعدة التى تحدثت عنها والتى
تمنع الكسب الذى يضر • توجد أيضا قواعد استثناءها نادر ، وبالتالى
تعتبر كلية ، مثل التى جاءت فى (الفقرة ٢ من دستور الامبراطور
جوستيان) تحت عنوان الدعاوى والتى تقرر أنه عندما يتصل الأمر
بالشئون الجسدية فلن يملكها الفاعل ، سوى فى حالة واحدة أشار
اليها الامبراطور فى مجموعة قوانينه وما زلنا نهتم ببحثها • حقا فان
البعض بدلا من (*sane uno casu*) يقرأون (*sane non uno*)
يستدلون من الحالة الواحدة عدة حالات بالنسبة للأطباء لقد أوضح
المرحوم (*Barner*) الذى كنا نتوقع منه أن يكون فى بحثه
nouveau sennertus تحدينا لنسق فى الطب معدلا وفق الاكتشافات
أو الأفكار الجديدة ، أن الطريقة التى يلاحظها عادة الأطباء فى انساقهم
العملية هى أن يفسروا فن الشفاء بأن يتناولوا مرضا بعد آخر ، تبعا
لاجزاء جسم الانسان ، أو بعبارة أخرى أن يقدموا قواعد كلية
مشتركة فى عدة أمراض ، أو أعراض ، وهذا يوقعهم فى تكرارات لا حصر
لها ، بحيث يمكن أن نستبعد ، فى نظره ثلاثة أرباع ما فى (*sennertus*)
واختصار العلم تماما بقضايا عامة وخاصة تلك التى ينطبق عليها قول
ارسطو أنها تكون مشتركة أو تقترب منها • أعتقد أنه محق فى أن
ينصح بهذا المنهج ، خاصة لما فى الطب من وصايا تماحكية (*ratlocinative*)
والتي بقدر ما هى تجريبية ، فانه ليس من السهولة ومن المؤكد أن تشكل
قضايا كلية • وعلاوة على ذلك هناك عادة تعقيدات فى الامراض

الخاصة التى يمكن مقارنتها بالجواهر بحيث يصبح المرض مثل النبات أو الحيوان يتطلب ناريخا خاصا ، أى أنها تصبح أنماطا أو طرفا من الوجود ، ينطبق عليها ما قلناه عن الاجسام أو الاشياء الجوهرية : وبالتالي يصعب تدقيق النظر فى (الحمى الرباعية (fièvre quarte) كما يصعب تدقيق النظر فى الذهب أو الزئبق ، وعلى هذا فمن الافضل : على الرغم من الوصاية الكلية ، أن نبحث فى أجناس الأمراض عن طرق للشفاء وللعلاج ترضى عدة دلالات وأسباب مجتمعة ، وأن تحصل على ما تؤديه التجربة بصفة خاصة وهذا ما لم يفعله (sennertus) بالقدر الكافى ، لأن بعض السادة المهرة قد لاحظوا أن تركيبات الوصفات التى اقترحها كانت أحيانا فى صورة (ex ingenio) تعتمد على التقريب أكثر من أن تدعمها التجربة ، كما يجب حتى تتأكد أكثر من أثرها . اعتقد ان أن الافضل أن نجتمع بين الطريقتين ولا نشتكى من التكرارات . فمادة بهذه الدقة والاهمية كالطب ما زال ينقصها الكثير مما لدينا فى القانون ، أى الكتب ، الحالات الجزئية ، وقوائم بما قد تم ملاحظته فعلا ، لاننى اعتقد أن واحد من الالف من كتب القانون تكفيننا فى حين لا نملك الكثير فى مادة الطب حتى اذا اتيج لنا من الملاحظات المناسبة ما نريد ألف مرة عما لدينا . ما دام القانون يعتمد على العقل فى الحالات التى لا تعبر عنها ، بوضوح ، القوانين أو العادات . لان من الممكن دائما أن نستخرجه بواسطة العقل أما من القانون أو القانون الطبيعى فى غيبة القانون . قوانين كل اقليم تكون محددة ونهائية ، أو يمكن أن تصبح كذلك ، أما فى الطب فأن مبادئ التجربة ، أى الملاحظات ، يلزمها أن تتضاعف لتعطى فرص أكثر للعقل لان يحل الرموز التى لم تسمح الطبيعة الا بمعرفة نصفها . لا أعرف شخصا يستخدم البديهييات بنفس الطريقة التى استخدمها مؤلفك الماهر الذى نتحدث عنه (الفقرتان ١٦ ، ١٧) كما لو ان شخصا لكى يثبت لطفل أن الزنجى انسان ، يستخدم المبدأ القائل أن ما يكون يكون ، فيقول : العبد لديه روح عاقل ، ولكن الروح العاقلة والانسان شىء واحد ، وبالتالي

إذا كان مع حصوله الروح العاقلة لن يكون انسانا فسيكون من الخطأ قولنا أن ما يكون يكون ، أو قولنا أن نفس الشيء سيكون ولا يكون فى نفس الوقت • لان بدون استخدام هذه البديهيات التى لا تكون مناسبة هنا ولا تدخل مباشرة فى الاستدلال ، كما أنها لن تقدم شيئاً يقنع الجميع بأن يفكروا هكذا : العبد الاسود له روح عاقلة ، كل من له روح عاقلة يكون انسان ، اذن العبد الأسود انسان • وإذا استنتج شخص بما أنه لا توجد روح عاقلة عندما لا تبدو لنا فان الاطفال حديثة الولادة ، والبلهاء لن ينتموا الى الجنس البشرى (كما يقرر المؤلف أنه أفاض الحديث مع اشخاص عاقلين ينكرون ذلك) لا اعتقد مطلقا ان الاستخدام السيء للبديهيات والذي يظهر أنه من المستحيل أن يكون الشيء ، ولا يكون ، قد يقربهم ، ولا أن يفكروا فيها عندما يقومون بهذا الاستدلال • مصدر خطأهم سيكون امتدادا لمبدأ مؤلفنا ، الذى ينكر أنه يوجد شيء ما فى الروح لا ندركه ، فى حين يذهب هؤلاء السادة الى انكار الروح نفسها عندما لا يدركها الآخرون •

الشخصيات

(١) **Antoine Arnauld** يسمى أيضا **ارنولد الكبير** ، فى اللجانسيست ولد فى باريس سنة ١٦١٢ وتوفى فى Liège سنة ١٦٩٤ بعد حياه صاخبة ، أهم أعماله الفلسفية : - المنطق (المسمى منطق بورت رويال) وشاركه فيه نيقولا) ، بحثه فى الأفكار الصواب والخطأ ، موجه ضد مالبرانش ، ملاحظات فلسفية حول المذهب الجديد للطبيعة والعناية ، وأخيرا اعتراضات ضد ديكارت . ظهرت الطبعة الكاملة لأعماله فى لوزان سنة ١٧٨٠ وتوجد الأعمال الفلسفية فى (الاجزاء ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠) وقدمت طبعة خاصة لمكتبة **(Charpentier)** باريس سنة ١٨١٣ .

(٢) **Hardy** مستشرق ورياضى وقانونى . توفى فى باريس سنة ١٦٧٨ فى عمر متقدم فى السن جدا . وقدم ترجمة لاتينية لمعطيات **data** اقليدس مع تفسير **Marinus**

(٣) **Marinus** فيلسوف أغريقى فى القرن الخامس تلميذ بروكلس الذى ترك لنا تاريخ حياته .

(٤) **Comenius** عالم مشهور فى القرن ١٧ ولد فى Comna قرب **Brunmen** (مورافيا) سنة ١٥٩٢ وتوفى فى امستردام سنة ١٦٧١ نشر مؤلفات تربوية جمعها تحت عنوان **opera didactica** أهمها **spicilegium didacticum** اهتم أيضا بعلم الطبيعة وقدم بحثا بعنوان : **disquisitiones de caloris et frigoris natura**.

(٥) **فيثاغورث** : فيلسوف يونانى مشهور ، حياته غير معروفة سوى من خلال قصص أسطورية فى قليل أو كثير ، ولد فى الفترة من ٥٥٠ الى ٥٨٠ ق م ووفاته حولى عام ٥٠٠ . يبدو أنه ولد فى « ساموى ورجل كثيرا وإن كانت عددا من هذه الرحلات مشكوك فيها . أسس فى كروتون باليونان الكبرى المعرسة المشهورة المهتمة بالرياضيات والموسيقى . ينسب اليه اكتشاف نظريات مشهورة لربع الوتر المثلث قائم الزاوية ونظرية العلاقات الرياضية للمسافات الموسيقية يبدو أنه لم يكتب شيئا وكل ما لدينا باسمه مزور .

(٦) **(Casaubon)** عالم مشهور فى القرن ١٦ ولد فى ووردوا بدوفين عام ١٥٥٩ وتوفى فى لندن عام ١٦١٤ ،

(٧) **(Jaques Barner)** طبيب ازدهر فى النصف الثانى من القرن ١٢ قدم **prodrmus Sennerti novi** وعرف بوجه خاص بكيميائية الفلسفة **(chimia philosophica)**

(٨) **(Sennert) (daniel)** طبيب مشهور ولد فى

عام ١٥٧٢ وتوفى فى **(Wittemberg)** عام ١٦٢٧ ونشر عدة أعمال ، أهمها من الناحية الفلسفية هى :

Hypommemeta physica de rerum principiis deorigine animarum in brutis.

نشر أعماله الكاملة فى عدة طباعات احسنها طبعة ليون عام ١٦٥٠ أو عام ١٦٦٦ .

الفصل الثامن

عن القضايا الثقافية Frivoles

فيلا ليت :

١ — اعتقد تماما أن العقلاء لا يهتمهم استخدام المسلمات المتطابقة بالطريقة التي تحدثنا عنها •

٢ — كما يبدو أن هذه البديهيات المتطابقة تماما ليست سوى قضايا ثقافة كما تسميها المدارس (nugatorise) • لم أكن لاقنع بالقول أن هذا يبدو لي كذلك لولا المثال المدهش الذى ذكرته والخاص باستدلال العكس عن طريق القضايا المتطابقة والذى جعلنى ، من الان فصاعدا ، أعدل عن وجهة نظرى وخاصة عندما يتصل الامر باحتسار شىء ما • ومع ذلك سأخبرك بما يبرر إعلاننا أنها ثقافة تماما •

٣ — من الوهلة الاولى نعرف أنها لا تتضمن أى معرفة ، اللهم ألا انها تظهر احيانا للمرء ما يمكن ان تكون قد تورط فيه من اللامعقولية •

تيوفيل :

هل تعتبر هذا الامر تافها يا سيدى ؟ اعتقد جيدا أن المرء لا يتعلم بأن نقول له يجب الا ننكر ونثبت نفس الشئ فى نفس الوقت ، ولكنه يتعلم ذلك بأن نثبت له ، من خلال المناسبات ، أنه يفعل ذلك دون أن يفكر فيه • أنه من الصعب فى نظرى ، أن نتخلص دائما من أدلة الخلف أى التى تؤدى الى اللامعقول وأن نثبتها كلها بالأدلة الواضحة كما يسمونها • وقد مارسه علماء الهندسة المهتمون جدا بهذا • وقد لاحظ ذلك بروكليس من وقت لآخر ، عندما ذكر أن بعض علماء الهندسة القدماء الذين جاءوا بعد أفقليدس قد توصلوا الى استدلال مباشر أكثر

من استدلاله • ولكن سكوت هذا المفسر القديم يظهر بوضوح أنه لم يستخدم •

فيلاليت : على الأقل لا تعترف يا سيدي أن من الممكن صياغة مليون من القضايا بأقل جهد ولكنها أيضا قايلة الجدوى • ليس من التفاهة أن نلاحظ مثلا ، أن المحار هو محار • وأن من الخطأ أن ننكره أو أن نقول أن المحار ليس محارا ؟ • يسر المؤلف أن يقارن بين الشخص الذى يجعل من المحار فاعلا تارة وصفة أو محمولا تارة أخرى ، وبين القرد الذى يتسلى بأن يلقي المحارة من يد الى أخرى ، فاذا كان ذلك مما يمكن أن يشبع جوع القرد ، فأن هذه القضايا ستكون قادرة على ارضاء فهم الانسان •

تيوفيل :

أرى أن هذا المؤلف حاضر الذهن وصائب الحكم ، لديه كل المبررات التى فى العالم التى تجعله يعارض أولئك الذين سيستخدمونها بهذه الصورة • ولكنك ترى جيدا كيف يجب استخدام المتطابقات لتصبح مفيدة ، وذلك بأن نثبت بها ، بناء على النتائج والتعريفات ، خضوع الحقائق الاخرى التى نريد تقريرها •

٤ — فيلاليت :

اعرف ذلك ، وأرى جيدا أن من الممكن ، بحق ، تطبيقه على القضايا التى تبدو تافهة وغالبا ما يكون ذلك فى عديد من المناسبات التى نثبت فيها جزءا من الفكرة المركبة لموضوعها كقولنا : الرصاص معدن وخاصة عندما نقول لشخص يعرف معنى هذه الحدود • ويعرف أننا نقصد بالرصاص جسما صلبا له ثقل وقابل للصر وقابل للطرق ، فهذه هى الوسيلة الوحيدة للقول أنه معدن بدلا من أن نشير الى عدد من الافكار البسيطة وتعددها له واحدة بعد الاخرى •

• — نفس الامر عندما نثبت جزءا من التعريف للحد الذى نحدده فنقول : كل ذهب قابل للانصهار ، على فرض اننا حددنا الذهب بأنه جسم أصفر له ثقل ، فإنه قابل للانصهار وقابل للطرق • وكذلك القول أن المثلث له ثلاث جوانب ، وأن الانسان حيوان ، وأن حصان الامراء حيوان يسهل ، كل هذا يستخدم فى تعريف الكلمات وليس فى معرفة أى شئ آخر خلاف التعريف • ولكننا يمكن أن نعرف شيئا آخر عندما نقول أن لدى الانسان فكرة عن الله ، وأن الافيون يغرق الانسان فى النوم •

تيوفيل :

علاوة على ما ذكرته عن المتطابقات التى يكون تطابقها تاما ، نجد أن للمتطابقات الناقصة فائدة أخرى خاصة • مثلا قولنا أن الانسان المعقل يكون دائما انسانا ، يجعلنا نعرف أنه ليس معصوما وأنه ميت ... الخ • قد يحتاج شخص ما ، وهو فى خطر ، الى قذيفة مسدس وينقصه الرصاص ليصهره بالصورة التى يريد ، فيقول له صديقه : تذكر أن النقود الفضية التى فى محفظتك قابلة للصهر ، هذا الصديق لا يجعله يعرف مطلقا صفة للفضة وانما يدفعه الى التفكير فى استخدام يمكن أن يلجأ اليه ليحصل على قذائف للمسدس ترضى هذه الحاجة الملحة • جزء كبير من الحقائق الاخلاقية والعديد من عبارات المؤلفين لها هذه الطبيعة • أنها لا تعرفنا شيئا احيانا ولكنها تجعلنا نفكر فى ضوء ما نعرف • هذه القصيدة الهجائية من التراجيديا اللاتينية *Cuius potest accideri, quod cuiquam potest* (التي يمكن أن نعبر عنها هكذا ، وأن كانت بصورة أقل جمالا : ما يمكن أن يحدث لفرد يمكن أن يحدث لكل فرد) لا يسعها الا أن تذكرنا بالمصير الانسانى •

quod nihil humani à nobis alienum putare debemus

وهذه القاعدة القانونية :

que jure suo utitur, nemini facit injuriam

ذلك الذى يستخدم حقه لا يضر أحد • تبدو تافهة • ومع ذلك لها استخدام جيد فى اعتبارات معينة وتجعلنا نفكر بعدل فيما يجب • مثلا عندما يرتفع شخص ما بمنزله الى المقدر المسموح • قانونا وعرفا ولكنه مع ذلك يحرم جاره من منظر ما فاذا اراد الجار أن يشتكى جاره ذكرنا له هذه القاعدة وكذلك قضايا الواقع ، أو الخبرات مثل تلك التى نقول أن الافيعون مخدر ، تقودنا ابعد من حقائق العقل الخالص التى تجعلنا نذهب أبعد مما فى أفكارنا المتميزة بالنسبة لهذه القضية أن لكل انسان فكرة عن الله ، فهى قضية من قضايا العقل عندما تقصد بكلمة فكرة تصورا ذهنيا • لان تصور الله فى نظرى فطريا لدى كل الناس ولكن اذا كانت هذه الفكرة تعنى تصورا نفكر فيه حاليا فأنها تصبح قضية واقع تعتمد على تاريخ الجنس البشرى •

٧ — أخيرا القول أن المثلث له ثلاث جوانب فهذا ليس متطابقا كما يبدو لانه يلزمنا قليل من الانتباه لنرى أن الضلع لابد وأن يكون له من الزوايا بقدر ماله من الجوانب ، وسيكون له أيضا جانبا زائدا اذا ما افترضنا أن هذا الضلع غير مغلق •

فيالليت :

يبدو أن القضايا العامة التى نشكلها عن الجواهر تكون فى الغالب تافهة ، اذا ، ما كانت يقينية • ومن يعرف دلالات الكلمات : جواهر ، انسان ، حيوان ، صورة ، روح نباتية ، حسة ، عاقلة ، سيشكل منها عدة قضايا لا يمكن الشك فيها ولكنها غير مفيدة ، وخاصة بالنسبة للروح ، التى تتكلم عنها احيانا دون أن نعرف ما هى حقيقة • كل واحد منا يمكن أن يرى قضايا لاحصر لها • ولا استدلالات ونتائج لها هذه الطبيعة فى كتب ما بعد الطبيعة واللاهوت المدرسى ، ونوع معين من الفيزيكا الذى قراءته لن تعلمنا عن الله ، الازمان ، الاجسام ، شيئا أكثر مما نعرف قبل أن نتصفح هذه الكتب • —

تبيؤفيل :

حقا أن مختصرات ما بعد الطبيعة وغيرها من الكتب التى من هذا النوع والتى نراها منتشرة لا تعلمنا سوى الكلمات • مثلا قولنا أن ما بعد الطبيعة هو العلم بالكائن الاسمى بوجه عام ، الذى يفسر مبادئه وما يصدر عنه من ارتباطات ، وأن مبادئ الكائن هى الماهية والوجود وأن تكون أما أولية مثل : الواحد الحق الخير ، أو مشتقة مثل : نفس المشىء والمغاير البسيط والمركب •••• الخ • والحديث عن كل حد من هذه الحدود لا يعطينا سوى أفكار غامضة وتمييزا للكلمة وفى هذا أساءة للعلم • ومع ذلك يجب أن نعترف أن لدى المدرسين المتعمقين أمثال سوريز (Suarez) الذى يقدره تماما (جروتياس • Grotius) مناقشات جديرة بالاعتبار ، تتصل بالمستمر ، اللامتناهى ، العرضى ، حقيقة المجردات ، مبدأ التفرد ، أصل وفراغ الصور ، النفس وملكانها • العون الالهى لمخلوقاته ••• الخ وحتى فى الاخلاق بالنسبة لطبيعة الارادة ومبادئ العدالة • وباختصار يجب الاعتراف بأن هذه المعادن غير المنقية لا تخلو من الذهب خالص • ولكن على الاشخاص المستنيرين أن يستفيدوا منها ، أما شحن الشباب بمثل هذا الحشو من الكلام غير المفيد لمجرد أن هناك شىء جيد هنا أو هناك فهو أسوأ تبديد لأعز الاشياء وهو الوقت • كذلك لا ينقصنا تماما القضايا العامة الخاصة بالجواهر والتى تكون أكيدة وتستحق أن نعرفها • هناك حقائق كبرى وجميلة عن الله التى علمنا مؤلفنا الماهر أياها أما فى ذاتها أو فى جزء منها بغيرها وقد يضيف البعض على تلك التى تركها أرسطو • ويجب القول أن الفيزيكا حتى العامة أصبحت أكثر حقيقة عما كانت من قبل أما ما بعد الطبيعة الحقيقية فقد بدأنا تقريبا فى تكوينها ونجد حقائق هامة مؤسسة على العقل وتؤيدها التجربة تتصل بالجواهر بوجه عام • واتعشم أيضا أن أعمل على تقدم أكثر فى مجال المعرفة العامة للنفس والاذهان • مثل هذه ما بعد الطبيعة هى التى طالب بها أرسطو وهى العلم الذى يسميه المرغوب أو الذى يبحث عنه ، والذى يجب أن يكون

بالنسبة للعلوم الاخرى ما يكونه علم السعادة بالنسبة للفنون التى تحتاجه وما يكونه المهندس بالنسبة للعامل • ولهذا يقول ارسطو أن العلوم الاخرى تعتمد على ما بعد الطبيعة باعتبارها الاعم والتى يجب أن تعبرها مبادئها التى تكون قد برهنتها • كذلك يجب معرفة أن علاقة الاخلاق الحقيقية بالنسبة لما بعد الطبيعة تشبه علاقة الممارسة بالنسبة للنظرية اعتمادا على نظرية الجواهر ، وبوجه عام يجب أن تعرف العقول وأن نعرف بوجه خاص الله والنفوس مما يضى على العدالة والفضيلة اتساعا أكثر • لانه كما سبق أن لاحظت ، اذا لم توجد العناية ولا الحياة المقبلة سيظل المرء محدودا فى ممارسة الفضيلة ، لانه لا يهتم الا بالرضاء الحاضر وهو الرضاء الذى ظهر فعلا عند سقراط ، والامبراطور مارك انطون ، وابيقور ، وغيرهم من القدماء ولن يكون مدعما باستمرار بدون هذه النظرات الجميلة والعظيمة التى يتيحها أمامنا النظام والانسجام فى الكون لنرى مستقبلا بدون حدود ، بغير ذلك لن يصبح هدوء النفس سوى ما نسميه الصبر بالقوة ، ومن ثم يمكن القول أن اللاهوت الطبيعى يحتوى جزءا من النظرية والعمل وبالتالى يحتوى على ما بعد الطبيعة الحقيقية والاخلاق الاكمل •

١٢ — فيلايت :

هذه المعارف لا شك فى أنها بعيدة تماما من أن تكون تافهة أو مجرد لفظية ، لكن يبدو أن هذه الاخيرة هى تلك التى يثبت فيها أحد المجردين الآخر ، مثلا الادخار اعتدال ، أو عرفان الجميل عدالة ، قد يبدو هذه القضايا وغيرها خادعة فى أوله وهلة ولكن اذا ما ركزنا عليها أكثر ستجد أنها لا تعطينا سوى دلالة الحدود •

تيوفيل :

ولكن دلالة الحدود أى التعريفات بارتباطها بالبديهيات المتطابقة تعبر عن مبادئ كل البراهين ، ونظرا لان هذه التعريفات يمكنها أن

تعرّفنا فى نفس الوقت الافكار وامكانيّتها ، فمن الواضح أن ما يعتمد عليها لن يكون دائماً لفظياً خالصاً بالنسبة للمثال عرفان الجميل عداله أو بالاحرى لا يمكننا احتقار جزء من العدالة ؛ لانه يعرفنا ما تسميه (actio ingrati) أو الشكوى التى يمكن أن نشكوها من ناكرى الجميل يجب أهملها على الأقل فى المحاكم . لقد أقر الرومان هذه الدعوى ضمن الأحرار أو المتحررين ، ويجب أن توجد اليوم بالنسبة لمفسخ الهبات ، وقد قلت أن الافكار المجردة يمكن أن تنسب بعضها الى بعض كما ينسب النوع الى الجنس كما فى قولنا الديمومة استمرار ، الفضيلة عادة ، ولكن العدالة الكلية ليست فضيلة فحسب بل هى أيضا الفضيلة الأخلاقية بأكملها .

الشخصيات

- (١) (Saurez) جيزويت لاهوتى مشهور ، ولد فى غرناطة عام ١٥١٨ وتوفى ١٦١٧ يمكن القول أنه آخر المدرسين ، لدينا من مؤلفاته سنة ١٦١٩ — باريس . Metaphysicarum disputationum libro duo. لندن سنة ١٤٧٩ . Tractatus de legibus et deo legislatore. (٢) (Gratiuc) مشرع مشهور ولد فى دلفت بهولندا فى ١٠ ابريل عام ١٥٨٣ وتوفى فى راكتوك عام ١٦١٥ . مؤلفه الرئيسى هو de jure pacis et belli

ترجمة الى الفرنسية (Barberyrae) (٣) (Antonin , Epicète) : رواقيان رومانيان من عصر الامبراطورية ، ولد أمبكت فى هيوروبولياس فع فرجيا فى القرن الاول ومات حوالى منتصف القرن الثانى كان عبدا ثم حرر . العمال الذين يلحسان نظريته هما les entretiens وقد كتبها اريان تلميذه واجمل طبعة لكتبه نشرها (Schweighauser) او مارك أوريل امبراطور روما عام ٣٢١ م توفى عام ١٨٠ وعمله الوحيد هو كتابه الافكار (pensée) طبعة Schule عام ١٨٠٢ وله ترجمة فرنسية فى مجلدين (dacier) بباريس عام ١٦٩١ وترجمه (de joly) عام ١٧٧٠ و (de pierron) عام ١٨٤٣ بباريس .

الفصل التاسع

عن المعرفة التى لدينا عن وجودنا

١ - فيلاليث :

لم نعتبر حتى الآن سوى ماهيات الاشياء ، ونظرا لان ذهننا لا يعرفها سوى بالتجريد ، بأن ننزع عنها كل وجود جزئى ، خلاف ذلك الذى يكون فى فهمنا ، فهى لاتعطينا اطلاقا أى معرفة لأى وجود حقيقى، والقضايا الكلية التى يمكن أن نعرفها بيقين لن يكون لها أى صلة بالوجود . علاوة على ذلك فى كل مرة ننسب شيئا الى فرد من نوع أو جنس اعتمادا على قضية لا تكون يقينية اذا كان هذا الشيء نفسه قد نسب الى نوع أو جنس بوجه عام ، لن نتصل القضية بالوجود ولن تجعلنا نعرف سوى ارتباط عرضى بين هذه الاشياء الموجودة بوجه خاص ، كما عندما نقول أن هذا الرجل عالم .

تيوفيل :

حسن جدا . بهذا المعنى ينسب هؤلاء الفلاسفة . الذين يميزون أحيانا بين ما يتصل بالماهية وما يتصل بالوجود ، الى الوجود كل ما هو عرضى أو بالصدفة اننا لا نعرف أحيانا هل القضايا الكلية التى لا نعرفها الا بالتجربة يمكن أن تكون هى أيضا عرضية ، لان تجربتنا محدودة ففى البلاد التى لا يستجمد فيها الماء دائما فى حالة سيالة ، قضية ليست أساسية ما دمنا سنعرف ذلك عندما نصل الى البلاد الأكثر برودة ومع ذلك يمكن أن نأخذ العرض بطريقة أضيق كما لو أنه يوجد وسط بينه وبين الأساسى ، هذا الوسط هو الطبيعى ، أى ذلك الذى لا يرتبط بالشيء بصورة ضرورية ، ولكنه مع ذلك ، يناسبه اذا لم يمنعه شيء . على هذا يمكن لاحدنا أن يتمسك بتقرير أنه ليس أساسيا بالنسبة للماء أن يكون

سائلا وأن كان طبيعيا أن يكون كذلك • أقول أن من الممكن أن يتمسك بذلك ولكنه ليس بالامر المبرهن عليه • وربما قد يندفع سكان القمر • اذا كان مسكونا الى الاعتقاد بالقول أنه من الطبيعى لن يكون الماء مثلجا • ومع ذلك هناك حالات أخرى يكون فيها الطبيعى أقل شكا • مثلا : شعاع الضوء يندفع دائما مستقيما فى نفس الوسط • ما لم يتصادف أن يلتقى بسطح يعكسه • علاوة على أن أرسطو قد اعتاد أن ينظر الى المادة كمصدر للأشياء العرضية ، ولكن يجب أن نقصد هنا المادة الثانية أى ركام أو كتلة الاجسام •

فيـلـاليت :

٢ — لقد لاحظت فعلا ، وفق المؤلف الممتاز الانجليزى الذى بحثه الخاص بالفهم ، أننا نعرف وجودنا بالحدس ومعرفة الله بالاستدلال ، والأشياء الأخرى بالاحساس •

٣ — لكن هذا الحدس الذى يجعلنا نعرف • وجودنا يجعلنا نعرفها بوضوح تام لا يمكن اطلاقا اثباته ولا يحتاج ابدا لذلك : وبحيث عندما أشرع فى الشك فى كل الأشياء ، فأن الشك نفسه لا يسمح لى بالشك فى وجودى • أخيرا لدينا هنا أعلى درجة من اليقين يمكن أن نتخيلها •

تيوفيل :

انى متفق تماما مع ذلك • وأضيف أن الادراك المباشر لوجودنا ولافكارنا يمدنا بالحقائق الأولية البعدية أو الخاصة بالواقع ، أى التجارب الأولى وكذلك القضايا المتطابقة التى تشمل الحقائق الأولية القبلية أو المعتمدة على العدل أى الادوار الأولى • هذه وتلك لا يمكن أن تكون مثبتة ويمكن أن نسميها مباشرة ، تلك لأنه يوجد تباشر بين الفهم وموضوعه وهذه لأنه يوجد تباشر بين الموضوع والمحمول •

الفصل العاشر

عن المعرفة التى لدينا عن وجود الله

١ — فباليت :

لقد منح الله أرواحنا الملائكة التى تترين بها ، وهو لم يترك نفسه بدون شهادة ، لان الحواس والذكاء والذهن تمدنا بأدلة واضحة عن وجوده •

تيوفيل :

لم يعط الله الروح الملائكة القدرة على المعرفة فقط ، وانما طبع فيها أيضا خصائص تميزها : وأن احتاجت للملائكة تدرك بها هذه الخصائص • ولكنى لا أريد تكرار ما سبق ان ناقشناه بالنسبة للأفكار والحقائق الفطرية التى من بينها فكرة الله وحقيقة وجوده • والاجدر بنا أن ننتقل الى الواقع •

فيلاليت :

ولكن مع أن وجود الله يعتبر أسهل حقيقة يبينها العقل وأن وضوحها يساوى ، اذا لم أكن مخطئا ، وضوح الاستدلالات الرياضية الا أنها تتطلب الاهتمام بها • أنها لا تحتاج أولا الا التفكير فى أنفسنا وفى وجودنا الذى لا شك فيه • وعلى هذا أفترض أن كل واحد منا يعرف أن شيئا يوجد حاليا ، وعلى هذا هناك كائن حقيقى • اذا وجد شخص يمكنه أن يشك فى وجوده الخاص ، فأنى أعلن أنى لا أخاطبه •

٣ — نعلم أيضا بمعرفة تقوم على رؤية بسيطة أن العدم الخالص لا يمكنه أبدا أن ينتج كائنا حقيقيا • ومن هنا ينتج بوضوح رياضى أن

شيئا وجد منذ الأبد ، ما دام كل ماله بداية يجب أن يكون قد أوجده شيء آخر .

٤ — ولكن كل كائن يستمد وجوده من آخر ، ويستمد أيضا منه كل ما يخصه وكل ملكاته . إذن المصدر الخالد لكل هذه الموجودات يكون أيضا مبدأ لكل قدراتها بحيث يجب أن يكون هذا الكائن الخالد قادرا تماما .

٥ — أكثر من ذلك ، يجد الانسان في نفسه المعرفة اذن يوجد كائن عاقل ولكن من المستحيل على الشيء المجرد تماما من المعرفة والادراك أن ينتج كائنا عاقلا ، ومن المناقض لفكر المادة ، المحرومة من الاحساس ، أن تنتج لنفسها . اذن مصدر الأشياء يكون عاقلا ، وقد وجد كائن عاقل منذ الأزل .

٦ — الكائن الخالد ، القادر ، والعاقل جدا ، هو ما نسميه الله . وأنه اذا وجد شخص غير عاقل بحيث يفترض أن الانسان هو الكائن الوحيد الذي لديه المعرفة والحكمة ولكنه مع ذلك قد شكل بالصدفة الخالصة وأن هذا المبدأ الأعمى الخالي من المعرفة هو الذي فسر كل ما عداه في الكون ، فأنى أنصح به بأن يفحص في وقت فراغه تحذير شيشرون القوي والمليء بالبلاغة *de legibus, lib II.* والذي يقول أنه لمن المؤكد الا يجب لأحد أن يكون من البلاء والزهو بحيث يتخيل أنه ، مع أنه يوجد في داخله فهم وعقل ، لا يوجد أى عقل يحكم كل هذا الكون الفسيح . مما قلته ينتج بوضوح أن احينا معرفة يقينية بالله بأى شيء آخر أيا كان خارجنا .

تيسوفيل :

أؤكد لك ياسيدى باخلاص كامل أنى آسف تماما لأنى مضطر الى أن أعارض هذا الاستدلال ، واكنى أفعل ذلك فقط لاعطيك فرصة لتملا

الفراغ • اعتراضى أساسا على النقطة التى نستنتجها (٢) أن شيئا وجد منذ الأزل • أجد فى هذا غموضا ، اذا كان هذا يعنى أنه لم يوجد أبدا أى زمان لا يوجد فيه أى شيء ، فانى أوافق على ذلك لأن هذا يترتب حقا على القضايا السابقة اعتمادا على نتيجة رياضية تماما • لأنه اذا لم يوجد شيء منذ الأزل فانه لن يوجد شيء باستمرار ، فالعدم لا يمكن أن ينتج كائنا ، أذن لن تكون نحن أيضا ، وهذا يناقض الحقيقة الاولى للتجربة ، ولكن الخطوات التالية ستظهر أولا أن شيئا ما قد وجد منذ الأزل ، يعنى أنه شيء خالد • ومع ذلك لا ينتج ابدا،بناء على ما سبق أن ذكرت حتى الآن أنه اذا ما وجد دائما شيء ما ضمن المؤكد أن يوجد دائما شيء معين ، أى أن يوجد كائن خالد • لأن بعض المعارضين سيقولون قد أوجدتني أشياء أخرى ، وهذه الاشياء أيضا توجد لها أشياء أخرى : علاوة على ذلك ، اذا قبل البعض وجود الكائنات الخالدة (مثل ذرات الابطيقوريين) فأنهم لا يعتقدون أنهم مضطرون لهذا الى قبول وجود كائن خالد يكون وحده مصدر كل ما عداه • لأنه عندما يعرفون أن ما يعطى الوجود للشيء يعطى له أيضا الصفات والقدرات الأخرى سينكرون أن يعطى شيء وحيد الوجود للآخرين ويقولون أيضا أنه يجب أن يؤازر عدة أشياء كل شيء • على هذا لن نصل بهذا وحده الى مصدر واحد لكل القدرات • ومع ذلك من المقبول أن تحكم أن هناك مصدرا بل وأن الكون تحكمه الحكمة • ولكن عندما نعتقد أن المادة قابلة للاحساس فمن الممكن أن نكون مهينين للاعتقاد فى أنه ليس من المستحيل أن تنتجه ، أو على الأقل سيكون من الصعب أن نذكر دليلا لا يظهر فى نفس الوقت أنها غير قادرة على ذلك تماما ، وعلى فرض أن تفكيرنا يصدر عن كائن مفكر هل يمكننا أن نوافق من غير مساس للاستدلال ، أنه يجب أن يكون الله ؟

٧ - فيلالييت :

لا أشك مطلقا فى أن الرجل الممتاز الذى استمرت منه هذا الاستدلال قد تعجز عن أكماله ، وسأحاول أن أحمله اليه فقد يقدم

خدمة كبيرة للجمهور . أنت نفسك تتمنى ذلك . هذا يجعلنى أظن أنك لا تعتقد مطلقا أنه لكى نسكت الملحدين يجب أن ندير كل شئ حول وجود فكرة الله فىنا ، كما يفعل البعض ، الذين يرتبطون كثيرا بهذا الاكتشاف المتميز ، لدرجة أنهم يرفضون كل الاستدلالات الأخرى على وجود الله ، أو على الأقل يحاولون أضعافها ومنع استخدامها كما لمو أنها ضعيفة أو خاطئة حتى وإن كانت فى أساسها أدلة تجعلنا نرى بوضوح وبطريقة مقنعة وجود الكائن الأعلى بناء على اعتبار وجودنا الخاص والأجزاء الحسية للكون ، والتي لا أعتقد أن من واجب أى شخص عاقل أن يقاومها .

تـــيـــوفيل :

مع انى أقبل القول بالأفكار الفطرية وخاصة فكرة الله ، الا أننى لا أعتقد أن الاستدلالات الديكارتية المشتقة من فكرة الله تكون كاملة . لقد أثبت بوضوح (فى أعمال ليبيرنج actes de Leipsik وفى مذكرات تريفو Trevox) أن استدلالات ديكارت مستعارة من القديس أنسلم أرشيدون كافتورييرى ، وهى جميلة جدا وعظيمة حقا . ولكن هناك أيضا فراغ يجب أن يما هذا الارشيدوق المشهور الذى كان ، ولا شك ، من أقدر الرجال فى عصره والمجدير بحق بالتهنئة لحصوله على وسيلة لاثبات وجود الله قبلها . عن طريق فكرته الخاصة ، دون أن يلجأ الى آثاره . وهذا هو مصدر قوة دليله : الله هو الاكبر (أو كما يقول ديكارت) وأكمل الكائنات ، أو هو كائن له عظمتة وكماله الاعلى الذى يشمل كل الدرجات ، هذه هى فكرة الله . وهذا هو الآن كيف ينتج الوجود عن هذه الفكرة أن يوجد شئ أكثر من الا يوجد أو الوجود يضيف درجة على العظمة أو الكمال وكما يعلن ديكارت الوجود هو نفسه الكمال . إذن هذه الدرجة من العظمة والكمال أو هذا الكمال الذى يتكون فى الوجود يكون فى هذا الكائن ساميا وكبيرا وكاملا . وأى درجة نقص فى كماله يتعارض مع تعريفه وبالتالي هذا الكائن السامى موجود . المدرسيون .

بما فيهم أستاذهم القديس توما احتقروا هذا الدليل واعتبروه استدلالاً زائفاً ، وهم فى ذلك مخطئين تماماً • وديكارت الذى درس مدة طويلة الفلسفة المدرسية فى كلية الجيزوميت فى لافليش ، كان محقاً تماماً فى إعادة تقريره • أنه ليس بالاستدلال الزائف ولكنه استدلال غير تام يفترض شيئاً يجب أن نثبت ليصبح ذا وضوح رياضى ، من المفروض ضمناً أن هذه الفكرة عن الكائن العظيم والكامل مسكنه ولا تتضمن تناقضاً • لقد أضاف شيئاً فعلاً اذ أثبت أن افتراض أن الله ممكن تؤدى الى اثبات أنه موجود وهذه هى مميزات خاصة بالالوهية وحدها • فمن حقنا أن نفترض امكانية كل كائن وخاصة امكانية الله الى أن يثبت أحدنا العكس • أن هذا الدليل الميتافيزيقى يعطينا نتيجة اخلاقية مقنعة تقرر أنه وفق الحالة الحاضرة لمعارفنا يجب الحكم بأن الله يوجد ونتصرف بما يتفق مع ذلك • ولكن مازلنا نتمنى أن يكمل أناس ماهرون الاستدلال بقدر من الوضوح الرياضى واعتقد أنى قلت فى هذا الصدد شيئاً يمكن أن يكون مفيداً • دليل ديكارت الآخر الذى يسعى الى اثبات وجود الله لأن فكرته تكون فى أنفسنا ، ويجب أن تكون صادرة عن الاصل دليل أقل اقناعاً • لأن أول هذا الدليل يعيبه كما يعيب الدليل السابق أنه يفترض أنه يوجد فيما مثل هذه الفكرة ، أى الله ممكن • لأن ما يزعمه من أنه عندما نتحدث عن الله فأنا نعرف ما نقول وبالتالي لدينا عنه فكرة ، يعتبر علامة خادعة ، لأننا مثلاً ، عندما نتحدث عن الحركة الآلية المستمرة فأنا نعرف ما نقول فى حين أن هذه الحركة مستحيلة ، ومن ثم لن نحصل على فكرة عنها الا فى الظاهر • ثانياً • هذا الدليل نفسه لا يثبت كفاية أن فكرة الله ، اذا حصلنا عليها ، يجب أن تصدر عن الاصل • ولكنى لا أريد أن أتوقف عندها حالياً • أنك تقول لى ياسيدى • أن معرفتنا للفكرة الفطرية عن الله لا تجيز لنا أن نشك فى امكان وجودها • ولكنى لا أجزى هذا الشك الا بالنسبة لاستدلال قوى مؤسس على الفكرة وحدها ، ولأن من جهة أخرى ثقتنا قليلة فى الفكرة وفى وجود الله وأنت تذكر أنى أثبت كيف أن الافكار تكون فيما ، لا دائماً بحيث ندركها ، وأنما دائماً

بحيث يمكن أن نستدلها من أعماقها الخاصة وأن نجعلها قابلة للإدراك .
وهذا أيضا ما أعتقد بالنسبة لفكرة الله ، التي أتمسك بإمكانها وللوجود
الذى أثبت بأكثر من طريقة أن الانسجام الازلى أيضا يمدنا بوسيلة
جديدة صريحة . ومن جهة أخرى أعتقد أن كل الوسائل تقريبا التى
استخدمت لإثبات وجود الله تكون جيدة ويمكن أن نخدمنا إذا اكملناها
ولست من الرأى الذى يقول بوجوب اهمال الدليل الذى نستمد منه من
نظام الاشياء .

٩ - فيلالييت :

ربما سيكون من المناسب أن تلح قليلا على هذا السؤال هل
يمكن لكائن مفكر أن يأتى من كائن غير مفكر ومحروم من كل احساس
ومعرفة كالمادة .

١٠ - من الواضح أيضا أن جزءا من المادة غير قادر على انتاج
شئ بنفسه وأن يمنحه الحركة ، يجب اذن أما أن تكون حركته خالدة أو
أن تكون قد طبعت فيه بواسطة كائن أقوى . عندما تكون هذه الحركة
خالدة ستكون دائما غير قادرة على التولد عن المعرفة . قسمها الى أكبر
قدر تشاء من الاجزاء الصغيرة ولكى تجعلها روحية اعطيها كل الاشكال
وكل الحركات التى تريدها ، أجعل منها كرة أو مكعبا أو مخروطا أو
منشورا . . . الخ أبعاده ستكون ألف جزء من الـ 10^{-10}
وهو 10^{-10} من الخط الذى يكون 10^{-10} من البوصة والتى تكون 10^{-10} من
القدم الفلسفى الذى يكون 10^{-10} من بندول كل ذبذبة فيه فى مسافة ٤٥
درجة تساوى لحظة زمنية . هذه الذرة من المادة مهما كانت صغيرة لن
تؤثر بوجه آخر على الأجسام الأخرى ذات الاحجام التى تناسبها
الا كما تؤثر الاجسام التى طولها بوصة أو قدم بعضها على بعض . ويمكن
أن نتعشم ، ولنا عذرنا أنها تولد الاحساس ، الافكار ، المعرفة وذلك
عندما تربط معا أجزاء ضخمة من المادة ذات أشكال معينة وحركات
معينة أكثر مما ينتج من ربطها بأجزاء أصغر من المادة الموجودة فى

العالم • هذه الأخيرة تتصادم ، تتدافع ، وتقاوم أحدهما الأخرى تماما كالأجزاء الضخمة هذا كل ما يمكنها فعله • ولكن اذا استطاعت المادة أن تستمد من داخلها الاحساس ، الادراك والمعرفة مباشرة وبدون آلة أو بدون مساعدة الاشكال والحركات ، فى هذه الحالة يجب أن نحصل على خاصية غير قابلة للانفصال للمادة ولكل أجزائها • يمكن أن نضيف الى ذلك أن الفكرة العامة والنوعية التى لدينا عن المادة تدفعنا الى الكلام عنها كما لو أنها شىء وحيد فى العدد ، مع ذلك ايست المادة أساسا شيئا فرديا يوجد كأنه كائن مادى أو جسم مفرد نعرفه أو يمكن أن ندركه • بحيث اذا كانت المادة أول كائن خالد مفكر ، فلن يوجد كائن وحيد خالد ، لا نهائى ، ومفكر ولكن عددا لا نهائيا من الكائنات الخالدة ، وأفكارها متميزة وبالتالي لن تستطيع أبدا انتاج هذا النظام ، هذا التناسق وهذا الجمال الذى نلاحظه فى الطبيعة • من هذا ينتج ضرورة أن المادة لن تكون أول كائن خالد • أتعشم أن تكون راضيا ، ياسيدى ، من هذا البرهان المأخوذ من المؤلف المشهور للاستدلال السابق الذى لم يظهر الوجود من استدلاله •

تتويها : —————

أجد أن هذا البرهان هو الاقوى فى العالم ، وليس فقط دقيق ولكن أيضا عميق وجدير بمؤلفه أيضا أنى متفق تماما معه فى أنه لا يوجد مطلقا ارتباط أو تعديل لاجزاء المادة ، مهما كانت صغيرة ، يمكنها أن تنتج ادراك بقدر ما تعجز الاجزاء الضخمة (وذلك نعرفه بوضوح) وأن كل شىء يحدث فى الاجزاء الصغيرة يكون متناسبا اذا قورن بما يمكن أن يحدث فى الاجزاء الكبرى ، أنها كذلك ملاحظة هامة تخص المادة ، تلك التى يذكرها مؤلفك هنا ، وهو أنه يجب الا نعتبرها شيئا وحيدا فى العدد أو (كما هى عادتى فى الحديث) على أنها وحدة عنصرية حقيقية أو وحدة ما دامت ليست سوى تكتل من عدد لا نهائى من الكائنات • أن هذا المؤلف الممتاز يلزمه خطوة واحدة فقط ليصل

الى مذهبى أنى ، فى الواقع ، أعطى الإدراك لك هذه الكائنات اللانهائية
التي يشبه كل واحدة منها حيوانا وزودا بالروح (أو بمبدأ نشط مشابه
يجعل منها وحدة حقيقية) بالإضافة الى ما يحتاجه هذا الكائن ليكون
منفعلا وزودا وموهوبا بجسد عضوى • الآن هذه الكائنات تستمد
طبيعتها الايجابية والسلبية على السواء (أى ما يجعلها لا مادية ومادية)
من سبب عام وأعلى ، لأنه اذا لم يكن الأمر ، كذلك ، كما يلاحظ مؤلفك
جيذا ، ولكونها مستقلة بعضها عن البعض فلن يمكنها أبدا انتاج هذا
النظام ، هذا الانسجام ، هذا الجمال الذى نلاحظه فى الطبيعة •
ولكن هذا الدليل الذى يبدو يقينا اخلاقيا قد اندفع الى ضرورة ما وراء
طبيعية تماما بفضل النوع الجديد من الانسجام الذى قدمته • وهو
الانسجام الأسمى • لأن كل روح من هذه الأرواح تعبر بطريقتها عما
يحدث خارجها ولا يمكنها أن تؤثر على الكائنات الجزئية الأخرى ، أو
بالأحرى ، يلزمها أن تستمد هذا التعبير من أعماق طبيعتها ، يجب
بالضرورة أن تستمد كل واحدة منها هذه الطبيعة (أو هذا السبب
الداخلى للتعبيرات عما يكون فى الخارج) من سبب كلى تعتمد عليه
كل هذه الكائنات ، ويجعل كل واحدة منها تتفق تماما وتتصل بالأخرى ،
مما لا يحدث بدون معرفة وقدرة لا نهائية ، وبراعة عظمى تفوق القبول
الإلى التلقائى لأفعال الروح العاقلة ، مما دفع مؤلف مشهور الى ذكر
اعتراضات ضدها فى معجمه « المدهش » حيث كاد أن نشك فى أن حالة
هذه الأشياء تجاوز كل حكمة ممكنة ، فقال أن حكمة الله لا تبدو له مطلقا
عظيمة جدا بحيث ينتج مثل هذا الأثر ، واعترف على الأقل بأنه لم يحدث
لأحد مطلقا أن قدم مثل هذا الوضوح الذى يمكن أن نمثله عن الكمال
الالهى •

فيـالـلـيـت :

١٢ — يعجبني اتفاق آرائك مع آراء مؤلفى وأتعنم الا يغضبك
يا سيدى ، أن انقل اليك ما تبقى من مناقشة لهذا الموضوع أولا ، فحس •

هل يكون الكائن المفكر الذى تعتمد عليه الكائنات الأخرى العاقلة (ومن باب أولى كل الكائنات الأخرى) ماديا أم لا ؟

١٣ — أنه يعترض على امكان أن يكون الكائن المفكر ماديا ولكنه يجيب أنه عندما يكون ذلك فإنه يكون كائنا خالدا له علم وقُدرة لا نهائية • علاوة على ذلك ، اذا أمكن فصل الفكر عن المادة ، فلن يكون الوجود الابدى للمادة نتيجة للوجود الابدى لكائن مفكر •

١٤ — أننا سنسأل أولئك الذين يجعلون الله ماديا هل يعتقدون أن كل جزء من المادة مفكر ؟ فى هذه الحالة سننتج أنه ستوجد من الآلهة بقدر أجزاء المادة • ولكن اذا لم يفكر أى جزء من المادة ، فاننا حينئذ سنكون بصدد كائن مفكر مركب من أجزاء ليسبت بمفكرة ، وقد رفضنا هذا فعلا •

١٥ — أنه اذا كانت بعض الذرات من المادة تفكر فقط والاجزاء الاخرى حتى وان كانت خالدة أيضا ، لا تفكر أبدا ، فان هذا يعنى القول أن جزءا من المادة يعلو الى ما لا نهاية الجزء الآخر وينتج الكائنات المفكرة غير الخالدة •

١٦ — انه اذا أردنا أن يكون الكائن المنكر الخالد والمبادئ تكتلا معينا من المادة أجزاءها ليست مفكرة ، فأننا نقع فيما رفضناه ؛ لأن أجزاء المادة وقد أحسن ربطها فلن تعطى سوى علاقة محلية جديدة لا يمكن أن تزودها بالمعرفة •

١٧ — لا يهم أن يكون هذا التكتل متحركا أو ساكنا • اذا كان ساكنا فلن يكون سوى كتلة بدون فعل ، لا تمتاز عن الذرة ، واذا كان متحركا فان الحركة التى تميزه عن الاجزاء الأخرى يجب أن تنتج الفكر وستكون أفكارا عرضية ومحدوده ، كل جزء على حدة ، لكونه بدون أفكار ولا يملك ما ينظم حركته وهكذا ، لا يملك من الحرية ولا الاختيار ولا الحكمة أكثر مما ينبغى أن يكون فى المادة البسيطة الخام •

١٨ — يعتقد البعض أن المادة تكون على الأقل خالدة مع الله ولكنهم لا يفسرون لماذا يكون انتاج الكائن المفكر ، الذى يقبلونه ، أصعب من انتاج المادة التى تكون أقل كمالات . وربما (يقول المؤلف) إذا أردنا أن نبتدق قليلا عن الافكار العامة ، فأن ما يمكن أن نصل اليه هو تصور ، أى ادراك ولو بطريقة غير كاملة ، كيف يمكن أن تصنع المادة وكيف بدأت الوجود بواسطة قدرة هذا الكائن الأول الخالد . ولكن سقترى فى نفس الوقت أن من الصعب أن نفهم أن اعطاء الوجود لذهن سيكون نتيجة لهذه القدرة الخالدة اللانهائية . يضيف أن ذلك قد يبعده كثيرا عن الافكار التى تقوم عليها الفلسفة حاليا فى العالم . فلن يكون لدى العذر إذا ابتعدت كثيرا : وبحث بقدر ما تسمح به القواعد اللغوية ، هل الرأى المقرر يتعارض فى أعماقه مع هذا الاحساس الخاص ؟ أقول أنى سأكون مخطئا أن أشرتكت فى هذه المناقشة خاصة فى هذا المكان من الارض حيث تتفق النظرية السائدة مع قصدى ، ما دامت تفترض كشيء لا مجال للشك فيه ، أنه إذا ما قبلنا أن الخلق أو البدء لجوهر أيا كان ، يشق من العدم ، فمن الممكن افتراض بنفس السهولة خلق أى جوهر آخر ما عدا الخالق نفسه .

تتويمل :

لقد أسعدتنى ياسيدى بأن نقلت الى جانبنا من فكر مؤلفك الماهر الذى حالت غطنته المترددة دون أن يتمه . وستكون خسارتنا كبيرة إذا حذفها وتركنا هكذا بعد أن أوصل الماء الى فمنا . وأؤكد لك ياسيدى أنى أعتقد أن هناك شيئا جميلا وهاما يكمن وراء هذه الطريقة الغامضة^(١) أن كلمة الجوهر بالحروف الكبيرة تجعلنا نظن أنه يتصور انتاج المادة بنفس طريقة انتاج الأغراض والتى لا نجد صعوبة فى اشتقاقها من العدم ، وقد ميزه فكره الفريد عن الفلسفة السائدة حاليا فى العالم ، أو فى هذا المكان من الأرض ، ولا أعرف هل وضع فى اعتباره الافلاطونيين الذين يعتبرون المادة كشيء هارب وعابر يشبه الاعراض ، والذين لديهم فكرة مختلفة تماما عن العقول والأرواح .

فيـــــــــــــــــلاليت :

أخيرا اذا أنكر البعض الخلق ، الذى بفضلته تكون الاشياء من لا شئء ، وذلك لأنهم لم يستطيعوا ادراكه ، فان مؤلفنا ، قد كتب ، قبل أن يعرف اكتشافك الخاص بوحدة الروح بالجسد ، معترضا عليهم لأنهم لم يفهموا كيف نتجت الحركات الارادية فى الاجسام بارادة الروح ، لأنهم رفضوا تصديقه مقتنعين بالتجربة ، كما يرد على الذين يجيبون أن الروح لا تستطيع انتاج حركة جديدة وأنها تنتج فقط تحديدا جديدا للارواح الصيوانية ، أقول أنه يرد عليهم بأن كلاهما مما لا يمكن ادراكه ، وليس هناك أفضل من القول الذى يضيفه بهذه المناسبة : بأن ارادة حصر ما يمكن أن يفعله الله ، فى ذلك الذى نستطيع فهمه ، يعنى أننا نعطي امتدادا لا نهائيا لفهمنا أو نجعل الله نفسه نهائيا .

تـــــــــــــــــيوفـــــــــــــــــل :

بالرغم من القضاء على مشكلة اتحاد الروح بالجسد فى نظرى ، ما زال هناك بقية ، لقد أظهرت بعديا بالانسجام الأثرى أن كل الوحدات الحقيقية قد استمدت أصلها من الله وتعتمد عليه ومع ذلك لا أحد يستطيع فهم الكيفية التفصيلية ، وفى الاصل الاحتفاظ بها ليس سوى خلقا مستمرا كما عرف المدرسيون بوضوح تام .

(١) القديس أنسلم : فيلسوف مشهور ولاهوتى فى العصر الوسيط ولد عام ١٠٣٣ فى أوستن وتوفى عام ١١٠٩ مشهور بوجه خاص باختراع دليله المشهور على وجود الله كتابيه الفلسفيين هما :

le proslogium le monologium

وتوجد عدة طبعات كاملة لأعماله ... عام ١٤٩١ nurenberg باريس ١٥٧٥ (نشرة D. Gerberon) أعيد طبعها عام ١٧٢١ ، عام ١٧٤١ فى (Vénise) مجلد واحد .

(٢) بايل فى مقالته (Rorarius)

(٣) لقد شرحها م . كوست (Coste) اعتمادا على ما ذكره المواطن نيوتن فى الملاحظة الثانية من الفقرة ١٨ من هذا الفصل طبعة لوك بالمستردام عام ١٧٥٥ ص ٥٢٣ .

الفصل الحادى عشر

المعرفة التى لدينا من وجود الاشياء الاخرى

فيــــــــــــــــلايت :

١ - . نظرا لما لوجود الله من ارتباط ضرورى بوجودنا فأن أفكارنا التى يمكن أن نحصل عليها عن شىء ما لن نثبت وجود هذا الشىء ، بأكثر مما يمكن أن يثبت رسم الانسان وجوده فى العالم •

٢ - ومع ذلك يقينى من وجود الأبيض والاسود على هذه الورقة عن طريق الاحساس يساوى يقينى من حركة يدى التى لا تخضع الا لمعرفة وجودنا ولوجود الله •

٣ - هذا اليقين يستحق اسم المعرفة ، لأنى لا أعتقد أن يكون

الشخص أرتيابيا لدرجة أن يصبح غير متأكد من وجود الأشياء التى يراها والتى يحسها ، على الاقل ، ذلك الذى يستطيع أن يتمادى فى شكه بعيدا ، لن يختلف معى مادام لن يستطيع أبدا أن يتأكد أنى أقول ما يمكن أن يكون ضد شعوره •

٤ - أدراك الأشياء الحسية ينتجها أسباب خارجية تؤثر فى حواسنا ، لأننا لن نكتسب أبدا هذه الادراكات بدون الأعضاء ، وإذا كانت الأعضاء كافية فانها ستنتجها باستمرار •

٥ - بالاضافة الى ذلك ، أثبت أحيانا أنى لن أتمكن من أن أعوق ظهورها فى ذهنى ، كالضوء مثلا عندما أفتح عينى فى مكان ينفذ اليه ضوء النهار ، بدلا من قدرتى المتخلى عن الافكار الموجودة فى ذاكرتى يجب اذن أن يوجد سبب خارجى لهذا الانطباع الحى ، الذى لا أستطيع تخطي أثره •

٦ — بعض من الادراكات يصاحب ظهورها ألم ، حتى وأن نذكرناها بعد ذلك دون أن نشعر بأقل ضيق ، وكما أن الاستدلالات الرياضية لا تعتمد أبداً على الحواس ومع ذلك كثيراً ما نستخدمها في اثبات وضوح رؤيتنا ، ويبدو أنها تعطينا يقيناً يقترب من يقين الاستدلال نفسه .

٧ — أيضاً ، حواسنا في كثير من الحالات يشهد بعضها على بعض من يرى النار يستطيع أن يحس بها ، اذا شك فيها . وعندما أكتب هذا ، أرى أنني أستطيع تغيير مظاهر الورق ، وأقول مقدمات ، أى فكرة جديدة ستعرض لذهنى ، ولكن عندما أخط هذه الحروف ، لن أستطيع مطلقاً تجنب رؤيتها على ما هي عليه ، علاوة على أن رؤية هذه الحروف ستجعل أى شخص آخر ينطق بنفس الأصوات .

٨ — اذا اعتقد شخص ما أن كل هذا ليس سوى حلم طويل ، وأنه يستطيع أن يحلم اذا كان هذا يعجبه ، أنى أقدم له هذه الاجابة . أن يقيننا المؤسس على شهادة الحواس يكون كاملاً بقدر ما تسمح به طبيعتنا . ، وبقدر ما تتطلبه حالتنا .

ذلك الذى يرى اشتعال الشمعة ويتحقق من حرارة اللهب الذى سيؤذيه اذا لم يسحب أصبعه . لن يطلب يقيناً أكثر من ذلك ، لكى ينظم فعله ، واذا لم يفعل ذلك ، استيقظ . مثل هذا اليقين يكفينى اذن ، وهو يشبه اللذة والالام وهما أمران لا يوجد أى اهتمام آخر يتجاوزهما فى معرفة أو وجود الأشياء .

٩ — ولكن اذا تجاوزنا احساساتنا الحالية فلن توجد معرفة ، وكل ما هنالك أمور محتمة تشبه اعتقادي فى وجود البشر فى العالم مع أنسى لا أرى أى واحد منهم الآن أثناء جلوسى وحدى فى مكتبى .

١٠ — كذلك ، أليس من الجنون أن أتوقع اثبات كل شئ والا

أعمل وفق الحقائق الواضحة المتميزة عندما لا تكون قابلة للاثبات • ذلك الذى يريد أن يستخدمها هكذا ، لن يستطيع التأكد من أى شئ آخر سوى أنه يهلك فى أقل وقت ممكن •

ثيوفيلس :

لقد لاحظت فعلا فى حوارنا السابق أن حقيقة الأشياء الحية يبررها ارتباطها الذى يعتمد على حقائق ذهنية قائمة فى الذهن ، وملاحظات مستقرة فى الأشياء الحية نفسها ، حتى ولو لم تظهر الأسباب • وحيث أن هذه الاسباب والملاحظات تمدنا بوسيلة للتنبؤ فى المستقبل فى ضوء هدفنا ، وإذا نجح حكمنا المعقول ، فأنا لا نستطيع المطالبة ، بل ولن نحصل على يقين أكبر بالنسبة لهذه الأشياء • وكذلك يمكن تبرير الاحلام وارتباطها القليل بالظواهر الأخرى • ومع ذلك اعتقد أن من الممكن أن نتجاوز ما نسميه معرفة أو يقين الاحساسات الحالية ، ما دام الوضوح والتميز يذهبان أبعد ، وهذا اعتبره نوعا من اليقين • وسيكون بدون شك من العبث أن نشك فى وجود بشر فى العالم ما دمنا لا نراهم • الشك الجاد هو ذلك الذى يتصل بالممارسة ، ومن الممكن اعتبار اليقين معرفة للحقيقة ، يكون شكنا فى ممارستنا نوعا من العبث ، وأحيانا نعتبرها بصورة أعم ونطبقها على الحالات التى شكنا فيها يعرضنا للوم الشديد • ولكن الوضوح سيكون يقينا مضيئا ، أن الذى لا نشك فيه مطلقا بسبب الرابطة التى نراها بين الافكار وفق هذا التعريف لليقين نصبح واثقين من أن القسطنطينية موجودة فى العالم ، وأن كلا من قسطنطين والاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر قد عاشوا • حقا قد يجوز لبعض فلاحي أردنز Ardennes أن يشكوا فيها لنقص معلوماتهم ، ولكن لا يمكن للرجل المثقف أو الرجل المجتمع أن يفعل ذلك دون أن يتعرض لاضطراب فى الذهن •

فيـلـاليت :

١١ — حقا أننا واثقون تماما من تذكر كثيرا من الاشياء الماضية ولكن لن نستطيع الحكم هل ما زالت باقية ؟ بالأمس رأيت ماء وعددا من الألوان الجميلة على الزجاجات والتي انعكست على هذا الماء أما الآن فأنى متأكد من وجود هذه الزجاجات وهذا الماء ولكنى لم أعد أعرف بيقين الوجود الحاضر لكل من الماء والزجاجات وأن كان ما زالا من المحتمل تماما لأننا لاحظنا أن الماء باقية فى حين اختفت الزجاجات •

١٢ — أخيرا ، باستثناء أنفسنا والله لن نعرف الأرواح الأخرى الا بالوحي ولا نملك بصدها سوى يقين الايمان •

تيوفيل :

من الملاحظ فعلا أن ذاكرتنا تخدعنا أحيانا . وقد تضيف اليها الايمان أو لا تضيفه ، حسب قوة أو ضعف حيويتها ، وحسب ارتباطها أكثر أو أقل بالاشياء التى نعرفها ، وحتى عندما نثق فى المبدأ ، قد نشك أحيانا فى الملاحظات • أتذكر أنى عرفت شخصا معيناً ، لأننى أحس أن صورته ليست جديدة بالنسبة لى ، وكذلك صوته ، ومع أن هذه العلاقة المزدوجة تعتبر ضمانا أكثر من أحدهما فقط ، الا انى لا أستطيع تذكر أين رأيته ومع ذلك ، قد يحدث ، وأن كان نادرا ، أن نرى شخصا فى حلم قبل أن نراه بلحمه وعظمه وقد أكد اى البعض أن آنسة فى بلاط معروف رأت فى الحلم ، ووصفت لأصدقائها ، الشخص الذى ستتزوج به والصالة التى ستقام بها الحفلات ، وكل ذلك قبل أن تكون قد عرفت أو رأت الشخص أو المكان • وقد يرجع الناس هذا الامر الى احساس خفى سابق ، ولكن المصدفة أيضا قد تنتج مثل هذا الاثر وأن كان من النادر أن يحدث هذا • علاوة على أن صور الاحلام من الغموض بحيث لا نملك الحرية فى ردها الى غيرها فيما بعد •

فيـلاليت :

١٣ - لنستنتج اذن وجود نوعين من القضايا : قضايا جزئية تتصل بالوجود مثل « الفيل موجود » والاخرى عامة تخص اعتماد الافكار مثل « طاعة الله واجبة على البشر » .

١٤ - معظم هذه القضايا العامة والميقينية تسمى حقائق خالدة هي كذلك في الواقع ، أن الامر لا يتطلب أن تكون قضايا مشكلة حاليا في مكان ما منذ زمان بعيد ، أو أن تكون محفورة في الذهن وفق نموذج يوجد باستمرار ، ولكن لأننا متأكدين من أن أى مخلوق مزود بالملكات والوسائل اللازمة سيطبق هذه التصورات عند اعتباره لافكاره وسيجد حقيقة هذه القضايا .

تـيوفـيل :

تقسيمك يبدو أنه يرجع الى تقسيمى القضايا الى : قضايا الواقع وقضايا العقل ، قضايا الواقع ، يمكن أن تصبح عامة ، بطريقة ما ولكن بواسطة الاستقرار أو الملاحظة بحيث لا تكون سوى كثرة من وقائع متشابهة ، مثلما عندما نلاحظ أن كل زئبق يتبخر بقوة النار ، وهذا ليس بعمومية كاملة لأننا لا نرى مطلقا الضرورة . القضايا العامة للعقل تكون ضرورية ، مع أن العقل يزودنا أيضا بقضايا لا تكون عامة تماما ولا تكون سوى محتملة مثل عندما نقرر أن فكرة ما ممكنة الى أن نكتشف عكسها ببحث أكثر دقة . هناك أخيرا قضايا مختلطة مشتقة من مقدمات بعضها يأتى من الوقائع والملاحظات والأخرى تكون قضايا ضرورية . وهي تعبر عن عدد من النتائج الجغرافية والفلكية الخاصة بالكرة الأرضية ومسار النجوم ، التى تتولد بالربط بين ملاحظات المسافرين وعلماء الفلك والنظريات الهندسية والحساب . ولكن حسب ما يرى المنطق ، ونظرا لأن النتيجة تتبع أضعف المقدمات ، لن يكون لها من اليقين أكثر مما لهذه المقدمات هذه القضايا المختلطة لن يكون لها من

اليقين والعمومية الا ما لهذه الملاحظات . بالنسبة للحقائق الخالدة يجب ملاحظة أنها فى أساسها تكون كلها شرطية وتقول فى الواقع : اذا افترضنا هذا الشيء الآخر مثلا ، عندما أقول : كل شكل له ثلاثة جوانب فان هذا الشكل نفسه سيكون له ثلاثة زوايا أقول هذا ، مع أن القضايا الحملية التى يمكن اعلانها بدون شروط ، وأن كانت شرطية فى أساسها ، تختلف عن القضايا التى نسميها شرطية مثل هذه القضية « اذا كان لشكل ثلاثة جوانب فان مجموع زواياه يساوى قائمتان فى هذه القضية نرى أن المقدم (الشكل ذو الثلاث جوانب) والتالى (زواياه قائمتان) ليس لهما نفس الموضوع ، كما كان فى الحالة السابقة التى كان المقدم (الشكل ذو الثلاث جوانب) والتالى (الشكل ذو الثلاث زوايا) ، ومع أن من الممكن أيضا تحويل القضية الشرطية الى قضية حملية وذلك بتغيير قليل فى الحدود ، مثلا بدلا من القضية الشرطية السابقة أقول : زوايا كل شكل له ثلاث جوانب تكون مساوية لقائمتين » لقد ناقش المدرسون ما يسمونه *constantia subiecti* أى كيف يمكن أن يكون صدق القضية القائمة على موضوع ما حقيقيا ، اذا كان هذا الموضوع غير موجود . أن الحقيقة لا تكون سوى شرطية . بحيث عندما يوجد الموضوع سندده كذلك . وقد يسأل البعض أيضا على أى أساس يقوم هذا الارتباط ، ما دامت الحقيقة التى فى داخله لا تخدع ؟

ستكون الاجابة : أنها تكون فى علاقة الافكار . ولكن قد يسأل البعض محتجا أين ستكون هذه الافكار ، اذا لم يوجد أى ذهن ؟ وماذا سيصبح الأساس الحقيقى ليقين الحقائق الخالدة ؟

هذا يؤدى بنا الى الاساس الأخير للحقائق ، أى الى هذا الذهن السامى الكلى الذى لا يمكن أن ينقصه الوجود ، والمذى يضم مملكة الحقائق الخالدة ، كما عرف ذلك القديس أوغسطين وعبر عنه بطريقة كلها حيوية وحتى لا يظن أحد أنه ليس من الضرورى أن نلجأ اليه ، يجب أن نعتبر هذه الحقائق الضرورية العلة التى تحدد المبدأ المنظم للموجودات

نفسها • وبالأجمال هي قوانين الكون ومع هذا . هذه الحقائق الضرورية
لأنها سابقة على وجودات الكائنات العرضية . يجب أن تكون مؤسسة
في جوهر ضروري فيه أجد أصل الأفكار والحقائق المحفورة في نفوسنا،
ليس في صورة قضايا وانما كمتصادمات تطبيقيها وموضوعاتها مستولد
الاعراض الحالية •

ذلك الذى يعرف أن العشرة أكثر من التسعة : وأن الجسم أكبر من الاصبع ، وأن المنزل كبير بحيث نستطيع الهروب من الباب ، يعرف كل قضية من هذه القضايا الجزئية بناء على نفس السبب العام الذى أدمج فيه ، تماما كما نرى الخطوط مشبعة بالألوان ، بحيث تتشكل القضية أو المظهر أساسا من الخطوط أيا كان . اللون . هذا السبب العام هو البديهية نفسها المعروغة ضمنا ، كما يقول ، وقد لا يكون كذلك فى بداية الأمر بطريقة مجردة ومنفصلة . الأمثلة تستمد حقيقتها من البديهية المدمجة بها . البديهية ليس لها أساس فى الأمثلة ونظرا لأن هذا السبب العام لهذه الحقائق الجزئية يكون فى ذهن كل الناس ، يتضح جيدا أنها لا تحتاج لأن يكون لكلمتى كل وجزء وجود فى لغة ذلك الذى يتعمقها .

فيـلـالـيـت :

٤ — أليس من الخطر أن نسمح بالافتراضات بحجة أنها البديهيات ؟ قد يفترض أحدها مع بعض القدماء ، أن كل شىء مادي ، ويفترض آخر مع بوليمون polémon أن العالم هو الله . ويؤكد ثالث أن الشمس هى المعبود الرئيسى ولك أن تحكم أى ديننا ذلك الذى سنؤمن به اذا سلمنا بهذا الرأى . من الخطر حقا أن نقبل المبادئ دون أن نفحصها ، خاصة ، اذا كانت تهتم الأخلاق ، لأن البعض يتوقع حياة أخرى تشبه تلك التى قال بها ارستيب Aristippe (الذى يرجع الجمال الى ملذات الجسد ، أكثر من تلك التى قال بها أنتيسيب Antisthène) الذى يرجع سعادتنا الى الفضيلة وأرشيلاوس Archélaus الذى قرر أن العدل والظلم ، الشرف أو الخيانة ، يحددها القانون وليست الطبيعة . سيكون لنا بدون شك مقاييس أخرى للخير والشر الاخلاقي ، خلاف أولئك الذين عرفوا الالتزامات السابقة على أى دستور بشرى .

٥ — يجب اذن أن تكون المبادئ يقينية .

٦ — ولكن ، هذا اليقين لا يأتى الا من المقارنة بين الافكار ، ومن

ثم نحن لانحتاج لمبادئ أخرى ، تبعا لهذه القاعدة وحدها سنذهب الى أبعد من اخضاع ذهننا لتقدير الآخرين .

توضيح : توضيح :

أنى مندهش ياسيدى ، أنك تعارض البديهيات ، وترفض المبادئ الواضحة ، بما يمكن أن تعارض أو ترفض ما يمكن أن نسميه المبادئ الاعتبائية التى لا مبرز لها . عندما نطالب باستخدام المبادئ المعروفة مقدما ' *praecongnita* ' ، فى العلوم أو المعارف التى تستخدم فى تأسيس العلم ، فاننا نطالب بمبادئ معروفة وليس بمواقف تعسفية لا نعرف حقيقتها مطلقا ، حتى أرسطو قد قصد ذلك ، أى أن تستمد العلوم الدنيا والفرعية مبادئها من علوم أخرى هى ما نسميها ما بعد الطبيعة والتى هى فى نظره لا تحتاج لشيء من العلوم الاخرى ، بل هى التى تمدهم بالمبادئ التى يحتاجونها . وعندما نقول « على الصبى أن يعتقد فى معلمه » فان ما نقصده هو أنه لا يجب أن يفعل ذلك الا مؤقتا وما دام غير مزود بالعلوم العليا ، أى لا يكون ذلك الا احتياطيا . ومع هذا كثيرا ما يتحاشى المرء تقبل المبادئ الاعتبائية التى لا مبرز لها . ومن ثم يجب أن نضيف أنه ، حتى المبادئ التى يقينها ليس كاملا ، يمكن أن يكون لها استخداما ، اذا كنا لا نقيم بناءنا الا على الاستدلال ، لأنه مهما كانت النتائج فهى فى هذه الحالة ليست سوى شرطية وان تكون ذات قيمة ما لم نفترض صدق هذا الجذأ ، غير أن هذا الارتباط نفسه وايضا حاته الشرطية ستكون على الاقل مثبتة ، بحيث نطمح تماما أن يكون لدينا العديد من الكتب المؤلفة بهذه الطريقة ، والتى لن يقع الطالب أو القارئ فى الخطأ ما دما أخبرناه بالشرط ، وان تنظم الممارسة بناء على هذه النتائج الا بقدر ما يتحقق الافتراض فى موضع آخر . هذا المنهج نفسه يستخدم أيضا فى تحقيق الفروض أو الافتراضات عندما يتولد عنه العديد من النتائج التى صدقها معروف فى مواضع أخرى ، وأحيانا يزودنا بالسبب الكافى لاثبات حقيقة الفرض . السيد كوترنج

Conring الطبيب المحترف، والمؤلف الممتاز فى جميع الموضوعات باستثناء الرياضيات ، كتب خطابا لصديق فى هلمسناد كان مهتما باعادة طبع كتاب فيوثوس Viottus الفيلسوف المشائى ، حاول فيه تفسير التحليلات لأرسطو . وقد أرفق الكتاب بالخطاب الذى تعرض فيه كورننج لقول بابيوس Pappus « ان التحليل يفترض اكتشاف الجهول بأن يفترضه ويصل بذلك الى حقائق معروفة ، وهذا لا يتفق مع المنطق (على حد قوله) الذى يعلمنا أنه لا يمكن أن نستنتج الحقائق من المغالطات ولكنى عرفته بعد ذلك أن التحليل يستخدم التعريفات والقضايا العكسية ، التى تزودنا بالوسيلة للرد والحصول على الاستدلالات التركيبية ، وحتى عندما لا يكون هذا الرد استداليا ، كما فى الفيزياء ، فلا يفوته أحيانا احتمال المصدق ، عندما يفسر الفرض بسهولة العديد من الظواهر التى تصعب بدونه ، وتكون مستقلة تماما بعضها عن بعض أنى أؤيد ، ياسيدى ، الحقيقة التى تقرر أن مبدأ المبادئ هو حسن الاستخدام للأفكار والتجارب . ولكن عندما نتعمقها سنجد أنه بالنسبة للأفكار هذا لن يكون سوى ربط التعريفات بواسطة البديهيات الذاتية ، ومع ذلك ليس بالأمر السهل دائما أن نصل الى هذا التحليل الأخير . ومهما كانت رغبة علماء الهندسة والقدماء التى على الأقل ، قد تشهد بأنهم سعوا الى أن يصلوا الى النهاية ، فأنهم لم يستطيعوا ذلك ويسعدهم أن يتمكن المؤلف المشهور للبحث الخاص بالفهم الانسانى من اتمام هذا البحث الاصعب بكثير مما نظن . لقد وضع أفليدس مثلا البديهية التى تقول : « ان الخطين المستقيمين لا يستطيعا أن يتقابلا الا مرة واحدة فقط » . الخيال ، معتمدا على خبرة الحواس ، لا يسمح لنا بأن نتخيل أكثر من لقساء واحد للخطين المستقيمين . العلم لا يمكن أن يؤسس هكذا ، وإذا اعتقد شخص ما أن الخيال هذا يعطى ارتباطات للأفكار المميزة فلن يكون على علم كافى بمصدر الحقائق ، وكمية القضايا التى يمكن اثباتها بأخرى تسبقها وبالتالى تصبح فى نقطة مباشرة . وهذا ما لم يلاحظه كثير من الذين يرددون أقوال أفليدس هذه الأنواع عن الصور

ليست سوى أفكارا غامضة • ومن لا يعرف الخط المستقيم إلا بهذه الطريقة لن يستطيع أبدا أن يستدل منه شيئا • لهذا اضطر أقليدس ، لأنه ينقصه الفكرة المعبرة عنها بوضوح ، الى تعريف الخط المستقيم (لأن ما يقدمه مؤقتا كان غامضا • ولا يساعده في الاستدلالات) بأن يرجعه الى بديهيتين اعتبرهما تعريفا واستخدمهما في استدلالاته ، أحدهما أن الخطين المستقيمين ليس لهما أى جزء مشترك ، الأخرى أنهما لا يشغلان فراغا • قدم أرشميدس طريقة لتعريف الخط المستقيم بقوله أنه الخط الأقصر بين نقطتين ، ولكنه يفترض ضمنا (باستخدامه فى الاستدلالات عناصر مثل تلك التى استخدمها أقليدس المؤسسة على البديهيتين اللتين ذكرتهما) أن التأثيرات التى نتحدث عنها بهذه البديهيات تناسب الخط الذى يحدده • وعلى هذا اذا اعتقدت مع أصدقائك ، بحجة ملاءمة أو عدم ملاءمة الافكار ، لانه كان من المسموح به وما زال أن نقبل فى الهندسة ما يمكن أن يقوله لنا الخيال دون أن نبحث عن دقة الاستدلال بواسطة التعريف والبديهيات التى قسرها القديما فى هذا العلم (هذا على ما أعتقد ، ما يعتبره العديد من الناس نقصا فى المعلومات) فأنى أعترف لك يا سيدى أن من الممكن ان يرضى ذلك أولئك الذين يهتمون بالهندسة العملية كما هى ، وليس أولئك الذين يزدون الحصول على العلم الذى يكمل الممارسة • وإذا كان القديما من هذا الرأى وتساهلوا فى هذه النقطة فأنى أعتقد أنه لم يكن من الممكن لهم أن يتقدموا ولم يتركوا لنا سوى هندسة عملية تشبه هندسة المصريين أو تلك التى ما زالت عليها هندسة الصينيين : هذا ما سيحرمنا من كثير من المعارف الفيزيائية والميكانيكية التى ساعدت الهندسة على اكتشافها والتى ما زالت مجهولة لدى كل من يجعل هندستنا • هناك كذلك ما يظهر أن اتباع الحواس والصور الخيالية ، يوقعنا فى الاخطاء تقريبا كما نرى أن كل من لم يتوقف بالهندسة الدقيقة ، معتمدة على الايمان الخيالى ، ان يشك مطلقا فى أن الخطين الذين يقتربان باستمرار بعضهما من بعض يجب أن يتلاقيا فى النهاية ، فى حين يقدم علمناه

الهندسة أمثلة معارضة فى خطوط معينة يسموها الخطوط المتقاربة
 Asymptotes ولكن علاوة على ذلك سنحرم مما اعتبره الاجدر
 بالتأمل فى الهندسة ، أى ذلك الذى يجعلنا نلمح المصدر الحقيقى
 للحقائق الخالدة والموسيلة التى تجعلنا نفهم ضرورتها ، وهذا ما لا يمكن
 للأفكار الغامضة أن تجعلنا نراه بوضوح • قد تقول لى أن أقليدس اضطر
 طبعاً لأن ينحصر فى بديهيات معينة لا نرى وضوحها إلا عن طريق
 الصور الخيالية ، واعترف لذلك أنه انحصر فى هذه البديهيات ، ولكن من
 الأفضل أن ينحصر فى عدد قليل من الحقائق لها هذه الطبيعة التى تبدو
 الأبسط وأن نستدل منها غيرها ، مما هو أقل منها أهمية ، يقينا أن نترك
 للناس حرية بسط تكاسلهم حسب مزاجهم • انك ترى اذن يا سيدى
 أن ماقلت أنت وأصدقائك بالنسبة لعلاقة الأفكار باعتبارها المصدر الحقيقى
 للحقائق فى حاجة الى تفسير • اذا أردت الاكتفاء بأن ترى بعموض
 هذا الارتباط فانك تضعف دقة الاستدلالات ، وقد أحسن أقليدس عندما
 أخضع كل شىء للتعريفات ولعدد قليل من البديهيات ، وأنه اذا أردت أن
 تظهر هذا الارتباط بين الأفكار وان تعبر عنه بوضوح ستضطر الى اللجوء
 الى التعريفات والبديهيات الذاتية ، كما أطلب ، وستضطر أحيانا الى أن
 تكفى ببعض البديهيات أقل أولية كما فعل أقليدس وأرشميدس عندما
 تجد صعوبة فى الوصول الى تحليل كامل ، وسيكون ذلك أفضل من أن
 تهمل أو تعدل عن بعض الاكتشافات الجميلة التى يمكن أن توصفنا اليها
 وكما قلت لك من قبل ياسيدى أنى أعتقد أننا ماكننا نحصل على هندسة
 (أقصد العلم الاستدلالى) اذا لم يكن قد رغب القدماء فى التقدم
 ولم يتوقفوا الى أن يثبتوا البديهيات التى اضطروا الى استخدامها •

فيـلـاليت :

بدأت أهم ما هو ارتباط الأفكار المعروفة معرفة متميزة • وأرى
 جيداً أن هذه الطريقة تجعل البديهيات ضرورية وأرى أيضاً بالنسبة
 للمنهج الذى نستخدمه فى أبحاثنا عندما نفحص الأفكار ، كيف يجب أن

يكون على نمط الرياضيات الذى يصعد بخطوات صغيرة وبتناسل مستمر ابتداء من بدايات فعلية واضحة جدا وسهلة جدا (هى ليست سوى البديهيات والتعريفات) ليصل الى الاكتشاف والبرهنة على الحقائق التى تبدو ، من أول وهله أنها تفوق طاقة الانسان . فمن الحصول على الادلة والمناهج المدهشة التى اخترعها لتوضيح وتنظيم الافكار المتوسطة هو الذى أدى الى الاكتشافات المدهشة وغير المتوقعة . ولكن معرفة أنه وخاصة تلك التى تتصل بالاحجام ، وهذا ما أريد تفديده ، فان فحضر بمرور الزمن لن نستطيع اختراع منهج مشابه يخدم الافكار الأخرى ، هذه الافكار الأخرى وفق مناهج الرياضيين العادية سيدفع أفكارنا الى أبعد بكثير مما يمكن أن نتصور .

٨ - وهذا يمكن أن يحدث مثلا فى الأخلاق ، كما سبق أن قلت أكثر من مرة .

نيوفيل :

أعتقد أنك على حق ياسيدى وأنى على استعداد منذ زمن لأن أبدأ فى تحقيق تنبؤاتك .

فيلايت :

٩ - بالنسبة لمعرفة الأجسام يجب أن تتخذ طريقا عكسيا تماما لأننا لا نملك أى أفكار عن ماهيتها الحقيقية ، ومن ثم نضطر الى اللجوء الى التجربة .

١٠ - ومع ذلك لا أفكر أن الشخص الذى تعود على عمل التجارب المعقولة والمنظمة ، لن يكون قادرا على تشكيل التخمينات الحقيقية أكثر من غيره نظرا لخصائصها المجهولة . ولكن هذا سيكون حكما ورأيا وليس بمعرفة ويقين . هذا يجعلنى أعتقد أن علم الطبيعة غير قادر على أن يصبح علما فى متناول أيدينا . ومع ذلك من الممكن أن تقدمنا التجارب والملاحظات التاريخية بالنسبة لصحة أجسادنا وزفاهية الحياة .

توضيح :

ما زالت متفقاً معك فى أن علم الطبيعة لن يكون علماً كاملاً وفى متناول أيدينا ولكن هذا لا يمنع من إمكان الحصول على علم طبيعة ، بل قد حصلنا فعلاً ، على نماذج منه ، مثلاً دراسة المغناطيسية يمكن أن تصبح هذا العلم ، لأنتابتليل من الافتراضات المدعمة بالتجارب أمكننا أن نثبت قدراً معيناً من الظواهر التى تحدث متفقة تماماً مع ما يقرره العقل . لا يجب أن تأمل تبيرير كل الخبرات ، حتى الهندسيات لم تثبت بعد كل بديهياتها ، ولكنها أيضاً تقنع باستدلال عدد كبير من النظريات بناء على عدد قليل من مبادئ العقل . كذلك الأمر بالنسبة لعلماء الطبيعة ، يكفى أن يبرروا بواسطة بعض مبادئ التجربة قدراً من الظواهر وأن يعتمدوا عليها فى التنبؤ فى مجال الممارسة .

في لاليت :

اذن ، ما دامت ملكاتنا غير مهيأة لادراك البناء الداخلى للأجسام فلا بد من الحكم بأنه يكفى أن تكشف لنا وجود قدر من معارفنا عن أنفسنا وتعلمنا وأجبنأ واهتمامنا الأكبر بالخلود . أعتقد أن من حقى أن استدل من ذلك أن «الاخلاق هو العلم الخالص والعمل الكبير للبشر بوجه عام ، كما استدل من جهة أخرى أن الفنون المختلفة التى تتصل بأجزاء مختلفة من الطبيعة تهتم بالجزئيات » ويمكن القول أن جهل أمريكا بكيفية استخدام الحديد قد أدى الى حرمانها من التمتع بالعديد من الخيرات التى تزودها بها الطبيعة . وعلى هذا فانى بعيد تماماً عن احتقار علم الطبيعة .

١٢ — أنى أتمسك بأنه اذا أمكن توجيه هذه الدراسة كما يجب ، ففى امكانها أن تكون ذات نفع أكبر للجنس البشرى مما تم حتى الآن ، أن ذلك الذى اخترع المطبعة والذى اكتشف البوصلة والذى عرف فائدة الكينا ، قد ساهم أكثر فى انتشار المعرفة وتقدم الكماليات المفيدة .

للحياة • وأنقذ الكثير من البشر مما فعل مؤسسى المدارس والمستشفيات وغيرها من المؤسسات ذات الرحمة الملوحة والتي تكلفت الكثير فى تسييدها •

توفيل : ل

لا يمكن القل ، ياسيدى ، أكثر من هذا لكى ترضينى • أن الاخلاق الحقيقية والعناية تدفعنا الى تنمية الفنون ، بعيدا عن أى تشجيع كل أصحاب المذهب الطمانينى *quiétistes* الخامل • وكما سبق أن قلت منذ قليل : السياسة الجيدة قادرة على أن توصلنا ذات يوم الى طيب أفضل بكثير مما هو عليه الآن • هذا ما يمكن أن نوصى به بعد العناية بالفضيلة •

فيلاليت :

مع أنى أوصى بالتجربة فأنى لا أحقر الفروض المحتملة التى يمكنها أن توصلنا الى اكتشافات جديدة وهى على الاقل ذات سند كبير للذاكرة • ولكن قد يتسرع الذهن ويسلم ببعض المظاهر الخفيفة تجنباً للجهد والوقت اللازم لتطبيقها على عدد من الظواهر •

توفيل : ل

فن اكتشاف أسباب الظواهر أو الفروض الحقيقية ، شأنه شأن فن حل الرموز ، غالبا ما يختصر أحد التخمينات الغميقة ، لقد بدأ يكون هذا الطريق بصياغة فن التجريب فى قواعد ، واستطاع الفارس « بويل » *Boyle* بمهارته أن يمارسه • ولكن اذا لم نربطه بثمن استخدام التجربة فلن نصل ، ولو تكلفنا الكثير • الى مايمكن أن يصل اليه ، من أول وهله ، الرجل القادر على العمق • ذكر « ديكارت » ، الذى كان بالتأكيد هذا الرجل ، ملاحظة مشابهة فى احدى رسائله الخاصة بالمنهج الى كل من مستشار انجلترا وأسبينوزا (الذى لا أجد صعوبة فى ذكر ما يقوله من أشياء طيبة فى احدى رسائله الى المرحوم

أولدنبورج Oldenbourg سكرتير الجمعية الملكية فى انجلترا — والمنشورة ضمن أعمال هذا اليهودى الماهر التى نشرت بعد وفاته ، لقد تعرض لفكرة قريية وتتصل بعمل السيد بويل — التى — أقول الحق — تجعلنا نكتفى بذكر ، من بين عدد لا حصر له من التجارب الجميلة ، المبدأ الذى يقرر « أن كل شىء يتم آليا فى الطبيعة » وهو مبدأ يمكن أن نتأكد منه بالمقل وحده ، وليس بالتجارب مطلقا ، أيا كان عددها .

فيالليت :

١٤ — بعد أن قررنا الأفكار الواضحة والمتميزة بأسماء ثابتة يصبح فن الحصول على الافكار المتوسطة ، هو الوسيلة الكبرى لنشر معارفنا ورؤية الارتباط أو عدم الاتفاق بين الأفكار النهائية . المسلمات لا يمكنها على الاقل أن تمدنا بها . لنفرض أن شخصا ليس لديه فكرة دقيقة عن الزاوية القائمة فانه سيفطرب عندما يحاول دون جدوى اثبات أى شىء عن المثلث القائم الزاوية . وأيا كانت المسلمات التى نستخدمها سنجد صعوبة فى الوصول بمساعدتها الى اثبات أن مربعات هذه الاضلاع التى تحتوى الزاوية القائمة تساوى مربع الوتر . يستطيع الانسان أن يقلب طويلا هذه المسلمات على وجوها دون أن يصل الى الوضوح فى مجال الرياضيات .

تيوفيل :

لن يفيد تغليب المسلمات على وجوها ما لم نحصل على تطبيقاتها نستخدم المسلمات أحيانا فى ربط الافكار ، مثلا هذه المسلمة التى تقول أن الامتدادات المتشابهة للبعدين الثانى والثالث تكون ضعف وثلاثة أمثال الامتدادات المتصلة بالبعد الأول . وهى ذات استخدام كبير فى تربيع الدائرة الهلالية Lunule التى قام بها هيوقراط ، أولا فى حالة الدوائر بأن نربط بها تطبيق أحد هذين الشكلين على الآخر، حيث وضعهما المعطى يقرر الاتفاق فى حين تلقى عليها مقارنتهما المعروفة الأضواء .

الشخصيات

- (١) Aristippe : ولد في Cyrène وازدهر حوالي سنة ٣٨٠ ق . م . تلميذ سقراط .
- (٢) Antisthene : مؤسس مدرسة الكليين ، ولد في اثينا حوالي سنة ٤٢٢ ق . م وتوفي حوالي سنة ٣٦٥ ، كتب عددا كبيرا من الكتب ذكر « لآكرات » Lacrate عناوينها ولم يبق منها سوى شذرات .
- (٣) Archelaus : فيلسوف أيوني وأستاذ سقراط .
- (٤) Conring : طبيب وصاحب مصنفات في مواد مختلفة مشهور في القرن ١٧ ولد في Norden سنة ١٦٠٦ وتوفي في خلهستاد بالسويد سنة ١٦٨١ ونشر عددا كبيرا من الأعمال في الطب والسياسة .
- (٥) Pappus : فيلسوف ورياضي من الاسكندرية . عاش في حكم نيودرس الكبير حوالي سنة ٢٨٠ لدينا من أعماله « مجموعة رياضية » في ثمانية كتب (ما عدا الأولين) نشرت في Pesaro سنة ١٥٠٨ وفي بولونيا سنة ١٦٦٠ وعديد من الأعمال الرياضية الأخرى .
- (٦) بيكون : فيلسوف انجليزي مشهور ولد في لندن سنة ١٥٥٠ وتوفي في نفس المدينة سنة ١٦٢٦ كان مستشارا لانجلترا . أهم أعماله Instrauratio Magna : الجزء الاول منه : الجزء الثاني الاورجانون الجديد سنة ١٦٢٠ ، أبحاث في الاخلاق والسياسة (بالانجليزية) نشرت أعماله الكاملة عدة مرات لندون سنة ١٧٣٠ في ٤ مجلدات ، ١٧٦٥ في ٣ مجلدات ، سنة ١٨٣٦ - ١٨٢٥ في ١٢ مجلد وهي الاكمل . وفي فرنسا نشر Bouillet الأعمال الفلسفية في ٣ مجلدات ونشر A. Lassalle سنة ٨٠٠/٨٠٢ أعماله مترجمة إلى الفرنسية في ١٥ مجلد .
- (٧) ديكرات : أهملنا حتى الآن تلخيص حياة وأعمال هذا الفيلسوف المشهور الذي ولد في لاهاي بالتورين سنة ١٥٩٦ وتوفي في ستوكهولم سنة ١٦٥٠ . قضى في هولندا معظم حياته . أهم أعماله : مقال في المنهج سنة ١٦٣٧ ، تأملات في الفلسفة الأولى سنة ١٦٤٤ ترجمها إلى الفرنسية الدوق ليونز Luynes سنة ١٦٤٧ في باريس . انفعالات النفس سنة ١٦٤٩ ، مبادئ الفلسفة سنة ١٦٤٤ ترجمها إلى الفرنسية Pacot سنة ١٦٤٧ . توجد عدة طبعات لأعماله الكاملة أقدمها طبعة أمستردام سنة ١٦٨٣ - ١٦٧٠ في ٨ مجلدات . وأحدثها طبعة كوزان سنة ٢٦ - ١٨٢٤ في ١١ مجلد باريس .

(٨) أسبينوزا : فيلسوف مشهور ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ من أسرة يهودية برتغالية ونفى سنة ١٦٧٧ : أهم أعماله مبادئ الفلسفة لديكارت سنة ١٦٦٣ ، ورسالة لاهوتية سياسية وأعماله التي نشرت بعد وفاته : الاخلاق ، رسالة سياسية ، اصلاح آذهن توجد طبعتان كاملتان لأعمال أسبينوزا ، طبعة Paulus : سنة ١٨٠٣ في Iena وطبعة Gfroerer سنة ١٨٣٠ وظهرت سنة ١٨٦٢ في أمستردام مجلد يضم أعمال غير منشورة . ترجم أعماله الى الفرنسية E. Saisset في مجلدين سنة ١٨٤٢ .

(٩) أولدنبورج : Oldenbourg : مسكتر الجمعية الملكية في لندن نشر الأعمال الفلسفية للفترة من ١٦٦٤ الى ١٦٧٧ وترجم الى الانجليزية كتاب نيقولا شيتسون « : Prodromus de Solidis . »

الفصل الثالث عشر

اعتبارات أخرى تخص معرفتنا

قياسات :

١ - قد يكون من المناسب أيضا أن نضيف أن معرفتنا تتصل (بالنظر) بالرؤية *la vue* ، وهي في هذا المجال كما في أشياء أخرى ، لا هي ضرورة كلية ولا هي ارادية تماما لا يستطيع الانسان أن يكف عن الرؤية عندما يفتح عينيه أمام الضوء ولكنه يستطيع أن يحول بصره عن موضوعات معينة .

٢ - اعتبارها بكثير أو بقليل من التطبيق . وهكذا عندما تطبق الملكة فلن يعتمد الامر على ارادة تحديد المعرفة . تماما كما أن الانسان لن يستطيع أن يمنع نفسه من رؤية ما يرى وانما يازمه استخدام الملكات كما يجب حتى يتعلم .

توضيح :

لقد تكلمنا فيما مضى عن هذه النقطة وقررنا أنها لا تتطلب من الانسان أن يمتلك هذا الاحساس أو ذاك في الحالة الحاضرة ، ولكنها تتطلب منه أن يستعد للحصول عليها أو لعدم الحصول عليها ، وكذلك الأمر بالنسبة للإعتقادات التي لن تكون اختيارية الا بطريقة غير مباشرة .

الفصل الرابع عشر الحكم

فيالآليت :

- ١ — يجد الانسان نفسه غير محدد فى معظم أفعال حياته . اذا لم يكن لديه ما يرشده عندما تنقصه المعرفة اليقينية .
- ٢ — يلزمنأ أحيانا أن نقنع باحتمال بسيط معتم .
- ٣ — الحكم هو الملكة التى نستخدمها أحيانا . قد نقنع به بالضرورة ولكن أحيانا لنقص فى ألهمة أو الصبر أو المهارة .
- ٤ — نسميه تصديقا أو عدم تصديق عندما يوجد تخمين ، أى عندما نسلم بصدقه قبل الحصول على الدليل ، فاذا اتفق مع حقيقة الاشياء أصبح الحكم صوابا .

تيوفيسل :

آخرون يطلقون كلمة « حكم » على الفعل الذى نفعله فى كل مرة ننطق بعد معرفة السبب ، وهناك أيضا آخرون يميزون بين الحكم والاعتقاد ، كما لو أنه لا يجب أن يكون يقينا . ولكنى لا أريد محاكمة أحد بالنسبة لاستخدام الكلمات ومن المسموح لك ياسيدى أن ننظر الى الحكم على أنه شعور محتمل . أما بالنسبة للتخمين ، وهو اصطلاح قانونى ، فان الاستخدام الصحيح لديهم يميزه عن الظن ، أنه شىء أكثر ويجب أن نعتبره صوابا بصفة مؤقتة الى أن نثبت العكس ، بينما يجب أن تقارن بين العلامات أو الظنون وأن نقابل بينها أحيانا . وهكذا فان ذلك الذى يعترف بأنه استدان مبلغا من شخص آخر فمن المسلم به ضرورة سداذه ما لم يثبت أنه قد سدده فعلا ، أو أن الدين قد سقط بناء على مبدأ آخر . لن يكون التخمين اخذ ، فى هذا المعنى ، التسليم قبل الدليل وهو بهذا المعنى غير مسموح به ، وانما يعنى الاخذ مقدما ولكن بناء على أساس انتظارا لدليل مناقض .

الفصل الخامس عشر الاحتمال

قياسية :

١ - اذا أظهر الاستدلال الارتباط بين الأفكار ، فإن الاحتمال
لن يكون بسوي ظاهر هذا الارتباط ، قائما على أدلة لا تظهر أبدا الارتباط
الثابت .

٢ - توجد عدة درجات من التصديق ابتداء من اليقين الى التخمين
فالشك وعدم الثقة .

٣ - عندما نحصل على اليقين يوجد حدس ، تقى كل أجزاء
الاستدلال يظهر الارتباط ، ولكن ما يجعلني أعتقد سيكون شيئا
آخر تماما .

٤ - ولكن الإحتمال يقوم على اتفاقات مع ما نعرف أو على شهادة
الذين يعرفونه .

ثبوتية :

أفضل التمسك بأنه يعتمد دائما على ما يبدو صادقا أو على الاتفاق
مع الحقيقة ، وشهادة الآخرين أمر آخر . اعتاد الصدق أن يحصل عليه
بالنسبة للوقائع التي في متناوله . يمكن إذن القول أن تشابه المحتمل
مع الحق يؤخذ أما على الشيء نفسه أو من شيء آخر غريب عنه . يقرر
علماء البلاغة نوعين من الحجج : صناعية نستمدّها من الأشياء بالاستدلال ،
وغير صناعية لا تقوم إلا على شهادة خاصة من الانسان أو ربما الشيء
نفسه . ولكن هناك أيضا ما هو خليط ، لأن الشهادة يمكن أن تزودنا
هي نفسها بواقع يمتد ليشكل حجة صناعية .

فيلسوفية :

٥٠٠ - أن التشابه بالحق هو الذى يجعلنا لا نصدق بسهولة كل ما هو غير قريب من معارفنا . وهكذا عندما يقول السفير لملك سيام أن الماء يتجمد فى بلده فى الشتاء بحيث يستطيع الفيل السير عليها دون أن يغوص . فإن الملك يرد : لقد كنت أعتقد أنك رجل سليم العقل . والآن أرى أنك تكذب .

٦ - ولكن إذا استطاعت شهادة الآخرين أن تجعل الواقع محتلا ، فمن الواجب اتخاذ رأى الآخرين أساسا حقيقيا للاختمال . لأنه يؤخذ لدى الناس من الأخطاء أكثر مما لديهم من معرفة ، وإذا اعتبرنا الثقة فى أولئك الذين نعرفهم ونقدرهم أساسا مشروعا للشعور فسيكون من حق الناس أن يكونوا ملحدين فى اليابان ومن أتباع محمد فى تركيا ، وبابويين papistes فى أسبانيا وكالفانيين فى هولندا ولوثاريين فى السويد .

توفيقية :

شهادة الناس لها وزنها بدون شك أكثر من رأيهم وهذا ما يلاحظه أكثر فى العدالة حيث تتطلب تفكيرا أكثر ومع ذلك نعرف أن القاضى يطلب أحيانا حلف اليمين على صدق ما يقال أو كما يسمونه Oath de Créduité ، ولأنه فى التحقيقات غالبا ما يطلب من الشهود ليس فقط ذكر ما رأوا وإنما أيضا حكمهم عليه والمبررات التى دفعتهم الى هذا الحكم . يختلف القضاء أيضا عن مشاعر وآراء الخبراء فى كل مهنة ، الأفراد ليسوا مضطرين الى ذلك ، ماداموا غير ملزمين بالوصول الى الفحص الدقيق . وهكذا فالطفل والرجل الذى لا يهيم كثيرا الأمر ، مضطر عندما يجد نفسه فى موقف معين ، أن يتبع دين بلده طالما لا يمس به بسوء وطالما ليس فى حالة تحته على البحث عن دين أفضل وكذلك مربى الأمراء ، أيا كان الحزب الذى ينتمى اليه ، سيجبرهم على

الذهاب الى الكنيسة التي يذهب اليها الذين يقتنعون بمذهبه . يمكن أن نحسم النزاع القائم بين السيد نيقولا *Nicole* والآخرين حول حجج العديد من أمور الايمان والتي قد يختلف البعض معه في جزء منها في حين لا يهتم بها البعض الآخر الاهتمام الكافي هناك أحكام سابقة أخرى يمكن أن نغنى الناس من مناقشتها وهي ما يسميها *Tertullien* في بحثه الخاص *Prescriptions* (الأنظمة القانونية) . بالتعليمات مستخدما لفظا كان يقصد به الفقهاء القدماء عدة أنواع من الاستثناءات والإدعاءات الغريبة والمبادرات ، ولا يقصد بها اليوم سوى الأنظمة القانونية المؤقتة عندما نرفض دعوى الآخرين لأنهم لم يتقدموا بها في الموعد المحدد قانونا . وهكذا نجد ما يمكن أن يكون حكما مسبقا مشروعا ، سواء يؤيد الكنيسة الرومانية أو الكنيسة البروتستنتية . لقد وجدت وسيلة لمقاومة التجديد لدى هؤلاء أو أولئك في اعتبارات معينة مثل ترك البروتستنت التنظيمات القديمة للكنسيين ، وعندما غير الرومانيون مجموعة الشرائع المذكورة في الكتاب المقدس للعهد القديم ، كما ظهرت بوضوح في النقاش الذي سجله الاشيدوق دي مو والذي صاغ منذ عدة أيام حسب ما وصلني من أخبار . وهكذا كانت الاتهامات متبادلة ، أن التجديد لأنه يثير بعض الخطأ لن يكون دليلا أكيدا في هذه الأمور .

الشخصيات

١ - Jaccué - Boussuet أنسقف دى مو de Meaux ولد فى ديجون سنة ١٦٢٧ وتوفى سنة ١٧٠٤. غنى باريس . أهم أعماله الفلسفية : معرفة الله والذات ، مقال عن التاريخ العالمى ، المنطق . حرية الاختيار .

٢ - Tertullien أحد آباء الكنيسة اللاتينية ولد فى قرطاجة سنة ١٦٠ وتوفى سنة ٢٤٥ . وانتهى بالسقوط فى بدعة مونتان . أهم أعماله : الدفاع apologie عن عبادة الأوثان ، عن حياة العذارى .

٣ - نيقولا (بغير) :

فيلسوف ولاهوتى من أتباع اليوريت رويال . ولد سنة ١٦٢٥ وتوفى سنة ١٦٩٥ عمله الرئيسى هو : أبحاث فى الأخلاق والتعاليم اللاهوتية .

Essais de morale et instructions theologiques.

منها ستة مجلدات عن الأخلاق . وكتاب المنطق أو فن التفكير الذى شارك أرتولد فى كتابته .

الفصل العاشر عشر
درجات التصديق
Degrés d'assentiment

في ملاحقة :

١ - فيما يتعلق بدرجات التصديق يجب ملاحظة أن أسس الاحتمال التي لدينا لا يتجاوز الظاهر الذي نجدناه فيه أو التي وجدناها فيها عندما فحصناها . لأنه يجب الاعتراف أن التصديق أن يستطيع أن يكون دائما مؤسسا على رؤية فعلية كما يحدث للحقول التي لها ذاكرة مدهشة والقادرة على الاحتفاظ دائما بكل الأدلة التي امتلكتها في شعور معين . والتي أحيانا تملأ مجلدا عن سؤال واحد يكفي أن يحققوا في المادة بعناية وجد ، وأن يكونوا قد أوقفوا العد ، على حد قولهم :
« نحن نعلم أن هذا غير ممكن ، لأن يصبح الناس شكاك أو أن يغيروا رأيهم في كل لحظة لكي يرجعوا على كل انسان ، يكون قد فحص الموضوع منذ قليل ، يقترح عليهم حججا لن قرضيهم تماما في هذم اللحظة ، أما لعجز الذاكرة أو التطبيق على مهل .

٣ - يجب الاعتراف ان هذا يجعل الناس أحيانا يماندون في الخطأ ، ولكن الميب ليس في أنهم يعتمدون على ذاكرتهم ، وإنما في أنهم أساءوا الحكم من قبل ، لأنه قد يتاح أحيانا للناس فرصة من الفحص والتفكير تجعلهم يلاحظون أنهم لم يفكروا بعكس ذلك مطلقا . وقد اعتاد أولئك الذين يفحصون اعتقاداتهم أقل فحص أن يرتبطوا بها أكثر ، ومع ذلك فإن الارتباط بما قد نرى يصبح مشروعا ، وإن كان غير مشروع دائما فيما يتصل بما نعتقد ، لأن من الممكن أن نهمل اعتبارا ما ككفيل بان يهدم كل شيء . وربما قد لا يوجد شخص في العالم لديه المهلة والمصبر والوسائل ليجمع كل الأدلة المؤيدة لهذا الطرف أو ذاك

فى كل الأسئلة ، أو أن يملك من الآراء ما يجعله يقارن بين هذه الأدلة ويستنتج بيتين أنه لا ينقصه شىء لم يعرفه ليصل الى معرفة شاملة • ومع ذلك العناية بحياتنا لا يمكنها أن تنتظر ، ومن الضرورى تماما أن يتحدد حكمنا على أمور ليس فى مقدورنا أن نصل فيها الى معرفة يقينية •

تبرؤفيل :

كل ما ذكرنه حتى الآن يا سيدى - طيب وقوى • ومع ذلك مازلنا نتمنى أن يكون لدى الناس : فى لقاءاتهم ، مختصرات مكنوبة توضح الأسباب التى حملتهم على الاحساس بنتيجة ما • والتى يرون أنهم مضطرون لأن يبرروها لأنفسهم أو لغيرهم فيما بعد • وعلى أى حال لم نتعود ، فى مجال العدالة - على أن نتراجع عن الأحكام التى صدرت أو أن نراجع حساباتنا النهائية (والا ستظل دائما فى قلق وسيصبح من غير المحتمل عدم الاحتفاظ دائما بملاحظات عن الأشياء المزعجة) ومع ذلك فقد نضطر بناء على أيضايات جديدة الى الالتجاء الى المحكمة وتقديم ما يسمى بدعوى الاسترداد *restitution in integrum* ضد ما كان مقررًا ، وحتى فى أمورنا الخاصة : وبالذات تلك التى يمكن أن نتراجع فيها أو التى لن يؤذينا أن نتوقف أو نتقدم حسب هوانا • ان قرارات ذهننا المؤسسة على الاحتمالات لا يجب أبدا أن تكون ثابتة ، وأن نكون مستعدين لمراجعة تفكيرنا عندما تواجهنا اعتراضات جديدة • ولكن عندما لا نجد الوقت للتروى فمن الواجب اتباع الحكم الذى صدر ، بكل صراحة كما لو كان معصوما ولكن بدون تعنت^(١) •

فيـــــــــــــــــالليت :

٤ - من جهة أخرى لا يستطيع الناس أذن تفادى الخطأ عندما يحكمون أو يحصلون على مشاعر متنوعة ، طالما لم يستطيعوا النظر

(١) ديكارت : «قال فى المنهج ج ٢ » مسلمتى الثانية أن اكون الاكثر صرامة وحزما فى الأفعال التى استطيعها والا اتبع باستمرار الاعتقادات المشكوك فيها مادمت قد قررت ذات مرة أنها أكيدة تماما » .

الى الأشياء من نفس الزوايا ، عليهم أن يوائموا بينهم وبين واجبات
الانسانية المتصلة بهذا التنوع من الاعتقادات ، والا يلزموا أى فرد
بتغيير موضوعات اعتقاده بناء على اعتراضهم ، خاصة اذا كان لديه
المفرصة لتصور أن الشخص الذى يعارضه يتصرف بناء على مصلحة
أو حماس أو أى دافع شخصى آخر وفى أغلب الأحيان أولئك الذين
يعرضون على الآخرين ضرورة الخضوع لمشاعرهم لا يحسنوا فحص
الأمور ، لأن أولئك الذين يتقدمون فى المناقشة بما فيه الكفاية ليخرجوا
من الشك ، وهم قلة قليلة ، سيجدون أن الأمور التى يلومون غيرهم من
أجلها من القلة بحيث لا تستحق استخدام العنف من جانبهم .

تيوفيل : .

حقا أن الجدير باللوم ليس اعتقادات، البشر وانما حكمهم المنهون
فى لوم الآخرين ، كأننا من الضرورى أن يكون غيبا أو شريرا ذلك الذى
يحكم بخلاف ما نحكم به . هذه الأمور التى ينشرها أصحاب الانفعالات
والكراهيات وسط الجمهور نتيجة ذهنهم المتعطرس والظالم والمحـب
للسيطرة ولا يقبل أى معارضة . حقا أن هذا لا يعنى عدم وجود أى
مبرر للوم معتقدات الآخرين ، وانما يجب أن يتم ذلك فى جو يفتق
ويتلاءم مع الضعف البشرى كما أن من الصواب الاحتياط ضد النظريات
السيئة التى تؤثر على السلوك والمعتقدات العملية ، ولكن يجب الانسـبـها
الى الناس والى أحكامهم المسبقة دون أن يكون لدينا المبررات القوية
لذلك . واذا كانت العدالة تطلب منا أن نصفح عن البشر فان التقوى
تتطلب الاحتجاج على الآثار السيئة لمعتقداتهم عندما تكون ضارة ،
كتلك المعتقدات التى تعارض عناية الله العادل والحكيم والخير ، أو التى
تعارض خلود الأرواح أو التى تجعلهم يتأثرون بعدالته ، فاهيك عن
المعتقدات الخطيرة الأخرى التى تتصل بالأخلاق والسياسة والتى لن
نحدث عنها . أعرف رجالا ممتازين وحسنى الذية يقررون أن تأثير هذه
المعتقدات النظرية على الممارسة أقل من تأثيرها على الفكر . وأعرف أيضا

أشخاصاً لن تسمح لهم مواقفهم بأن يتأثروا بهذه المعتقدات : كما أن أولئك الذين توصلوا الى هذه الأخطاء بالأمل ، قد اعتادوا بطبيعتهم على الاعتماد عن الخطايا التي يتعرض لها البشر بوجه عام ، الى جانب حرصهم على مكانة الطائفة التي يتزعموها . يمكن القول أن ابيقور وأسبينوزا مثلاً كانا نموذجاً لذلك . لكن هذه الأسباب غالباً ما تروى لدى نلاميذهم وأتباعهم الذين يظنون أنهم قد تحرروا من الخوف الفظيع من العناية التي تراقبهم والتي تهدد مستقبلهم فيطلقون العنان لانفعالاتهم البهيمية ويوجهوا ذهنهم الى اغراء وانفساد الآخرين ، وإذا كانوا متحمسين وفي مواقف قاسية ففي مقدورهم : أرضاء لسرورهم أو تقديمهم ان يشعلوا النار في أركان الأرض الأربعة ، وهذا ما علمته عن سلوك بعضهم ممن أختطفهم الموت . لاحظت كذلك ان أمثال هذه المعتقدات تتسلل تدريجياً في أذهان رجال ذوي مستوى عالى ويحكمون غيرهم ويعتمد عليهم في تصريف أمور الآخرين ، مما يجعلهم ينزلقون الى الاطلاع على الكتب الشائعة ويهيئوا كل شيء للثورة العامة التي تهدد أوروبا وتكمل هدم كل مازال باقياً في العالم من مشاعر كريمة كانت سائدة لدى الأغريق القدماء والرومان الذين فضلوا حب الوطن والخير العام واهتموا بمستقبل الأجيال القادمة بل وبالحياة ، هذه الشخصيات العامة كما يسميها الانجليز ، قد تضاعلت جداً ولم تعد سائدة وسوف تتضاعل أسرع عندما لن تساندتهم الأخلاق المقابلة والتي بدأت تسود .

لا يملك أى مبدأ سوى ذلك الذى يسمونه بتشرف ، ولكن علامة الرجل الشريف أو الطاهر في نظرهم هي ألا يفعل الدنيا كما يفهمونها ، أما اذا سفك أحدهم طوفاناً من الدم أو قلب كل شيء رأساً على عقب ، في سبيل تحقيق ثروة أو تدعيم سلطته فلن يكون بذلك مسيئاً ، بل قد يعتبر بطلاً كما كان الحال بالنسبة لهيرومستراتس^(١) Herostratus قديماً ودون جوان في وليمة ببيير لمولير في الحاضر . أهمهم يسفرون

(١) Herostratus : بن افسوس اشعل النار في معبد Artemis في افسوس ليلة ولادة الاسكندر الأكبر سنة ٣٥٦ من أجل ان يصبح مشهوراً .

بوقاحة من حب الوطن ويحقرون أولئك الذين يهدون بالجمهور ، وإذا تحدث رجل حسن النية عما يحدث للأجيال المقبلة رذوا عليه : سوف نرى ذلك عندما يحين الوقت من الممكن أن يمارس هؤلاء الأشخاص نفس الشرور التي ظنوا أنها تخص غيرهم وعلى أى حال إذا أمكن علاج الذهن من هذا المرض المنتشر والذي بدأت تظهر آثاره السيئة ، ربما أمكن منع الشرور ، أما إذا استمر فى التزايد فسوف يعالج الله البشر بالثورة التى يجب أن تتبع هى أيضا من ذلك لأنه أيا ما حدث فكل شئ سوف ينتهى الى الأحسن بوجه عام فى نهاية الأمر مع أنه قد لا يحدث ولا يجب أن يحدث بدون عقاب حتى أولئك الذين ساهموا فى الخير بأفعالهم السيئة أعود الآن من استطرادى الذى تعرضت فيه للمعتقدات الصادقة والذى دفعنى اليه حديثنا عن حق لومهم . لكن فى اللاهوت ذهب اللوم الى أبعد من هذا . فأولئك الذين يظهرون مزايا اعتقادهم الأورثوذكس يتهمون خصومهم بما يتهم به التوفيقيون *syncretistes* خصومهم ، وقد ولد هذا الاعتقاد حروبا

أهلية بين المتشددين والمتسامحين فى داخل نفس الحزب الواحد . ومع ذلك ، فانه شأنه شأن تحريم الخلاص الأبدى على الذين يعتقدون اعتقادا آخر ، يتم بناء على حقوق الله ومن ثم فلن يتوقع أحكم هؤلاء الذين يصدرن هذه الأحكام سوى المهلاك للأرواح الهائمة ويتركون لرحمة الله الفريدة الحكم على أولئك الذين يعجزهم خبثهم عن الاستفادة منها ، أما هم فيعتقدون أنهم مضطرون الى بذل كل جهد يمكن تصوره ليخرجوهم من هذه الحالة الخطيرة . إذا توصل هؤلاء الأشخاص الذين يحكمون هكذا بهلاك الآخرين ، الى هذا الاعتقاد بعد فحص دقيق وإذا لم توجد وسيلة لتحريرهم من وهمهم ، فلن نستطيع لوم سلوكهم طالما لم يستخدموا سوى وسائل الرأفة . ولكن ان ذهبوا الى أبعد من ذلك فقد اعتدوا على قوانين العدالة . لأنه يجب أن يفكروا فى أن الآخرين لهم اعتقاداتهم أيضا ولديهم الحق فى التمسك بمشاعرهم بل ونشرها إذا آمنوا بأهميتها . يجب استثناء الاعتقادات التى تحت على

الجريمة التى يجب أن نقضى عليها ولو بالعنف : اذا لم يستطع تنفيذ ذلك القادرين عليها ، كما أن من حقنا أن نقضى على الحيوان السام ولو كان بريئا • ولكنى أقصد القضاء على الطائفة وليس على البشر ، طالما يمكن منعهم من أن يصبحوا مزعجين أو متعصبين •

فيـلـالـيت :

٥ — لكى نعود الى أساس ودرجات التصديق ، من المناسب أن نلاحظ أن القضايا نوعان أحدهما عن الواقع ، تعتمد على الملاحظة ويمكنها أن نعتد علي شهادة البشر ، والأخرى تأملية تعبر عن الأشياء التى لا تستطيع حواسنا اكتشافها ، ولا نقبل مثل هذه الشهادة •

٦ — عندما يتفق واقع جزئى مع ملاحظتنا المستمرة والعلاقات الموحدة للآخرين فإننا نعتد عليها كما لو أنها معرفة يقينية ، وعندما نتفق مع شهادة جميع الناس نرى كل العصور بقدر ما يمكن معرفتها ، فأنها ستكون أول وأعلى درجة من الاحتمال ، مثلا النار تحرق ، الحديد يغوص فى أعماق الماء • اعتقادنا القائم على مثل هذه الأسس يرتفع الى درجة اليقين •

٧ — فى الدرجة الثانية . عندما يقرر جميع المؤرخين أن شخصا قد فضل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، حيث نلاحظ دائما أن هذه هى عادة معظم البشر ، فإن الشعور الذى أعطيه لهذه القصص يصبح ثقة *confiance* •

٨ — فى الدرجة الثالثة عندما لا تؤيد طبيعة الأشياء أو لا تعارض واقع ما تقرره شهادة أناس غير مشكوك فيهم ، مثلا أن يوليوس قيصر عاش فإننا نقبل ذلك باعتقاد ثابت *ferme creance* •

٩ — عندما يعارض الشهود المتبزر العادى للطبيعة أو يتعارضوا فيما بينهم فإن درجة الاحتمال تتنوع الى ما لا نهاية ، من حيث تأتى هذه

الدرجات التى نسميها ظن *croyance* ، تخمين *conjecture* أو شك *doute* أو عدم يقين *incertitude* أو عدم ثقة *defiance* وهنا يلزمنا الدقة لنصدر حكما صحيحا ولكى تتناسب مشاعرنا مع درجات الاحتمال .

توبيخ :

الفقهاء فى تناولهم الأدلة والقرائن والتخمينات علامات ، قد قالوا الكثير من الأمور الجيدة ، وبتفصيل . لقد بدأوا بالقواتر حيث لا نحتاج لأى دليل ومن بعده وصلوا الى أدلة كاملة . أو تلك التى نعتبرها هكذا ، وخاصة تلك التى تتصل بالأمور المدنية على الأقل . ولكننا قد نتحفظ فى بعض الاحالات وخاصة الأمور الجنائية ولن نخطئ اذا طالبنا بأدلة أكثر من تامة ، أو ما نسميها *corpus delicti* حسب طبيعة الواقعة توجد اذن أدلة أكثر من تامة ، وأدلة تامة عادية ، والقرائن التى نعتبرها أدلة تامة بصفة مؤقتة ، الى أن يثبت العكس ، توجد أيضا أكثر من نصف تامة *demi plein* التى تسمح فيها للذى يقدمها أن يحلف اليمين . وليدعها أنها *juramentum suppletorium* هناك أخرى أقل من نصف تامة حيث على العكس تطلب اليمين من ذلك الذى ينكر الواقع لكى يسقط الدعوى *juramentum purgationis* خلاف ذلك يوجد قدر من درجات التخمين ومن علامات وخصوصا فى الأمور الجنائية حيث يوجد علامات *ad torturam* تتصل بالسؤال (الذى هو نفسه له درجاته المذكورة فى صيغ الحكم) . هناك أيضا علامات يكفى لاثبات الضرر وتعد الأشياء كما لو أن المرء قد أراد استحضارها . وهناك ما يصلح للتأكد من انسان مشكوك فيه *d capturam* وللإستعلام *ad inquirendum* هذه الاختلافات يمكن أيضا أن تستخدم فى حالات أخرى متناسبة . ان صورة صياغة الدعاوى فى العدالة ليست فى الواقع سوى نوعا من المنطق مطبقا فى أمور القانون . لدى الأطباء أيضا قدر من الدرجات والاختلافات فى العلامات والاشارات التى يمكن أن نراها لديهم . بدأ علماء الرياضة فى عصرنا فى الاهتمام بالصدفة وخاصة فى الألعاب . الفارس دى ميرى^(١) *de meré* الذى نشر كتابه *les agrements*

وغيره من المؤلفات ، وهو رجل ذو ذهن نافذ ولاعب وفيلسوف أتاح
 الفرصة لتأليف عدة وسائل تتصل بالرهان لمعرفة كم تساوى اللعبة
 اذا توقفت فى هذه الحالة أو تلك • ودفع صديقه بسكال^(٢) الى فحص
 هذه الأمور كما أتاح الفرصة للسيد هيجمتر^(٣) لعمل بحثه *alea*
 كما ساهم فى هذا المجال علماء آخرون وتقررت عدة مبادئ
 استخدمها السيد *de wit* فى بحث صغير طبع فى هواندا عن
les rentes à vie . معتمدا على أساس يرجع الى *prostapherese*
 أى أخذ المتوسط الحسابى لعدد من الافتراضات المتساوية القبول •
 وقد استخدمها فلاحونا منذ زمان عند بيع قطعة أرض أو توزيع ميراث
 حسب رياضتهم الطبيعية وذلك بأن يشكّلوا ثلاثة مجموعات يسميها
 الساكسون بالـ *scharzen* كل مجموعة منها تعبر عن مقدار • لنفرض
 اذن أن أحداها يساوى ١٠٠٠ ... والثانى ١٤٠٠ والثالث ١٥٠٠ فان
 مجموعها سيبكون ٣٩٠٠ ومتوسطها ١٣٠٠ وبصورة أخرى يمكن أخذ
 مجموع الجزء الثالث فى كل وحدة • أنها مسلمة *aequilibrium aequilia*
 بالنسبة للفروض المتساوية يجب أن نحصل على اعتبارات متساوية •
 ولكن عندما لا تتساوى الفروض علينا أن نقارن بينها • لنفرض مثلا أن
 زهرين أحدهما يكسب عندما يحصل على ٧ نقط والآخر عندما يحصل
 على ٩ ونسأل أى نسبة يمكن أن توجد بين ظواهر كسبهما ؟ أقول أن
 ظواهر الأخير تساوى $\frac{7}{9}$ من ظواهر الأول ، لأن الأول يعمل ٧ بثلاثة
 طرق بواسطة الزهرين : ١ ، ٦ أو ٢ ، ٥ أو ٣ ، ٤ • الآخر لا يمكن أن
 يعمل ٩ سوى بطريقتين ٣ ، ٦ أو ٤ ، ٥ كل هذه الطرق ممكنة تماما
 اذن الظواهر التى تشبه اعداد الامكانيات المتساوية ستكون ٣ : ٢
 أو ١ : $\frac{7}{9}$ لقد قلت أكثر من مرة أنه يلزمنا نوع جديد من المنطق يتناول
 درجات الاحتمال مادام أرسطو فى التحليلات لم يفعل سوى ذلك ،
 واكتفى بأن نظم قواعد شعبية معينة موزعة حسب الأماكن العامة ،
 ويمكن أن تستخدم فى بعض المناسبات التى تهتم بتوضيح الحديث
 أو تظهره ، دون أن يكلف نفسه جهدا لتقديم معيار ضرورى نقيم به

الظواهر لنصدر حكما متينا • سيكون من الأحسن لمن يريد أن يتناول هذا الموضوع أن يتابع دراسة ألعاب الحظ • وبوجه عام أتمنى أن يتمكن عالم رياضى ماهر من تأليف كتاب مفصل وواضح ومعقول يتناول هذه الأنواع من الألعاب وسيكون ذا فائدة كبرى لانتقان فن الاختراع فذهن الانسان يبدو فى الألعاب أفضل منه فى الأمور الأكثر جدية •

فيـالـا لـا لـا لـا :

١٠ — يلاحظ قانون انجلترا القاعدة التى ترى أن النسخة التى يشهد على أصالتها الشهود تكون دليلا جيدا ، ولكن نسخة النسخة مهما كانت مدعمة بالشهود العدول فلن نقبل أبدا كدليل فى الحكم • ام أسمع مطلقا من يلوم هذا الاحتياط الحكيم • يمكن على الأقل أن نستخرج منه هذه الملاحظة ، وهى أن الشاهد تقل قوته بقدر ما يعتمد عن الحقيقة الأصلية التى تكون فى الشيء نفسه ، فى حين يستخدمها بعض الناس بطريقة معكوسة تماما • تكتسب الاعتقادات قوتها كلما مضى عليها الزمن وذلك الذى كان مجرد احتمال منذ ألف سنة بالنسبة لرجل عاقل معاصر لذلك الذى قرره لأول مرة ، يصبح حاليا مؤكدا لأن كثيرين قد دعموه بشهادتهم •

تـيـو فـيـل :

انتقادات أمور التاريخ لها أهميتها فى نظر الشهود المعاصرين للأشياء ، ومع ذلك حتى الشخص المعاصر نفسه لا يجب أن نعتقد فيه إلا بالنسبة للأحداث العامة أصلا ، ولكن عندما يتحدث عن الدوافع والأسرار والأشياء موضع النقاش كحوادث التسمم أو القتل • فعلينا أن نسلم على الأقل بما يعتقدده العديد منهم • اننا نثق تماما فيما يقوله Procope عندما يتحدث عن حرب اليبليزير Bélisaire ضد الفاندال والمجوث ولكننا نتردد عندما يروى فى أفاصيصة عيوب الامبراطورة تيودور • وعلى العموم يجب أن نتحفظ فى تصديق ما تذكره الـاهاجى ، اننا نرى الكثير مما ينشر فى أيامنا ويعارض كل ظاهر وأن انخدع به الجهلاء • ربما يقال ذات يوم هل من الممكن أن يجرؤ أحد على نشر

هذه الأمور التى حدثت فى هذه الأيام ؟ ألم يكن هناك أساس ظاهر ؟ ولكن اذا قيل ذلك ذات يوم . فان الحكم سيكون خاطئا تماما . ورغم ذلك يميل العالم الى الهجاء ونكتفى بذكر ما نشره المرحوم دومريه الابن فى مذكراته المطبوعة منذ عدة سنوات ، من أهور معينة لا أساس لها ضد Hugo Grotius وهو شخص لا نظير له وكان سفيرا للسويد فى فرنسا وقد صدم صدمة قوية لما ذكره عن صديق مشهور كان صديقا لوالده . وقد رأيت عددا من المؤلفين يكررون نفس الشيء مع أن خطابات ومفاوضات هذا الرجل العظيم تخبرنا بالعكس تماما . قد نتحرر أحيانا فى كتابة القصص التاريخية مثل ذلك الذى كتب حياة كرومويل الأخيرة فمقد اعتقد أنه لكى يصفى على الموضوع روح المرح قد سمح لنفسه عند الحديث عن حياة هذا الزعيم الماهر أن يجعله يسافر الى فرنسا حيث يتابعه فى باريس كأنه المرمى الخاص ومع ذلك ظهر من تاريخ حياة كرومويل الذى كتبه كارلنجن الرجل المثقف والذى أهده الى ابنه ريتشارد عندما كان تحت رعايته ، أن كرومويل لم يغادر أبدا أنجزر البريطانية ، التفاصيل اذن تكون غايلة اليقين ، ليس لدينا أى شىء تقريبا عن العلاقات بين المعارك . فتلك التى تتصل بمعركة

Tetelive مثلا تبدو خيالية وكذلك تلك الخاصة Quinte Curae يلزمنا تقارير من هنا وهناك يكتبها اناس يمتازون بالدقة والقدرة على وضع الخطط الشبيهة بخطط الكونت دالبرج Delberg الذى خدم باخلاص فى عصر ملك السويد شارك جوستاف والذى كان حاكما عاما لمدينة ليفونى ودافع عن ريجا Riga مسجلا أفعال ومعارك هذا الأمير . ومع ذلك يجب أولا ألا نقلل من قدر أى مؤرخ جيد بناء على كلمة من أمير أو وزير يكون قد كتب ضده فى احدى المناسبات أو فى أحد الموضوعات التى لا ترضيه أو الذى أخطأ فيها حقا .

يحكى أن شارل الخامس Charles Quint عندما أراد قراءة شىء عن سليدن Stedlen قال « احضروا الى كذابى » وأن Carlowitz الجنتلمان السكسونى المشهور فى هذا الوقت قال أن تاريخ سليدن

زعزع كل اعتقاد طيب كان لديه فى التواريخ القديمة • وأقول أن هذا
لن يؤثر فى عقول الأشخاص ذوى الاطلاع ولن يززع مكانة تاريخ
سليدن الذى أفضل جزء فيه هو هذا النفسى من أفعال عامة للمجالس
التشريعية واجتماعات وكتابات يقرأها الأمراء ، وإذا بقى أقل شك فى
هذا الصدد فقد أزالته القصة الممتازة التى ذكرها صديقى المشهور
المرحوم Seckendorf (التى لا أجد مغرا من اعتراضى على اسم
الوثريه الموجود على العنوان ، وهى عادة سيئة سائدة فى ساكس) والتى
يؤيد فيها معظم الأشياء بمقتطفات لا حصر لها أخذت من سجلات
سكسونية كانت فى متناول يده ، ومع أن مسيو « دى مو » de Meaux
الذى أرسلت اليه هذا الكتاب وقد هوجم فيه ، أجب بأن هذا الكتاب
يعيبه الاطناب الفظيع ، ولكنى أتمنى أن تتضاعف صفحاته وكلما كان
رحبا كلما أتاح فرصة أكثر حيث لن يسعنا سوى اختيار الأماكن ، علاوة
على ما فيه من أعمال تاريخية جديرة بالاحترام ، وعظيمة حقا ، علينا
ألا نحتقر المؤلفين التالين للعصر الذى يكتبون عنه عندما يكتبون بوضوح ،
وقد يحدث أحيانا أنهم يحتفظون بمقتطفات قديمة جدا مثلا ، لقد شككنا
فى الأسرة التى ينتمى اليها Sulbert أسقف بامبرج Bamberg
فى عصر البابا كلمنت الثانى ، وقد ذكر مؤرخ غير معروف لتاريخ برونسنيك
فى القرن ١٤ ، اسم عائلته كما ذكر علماء آخريين لم يلتفت اليهم تاريخيا ،
ولكنى حصلت على مجلة تاريخية أقدم بكثير ولم تطبع بعد ، ذكر فيها
نفس الشيء بصورة أكثر نظاما ومنها يتضح أن هذا الأسقف كان من
عائلة من قدامى الأشراف فى هورتبرج (وهى ليست بعيدة
Wolfenbittel) حصلوا على اقليمهم من المالك الأخير للكنيسة
المكاثوليكية فى Halderstadtt •

فياليت :

١٨ - لا أريد أن يعتقد أحد أنى أردت التقليل من سلطة واحترام
التاريخ بملاحظتى هذه ، فقد حصلنا بهذا المصدر على وضوح مقنع
عن جزء كبير من حقائقنا المفيدة ، ولا أرى ما هو أحق بالتقدير من

المذكرات التي بقيت لنا من العصر القديم . وكنت أتمنى أن يكون لدينا العدد الأكبر والأقل فسادا . ولكن من الحق دائما أنه لن ترتفع أى نسخة الى مستوى يقين الأصل الأول لها .

تتويـل :

من المؤكد أنه عندما يؤكد مؤلف واحد من القدماء واقعا ما . فان كل من ينسخه لن يضيف عليه أى قيمة وبالأحرى يجب ألا يوضع فى الاعتبار وهذا ما يجب أن يكون طالما ما يتوله لن يكون سوى تكرار ، هكذا الأمر بالنسبة للأشياء التى أراد أن يعمل منها السيد ميناج Menag كتابا ، فهى لم تذكر سوى مرة واحدة . اليوم أيضا عندما يكرر مائة ألف مؤلف صغير نقائص بولزك Bolsec مثلا فان الانسان الفطن لن ينظر اليها الا على أنها مجرد أصوات لفرخ الأوز . لقد كتب الفقهاء de fide historica مادته تستحق بحثا أدق : وبعض هؤلاء السادة كانوا متسامحين جدا بالنسبة للعصر القديم مازالت بعض الوقائع الأكثر دويا موضع شك : لقد شك أنانس ماهرون بحق فى هل كان روميلوس أول مؤسس لمدينة روما . هناك نقاش حول وفاة سيروس وبالتالى الصراع بين هيودوت وستيسياس قد أثار الشكوك حول تاريخ السريان والبابليين والفرس وكذلك تاريخ كل من Nabuchodonosor Assuérus d' Esther, de Judith يعانى الكثير من الصعوبات . عندما يتحدث الرومان عن ذهب تولوز يعارضون ما يحكى عن هزيمة الجولوا على يد كامى Camille ، وخاصة التاريخ الخاص والشخصى للشعوب لا تخلو من نقد ، ، عندما لا يؤخذ من الأصول القديمة جدا ، أو الموافقة تماما للتاريخ العام . لهذا فان ما يحكى لنا عن قدماء الملوك الجرمان والجولوا والبريقاتيك والايكوس واليولونى وغيرهم ، يصبح مجرد أسطورة ولجورد التسلية ، أن تريبيتا Trebeta ابن نينوس مؤسس تريف Trèves ، بروتس مؤلف البريتون حقيقيان مثل الـ Amadis الحكايات المأخوذة من بعض مؤلفى القصص : Sifuid Petri, Albinis, Aventin Trithemius,

وقد أعطوا لأنفسهم الحرية فى أن يصنفوا الأمراء القدماء الى فرانك Frison, saxon, Boiens, Franc . وما يحكيه لنا ساكسون العالم النحوى وادا Edda عن القدماء الذين عاشوا فى الشمال ؛ سيكون له نفس قوة ما يقوله Kadlubko المؤرخ البولونى الأول ، عن أحد ملوكهم من سلالة يوليوس قيصر ، ولكن عندما تتقابل قصص مختلف الشعوب فى حالات لا يبدو أن أحدها قد نسخ عن الآخر ، فان ذلك سيكون أكبر دليل على الحقيقة ، مثلا اتفاق هيرودوت مع تاريخ العهد القديم فى كثير من الأشياء ، مثلا عندما يتحدث عن معركة مجيدو Mégiddo بين ملك مصر والسويين فى فلسطين ، أى اليهود ، وحيث حسب تقرير التاريخ المقدس الذى لدينا عن العبريين ، أصيب الملك جوسياس Josias بجرح مميت . الاتفاق بين مؤرخى العرب والفرس والترك والأغريق والرومان وغيرهم من المقربين يسر كل من يبحث عن الوقائع ، كما أن شهادات الميداليات والمخطوطات الباقية من العصر القديم .التى تضاف الى كتب القدماء ، تصبح فى الحقيقة نسخا من النسخ . علينا أن ننتظر ما يضيفه الينا تاريخ انصين عندما يصبح فى حالة تسمح بالحكم عليه عندما يحمل معه مبررات الثقة فيه ، الاهتمام بالتاريخ يرجع أصلا الى اللذة التى نجدها فى معرفة الأصول والتقدير الذى يمنحه لمن يستحق من الرجال وتقرير النقد التاريخى وخاصة بالتاريخ المقدس الذى يدعم أسس الوحي (ولنضع جانبنا على السلالات وحقوق الأمراء والأقوياء) والتعاليم المفيدة التى تقدمها الأمثلة لا أهنقر أبدا محاولة التنقيب فى الماضى لنصل الى أقل الأمور أهمية ، لأننا أحيانا نستخدم ما يمدنا به النقد من معارف فى أمور أكثر أهمية ، انى أوصى بأن نكتب تاريخ الملابس وغن الخياطة منذ ملابس الحبر الأعظم ادى العبريين بل واذا أردنا منذ الكسوة التى أعطاها الله لأول زوجين عند خروجهما من الجنة حتى أربطة الشعر والزينة الكريهة فى عصرنا ، وأن نضيف اليه كل ما يمكن أن نستخرجه من الكتب القديمة والرسوم والتماثيل المصنوعة منذ عدة قرون ، وقد أضيف إليها ، اذا رغب فى

ذلك أى شخص ، مذكرات رجل من أوجسبرج فى القرن الماضى أخذ لنفسه صوراً بكل الملابس التى ارتداها منذ طفولته حتى سن الثالثة والستين ، ولا أذكر من قال لى أن المرحوم الدوق « أومنت »^(٢) هو مطلع على أخبار القديما ، كان مهتما بأمور مشابهة . ربما يساعدنا هذا فى تمييز الآثار المشروعة من تلك غير المشروعة ، دون أن نتعرض لاستخدامات أخرى ، ومادام من المسموح للناس أن يلعبوا فسيكون من المسموح لهم أكثر أن يتساوا بهذه الأنواع من الأعمال . إذا لم ترهقهم واجباتهم ، ولكنى كنت أتمنى أن يتخصص أشخاص باختيارهم ، ليستخرجوا من التاريخ كل ما هو أكثر فائدة وليكون لدينا أمثلة غير عادية للفضيلة وملاحظات على متع الحياة وخطط السياسة والحرب . كما كنت أتمنى أن يكون لدينا تاريخاً كلياً لا يذكر سوى هذه الأمور وقليل من الأمور ذات النتائج ، لأننا أحياناً نقرأ كتاباً كبيراً فى التاريخ ، قد أحسن كتابته ويحقق هدف مؤلفه ، وممتاز فى نوعه ، ولكنه مع ذلك لا يحتوى على معلومات مفيدة ، أنا لا أقصد هنا تلك الاخلاقيات البسيطة المملوء بها مسرح الحياة البشرية والدواوين الشعرية ، وإنما أقصد مهارات ومعارف لا يجدها الناس عند الحاجة اليها . أتمنى أيضاً أن يستخرج من كتب الرحلات أشياء لا حصر لها ونمتلك هذه الطبيعة ، يمكن أن نستفيد منها وأن نرتبها حسب موادها . ولكن من الدهش أن الكثير من هذه الأمور مازال فى حاجة الى التنفيذ ، ان الناس يتسلمون دائماً بما قد نحقق فعلاً ، أو بأشياء لا جدوى منها أو على الأقل بما هو قليل الأهمية ، ولا أجد علاجاً لهذا سوى أن يندمج الناس بصورة أكثر جدية وفى أوقات أكثر هدوءاً .

فيلاليت :

١٢ — استطراداً تلك تسر وتفيد ، ولكن بالنسبة لاحتمال الوقائع علينا أن نعرض للاعتقادات التى تمس الأشياء التى لا تقع تحت الحواس . أنها غير قابلة لأى شهادة ، مثل وجود وطبيعة العقول والملائكة

والنسياطين ... الخ الجواهر الجسدية التي تكون في الكواكب ومسكن هذا الكون الفسيح ، وأخيرا طريقة عمل معظم أعمال الطبيعة ، فنحن لا نملك عن كل هذه الأشياء أننا لا نستطيع تقريرها فهي لا تبدو محتملة الا بقدر تناسبها كثيرا أو قليلا مع الحقائق المقررة . ان احتكاكا عنيفا بين جسمين يولد الحرارة وقد يشعل نارا ، ان انحراف الأجسام الشفافة يظهر الألوان ، فتحكم بان النار تتولد عن تحرك عنيف للأجزاء غير المحسوسة ، وان الألوان التي لا ترى أصلها تبحث عن انحراف مشابه ، ونظرا لوجود ارتباط متدرج بين كل أجزاء المخلوقات القابلة للملاحظة البشرية والتي لا يوجد بين أي جزئين منها فراغ يحق لنا أن نعتقد أن الأشياء ترتفع نحو الكمال تدريجيا وبدرجات غير محسوسة . ومن الخطأ القول أبين يبدأ كل من المحسوس والمقول وما هي أقل درجة للأشياء الحية . ان الأمر هنا يشبه ترايد وتناقص الكمية في المخروط المنتظم . هناك اختلاف مترايد بين أفراد معينة وحيوانات عجموية معينة ، ولكن إذا أردنا المقارنة بين فهم وقدرة اناس معينين وحيوانات معينة فاننا سنجد الفارق بينهما قليل جدا بحيث سيكون من الخطأ تأكيد أن فهم هؤلاء الناس سيكون أدق وأكثر امتدادا من فهم هذه الحيوانات . مع اننا لو لاحظنا مثل هذا التدرج غير المحسوس بين أجزاء المخلوقات ابتداء من الانسان حتى الأجزاء الأدنى التي تتدرج تحته ، فان قاعدة المقارنة تجعلنا نرى احتمال أن يوجد مثل هذا التدرج في الأشياء التي تكون فوقنا خارج عالم ملاحظتنا ، وهذا النوع من الاحتمال سيكون الأساس الأكبر للمروض المعقولة .

تيفيسيل :

ان هذه المقارنة دفعت بالسيد هوجنز Huggens في كتابه نظريات الكون Cosmotheores الى أن يرى أن حالة الكواكب الأخرى الرئيسية تقترب من حالتنا ، ماعدا ما يسببه اختلاف بعدها عن الشمس من اختلافات وكذلك السيد فونتيل Fontenelle الذي كان له اهتماماته

العميقة عن تعدد العوالم . قال أشياء جميلة فى هذا الصدد وقد وجد أن فن الأبراج صعب . ويقال أيضا أن هارلكان Harlequin قد ذكر شيئا قريبا من ذلك فى كتابه مملكة القمر . والواقع أن الحكم على هذه الأقمار (وهى مجرد كواكب تابعة) قد تغير . وقد ألف كلبير^(٦) Kelper كتابا صغيرا . يصور فيه حالة القمر . كما ذكر شخص انجليزى^(٧) نافذ الذهن ، وصفا شيقا لشخصية أسبانية من اختراعه : حملته الطيور العابرة الى القمر ، ولن نتحدث عن سيرانو Cyrano الذى ذاب يبحث عن هذا الاسباني . لقد أراد بعض ذوى الذهن النافذ تقديم صورة جميلة للحياة الأخرى ، وتخيلوا دعوة الارواح السعيدة الى التزهر من عالم الى عالم ، وقد يجد خيالنا فيها جزءا من الاهتمامات الجميلة بالجن ، ومهما كان الجهد الذى بذل ، فأنى أشك فى استطاعتنا الاتصال بالجن ، بسبب بعد المسافة والاختلاف الكبير بيننا وبينهم ، والى أن نحصل على منظار يشبه ذلك الذى وعدنا به ديكارت لنميز أجزاء سطح القمر التى لا تزيد عن حجم منازلنا ، فلن نستطيع تحديد ما يوجد فى كوكب مختلف عن كوكبنا . تخميناتنا ستكون مفيدة أكثر وحقيقية أكثر بالنسبة للأجزاء الداخلية لأجسامنا . أتعشم أن نذهب الى ما وراء التخمين فى كثير من الحالات وأعتقد فعلا الآن أنه على الأقل لا يجب أن تعتبر التمسرك العنيف لأجزاء النار الذى حدثك عنه ضمن الأشياء التى لا تكون سوى رموزا . خسارة أن يصبح فرض ديكارت الخاص بتلاحم أجزاء الكون المرئى قليل الاتفاق مع الأبحاث والاكتشافات التى تمت منذ ذلك الحين ، أو أن يكون على ديكارت أن يعيش خمسون عاما أكثر لعطينة . فرضا يخص المعارف الخاضرة يشبه ذلك الذى أعطاه لنا فى عصره . بالنسبة للارتباط المتدرج للأنواع فقد تعرضنا له فى مناقشة سابقة حيث أوضحت أن الفلاسفة فكروا فعلا فى الفراغ وفى الاشكال أو الاخناس . كل شئ فى الطبيعة يسير بتدرج ولا يتم شيئا فجأة هذه القاعدة الخاصة بالتغيرات تعتبر جزءا من قانون الاستمرار الخاص بى ، ولكن جمال الطبيعة يتطلب ادراكات متميزة ويتطلب مظاهر من

القفزات أو على حد القول خاتمت موسيقية ، كما أنها تجد لذة فى خلط
الاجناس • وعلى هذا حتى وان كان من الممكن أن يوجد فى أى عالم
آخر أنواعا متوسطة بين الانسان والحيوان (حسب ما يفهم من هاتين
الكلمتين) وأنه يوجد فى مكان ما من الحيوانات العاقلة ما يفوقنا ، فان
الطبيعة قد وجدت من الاحسن أن تبعتها عنا لئلا تمنحنا ، دون منازع ،
التفوق الذى لدينا فى كوكبنا • أتحدث عن الاجناس المتوسطة ولا أريد
أن أتعرض هنا للأفراد البشرية التى تقترب من الخاتمات ، اذ من الواضح
أن هذا ليس عيبا فى الملكة ، ولكنه عقبة فى الممارسة ، بحيث أعتقد
أن أغبى الناس (الذى لا يكون فى حالة تعارض الطبيعة بسبب مرض
أو نقص آخر دائم يحل محل المرض) سيكون بلا مقارنة أكثر معقولة
وأكثر وداعة من أكثر الحيوانات روحانية ، بالرغم من أنه قد يقال
أحيانا عكس ذلك عن طريق المزاح • بقى أن أؤكد بقوة البحث عن
المقارنات : النباتات ، الحشرات ، علم التشريح المقارن للحيوانات
سيزودنا أكثر فأكثر خصوصا عندما نستمر فى استخدام المجهر أكثر
مما نفعل الآن • وبالنسبة للمواد الأعم ستجد أن مشاعري بالنسبة
للوحدات العنصرية المنتشرة فى كل مكان وعن استمرارها الذى لا يتوقف
وعن حفظ الحيوان بالروح والادراكات الأقل تميزا فى حالة معينة،
مثل موت الحيوانات البسيطة وعن الاجسام التى من المعقول أن ننسبها
الى الجن وعن انسجام الأرواح والاجسام الذى يجعل كل واحد
منها يتبع قوانينه الخاصة دون أن يضطرب بغيره ودون أن يتميز فيها
الارادى أو اللا ارادى : أقول سنجد أن كل هذه المشاعر تتفق تماما مع
مقارنة الأشياء التى نلاحظها وأننى اتجاوزها فقط فيما يتصل بملاحظاتنا
دون أن أحصرها فى نسب معينة من المادة أو اجناس معينة من الأفعال ،
وأنه لا يوجد أى اختلاف بينها سوى اختلاف الأكبر عن الأصغر والمحسوس
عن غير المحسوس •

فيـلـالـيـت :

١٣ — على أى حال هناك حالة قد يقل مراعاتنا لها عند ممارسته الاشياء الطبيعية التى تعرفها بالتجربة عن مراعاتنا لما يتصل بالشهادة المعارضة لواقع غريب يبتعد عنها ، لأنه عندما تتفق الاحداث التى تفوق الطبيعة مع غايات ذلك الذى لديه القدرة على تغيير مجرى الطبيعة فلن يكون لدينا ما يبرر رفضنا الاعتقاد فيها عندما تكون قد تقرررت جيدا ، وهذه هي حالة المعجزات التى لا يجب الاعتقاد فيها بحسب بل نقلها أيضا الى حقائق أخرى تحتاج الى مثل هذا التأكيد .

١٤ — أخيرا هناك شهادة تجعلها تفوق أى تصديق وهو الوحي ، أى شهادة الله الذى لا يخدع ولا يخدع والتصديق الذى ننسبه اليه يسمى ايماننا ويستبعد كل شك تماما كالمعرفة الاكثر يقينا . ولكن الامر هنا يتطلب أن نكون متأكدين أن الوحي الهيا وأن نعرف أننا نفهم المعنى الحقيقى والا تعرضنا للتعصب والاطعاء الناتجة عن التفسير الضاطىء . وعندما يكون وجود ومعنى الوحي محتملا فحسب فلن يكون التصديق من الاحتمال أكثر من ذلك الموجود فى الادلة وهذا ما سنتحدث عنه مرة أخرى بتفصيل أكثر .

تيوفيسـل :

يمثل اللاهوتيون بين دوافع قابلية التصديق (كما يسمونها) والتصديق الطبيعى الذى يجب أن يتولد عنه ، ولا يمكن أن يحصل على احتمال أكبر من هذه الدوافع ، وبين القبول فوق الطبيعى الذى هو فى الواقع من العناية الالهية . لقد حرروا كتبنا خاصة بتحليل الايمان والبتى لا تتفق فيما بينها ، ولكن مادامنا سنتكلم عنها فيما بعد فانى لا أحب التعرض هنا لما سنتناوله فى موضعه .

الشخصيات

(١) Meré مشهور في القرن ١٧ صديق بسكال وبلزاك : نشرت أعماله في امستردام سنة ١٦٩٢ في مجلدين .

(٢) بسكال : كاتب مشهور وفيلسوف فرنسي ولد في كليمنت سنة ١٦٢٣ وتوفي في باريس سنة ١٦٦٢ عملاه الرئيسيان هما : الريفيات Provinciales والأفكار Pensées أوضح كوزان في تقريره المشهور بالأكاديمية الفرنسية أن نص العمل الأخير قد عدله تعديلاً خطيراً الناشرون الأوائل من يورت رويال . يوجد الآن طبعتان مخلصتان طبعة Faugère في مجلدين وطبعة Havet في مجلد واحد .

(٣) Hugens أو Huyghens عالم فيزيقي ورياضي مشهور في القرن ١٧ ولد في هوج بهولندا سنة ١٦٢٩ وتوفي بنفس المدينة سنة ١٦٩٥ نشر وجمع أعماله S. Gravesande تحت عنوان Christ Hugens in IV tomes distributa في ليد سنة ١٧٢٤ في مجلد واحد وفي امستردام سنة ١٧٢٨ في مجلدين .

(٤) بوقدومنت : duc d'aumont عالم في القرن ١٧ وعضو في أكاديمية المخطوطات والفنون الجميلة . ولد في عام ١٦٣٢ وتوفي سنة ١٧٠٤ .

(٥) فونتنييل : Fontenelle ولد في روان سنة ١٦٥٧ وتوفي في باريس سنة ١٧٥٧ وعمره مائة عام لم يكن فيلسوفا بالمعنى الدقيق ويتصل بتاريخ الفسفة بروحه الفاحصة والناغدة التي تسود أعماله أهمها محاورات الموتى (١٦٨٣) وبحث في تعدد العالم (١٦٨٦) تاريخ المعجزات (١٦٨٧) شكوك حول نظام العمل العرضية وأخيراً رثاء eloge وهو عمله الرئيسي .

(٦) كلبير Kelper ولد في Weill سنة ١٥٧١ وتوفي في Ratisbonne سنة ١٦٣٠ عالم هندسة مشهور ولكن اكتشف قوانين الحركة الكونية . أهم أعماله : Harmonices mundi libri quinque (الكتب الخمس عن انسجام العالم) . علم الفلك الجديد أو الفيزياء الغضاوية مؤسسة على دراسة حركة مارس . والكتاب الذي أشار إليه ليبنتز وهو : Summum Kelper

(٧) Godwin de Liandoff : رجل دين انجليزي في كتابه « رجل في القمر » لندن سنة ١٦٣٨ ترجم للفرنسية سنة ١٦٤٨ .

تدرك هذه الرابطة بين الحقائق ، وملكة التفكير هي أيضا تسمى عقلا ، وهذا هو المعنى الذى نستخدمه هنا ، لأننى قد أظهرت فعلا فيما قبل أن شعبه التفكير الذى نراه فى الحيوانات ليس سوى توقع حادث مشابهة .إحالة تبدو مشابهة فى الماضى دون معرفة هل يوجد نفس العلة الناس أنفسهم لا يتصرفون خلاف ذلك فى الحالة التجريبية فقط . ولكنهم يرتفعون عن الحيوانات بقدر ما يرون من ارتباطات بين الأفكار "أقول" ، الارتباطات التى تشكل أيضا فى ذاتها حقائق ضرورية وكلية . هذه الارتباطات تكون ضرورية حتى عندما لا تفتح سوى اعتقاد ، عندما يمكن اثباتها بعد أن يتضح احتمالها بالبحث الدقيق . وبمحيث يوجد عندئذ ليس استدلالا لحقيقة فحسب وإنما الجانب الذى تتطلب الحكمة أن نأخذ به . وإذا قسمنا ملكة التفكير ، فأنى أعقد أنه لا بأس من أن نتعرف فيها على جزئين وفق شعور سائد إلى حد ما يميز بين الاختراع والحكم أما بالنسبة للدرجات الأربعة التى ذكرتها بالنسبة للاستدلالات الرياضية فأنى أرى أن الأول ، وهو اكتشاف الأدلة ، لا يبدو بالصورة التى كنت أتمناها . أننا نجد أحيانا تركيبات دون تحليل وأحيانا يحذف التحليل ليضع علماء الهندسة فى استدلالاتهم أولا القضية التى يجب اثباتها ولكى يصلوا إلى الاستدلال يعرضون لبعض الاشكال ما هو معطى (ما يسمى بالمعطيات ecthèse) ومن بعدها ينقلون إلى الاعداد ويرسمون خطوطا جديدة يحتاجون إليها فى الاستدلال ، وأحيانا يكمن الفن الأكبر فى الحصول على الاعداد . بعد ذلك يعملون الاستدلال نفسه بأن يستخرجوا النتائج مما سبق أن سلفوا به فى المعطيات ومما أضيف فى الاعداد مستخدمين الحقائق المعروفة فعلا أو التى سبق اثباتها ليصلوا إلى النتيجة . ولكن هناك حالات قد نستغنى فيها عن المعطيات والاعداد .

فيصلاليت :

من المعتقد بوجه عام أن المقياس هو الاداة الكبرى للعقل وأحسن وسيلة لعمل هذه الملكة . وأشك فى ذلك ، لأنه لا يفيد إلا فى رؤية

المترابط بين الأدلة في مثال واحد وليس فيما عداه ،
 وقد يراه الذهن بسهولة وربما أفضل بدونه • وأولئك الذين
 يعرفون استخدام الاشكال والأنماط يفترضون في أغلب الاحيان
 استخدامهما بقانون واضح وضعه اساتذتهم دون أن يفهموا علقه ، اذا
 كان القياس ضروريا فلن يعرف العقل الانسانى أى شىء قبل اكتشافه ،
 ويجب القول أن الله قد جعل من الانسان مخلوقا ذا ساعتين وترك لارسطو
 مهمة أن يجعل منه حيوانا عاقلا ، أريد أن أقول أن قليلا من الناس يمكنهم
 الاهتمام بفحص أسس الاقيسة حيث لا يوجد من بين ٦٠ طريقة
 لتشكيل القضايا الثلاثة سوى ١٤ تقريبا يقينية • ولكن الله كان أكثر
 رحمة بالبشر • لقد منحهم ذهنا قادرا على التفكير • لا أقول ذلك
 لأقلل من شأن ارسطو الذى اعتبره من أكبر رجال العصر القديم والذى
 من النادر أن يوجد من يضاهيه فى الانتشار أو الدقة أو نفاذ الذهن
 أو قوة الحكم ، والذى اخترع هذا النظام الصغير من أشكال المجادلة
 وقدم خدمة كبرى للعلماء ضد أولئك الذين لم يخلوا من انكار كل
 شىء ، ولكن مع ذلك ، هذه الاشكال ليست هى الوسيلة الموحيدة ولا
 الأفضل للتفكير ، وأرسطو نفسه لم يصل اليها بواسطة هذه الاشكال،
 وانما عن الطريق الاصيل للتوافق الواضح بين الافكار : والمعرفة
 التى نكتسبها بواسطة النظام الطبيعى فى الاستدلالات الرياضية تبدو
 أفضل بدون سند من أى قياس • الاستدلال هو استنتاج صدق قضية من
 أخرى نعرف من قبل أنها صادقة ، أما افتراض ارتباط معين بين الافكار
 المتوسطة ، مثلا من قولنا أن الناس ستعاقب فى العالم الآخر ، نستدل أنهم
 يستطيعوا تحديد أنفسهم فى هذا العالم • واليك الرابطة « سيعاقب
 البشر ، الله هو الذى يعاقب ، اذن المعاقب عادل ، اذن المعاقب مذهب ،
 اذن كان الاخرى به أن يعمل خلاف ذلك ، اذن لديه الحرية ، اذن أخيرا
 لديه القدرة. على أن يحدد » تظهر الرابطة هنا أفضل مما لو وجد خمس
 أو ستة أقيسة معقدة ، حيث تكون الأفكار منقولة مكررة ومنتظمة فى
 أشكال صناعية يلزمنا أن نعرف أى الارتباطات لديه فكرة متوسطة

بين أول القياس وآخره وهذا لا يمكن لأى قياس أن يثبته • أن الذهن هو الذى يستطيع برؤية الخاصة ادراك هذه الافكار الموضوعة هكذا بنوع من التجاور ، ما فائدة القياس اذن ؟ انه يستخدم فى المدارس حيث لا يخلوا من انكار اتفاق الافكار الواضح اتفاقها • من أين يأتى أن الخاس لا يعقلون أبدا الاقيسة لأنفسهم عندما يبحثون عن الحقيقة أو عندما يعلموها للذين يرغبون باخلاص فى معرفتها ؟ من الواضح تماما أن هذا النظام :

انسان — حيوان — حى

أى أن الانسان حيوان والحيوان حى ، اذن الانسان حى •

طبيعى أكثر من هذا القياس :

حيوان — حى ، انسان — حيوان ، انسان — حى

أى أن الحيوان حى والانسان حيوان اذن الانسان حى

حقا أن الأقيسة يمكنها أن تستخدم فى اكتشاف خطأ مستتر وراء طريق الزينة المستعار من البلاغة ، وقد اعتقدت فيما مضى أن القياس ضرورى على الأقل لتجنب السفسطة المقنعة وراء الاحاديث الزاهية ، لكن بعد فحص دقيق وجدت أنه ما علينا الا أن نميز بين الافكار التى تعتمد عليها النتائج وتلك التى تكون سطحية ، أن نرتبها فى نظام طبيعى لتظهر تناقضها • لقد عرفت رجلا يجهل قواعد القياس تماما ومع ذلك أدرك ما فى حديث طويل مصطنع ومقبول من ضعف وبراهين باطلة ، لم يتوصل اليها اناس آخرون تدربوا بكل دقة على المنطق ، واعتقد أن قليلا جدا من قرائى لا يعرفون هؤلاء الاشخاص • واذا لم يكن الامر كذلك ، فإن الامراء لن يفوتهم أن يدخلوا الاقيسة فى المناقشات الهامة التى تهم عروشهم ومصالحهم ، والتى يعتقد الجميع أن من المعبث استخدامها • لم نسمع أحدا تحدث عن ذلك لا فى آسيا ولا أفريقيا ولا أمريكا ولا

الاحرار الاوروبيين • أخيرا سنجد في نهاية الحساب أن هذه الاشكال المدرسية لا تخلو من خداع ، ومن النادر أن يقنع هذا المنهج المدرسى بل ومن النادر جدا أن ينتصر • أنهم يعرفون أكثر أن خصمهم أكثر مهارة ولن يتركهم يقنعوه بعدالة حجته • أما إذا أمكن ادخال استدلالات خاطئة في القياس فمن الواجب اكتشاف هذا الخطأ بوسيلة أخرى غير القياس • ومع ذلك فلست من الرأي القائل برفض الاقيسة أو أن نحرم أنفسنا من أى وسيلة قادرة على مساعدة الذهن هناك عيون في حاجة الى نظارة ، ولكن لا يجب على أولئك الذين يستخدمونها أن يلزموا كل من يقرأ باستخدامها • أن في ذلك انقاص من قدرة الطبيعة من أجل فن هم مدينون لها به ، خاصة إذا كان تأييدهم قد جاء على يد أشخاص يستخدمون النظارات أو أنهم استخدموها عندما ضعف بصرهم ولم يعد في استطاعتهم الرؤية بدونها •

توفيل :

استدلالك على قلة فائدة الاقيسة مليء بالعديد من الملاحظات القوية والجميلة ، ويجب الاعتراف أن الشكل المدرسى للاقيسة قليل الاستخدام في العالم ، وأنه طويل ومعقد إذا أردنا استخدامه بجد • ومع ذلك هل تعتقد ذلك (ج) أنى أتمسك بأن اختراع شكل الاقيسة من أجل ما صنع الذهن البشرى ومن أكثرها استحقاقا للتقدير ، أنه نوع من الرياضة الكلية لم تعزف أهميته بما فيه الكفاية ، يمكن القول أنه يحتوى على فن العصمة من الخطأ ، بشرط أن نعرفه وأن نحسن استخدامه ، وهذا غير متيسر دائما وعلى ذلك يجب معرفة انى أقصد بالدلة الصورية ، ليس فقط هذه الطريقة المدرسية من البرهنة التى تستخدم في المدارس ، وانما كل استدلال نستدل به بطريقة صورية ولا نحتاج فيه لاضافة أى موضوع ، بحيث يصبح أى قياس مركب مفصول النتائج sorite وأى نسيج آخر من القياس يتجنب التكرار بل حتى الحساب الدقيق ، وحساب الجبر ، والتحليل اللامتناهى ستكون كلها في نظرى أدلة صورية ما دامت صورة استدلالها قد سبق

اثباتها بحيث تتأكد من أننا لم نخدع . ولا يهم كثيرا ألا تكون استدلالات أفليديس أدلة صورية في الغالب ، لأنه عندما يعمل القياس المضمر على الظاهر ، فإن القضية المحذوفة والتي تبدو ناقصة ، قد عوضت بذكرها في الهامش حيث نعطى الوسيلة للحصول عليها مثبتة فعلا ، وهذا يحقق اختصارا كبيرا دون أن ننقص شيئا من قوتها . هذه القضايا

العكسية والتركيبات تقسيمات الاسباب *divisions des raisons* ليست سوى انطباعا من صور التدليل جزئية وخاصة بالرياضيين وبالمادة التي يبحثونها والتي يثبتون صورها بمساعدة الصور الكلية للمنطق . علاوة على ذلك يجب معرفة أنه توجد نتائج غير قياسية جيدة لا نستطيع اثباتها بدقة بواسطة أى قياس بدون أن نغير قليلا من الحدود . هذا التغيير نفسه للحدود هو الذى يجعل النتيجة غير قياسية . يوجد منها الكثير من بينها *a recto ad obliquum* مثلا : المسيح اله ، اذن أم المسيح تكون أم الاله . وبالمثل ما يسميه المنطقة الماهرون بعكس العلاقة مثل هذه النتيجة : اذا كان دافيد والدسلامون فلا شك فى أن سلامون ابن دافيد . هذه النتائج لا ينقصها أن نثبت بواسطة حقائق تعتمد عليها الاقيسة الشعبية أيضا ليست الاقيسة حملية فقط بل شرطية بما فيها الشرطية المنفصلة . ويمكن القول أن الحملية بسيطة ومركبة الحملية البسيطة هي التي نعتبرها عادة حسب أنماط الاشكال وقد وجدت أن لكل شكل من الاشكال الاخرى ستة أنماط ، بحيث يوجد ٢٤ نمطا في الجميع . الاربعة أنماط الشائعة للشكل الاول ليست سوى أثرا لدلالة المسور كل ، لا ، بعض والاثنان الذى اضيفهما حتى لا نستبعد شيئا ليست سوى توابع للقضايا الكلية ، لأنه من هذين النمطين العاديين كل ب يكون ج ، كل أ يكون ب . كل أ يكون ج وكذلك لا ب يكون ج وكل أ يكون ب . لا أ يكون ج ، يمكن أن نضيف هذين النمطين : كل ب يكون ج ، كل أ يكون ب . بعض أ يكون ج وكذلك لا ب يكون ج ، كل أ يكون ب . بعض أ ليس ج . لأنه ليس من الضروري أن نثبت القضايا التابعة وأن ثبت نتائجها : كل أ يكون ج اذن بعض أ يكون ج وكذلك لا أ يكون ج

. : بعض أ ليس ج ، مع أننا نستطيع ذلك طبعاً بواسطة القضايا الذاتية
 المرتبطة بالانماط التي حصلنا عليها فعلاً من الشكل الأول بهذه الطريقة؛
 كل أ يكون ج ، بعض أ يكون أ . : بعض أ يكون ج وكذلك لا أ يكون ج ،
 بعض أ يكون أ . : بعض أ ليس ج . بحيث نثبت النمطين الإضافيين
 للشكل الأول بواسطة النمطين الأولين العاديين للشكل المذكور يتداخل
 التوابع الممكن اثباتها هي نفسها بالنمطين الآخرين لنفس الشكل . وبنفس
 الطريقة الشكل الثانى يقبل أيضاً نمطين جديدين ، وهكذا يكون لكل من
 الشكل الأول والثانى ستة ، وللثالث ستة فى كل الاوغات ، ونعطى للرابع
 خمسة ولكن وجد أن لديه ستة كذلك بناء على نفس المبدأ ، ولكن يجب
 معرفة أن الصورة المنطقية لا ترغماً على هذا النظام للقضايا التسمى
 نستخدمها بصورة عامة وأنا من رأيك ياسيدى أن الترتيب الآخر أفضل :
 كل أ يكون ب ، كل ب يكون ج . : كل أ يكون ب وهذا سيكون بوجهه
 خاص بواسطة القياس المركب مفصول النتائج
 sorites
 وهو نسيج من هذه الأقيسة لأنه ما زال هناك واحد : كل أ يكون ج كل
 ج يكون د . : كل أ يكون د ، يمكن أن نعمل نسيجاً من هذين القياسين
 يتجنب التكرار فنقول : كل أ يكون ب ، كل ب يكون ج ، كل ج يكون د
 . : كل أ يكون د حيث نهمل القضية التى لا فائدة منها كل أ يكون ج
 ونتجنب التكرار غير المفيد لنفس القضية التى يتطلبها القياسين ، لأنها
 قضية غير مفيدة والنسيج سليم وكامل فى الصورة بدون هذه القضية
 عندما نثبت قوة هذا النسيج بواسطة هذين القياسين . يوجد عدد لا حصر
 له من الانسجة الأخرى أكثر تعقيداً ليس فقط لأنه يدخل فيها عدد أكبر
 من الاقيسة البسيطة وانما أيضاً لأن الاقيسة التى تدخل فى تركيبها
 تختلف فيها بينها ، لأنه يمكن أن ندخل فيها ليس فقط قضايا حملية بسيطة
 انما أيضاً قضايا عطفية ، وليس فقط قضايا حملية وانما
 أيضاً شرطية وليس فقط أقيسة كاملة وانما أيضاً أقيسة
 مضمرة حذفنا منها القضايا التى نعتقد أنها واضحة . كل هذا
 يرتبط بنتائج غير قياسية ومع تعبير مكان القضايا وبقدر من التفكير وطرق

التعبير التى تخفى هذه القضايا ، نظرا للميل الطبيعى للذهن الى الاختصار ، ولخصائص اللغة ، التى تظهر فى جزء منها . استخدام الجزئيات ، كل هذا يعطينا نسيجا من الاستدلال يمثل كل برهنة ، حتى لدى الخطيب ، قد تخلص من الزينة وخضع للصورة المنطقية ، ليس بالطريقة المدرسية وانما بالطريقة الكافية لمعرفة قوتها . حسب قوانين المنطق وهى ليست سوى تلك الخاصة بالحس السليم بعد أن يتم تنظيمها وتسجيلها كتابة ، ولا تختلف عنها الا اختلاف القوانين العرفية لاقليم ما بعد تسجيلها ، عما كانت عليه قبل تسجيلها . واذا لم يكن قد تحقق سوى هذا التسجيل وقدرتها على المواجهة بصورة أفضل ، فان ذلك يلقى ضوءا أكثر يساعدها على التقدم والممارسة ، لأن الحس السليم الطبيعى ، بدون مساعدة الفن سيجد صعوبة أحيانا فى الوصول الى النتائج عندها يحال بعض الاستدلالات ، فقد يجد مثلا أن بعضها مما يتضمن بعض نماذج من الحقيقة قليلة التداول ولكن المنطقى الذى لا يريدنا أن نستخدم مثل هذه الأقيسة أو لا يرد هو أن يستخدمها بدعوة أن علينا دائما أن نخضع كل الأدلة المركبة للأقيسة البسيطة التى نعتمد عليها ، سيكون ، حسب ما سبق أن ذكرته لك ، بمثابة شخص يريد ارغام التجار الذين يشتري منهم شيئا ما على أن يعدوها له واحدة واحدة كما نعد على أصابعنا ، أو كما تعد الساعات فى ساعة المدينة ، مما يظهر غباؤه اذا لم يستطع العد بطريقة أخرى والذى لا يستطيع ، بدون العد على الأصابع ، معرفة أن $5 + 3 = 8$ ويدل على نزوة اذا كان يعرف هذه المختصرات ولا يريد استخدامها أو السماح باستخدامها . وسيكون أيضا بمثابة الرجل الذى لا يريد مطلقا أن نستخدم البديهيات . والمسلمات التى أثبتت فعلا بدعوى ضرورة اخضاع كل استدلال للمبادئ الأولى حيث تظهر العلاقة المباشرة بين الأفكار والتى نعتمد عليها هذه المسلمات المتوسطة . بعد أن شرحت استخدام الصور المنطقية بالطريقة التى اعتقد أن الواجب اتباعها ، أعود الى اعتباراتك ولا أرى مطلقا كيف تربد يا سيدي ألا نستخدم القياس الا لرؤية الارتباط بين الأدلة فى مثال

واحد ، اننا لن نوافق على القول بأن الذهن يرى دائما بسهولة النتائج ،
لأننا نرى أحيانا أن بعضها (على الأقل فى أدلة الآخرين) يفسح المجال
للتشك طالما لا نرى البرهان . عادة نستخدم الأمثلة لنبرر النتائج ولكن
ليس هذا مؤكدا باستمرار رغم وجود فن الاختيار الأمثلة التى لن تكون
صادقة أبدا اذا لم تكن النتائج جيدة . ولا أعتقد أنه كان مسموحا
فى المدارس المنظمة جيدا أن ينكروا بدون أى جمل الاتفاق الواضح
للافكار : ولا يبدو لى أن القياس قد استخدم لاثباتها . وعلى الأقل
لم يكن الاستخدام الوحيد والرئيسى .

وسنجد غالبا أنه لا يظن (عند فحص استدلالات المؤلفين الزائفة)
أنهم قد أساءوا لقواعده المنطق ، وقد جربت بنفسى أحيانا ، عندما
ناقشت تحريريا بعض الأشخاص ذوى النوايا الطيبة ، أننا لم نبدأ فى
التفاهم الا عندما تناقشنا سوريا لنزيل خليط الاستدلالات . لا شك
أنه سيكون من العبث أن نبرهن فى المداولات بالطريقة المدرسية بسبب
الاطناب التعب والمزعج لهذه الصورة من الاستدلال ، لأنها بمثابة من
يعد على أصابعه . ولكن مع ذلك فى المداولات الأهم التى تخص الحياة
والدولة والسلام . وليس حقا تماما أن يترك الناس أنفسهم منبهرين
أحيانا بالسلطة أو بريق الفصاحة أو الأمثلة التى أسىء تطبيقها
أو الأقيسة الناقصة التى تخطئ فى افتراض وضوح ما تخذف ، بل وفى
النتائج الخاطئة ، بحيث يلزمهم ، من بين أمور أخرى ، منطقا صارما
ولكن فى سياق يختلف عن السياق المدرسى لكى يحددوا أين يكون
الأوضح أما عن الرجل العامى الذى يجهل المنطق الصناعى والذى لا يفوته
أن يفكر أحيانا أفضل من أولئك المتمرنين على المنطق ، فان ذلك لا يثبت
عدم فائدته ، تماما كما أن عدم فائدة الحساب الاصطناعى ان يثبت
رؤية بعض الناس يحسنون العد فى المناسبات العادية دون أن يعرفوا
القراءة والكتابة ودون أن يعرفوا الامساك بالريشة أو الفيشة ، بل قد
يظهرون أخطاء شخض تعلم الحساب ولكنه قد يهمل أو يشوش
العلامات أو السمات . حقا أن من الممكن أن تصبح الأقيسة سفسطائية

ولكن قوانینها الخاصة تساعد فی معرفتها • أن الأقيسة لا تعدل من
الرأى ولا تقنع دائما ، ولكن لأن سوء استخدام التمييزات والحدود
التي يساء فهمها تجعل الاستخدام مطولا لدرجة أن يصبح غير محتمل
إذا لزم دفعه حتى النهاية • لم يبق لى هنا سوى اعتبار اتمام حجتك
المقدمة كمثال على استدلال واضح بدون الصورة التي يقول بها المنطقة •
يعاقب الله الانسان (هذا من واقع مفروض) يعاقب الله بعدالة
ذلك الذي يعاقبه (هذه حقيقة عقلية يمكن أن نسلم بأنها قوية) :
يعاقب الله الانسان بعدالة (هذه نتيجة قياسية ممتدة بصورة غير
قياسية الى a recto ad obliquum اذن يعاقب الانسان بعدالة
(وهي عكس للعلاقة ولكنها حذفت لوضوحها) •

• الانسان مذنب (وهو قياس ضمنى حذف منه هذه القضية
التي ليست فی الواقع سوى تعريف : ذلك الذي عوقب بعدالة
يكون مذنبا) •

• يستطيع الانسان أن يفعل ذلك (نحذف هذه القضية :
ذلك الذي يكون مذنبا يمكن أن يفعل خلاف ذلك) •

• الانسان كان حرا (تحذف أيضا : من أستطاع أن يعقل خلاف
ذلك يكون حرا) •

• (من التعريف الحر) لديه القدرة على التحدید وهذا • يجب
اثباته • وألاحظ كذلك أن « اذن » هذه تتضمن فی الواقع كلا من
القضية المستترة « ذلك الذي يكون حرا لديه القدرة على أن يحدد »
وتستخدم لتجنب التكرار فی الحدود ، وفي هذا المعنى لا يوجد
شئ محذوف ، والحجة فی هذا الصدد يمكن أن تصبح كاملة • ترى
أن هذا الاستدلال نسيج من أقيسة متفقة تماما مع المنطق ، لأنى
لا أريد الآن اعتبار مادة هذا الاستدلال حيث ربما يوجد ملاحظات
يجب ذكرها أو ايضاحات تطالب بها • مثلا ، عندما لا يستطيع الانسان
أن يفعل خلاف ذلك توجد حالات يمكن أن يكون فيها مذنبا أمام الله

مثلا. عندما يكون من السهل ألا يستطيع مساعدة جاره ليحصل على عذر ، وختاما أعترف أن صورة البرهنة المدرسية غير ملائمة عادة وغير كافية وسيئة التنظيم ، ولكن أقول في نفس الوقت أنه ليس هناك ما هو أهم من فن البرهنة صوريا وفق المنطق الصحيح ، أي بتمام المادة ، ووضوح نظام وصورة النتائج ، سواء كانت واضحة بذاتها أو سبق اثباتها .

قبل لاليت:

٥. — لقد اعتقدت أن القياس سيكون أقل فائدة أو بالأحرى لا فائدة منه. مطلقا في الاحتمالات ، لأنه لا يدفع سوى دليلا واحد نمطيا ولكن أرى الآن أنه يلزم دائما أن نثبت بقوة ما هو أكيد في هذا الدليل النمطي نفسه ، أي المظهر الذي يوجد فيه ، وأن تتكون قوة النتيجة في الصورة .

٦ — ومع ذلك إذا استخدمت الأقيسة في الكم فاني أشك أنها تستطيع أن تستخدم في الاختراع ، أي الحصول على الأدلة وعمل اكتشافات جديدة . مثلا لا أعتقد أن اكتشاف القضية السابقة والأربعين من الكتاب الأول لأقليدس تكون مطلوبة لقواعد المنطق المعادى ، لأننا نعرفها أولا ، كما أنها قابلة لأن تثبت في صورة قياسية .

تتويها:

إذا ما فهمنا أنسجة الأقيسة ضمن الأقيسة هي وكل ما اسميه البرهنة الصورية ، فمن الممكن القول أن المعرفة التي لا تكون واضحة بذاتها تكتسب بالنتائج ، هذه النتائج لا تكون جيدة. إلا إذا كان لها صورتها المطلوبة . لا استدلال القضية التي تقول أن مربع وقر المثلث قائم الزاوية يساوى مربعى الجانبين ، فاننا نقسم المربع الكبير الى أجزاء. وكذلك المربعين الصغيرين وسنجد أن أجزاء المربعين الصغيرين يمكن أن توجد كلها في المربع الكبير لا أقل ولا أكثر . أن اثبات المساواة صوريا. كذلك مساواة الأجزاء يمكن اثباتها بالججج الصورية . لقد كان التحليل عند القدماء يعني مثلا عند يابوس Pappus أن نأخذ ما نطالب

به: وأن نستخرج منه نتائج الى أن نصل الى شيء معطى أو معروف .
لقد لاحظت، أنه لهذا يلزم أن يكون القضايا عكسية لكي يستطيع الاستدلال
فى التركيب أن يسير بعكس قضايا التحليل ، المهم دائما استخراج
النتائج . من الأفضل مع ذلك أن نلاحظ هنا أنه لا مجال لهذه العودة
بالنسبة للفروض الفلكية أو الفيزيائية . كما أن النجاح لا يثبت حقيقة
الفرض . حقا أنه يجعله محتملا ، ولكن حيث أن هذه قد تبدو مذبذبة
فى حق قاعدة المنطق التي تقرر أن من الممكن استخراج الحق من الباطل ،
فقد يقال أنه لا مكان مطلقا لقواعد المنطق فى الموضوعات المحتملة .
وأجيب أن من الممكن استنتاج الحق من الباطل وليس محتملا دائما
وخاصة عندما يبرر فرض بسيط العديد من الحقائق ، وهذا من النادر
وينبغ وجوده . يمكن القول مع كاردان Carden أن منطق الاحتمالات
لديه نتائج أخرى غير منطق الحقائق الضرورية ولكن احتمالية النتائج
نفسها لا بد وأن تثبت نتائج منطق الضروريات .

فيلاليت :

٧٠٠ — يبدو وأنتك من مؤيدى الدفاع عن المنطق الشعبى ولحنى أرى
أن ما تقوله يخص منطقا أكثر سموا بالنسبة له يكون المنطق الشعبى
بمثابة الأصول الأبجدية بالنسبة لعلم المعرفة . وهذا يذكرنى بفقرة
قالها رجل القانون « هوكر » Hooker فى كتابه « السياسة الكنسية »
الكتاب الأول الفقرة السادسة حيث يعتقد أنه إذا أمكن التزود بالمساعدات
الحقيقية للمعرفة وفق التفكير ، وأدنا فى هذا القرن الذى يعتبر مستنيرا
لا نعرف كثيرا ولا يحاول أحد منا أن يبذل الجهد ، وأصبح الاختلاف
فى قوة الحكم بين أولئك الذين ظلوا فى حالتهم الحاضرة كالاختلاف
بين الفلاس فى حالتنا الحاضرة والأغبياء . وأتمنى أن يتيح حوارنا
الفرصة لأن يصل البعض الى المساعدات الحقيقية للفن الذى تحدث عنه
هذا الرجل العظيم الذى يتمتع بذهن نافذ . وأن يصبحوا مقلدين
ولن يشبهوا الدواب التى تتبع الطريق المهد . ومع ذلك أجسرؤ على

القول أنه يوجد في القرن أشخاص يتمتعون بهذه القوة في الحكم
وبهذا الذهن الثاقب ويمكنهم الحصول على طرق جديدة لتقديم
المعرفة إذا أرادوا أن يجهدوا أنفسهم وأن يوجهوا أنظارهم إلى
هذا الجانب ♦

ثبوت فیصل :

لقد لاحظت جيدا يا سيدى مع المرحوم « هوكر » أن العالم لا يبذل الجهد فى هذا المجال ، وعلاوة على ذلك أعتقد أنه يوجد وأنه قد وجد أشخاص قادرون على النجاح فى هذا المضمار • كما يجب الاعتراف ان لدينا الآن مساعدات كبرى سواء فى جانب الرياضيات أو الفلسفة ولا يعتبر بحث صديقك الممتاز عن الفهم الانسانى اقلها وسنحاول أن نرى هل هناك وسيلة للاستفادة منه ؟

فيـلا لـا لـيـت :

٨ - يلزمنى القول يا سيدى انى اعتقدت وجود خطأ واضح فى قواعد القياس ولكن مناقشتك لى جعلتنى أتردد . وسأعرض عليك على أى حال الصعوبات التى تعترضنى يـآل » لا يمكن لأى استدلال قياسى أن يكون منتجا اذا لم يحتوى على قضية كلية . على الأقل . ولكن ويبدو لى أنه لا يوجد سوى الأشياء الجزئية التى تكون الموضوع المباشر للاستدلال ولعارفنا ، وهى لا تدور سوى على اتفاق الأفكار التى كل منها لا وجود لها الا جزئيا ولا تمثل الا شيئا مفردا .

تیوفیل : ل

، بقدر تصورك تشابه الأشياء يمكنك أن تتصور شيئاً ما أكثر ،
والكلية لا تتكون الا من ذلك ، لن تقترح أبداً أى حجة من المصحح دون
أن تستخدم فيها حقائق كلية من الأفضل على أى حال أن نلاحظ
أن القضايا الشخصية (من الناحية الصورة) تكون كلية • لأنه مهما كان

حقاً أنه لا يوجد سوى مبشر واحد هو القديس بطرس فإن من الممكن القول أنه أيا كان القديس بطرس فقد أنكر سيده • وهكذا يصبح القياس : القديس بطرس أنكر سيده • (مع أنها ليست سوى قضية شخصية) قائماً على قضايا كلية موجبة ويصبح نمطه *Darapti* من الشكل الثالث •

غيبلايت :

• أريد كذلك القول أنه يبدو لى من الأفضل أن نغير مكان الأتيمة ونقول كل أ يكون ب ، كل ب يكون ج . كل أ يكون ج •

بدلاً من أن نقول كل ب يكون ج ، وكل أ يكون ب . كل أ يكون ج •

ولكن يبدو لى حسب قولك أنهما سيعتبران من نفس النمط • حقاً أن التنظيم المختلف عن التنظيم الشعبى سيظل دائماً مستعداً أكثر لعمل نسيج من عدة أقيسة •

تيوفيل : بل :

أشئ متفق معك تماماً • ومع ذلك يبدو أنه من الناحية التعليمية مفيحش أن نبدأ بقضايا كلية مثل المقدمات الكبرى فى الشكلين الأول والثانى هناك أيضاً خطباء لديهم هذه العادة • ولكن الرابطة تبدو أفضل على النحو الذى نقترحه ، لقد لاحظت من قبل أن أرسطو قد يكون لديه مبرراً خاصاً للتنظيم الشعبى ، لأنه بدلاً من القول أ تكون ب اعتاد القول ب تكون فى أ وبهذه الطريقة من التعبير تأتى الرابطة التى تطالب بها فى التنظيم السائد لأنه بدلاً من القول ب تكون ج ، أ تكون ب ، • • • أ تكون ج يعلن عنهما هكذا ج تكون فى ب ز ، ب تكون فى أ • • • ج تكون فى أ ، مثلاً بدلاً من القول أن المستطيل متساوى الزوايا (أى له زوايا متساوية) والمربع يكون مستطيلاً • • المربع يكون متساوياً الزوايا • • فإن أرسطو بدون تغيير فى مكان القضايا يحتفظ

بالمكان الوسط للحد الأوسط عن طريق اعلان القضايا التي يعكس حدودها ويقول « المتساوى الزوايا يكون فى المستطيل والمستطيل يكون فى المربع » . متساوى الزوايا يكون فى المربع . ونحن لا نحتقر هذه الطريقة من التعبير لأن فى الواقع المحمول يكون فى الموضوع أو بالاحرى فكرة المحمول متضمنة فى فكرة الموضوع ، مثلا فكرة المتساوى الزوايا تكون فى المستطيل ، لأن المستطيل هو الشكل الذى زواياه تكون قائمة . وبما أن كل الزوايا القائمة متساوية فيما بينها فان فكرة المستطيل هى فكرة الشكل الذى كل زواياه متساوية وهى فكرة المتساوى الزوايا . طريقة التعبير الشعبية تهتم بالاحرى بالأفراد أما طريقة أرسطو فتختص أكثر بالأفكار أو الكليات . لأن القول « كل انسان حيوان » تعنى القول أن كل الناس متضمنة فى كل الحيوانات ، ولكنى أفهم فى نفس الوقت أن فكرة الحيوان متضمنة فى فكرة الانسان . الحيوان يشمل أفرادا أكثر من الانسان ، ولكن الانسان يشمل أفكارا أو صورية أكثر ، أحدهما لديه أمثلة أكثر والآخر لديه مفهوم أكثر . كذلك يمكن القول بحق أن النظرية القياسية كلها يمكن اثباتها بنظرية الشامل والمشمول Compris , Comprenat. وهى تختلف عن نظرية الكل والجزء ، لأن الكل يفوق دائما ولكن أحيانا يكون الشامل والمشمول متساويين كما يحدث فى القضايا العكسية .

فيلاليت :

٩ — بدأت أسلم بفكرة عن المنطق مختلفة تماما عن تلك التى كانت لدى من قبل . لقد كنت أنظر اليه باعتباره تسليية طلبية ، وأرى الآن أنه نوع من الرياضية الكلية بالمعنى الذى تقصده . شكرا لله أن أمكن دفعه لأكثر مما هو عليه ، لكى نتمكن من الحصول على مساعداته الحقيقية للعقل التى تحدث عنها هوكر والتى ترفع البشرية الى أعلى من حالتهم الحاضرة . والعقل ملكة فى حاجة كبيرة اليها لأن امتداده محدود :

ولحاجتنا اليها فى عديد من المقابلات ، وذلك لأنه (١) أحيانا ينقصنا الأفكار .

١٠ — أحيانا (٢) تكون غامضة وغير كاملة أما عندما نوجد الأفكار الواضحة والمتميزة ، كما فى الأعداد ، فاننا لن نجد أى صعوبات لا يمكن تخطيها ولن نقع فى أى تناقض .

١١ — (٣) أحيانا تأتى الصعوبة من نقص الأفكار المتوسطة ، ومن المعروف أنه قبل اكتشاف الجبر ، هذه الأداة الكبرى والدليل على حكمة الانسان ، كان الناس يتعجبون من استدلالات كثيرة فى الرياضيات القديمة .

١٢ — (٤) يحدث أيضا أن تبني الاستدلالات على مبادئ خاطئة ، مما يوقعنا فى صعوبات حيث نبتعد عن الوضوح وتشوش العقل أكثر .

١٣ — (٥) أخيرا الحدود التى دلالاتها غير يقينية تقلق العقل .

نيوقيسل :

لا أعرف هل ينقصنا من الأفكار بالقدر الذى نظنه ؟ ، أقصد الأفكار الواضحة ، أما الأفكار الغامضة أو الخيالات أو بالاحرى اذا أردت الانطباعات كالألوان والأواق ... الخ التى تكون نتيجة لعديد من الأفكار الصغيرة المتميزة فى ذاتها والتى لا ندركها بتميز ، فانه ينقصنا قدر لا حصر له وهى تناسب مخلوقات أخرى غيرنا ولكن هذه الانطباعات تستخدم أيضا فى الحصول على العرائز وتأسيس الملاحظات المستمدة من التجربة أكثر من استخدامها فى تزويد العقل بالمادة ما لم يصاحبها الادراكات المتميزة الذى يعوقنا لذن هو نقص المعرفة التى لدينا عن هذه الأفكار المتميزة المتخفية فى تلك الغامضة ، مع أن الكل قد عرض بتميز أمام حواسنا أو ذهننا ، ان كثرة الأشياء التى يجب اعتبارها تربكنا أحيانا . مثلا عندما يوجد كومة من ١٠٠٠ كرة من الواضح أنه لى ندرك جيدا عدد وخصائص هذه الكثرة ، يلزمنا الكثير لتنظيمها

فى مجموعات كما تفعل المحلات ، لكى تحصل عنها على أفكار متميزة
 بل ولتضعها بحيث نستطيع أن نتحاشى جهد عدها أكثر من مرة • كثرة
 الاعتبارات أيضا هى التى تؤدى ، فى علم الأعداد نفسه ، الى صعوبات
 كبرى ، لأننا نبحث فيه عن مختصرات ولا نعرف أحيانا هل فى ثنايا
 الطبيعة ما يرضى الحالة التى نحن بصدددها • مثلا ماذا يوجد أبسط •
 فى الظاهر ، من فكرة العدد الأولى ، أى العدد الكامل غير القابل للقسمة
 بأى عدد آخر ، باستثناء قسمته بالوحدة أو بنفسه ؟ ومع ذلك مازلنا
 نبحث عن علامة ايجابية وسهلة لمعرفةنا بيقين بدون محاولة كل القواسم
 الأولية • اللهم الا الجذر المربع للعدد الأولى المعطى : يوجد العديد من
 العلامات التى تجعلنا نعرف بدون حساب كثير أن هذا العدد ليس
 أوليا ، ولكننا نطلب علاقة واحدة تكون سهلة وتجعلنا نعرف بيقين
 أنه أولى يكون كذلك • وهذا ما يجعل الجبر أيضا غير كامل مع أنه
 لا يوجد من الأفكار ما هو معروف أكثر من تلك التى يستخدمها ، ما دامت
 لا تعنى سوى أعدادا بوجه عام ، لأن الجمهور لم يملك بعد الوسيلة
 لاستخراج الجذور اللاعقلية Irrationnelle لأى معادلة تتجاوز
 الدرجة الرابعة (ما عدا فى حالة محصورة جدا) والنماذج التى يستخدمها
 De Fer , Scription, Diophante , louis de Ferrare. وخاصة بالنسبة
 للدرجات الثانية والثالثة والرابعة ، لكى يخضعوها للأولى
 أو ليخضعوا المعادلة المعينة الى معادلة خالصة ، وهى كلها تختلف
 فيما بينها ، أى أن تلك المستخدمة لدرجة ما تختلف عن تلك المستخدمة
 لدرجة أخرى ، لأن الدرجة الثانية أو المعادلة المربعة تخضع للأولى ،
 بحذف الحد الثانى فقط ، الدرجة الثالثة أو المعادلة المكعبة فتحل بأن نقطع
 غير المعروف الى أجزاء فيحدث لحسن الحظ معادلة من الدرجة الثانية •
 وفى الدرجة الرابعة أو البiquadrates نضيف شيئا الى جانبى
 المعادلة ليتمكن استخراجها من جهة ومن الأخرى ، ويحدث أيضا لحسن
 الحظ أنه لكى نحصل على هذا لا نحتاج الا لمعادلة مكعبة فقط ولكن
 كل هذا ليس الا مزيجا من الصدفة والفن والمنهج • وفى الدرجتين

الأخيرتين قد لا نعرف هل سنوفق أم لا . كذلك مازال يلزمنا براعة أكثر حتى نوفق في الدرجة الخامسة والسادسة التي تكون *bicubes* ، *sursoles* ، ومع أن ديكارت اعتقد أن المنهج الذى استخدمه في الرابعة بادراك المعادلة كأنها ناتجة عن معادلتين مربعيتين أخرتين (لكنه فى الأساس لم يتمكن من اعطاء أكثر من تلك التى أعطاها لويس فيرارى . يمكن أيضا أن ننجح فى السادسة ، وهذا ما لم نجده مطلقا . هذه الصعوبة تظهر أنه ما زالت الأفكار الأكثر وضوحا والأكثر تميزا لا تعطينا دائما كل ما نطلب وكل ما يمكن أن نستخرجه منها ، وهذا يجعلنا أيضا نحكم أنه يلزمنا الكثير لكي يكون الجبر فنا للاختراع مادام هو نفسه فى حاجة الى فن أعم ، بل ويمكن القول أن الحساب الجبرى بوجه عام فن الخصائص يصبح سندا عظيما لأنه يحرر الخيال .

لن يشك أحد مطلقا عندما يرى حساب *Diophante* . كتب *Pappus* ، *Apollonius* الهندسية فى المقدمات كان لديهم شئ ما . لقد أعطى أمثلا أكثر عندما عبر ليس فقط عن المطلوب وإنما أيضا عن الأعداد المعطاة بحروف عامة يكون بذلك قد فعل مستخدما الحساب ما فعله أقليدس مستخدما الاستدلال ، وقد نقل ديكارت تطبيق هذا الحساب الى الهندسة بأن رمز للمخطوط بمعادلات . ومع ذلك فإن السبيد *Bouillard* ، عالم الهندسة الممتاز الذى عرفته فى باريس مازال مندهشا ، رغم اكتشافه فى الجبر الحديث ، لبراهيم أرشميدس على اللولب *spirale* ولم يستطع فهم كيف أراد هذا الرجل العظيم استخدام حماس هذا الخط لقياس محيط الدائرة يبدو أن الأب جريجور دى فنست قد ضمن أنه قد توصل الى ذلك بالتوازي بين اللولب *spirale* والقطع المكافئ *parabole* ولكن هذا الطريق ليس الا جزئيا فى حين أن الحساب الجديد للمتناهيات الذى يتقدم عن طريق المتغيرات *differences* التى ذكرها ، والتى حازت نجاحا لدى الجمهور ، تعطينا طريقة عامة يصبح بها هذا الاكتشاف بواسطة اللولب مجرد لعبة ومحاولة من أسهل المحاولات مثل كل ما سبق أن حصلنا عليه

من قبل فى مادة أبعاد المنجنيات • ويرجع تفوق هذا الحساب الجديد الى أنه يحرر الخيال من المشكلات التى استبعدها ديكرت من عند ستة بحجة أنها تؤدى الى الآلية فى الغالب ، والحقيقة أنها فى الأساس لا تتناسب مع حسابه • بالنسبة للأخطاء الناتجة عن الحدود الغامضة علينا أن نتجنبها •

فيلاليت :

هناك أيضا حالة لا يمكن أن نستعمل فيها العقل ، ولسنا فى حاجة اليه ، بل ونفضل فيها البصيرة على العقل • أنها حالة المعرفة الحدسية حيث يظهر ارتباط الأفكار والحقائق مباشرة • تلك هى معرفة البديهيات التى لا جدال فيها وأميل الى الاعتقاد أنها تشبه درجة الوضوح التى لدى الملائكة حاليا والتى ستحصل عليها الأذهان البشرية المضبوطة اذا ما وصلت الى الكمال وأصبحت فى حالة تسمح لهم بادراك آلاف الأشياء التى لا يدركها حاليا فهمنا •

١٥ — ولكن الاستدلال القائم على أفكار متوسطة يعطى معرفة معقولة • ذلك لأن الرابطة بين الفكرة المتوسطة من جهة وأول القياس وأخرى من جهة أخرى تكون ضرورية وتظهر بنوع التجاور الذى يسيئه ذلك الذى يكون بين مقياس معين نقيس به تارة هذه القطعة من القماش وتارة تلك القطعة الأخرى لنرى أنهما متساويتان •

١٦ — ولكن اذا كانت الرابطة احتمالية فحسب فان الحكم لا يعطى سوى اعتقاد •

تبويفيل :

الله وحده يتميز بأنه لا يحصل الا على المعارف الحدسية • أما النفوس السعيدة مهما انفصلت عن هذه الأجسام الغليظة ، وحتى الجن مهما كانت سامية ولديها كمعرفة حدسية أكثر منا ، وترى أحيانا

بلمح البصر ما لا نصل اليه الا بقوة النتائج بعد جهد وزمان لا بد أن يعترضها أيضا صعوبات والا فلن تجد لذلك في الحصول على اكتشافات تكون كبيرة جدا . ويجب دائما معرفة أن هناك حقائق لا حصر لها تخفى عليهم ، أما تماما أو لفترة من الزمن وحيث يجب أن يصلوا اليها بقوة النتائج وبلاستدلال بل وأحيانا بالتخمين .

فيـلـالـيت :

اذن هؤلاء الجن ليسوا الا حيوانات أكمل منا ، كأنك تريد أن نقول مع أمبراطور القمر أن كل شيء يشبه ما لدينا .

تيوفيل : —

انى أقول ذلك ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لأساس الأشياء لأن طرق ودرجات الكمال تتغير الى ما لا نهاية . ومع ذلك يظل الأساس هو نفسه في كل مكان ، وهذه بديهية أساسية عندي ، وتسود فلسفتي كلها . انى لا أتصور الأشياء غير المعروفة بشكل غامض الا بنفس الطريقة التى أتصور بها تلك التى تكون معروفة لنا بتميز ، وهذا يجعل الفلسفة أسهل ، بل واعتقد أن من الواجب أن نستخدمها هكذا : ولكن اذا كانت هذه الفلسفة هى الأبسط فى الأساس فانها أيضا الأغنى فى الطرق لأن الطبيعة يمكنها أن تغيرها الى ما لا نهاية وهذا ما تفعله بوفرة وبنظام وبأكبر قدر يمكن تصوره . لهذا أعتقد أنه لا يوجد جين ، بقدر ما يمكن تصوره ، ومهما كان ساميا ، الا ويعلوه عدد لا نهائى ومع ذلك مهما كنا أقل من كثير من الكائنات العاقلة فاننا نتميز بأننا لمسنا محكمين بشكل واضح فى هذا الكون الذى نتمتع فيه بالمرتبة الأولى دون منازع ، ومع كل الجهل المنغمس فيه سعداء دائما لأننا لا نرى شيئا يفوقنا ، مع اننا تافهين فاننا نستطيع أن نحكم ، كما حكم قيصر الذى فضل أن يكون الأول فى ضيعة صغيرة عن أن يكون الثانى فى روما . علاوة على انى لا أتحدث عنا الا عن الممارف الطبيعية لهذه النفوس

وليس عن الرؤية الجمالية ولا الأنوار المتى تفوق الطبيعة المتى يريد
الله أن يمنحها لهم •

فيبـلاليت :

١٩ - حيث أن كل واحد منا يستخدم العقل أما مع نفسه
أو مع الآخرين فليس عبثا أن نذكر بعض الأفكار عن أربعة أنواع من
الحجج اعتاد الناس استخدامها ليكسبوا غيرهم إلى صفهم أو على الأقل
ليحتفظوا باحترامهم ويحولوا دون اعتراضهم ، الحجة الأولى يمكن أن
نسميها *argumentum ad verecundiam* عندما نذكر اعتقاد أولئك
الذين وصلوا إلى السلطة بمعرفتهم أو بمركزهم أو قوتهم أو بأي شكل
آخر ، لأنه عندما لا يخضع الآخر نميل بسرعة إلى لومه واعتباره مغرورا
بل وقد ننتهمه بالغرسة •

٢٠ - توجد حجة ثانية *argumentum ad ignorantiam*
وهي أن نطلب من الخصم أن يقبل الدليل أو أن يذكر دليلا أفضل •

٢١ - الحجة الثالثة : *argumentum ad hominem* عندما نضغط
على المرء بما يقوله هو نفسه •

٢٢ - أخيرا الحجة الرابعة *argumentum ad iudicium* التي تقوم
على استخدام الأدلة المستمدة من أجدى مصادر المعرفة أو الاحتمال
وهي وحدها من بين هذه كلها التي تجعلنا نتقدم ونتثقف ، لأنه إذا لم
أستطع المعارضة احتراما أو إذا لم يكن لدى الأفضل الذى أقوله أو إذا
أفهمت فلا ينتج عن ذلك اطلاقا أنك محق ، قد أكون متواضعا جاهلا ،
مخدوعا ويمكن أن تخدع أنت كذلك •

تيوفيل : ل

لا شك أنه يجب أن نفرق بين ما يحسن قوله وما هو جدير بأن نعتقده ،
ومع ذلك حيث أن معظم الحقائق يمكن أن نقبلها بحماس ، فهناك حكم

مسبق ضد اعتقاد يجب اخفائه • الحجة *ad ignorantum* تكون سالحة فى حالات التخمين حيث من المعقول أن نتمسك باعتقادنا الى أن تثبت العكس • الحجة الثالثة *ad hominem* تتميز بأنها تظهر خطأ هذا التقرير أو ذاك ، وأن الخصم أخطأ بشكل ما لأنه أخذ به يمكن أيضا أن نضيف حججا أخرى كذلك التى تسمى *ad vertiginem* التى تكون على صورة هذا الاستدلال : اذا لم يقبل هذا الدليل فلن يكون لدينا أى وسيلة للوصول الى اليقين بخصوص هذه النقطة • وهذا غير معقول • هذه الحجة تصلح فى حالات معينة ، عندما يريد شخص ما أنكار الحقائق الأولية والمباشرة ، مثلا لا شىء يمكن أن يكون ولا يكون فى نفس الوقت ، لأنه اذا كان حقا فلن توجد أى وسيلة لمعرفة أى شىء أيا كان • ولكن اذا جعلنا منها مبادئ معينة وسلمنا بها فلن يسقط المذهب الذى تقوم عليه أى نظرية ولن تكون الحجة حاسمة ، لأنه يجب التمييز بين ما هو ضرورى لدعم معارفنا وبين ما يستخدم كأساس لنظرياتنا المقبولة أو لممارستنا •

أحيانا يستخدم بعض الفقهاء استدلالا قريبا منه لتبرير حكم الادانة أو لتعذيب مدعى بناء على شهادة المتهمين الآخرين فى نفس الجريمة • لأنه يقال اذا سقطت هذه الحجة كيف تقنعهم ؟ وأحيانا فى الأمور الجنائية يدعى بعض المؤلفين أنه فى حالة الدقائق التى يصعب فيها الاقناع يمكن أن نكتفى بالأدلة الأخف ولكن لن يكون هذا مبررا • هذا يثبت فقط اننا فى حاجة الى عناية أكثر ، ولا يعنى أن نعتقد بسهولة ، ما عدا فى الجرائم الخطيرة جدا كما فى حالات الخيانة العليا حيث يكون لهذا الاعتبار وزنه ، ليس لادانته المتهم وانما لنحول دون ايذائه ، وبحيث يمكن أن نجد له مكانا وسطا ، ليس بين أحكام القوانين والعرف التى تترر أنه مذنب أو غير مذنب وانما بين تلك الأحكام التى تحكم بالادانة أو رفض الدعوى • لقد استخدمت حجة كهذه فى ألمانيا منذ فترة ، لتكييف الحكم على مصانع النقود المزيفة ، وأنه قليل ، اذا تمسكنا بالقواعد المسجلة فلن نستطيع مطلقا حك النقود

نحكم عليها اذا حصلنا على أعضاء أكثر كمالا ومعلومات أكثر من الملاحظات هناك أيضا صعوبات تفوق ملكتنا الحالية ولكنها ليست فوق كل عقل مثلا لا يوجد أى علم للفلك فى امكانه أن يحسب خسوف لداربيتر Peter دون أن يمسك القلم ، ومع ذلك ربما يوجد من الجن من يدرك هذا بالنسبة اليه مجرد تسلية ، ومع ذلك يمكن أن نصيح كل هذه الأشياء معروفة أو عملية بمساعدة العقل بافتراض معلومات أكثر عن الوقائع وأعضاء أكثر كمالا وذهنا أرفع .

فيـلـاليت :

اذا كان الأمر كذلك فأنت محق . ولكن ستبقى صعوبة أخرى هي أنه يوجد شيء يفوق العقل حسب تعريفك ، لأن الله يستطيع دائما أن يعطى الوسائل لمعرفة أى حقيقة بالحواس أو بالتفكير . وحيث أنه فى الواقع ستصبح أكبر الأسرار معروفة بشهادة الله وبدوافع القابلية للتصديق التى يعتمد عليها ديننا ، هذه الوقائع لا تعتمد بدون شك على الاحساس والتفكير . يبدو اذن أن السؤال ليس : هل يمكن أن نستدل وجود واقع أو حقيقة قضية ما من مبادئ يستخدمها العقل ، أى من الاحساس والتفكير ، أو من الحواس الخارجية والداخلية ؟ وإنما هو : هل يستطيع الذهن المخلوق معرفة كيفية هذا الواقع أو السبب القبلى لهذه الحقيقة ؟ بحيث يمكن القول أن ما فوق العقل يمكن أن نعلمه ولكن لا يمكن فهمه عن طريق قوى العقل المخلوق . مهما كان كبيرا وساميا أن الله وحده هو القادر على أن يفهمها ، كما يخصه . فقط أن نحققها فى الواقع .

فيـلـاليت :

هذا الاعتبار يبدو جيدا ، وهذا ما أحب أن يفهم به تعريفى . هذا الاعتبار نفسه يؤكد أيضا فى اعتقادى أن طريقة الحديث القى تقابل بين العقل والايمان مهما كانت مألوفة فانها غير صالحة ، لأنه بالعقل

يجب أن نعتقد • الايمان تصديق قوى ، والتصديق المنظم كما يجب
لا يمكن أن يقوم الا بناء على أسباب جيدة وهكذا ذلك الذى يعتقد دون
أن يكون لديه مبررا لاعتقاده يمكن أن يكون محبا لنزواته ، ولكن ليس
حقا أنه يبحث عن الحقيقة ولا أنه يطيع طاعة مشروعة لربه المقدس
الذى يريد منه أن يستخدم ملكاته التى زوده بها ليعصمه من الخطأ
والا فانه اذا حدث أن سلك الطريق الصواب فسيكون بالصدفة أما إذا
سلك الطريق الخطأ فذلك بناء على خطئه الذى سيحاسبه الله عليه •

تيوفيل : بل :

أحييك بقوة يا سيدى مادمت تريد أن تؤسس الايمان على العقل
وبدون ذلك لماذا نفضل الانجيل على القرآن أو الكتب القديمة للبراهمة ؟
هذا ما عرّفه جيدا لاهوتينا وعلمائنا ، وهذا ما جعلنا نهلك مؤلفات
جميلة عن حقيقة الدين المسيحى والعديد من الحجج المؤيدة له ضد
الوثنيين والكفار ، القدماء منهم والمحدثين ، كذلك وضع الحكماء دائما
الى الشك فى أولئك الذين يدعون انه لا داعى لبذل البهد فى تقديم الحجج
والمبررات فيما يتصل بالاعتقاد ، وهذا شئ مستحيل فى الواقع -
مع الأغل لا يعنى الاعتقاد ان نردد أو نكرر أو نترك الأمور تمر بسهولة ،
كما يفعل كثير من الناس وهذه أيضا خاصية بعض الأهم أكثر من
غيرها • لهذا أراد بعض الفلاسفة الأرسطيين فى القرن ١٥ ، ١٦ والذى
مازالت آثارهم باقية منذ ذلك الحين (هذا ما يؤيده خطابات المرحوم
نودى Naudé وأتباعه Neadeana) أن يتمسكو بحقيقتين متقابلتين
احدهما فلسفية والأخرى لاهوتية ، بالنسبة للأخيرة متفق مع Letrau
فى عهد ليون العاشر • وعلى معارضتها ، كما سبق أن لاحظت من قبل •

وقد أثر فى الماضى صراع مشابهة فى هلمستاد بين هرفمان
Hoffmann اللاهوتى ، وكورنى مارتن الفيلسوف وان اختلف عنه فى
ان الفيلسوف يوفق بين الفلسفة والوحى فى حين يريد اللاهوتى أن
يستبعد استخدامها • وقد أيد الفيلسوف الدوق جول Jules مؤسس

الجامعة حقا أنه يوجد فى عصرنا شخص له مكانته العالية يقول « يلزمنا فى الايمان أن نفقأ أعيننا لنرى بوضوح » ويقول Tertullien هذا حق ، لأنه مستحيل ، يجب أن نعتقد فيه لأنه نوع من اللامعقول « ولكن اذا كان قصد هؤلاء الذين يفسرونه بهذه الطريقة سليما ، فان هذه التعبيرات تتجاوز الحد ويمكنها أن تؤذى • لقد تحدث القديس بول بمعرفة أكثر عندما قال ان حكمة الله قد تبدو أمام البشر حماقة ، وذلك لأن البشر لا يحكمون على الأشياء الا بناء على تجربتهم وهى محدودة تماما ، وكل ما لا يتفق معها يبدو غير معقول • ولكن هذا الحكم جزء جدا لأنه يوجد أيضا لا نهاية من الأشياء الطبيعية التى تبدو لنا غير معقولة كالحال بالنسبة للجليد الذى قيل ملك سيام أنه يغطى أنهارنا ولكن نظام الطبيعة نفسه لأنه لا يخضع لأى ضرورة ما بعد طبيعية ، لا يؤسس الا بناء على رغبة الله الطيبة ، بحيث يمكن أن يستبعد منها ، لبررات عليها تتطلبها العناية ، كل ما لا يجب أن يحدث الا بناء على أدلة جيدة .لا يمكن أن تأتي الا من شهادة الله نفسه التى يجب أن تمتثل لها كلية عندما نتحقق كما ينبغي •

الآلثف ففالف

(١) Hooker لاهوتى انجلزى ولد فى Heavitrée بالقرب من Exeter سنة ١٥٥٤ وتوفى سنة ١٦٠٠ عمله الرئيسى هو قوانين السياسة الكنسية Laws of ecclesiastical Policy .

(٢) Diophante من الاسكندرية عاش فى عصر الامبراطور جوليان حوالى سنة ٣٦٠ مؤلف اقدم بحث فى الجبر حصلنا عليه . له عدة طبعاات اهمها طبعة تولوز سنة ١٦٧٠ عليها ملاحظات فرما Fermat .
(٣) Scipion يهودى بومبىا ولد فى Pilsen سنة ١٥٦٧ واشتغل بالفلسفة والرياضيات واللاهوت .

(٤) Boullan (وليس Boulland) رياضى ولد فى لندن سنة ١٦٠٥ وتوفى فى باريس سنة ١٦٩٤ هاجم قوانين كبلر Kelper فى كتابه Astronomica philolaica

(٥) Gregorie de st. Vincent عالم هندسة مشهور ولد فى Bruges سنة ١٥٨٤ وتوفى فى Gand سنة ١٦٦٧ عمله الرئيسى Opus geometricum quadraturae circuli et sectionum coni

(٦) Naudé (جابرييل) عالم مشهور فى القرن ١٧ ولد فى باريس سنة ١٦٠٠ وتوفى سنة ١٦٥٣ فى Abbeville كان امين مكتبة الكاردينال مازاربان وأهم اعماله :

appologie pour les grands hommes, sous connés de magiè,
1625, Consideration politique sur les coups d'état. Rome 1630.

بسته حواس وأن الله قد زود : بصورة غير طبيعية ، فرد منا بأفكار هذه الحاسة السادسة ، فلن يمكنه استخدام الكلمات لنقلها الى الآخرين • يجب اذن أن نميز بين الوحي الأصيل والتقليدى الأول انطباع يضعه الله مباشرة فى الذهن ولا يمكن تثبيت حدوده • والآخر لا يأتى الا بالطرق العادية للاتصال ولا يمكنه أن يعطى افكارا جديدة بسيطة •

٤ - حقا أيضا أن الحقائق التى يمكن اكتشافها بالعقل يمكن أن تنتقل اليها بالهام تقليدى ، وذلك عندما أراد الله أن ينقل إلى البشر النظريات الهندسية ، ولكنها لن تكون ذات يقين ما لم نستدلها عن طريق الربط بين الأفكار • وكما أن لدى نوح معرفة يقينية عن الطوفان تفوق تلك التى نكتسبها من كتاب موسى وذلك لان اليقين الذى رآه موسى وهو يختبئ فعلا وبأنه فعل المعجزات التى تدعم بعثه يفوق يقينا •

٥ - هذا ما يجعل الوحي لا يتعارض مع بديهية العقل الراضحة ، لانه مع أن الوحي مباشر وأصيل الا أنه من الواجب أن نعرف بوضوح اننا لا نخطئ فطلقا بنسبته الى الله ، واتنا نفهم معناه ، ولا يمكن أبدا أن يكون هذا الوضوح أكبر من ذلك الخاص بمعرفتنا المحدسية ، وبالتالي لن نسلم بأى قضية باعتبارها وحيا الهيا اذا ما تناقضت مع هذه المعرفة المباشرة ، والا فلن يبقى أى اختلاف فى العالم بين الحق والباطل ، ولا أى مقياس يميز بين الاعتقاد وعدم الاعتقاد ، وليس من المناسب مطلقا أن يصدر شئ عن الله ، هذا الصانع الخير لوجودنا والذى نسلم بتحقيقته ، ليقلب أسس معارفنا ويجعل كل ملكاتنا بدون فائدة •

٦ - أولئك الذين لا يحصلون على الوحي الا بوسيط أو النقل من فم الى فم أو بالكتابة ، فى حاجة أكثر للعقل ليتأكدوا منه •

٧ - ومع ذلك من الحق دائما أن نعتبر الأمور التى تفوق ما يمكن أن نكتشفه ملكاتنا الطبيعية ، من الأمور الخاصة بالايان مثل سقوط الملائكة العاصية وبعث الموتى •

٨ — هنا يجب أن نستمع للوحي وحده ، وحتى بالنسبة للقضايا
المحتملة فإن الوحي الواضح سيدعمنا ضد الاحتمالية .

تيوفيل :

إذا لم ننظر للإيمان باعتباره مؤسسا على دوافع قابلية التصديق
(كما يسمونها) وفصلتها عن العناية الداخلية التي يتحدد فيها المذهب
مباشرة ، فإن كل ما نقوله يا سيدي سيكون أكيدا . يجب الاعتراف أنه
يوجد العديد من الاحكام أوضح بكثير من تلك التي تعتمد على هذه
الدوافع ، بعضها يتقدم على بعضها الآخر ، بل ويوجد قدر من الأشخاص
لم يعرفوها أيضا ولم يوفوها قدرها ومن ثم ليس لديهم ما يمكن أن
نعتبره دافعا للاحتمال . لكن العناية الداخلية للروح القدس تكملها
مباشرة بطريقة تفوق الطبيعة ، وهذا ما يسميه اللاهوتيون إيماننا الهيا
بالمعنى الخالص . حقا أن الله لا يمنحها أبدا الا عندما يؤسس الدافع
للاعتماد على العقل والا سيحطم وسائل معرفة الحقيقة وسيفتح الطريق
للحماس ، ولكن ليس من الضروري أن يعرف هذه الاسباب كل من
يملك هذا الإيمان الالهى ، أن يعرفها حينئذ تمثل أمام عينيه . علاوة على
أن الحمقى والبسطاء لن يحصلوا عليها ، على الأقل اليوم على الإيمان
الحقيقى ولن يحصل عليه الاكثر ثقافة عندما يحتاجون اليه ، لانهم لن
يستطيعوا دائما تذكر مبررات الاعتقاد . لقد كانت مسألة استخدام
العقل فى اللاهوت من أكثر المسائل اثارة سواء بين السوسيين
(أصحاب المذهب الذى ينكر الثالوث والوهية المسيح ، sociens)
وأولئك الذين يمكن أن نسميهم كاثوليك بوجه عام أو بين المصلحين
والانجيليين . كما يسمونهم فى ألمانيا ، فى حين يسميهم البعض باللوثرين
وهذا خطأ . اذكر أنى قرأت يوما بحثا ما بعد طبيعيا لاحد مفكرى
الثلاثين هو Stegmannus (وهو غير Jorue Stegmannus) الذى
عارضهم ، ولم يكن قد نشر بعد على ما عرف ، من جهة أخرى كتب
اللاهوتى ، Keslerus من ساكس ، منطقا وبعض العلوم الفلسفية

الأخرى المعارضة بوجه خاص لفكرى ألوهية المسيح • يمكن القول بوجه عام أن مفكرى الثالث وألوهية المسيح قد تسرعوا فى رفض كل ما لا يتفق مع نظام الطبيعة طالما لم يتمكنوا من اثبات استحالة مطلقا ولكن أيضا خصومهم ابتعدوا أحيانا ودفعوا السر الى حدود التناقض بحيث اضرأ بالحقيقة التى حاولوا الدفاع عنها ، وقد ادهشنى

ذات يوم رؤية بحث السيد فابرى *Fabry la somme de theologie* الذى كان بطبيعة الحال أحد النابهين • والذى بالنسبة للأمور الالهية ينكر (كما يفعل بعض اللاهوتين) هذا المبدأ العظيم « أن الأشياء المساوية لثالث تكون متساوية فيما بينها » وبهذا يعطى الفرصة للخصوم دون أن ينتبه لذلك ، ويلغى كل مقيم لأى استدلال • بالآخرى يجب القول أن هذا المبدأ قد أسىء تطبيقه • نفس المؤلف يرفض فى فلسفته التمييزات العرضية التى يصفها الاسكوتيت *Scotistes* فى الأشياء المخلوقة ، لأنها فى نظره تخالف مبدأ عدم التناقض وعندما اعترض عليه بوجوب قبول هذه التمييزات بالنسبة لله ، أجاب أن الايمان يأمرنا بذلك • ولكن كيف يمكن للايمان ، أيا كان ، أن يأمر بالذى يخالف مبدأ ، بدونه يصبح كل خلق واثبات أو نفى عبثا ؟ من الضرورى إذن ألا تكون القضيتان الصادقتان متناقضتين فى نفس الوقت • وإذا لم يكن أ ، ج فى نفس الشيء فمن الواجب أن تكون ب هى التى تكون نفس الشيء مع أ ، قد أخذت بصورة أخرى مختلف عن ب لتكون هى نفس الشيء مع ج • لقد نشر *C. Nicolaus Vedelius* الاستاذ فى جنيف ومنذ ذلك الحين فى

de Deventer كتابا عنوانه « اللاهوت العقلى » عارضه *Jean Musaeus* (استاذ فى إينا *Iéna* وهى جامعة انجلىكية فى *Thuringe*) ، فى كتاب عن نفس الموضوع ، أى استخدام العقل فى اللاهوت واتذكر أنى اطلمت عليهما فيما مضى ، ولاحظت أن الخصومة الرئيسية تد شوهتها اسئلة فرعية مثل ماذا نقصد بالنتيجة اللاهوتية ؟ وإذا حكمنا عليها بناء على الحدود التى تكونها أو بالوسيلة التى تثبتها • وبالتالي هل كان أو كان محقا أم لا فى قوله أن علم النتيجة هو نفسه العلم والوسيلة التى

نستخدمها لاثباتها ؟ ونقف عند عدد من الدقائق الأخرى الأقل اعتبارا والتي لا تخص سوى الألفاظ . ومع ذلك يوافق *Musaevus* أن المبادئ الضرورية ذات الضرورة المنطقية ، أى التى عكسها يتضمن تناقضا ، يجب ويمكن استخدامها بيقين فى اللاهوت ، ولكنه ينكر أن يكفى ذلك الذى يكون ضروريا ضرورة فيزيقية (أن القائمة على الاستقراء الذى يمارس فى الطبيعة أو فى القوانين الطبيعية التى تكون بمثابة المؤسسة الالهية) ، لرفض الاعتقاد فى سر أو معجزة ، ما دام يقف على الله أن يغير المجرى العادى للأشياء وهكذا بناء على نظام الطبيعة يمكن أن نؤكد أن نفس الشخص لن يكون فى نفس الوقت أما وعذراء . وأن الجسد الإنسانى قابل لأن يخضع للحس ، وحتى وأن كان عكس هذا أو ذاك ممكنا بالنسبة لله . ويبدو كذلك أن *Vedelius* يوافق على هذا التمييز . ولكن قد تناقش أحيانا بعض المبادئ وهل هى ضرورية منطقيا أم هى ليست سوى فيزيقية ؟ هذا هو النزاع مع مكرى الثالوث والوهية المسيح ، هل يمكن أن يتضاعف الجوهر عندما لا تتضاعف الماهية الفردية ؟ أما النزاع مع *Zwinglius* فيدور حول هل يمكن للجسد ألا يكون الا فى محل ؟ ولكن يجب الاعتراف أنه عندما لا نستطيع اثبات الضرورة الماطقية لاي قضية ، فانه لا يسعنا الا أن نثبت الضرورة الفيزيقية لكن يبدو لى أن هناك سؤال لم يفحصه المؤلفون الذين ذكرتهم وهو : لنفرض اننا أمام المعنى الحرفى لنص فى الكتاب المقدس . ومن جهة ، ويوجد طاهر كبيرا لاستحالة منطقية أو على الأقل استحالة فيزيقية معروفة من جهة أخرى ، هل من المعقول أن نؤيد التخلّى عن المعنى الحرفى أو أن نؤيد التخلّى عن المبدأ الفلسفى ؟ من المؤكد أن هناك حالات لا نجد أى صعوبة فى ترك المعنى الحرفى مثل عندما يتحدث الكتاب عن أيدي الله أو أن ينسب اليه الغضب أو التوبة وغيرها من النقاىص البشرية والا لزم أن نقف فى صف التجسيمين أو بعض المتعصبين فى انجلترا الذين اعتقدوا أن هيرود *Hérode* قد تحول فعلا الى ثعلب ما دام المسيح قد اطلق عليه هذا الاسم . اننا هنا فى

حاجة الى قواعد التأويل الذي يزودنا بما نتجاوز به المعنى الحرفى ونفضل البديهية الفلسفية . أما اذا لم يكن لدى المعنى الحرفى ما يمكن أن ينسب الى الله نقصا أو قد يؤدي الى مخاطر فى ممارسة الايمان فمن المؤكد بل ومن المعقول أن نقبعه . تتنازع هذان المؤلفان ايضا حول مشروع كيكرمان *Kekermann* الذى أراد اثبات التثليث بالعقل ، كما حاول من قبله ريمون دى ليل ولكن *Museus* رأى بحق انه اذا كان استدلال هذا المؤلف المصلح جيدا ومضبوطا فليس لديه ما يقوله ، وقد يكون محقا فى التمسك بأنه بالنسبة لهذا الموضوع يمكن للفلسفة أن تنضى أنوار الروح القدس . لقد اثاروا كذلك السؤال المشهور : هل يمكن انتقاد أولئك الذين ماتوا قبل أن يعرفوا العهد القديم أو الجديد ولديهم شعور بايمان طبيعى وهل يمكن أن يحصلوا على غفران لخطاياهم ؟ من المعروف أن كليمنت الاسكندرى وجوستان مارتير وسانت تريوستوم يميلون الى ذلك بصورة ما ، بل لقد سبق أن أوضحت لبلسون *Pélisson* أن عددا من العلماء الممتازين فى الكنيسة الرومانية بعيدين عن اتهام البروتستانت غير المعتدلين ، أرادوا انتقاد الوثنيين وقرروا أن هؤلاء الاشخاص الذين تحدثت عنهم يمكن انتقادهم عن طريق تأنيب الضمير أى للتوبة المؤسسة على حب الخير الذى بفضلته نحب الله أكثر من أى شيء ، لأن كمالاته تجعله محبوبا جدا لا يعلو عليه . وقد ترتب على ذلك أن يميل الانسان بكل قلبه الى الاتحاق مع ارادته وأن يحاكي كمالاته لكي يحسن الاتصال به ، ما دام يبدو من العدل الا يفرض الله مطلقا عنايته بأولئك الذين لديهم هذه المشاعر . ودون أن اعرض لكل من *Jeanne Vives* واكتفى بسذكر رأى *Jacque Payva Andradas* العالم البرتغالى المشهور فى عصره وأحد لاهوتى مجلس الثلاثين والذي قال أن أولئك الذين يعارضونه يجعلون الله قاسيا بأعلى درجة

neque enim, inquit, immanitas, deterior ulla esse potest

بذلك *Pélisson* جهدا للحصول على هذا الكتاب فى باريس ولاحظ بعد ذلك (أن كثيرا ما يهمل العديد من المؤلفين المشهورين فى عصرهم) وهذا ما جعل بايل يقول أن كثيرين لا يذكرون اندراديوس *Andradus*

الا فى ضوء ايمانهم بخصمه Cheminitius ، وقد يكون الامر كذلك ،
 ولكن بالنسبة لى فقد قرأته قبل ان يشير اليه ، وقد ادى نزاعه
 مع Cheminitius الى شهرته فى المانيا لانه يؤيد الجيزويت فى
 نزاعهم مع هذا المؤلف ، وفى كتابه بعض اللمحات التى تمس أصل
 هذه الجماعة المشهورة كما لاحظت ان بعض البروتستنت المعروفين
 باسم Andra diens قد ايدوه فى هذا الموضوع الذى تحدثت عنه .
 هناك مؤلفون كتبوا عن خلاص Salut ارسطو القائم على نفس المبادئ
 واثقروا المراقبين Ies censeurs كما كتب كولان Collins باللاتينية
 la Mothe Levaeyer بالفرنسية عن خلاص الوثنيين وكتبهم معروفة ،
 ولكن فرانسكوس بوكيس Francissaus puccis يذهب بعيدا جدا .
 اندفع القديس اوغسطين المعروف بمهارته ونفاذ ذهنه ، نحو الطرف
 الآخر لدرجة انه اتهم الاطفال المذنبين توفوا دون تعميد يبدو ان المدرسين
 كانوا على حق فى اعمالها ، رغم محاولة بعض الشخصيات الممتازة
 وبعض ذوى الجدارة ممن يغلب عليهم نوع من الشراسة فى هذا
 الصدد ، بحث نظرية هذا الاب وربما حرقوها . ومن الممكن ان يكون
 للعقل اثره فى النزاع بين عدد من العلماء النشطين مما اوحى للجيزويت
 المبعوثين الى الصين بان اللصينيين القدماء ومنهم الحق الذى ساد فى
 عصرهم وان لهم قديسون وان نظرية كونفوشيوس ليس لها اى شىء من
 الوثنية والاحاد . يبدو انه كان اجدر بروما الا تنتهم احدى الدول
 الكبرى قبل ان تفهمها ، من الافضل ان نعتبر الله اكثر محبة للبشر
 من البشر . اعرف اشخاصا قد صبروا عن حماسهم بمشاعر تناسية اذ
 ظنوا انه لا يمكن لاحد الاعتقاد فى الخطيئة الأصلية ما دام لا يتفق
 معهم فى الاعتقاد . ولكنهم مخطئون فى هذا . ولا يترتب مطلقا على
 ذلك ان ننسب اولئك الذين ينفقون الوثنيين أو غيرهم ممن تغوڑهم
 المساعدات المعادية ، الى قوى الطبيعة وحدها (رغم وجود بعض الأبياء
 يرون هذا الرأى) ما دام يمكن التمسك بان الله الذى منحهم عناية
 استثنائية الحماس لفعل التوبة قد منحهم ايضا سواء بحراحة أو ضمنا ،

ولكن بصورة غير طبيعية ، قبل الموت فى لحظاتهم الاخيرة ، كل نور الايمان وكل قوة العناية اللازمة لخلاصهم • هكذا يفسر بعض المصلحون رأى Vedelius فى موقفه من Zwinglius الذى اهتم بموضوع خلاص البشر لدى الصالحين من عبدة الاصنام والذى استطاع علماء الكنيسة الرومانية أن يحصلوا عليه ، هذه النظرية تختلف عن نظرية الذين ينكرون الخطيئة الأصلية ، ومن المعروف أن Zwinglius قد عبر عنهم ما دامو قد عرفوا على عكس ناكري الخطيئة الأصلية ، أن لدى كل المؤمنين بها عناية تفوق الطبيعة (فى هذا تتفق الاديان الثلاثة المقبولة ، باستثناء تلاميذ Pajon) بل وقد قبلوا وجود الايمان أو على الأقل حركات قريبة منه ، لدى الأطفال التى تقبلت التعميد وبالأحرى ليس عجيبا أن نقره ، على الأقل فى حالة الموت ، بالنسبة للأشخاص ذوى الارادة الطيبة الذين لم يساعدهم الحظ بأن يتعلموا وفق التعاليم العادية للمسيحية ولكن الفريق الأكثر حكمة هو الذى يحسم برأى فى الامور المعروفة معرفة قليلة وان يقنع بأن يحكم بوجه عام أن الله لا يمكن أن يعمل شيئا لا يكون مليئا بالخير والعدالة •

Melius est dubitare de occultés quum idigare de incertis.
Augustin, lib VIII, genes ad litt C. V.

* * *

الشخصيات

(١) Joachin Stegmannus مفكر لاهوتية المسيح ولد في براندنبورج وتوفي سنة ١٦٣٢ له مؤلفات رياضية ولاهوتية ، له شقيقان هما أيضا من مفكرى اللاهوتية المسيح اصغرها كرسنوف نشر Dyade philosophique وقد يكون هذا هو البحث الميتافيزيقى الذى قصده ليبتز .

(٢) Vedelius (نيفولا) Palatinat توفي سنة ١٦٤٢ .

(٣) Muscieus (جان) ولد سنة ١٦١٢ في سفاروزبورج وتوفي سنة ١٦٧٤ اخيه عددا كبيرا من الاعمال الجدلية Polémique

(٤) Ockam (وليم) ولد في اوكلام ولاية لارقي . . الفرنسيسكان . عارض البلبا جان ٢٢ والمدافع الكبير عن الاسمييين ، عاش في النصف الاول من القرن ١٤ تلميذ دون سكوت اهم كتاباته :

Super libras Sententiarum هاريس سنة ١٤٨٧ ، Quod libela Septem ،
ليدن سنة ١٤٩٥ ، Subtilissima quattionnes Summa Logica .
فيفسيا سنة ١٥٩١ .

(٥) Zwingle sectatui de Zwingtius ومصلح سويسرى ولد في سويسرا سنة ١٤٨٤ وادخل الاصلاح الى سويسرا في نفس الوقت الذى ادخله لوثر الى ألمانيا توفي سنة ١٥٣١ في معركة كابل Cappel نشرت اعماله الكاملة في زيورخ سنة ١٥٤٤/٤٥ .

(٦) Lulle ، يمون دى ليل ولد في بالما في جزيرة مازورك سنة ١٢٣٥ وتوفي في بوجى سنة ١٣١٥ ضحية المسلمين بعد حياة رومانسية ونشطة عرف بكتابة الفن الكبير وهو مذهب يخضع كل الاستدلالات لثاللية ، نشرت اعماله الكاملة في ١٠ مجلدات سنة ١٧٢١ .

(٧) st. Clement ولد في الاسكندرية حسب البعض وفي اثينا حسب الاخرين في منتصف القرن الثانى تقريبا وتوفي سنة ٢٢٠ عمله الرئيسى Sirmares يعتبر مصدرا لتاريخ الفلسفة . له عدة طبعات تضم اعماله الكاملة : أهمها طبعة اكسفورد سنة ١٧١٥ واحداثها طبعة ليبزج في ٤ مجلدات ١٨٣١/٣٤ .

(٨) Sichen st. Justin ولد في فلسطين سنة ٨٩ وتوفي شهيدا في روما سنة ١٦٧ اهم اعماله :

le traité de la monarchie, ou l'unité
de Dieu. le discours aux grecs, les deux apologies ; dialogue
avec le juif Tryphon.

(٩) Chrysostone (القديس جان) من اشهر آباء الكنيسة ولد في النمسا سنة ٣٤٤ واصبح قسيسا للقسطنطينية سنة ٣٩٨ . توفي

سنة ٤٠٧ . نشر أعماله الكاملة باليونانية واللاتينية p. Mont faucon سنة ١٧١٨ في ١٣ مجلد . ويوجد ضمنها ثلاثة كتب عن العناية كتبها حواي سنة ٣٨٠ وخمس مواظ من الطليعية غير المفهومة له وعدد من المواظ عن الأخلاق .

(١٠) Pélisson من الاكاديمية الفرنسية ولد في Béziers سنة ١٦٢٤ وتوفي سنة ١٦٩٢ مشهور بدفاعه عن فوكيه وتاريخه للاكاديمية الفرنسية سنة ١٦٥٣ .

(١١) Erasme انسان مشهور في القرن ١٦ ولد سنة ١٤٦٧ ورحل الى ايطاليا وانجلترا وغيرها حتى سنة ١٥٤١ حيث استقر في بال Bale وتوفي سنة ١٥٧١ ومن أعماله نذكر :
les colloquies; les adages; léloge de la folle; Encomium moriae.
نشرت أعماله الكاملة في بال واعيد طبعها في لندن سنة ١٧٠٣ .

(١٢) Vives (louis) كاتب مشهور في القرن ١٦ ولد في Valencia سنة ١٤٩٢ وتوفي في Bruges سنة ١٥٤٠. انحصرت أعماله في التأليف ومن أهمها
de inutis actis et laudibus philosophiae
وهو من أول الأبحاث في تاريخ الفلسفة .

(١٣) Payva d' Andrada ولد في Coimbre سنة ١٥٢٨ وتوفي سنة ١٥٧٥ من أعماله :

Orthodoarum quaestionum libri; contra chemnitzii petulantem audaciam; defensio trid fidei libri XI, adversus haecreticorum calumnias.

(١٤) Byle ناقد مشهور وفيلسوف ومعارض للقرن ١٧ ولد في Carlat سنة ١٦٤٧ . استاذ لفلسفة في سيدان Sedan سنة ١٦٧٥ وفي روتردام سنة ١٦٨١ وتوفي سنة ١٧٠٦ أهم أعماله :
Pensées diverses sur le Comète; Critique generale de l'histoire du calvinisme de naimbourg; Nouvelle de republique des lettres.

(١٥) Chemiz (مارتن) لاهوتي بروتستنتي ولد سنة ١٥٢٢ وتوفي سنة ١٥٨٦ مشهور بكتابه Examen concilii Tridimintii سنة ١٥٨٥ وتوفي سنة ١٧٢٩ من أعماله « بحث عن استخدام العقل » سنة ١٧٠٧

(١٦) Collons (انطوان) فيلسوف انجليزى ولد في هوتسون وتوفي سنة ١٧٢٩ ومن أعماله بحث عن استخدام العقل ١٧٠٧ وبحث فلسفي عن حرية الانسان سنة ١٧١٧ .

(١٧) La Mothe de Vayer عالم وفيلسوف في القرن ١٧ ولد في باريس سنة ١٥٨٨ وتوفي سنة ١٦٧٢ درس الفلسفة الشكية . عمله الرئيسي : خمس محاورات في محلكة المحاورات التخيية لهورنيوس توبيتون . نشرت أعماله الكاملة سنة ١٧١٦ .

(١٨) pucci (فرانسوا) لاهوتى فى القرن ١٦ يميل الى انكار
الوهمية المسيح ولد فى غلورنسا وتوفى سنة ١٦٠٠ . من ابحاثه :
de immortalitate naturali primi hominis ante peccatum et de
chisti salcationis efficacitete .

(١٩) Pajan (كلود) لاهوتى بروتستنتى ولد سنة ١٦٢٦ وتوفى
سنة ١٦٨٤ آراءه تقترب من آراء Arminius وعمله الرئيسى هو
examen des préjugés légitimes contre les calvinistes .
لاهائى فى مجلدين .

الفصل التاسع عشر

الحماس

de l'enthousiasme

فيـلـالـيـت :

١ — شكرا لله أن مارس جميع اللاهوتين ، بما فيهم القديس أوغسطين نفسه الحكمة المعبر عنها في هذه الفترة ! ولكن يعنفد الناس أن الذهن التأكيدى يعتبر علامة على حماسهم للحقيقة ، مع أن الأمر على العكس من ذلك تماما . اننا لا نحبه حقا الا بالنسبة لحبنا فحص الادلة التى تجعلنا نعرف ما تكون . وكلما تقدم حكنا اندفعنا دائما بدوافع أقل جديّة .

٢ — روح السيطرة ليس أقلها عادة ، والى جانب الكياسة التى لدى المرء بالنسبة لاهلامه الخاصة ، هناك دوافع تولد الحماسة .

٣ — أنه اسم نطلقه على النعيب الذى لدى الذين يتخيّلون وحيّا مباشرا عندما لا يكون مؤسسا على العقل اطلاقا .

٤ — وكما يمكن القول أن العقل يكون وحيّا طبيعيا يصبح الله صانعه كما أنه صانع الطبيعة ، يمكن كذلك القول أن الوحي يكون عقلا يفوق الطبيعة أنه عقل قد زود باعتماد جديد للاكتشافات صادر مباشرة من الله . ولكن هذه الاكتشافات تفترض أن لدينا الوسيلة لنميزها ، وهى العقل نفسه . وبأرادة الغائه لنفسح المجال للوحي نكون بمثابة اقتلاع العين لنرى الكواكب التابعة لجوهر بصورة أفضل من خلال المجهر .

٥ — مصدر الحماسة هو أن الوحي المباشر يكون أكثر ملائمة وأقصر من الاستدلال الطويل والمرهق والذي لا ينتهى دائما بنجاح . لقد رأينا فى كل القرون رجالا أمتزج حينهم باخلاصهم المرتبط بالعقيدة

الطبيعة التي لديهم عن أنفسهم مما جعلهم ينمون اعتقادهم بأنهم يملكون
ألفة بالله تختلف عما لدى الآخرين • أنهم يفترضون أن الله وعدهم
بها ويعتقدون أنهم شعبه المفضل عن غيره •

٦ — تصبح نزوتهم نورا وسلطة إلهية وتصبح اغراضهم اتجاها
للسماء لا يخدع ومضطرون لاتباعه •

٧ — كان لهذا الرأي آثاره الكبرى وسبب آلاما كثيرة لان الإنسان
يتصرف بحماس أكثر عندما يتبع دوافعه الخاصة ، أو يعتقد أن ساطة
الله تسند ميولنا •

٨ — من الصعب أن نبعده لان هذا اليقين المزعوم والذي ليس له
أى دليل يرضى غرورنا وحبنا لما هو غير عادى • القارن المتعصبون
اعتقادهم بالرؤية والاحساس • انهم يرون النور الالهى كما يرون نور
الشمس فى وسط النهار دون حاجة الى أن يظهره غسق العقل •

٩ — أنهم تأكدون لانهم متأكدون واعتقادهم صحيح لانه قوى ولانه
يخضع للغتهم المجازية •

١٠ — ولكن نظرا لوجود تصوران ، قصور القضية وتصور الوحى ،
فمن الممكن أن نسألهم أين يوجد الموضح ، اذا كان فى رؤية القضية
فما فائدة الوحى ؟ يجب اذن أن يكون فى الاحساس بالوحى • ولكن
كيف يمكن رؤية ان الله هو الذى يوحى وليست نارا متوهجة هى التى
تدور حول هذه الدوائر ، أنه وحى لانى اعتقده بقوة واعتقده لانه وحى ؟
١١ هل هناك ما يوقعنا فى الخطأ أكثر من اتخاذ الخيال مرشدا ؟

١٢ — لقد كان القديس بطرس ماهرا عندما أرهق المسيحيين ولم
يتركهم يخدعون — أننا نعرف أن للشيطان شهداء ، اذا اكتفينا بأن نقنع
جيذا فلن نستطيع التمييز بين أوهام الشيطان والهجمات الروح القدس •

١٤ — العقل اذن هو الذى يجعلنا نعرف حقيقة الوحى •

١٥ — سيدور حديثنا حول اثبات تصديقنا القديسين الذين يتقبلون الوحي من الله واديعهم علامات خارجية تقنعهم بحقيقة النور الداخلى .
رأى موسى شجرة مشتعلة دون أن تغنى وسمع صوتا فى وسط الشجرة .
ولكى يدعم الله رسالته عندما أرسله الى مصر ليخلص أخوته منه
معجزة العصا التى تحولت الى حية ، وقد أرسل Gédon جديون ليخلص
شعب اسرائيل من رق الميديين médianites ومع ذلك طالبوه بمعامة
تثبت أن الله هو الذى منه هذه الرسالة .

١٦ — مع ذلك لا أنكر أن الله قد لا يضىء روح البشر ليدفعهم الى فهم حقائق معينة هامة أو ليحملهم على القيام بأعمال طيبة بمساعدة مباشرة من روح القدس دون أن يمنحهم أى علامة غير عادية تصاحب هذا التأثير ولكن أيضا فى هذه الحالة سيكون لدينا العقل والانجيل وهما قاعدتان لا يخدعان للحكم على هذه الانوار ، لانها اذا اتفقت مع هاتين القاعدتين فلن نتعرض لاي مخاطرة ، على الاقل اذا اعتبرناه من الهام الله وربما قد لا يكون وحيا مباشرا .

تتويمل :

لقد كان الحماس فى البداية اسما جيدا . وكما أظهر السوفسطائيون خبرتهم فى ممارسة الحكمة ، فان الحماسة تعنى أن فينا شىء قدسى ،
est Deus in nobis لقد أدعى سقراط أن الها أو شيطاننا كان يمنحه انذارات داخلية بحيث اصبح الحماس غريزة الهية ولكن عندما قدس البشر افغعالاتهم ونزواتهم واحلامهم وحتى خوفهم ، كأنه شىء الهى ،
بدأ الحماس يعنى عدم انتظام للروح منسوب الى قوة قدسية ما كالتى كانت لدى الكهنة والعرفات الذين أظهروا استلابا للروح ، عندما يستحوذ عليهم الههم (ربهم) مثل Sybille de Cumes عند فرجيل .
منذ ذلك الحين أصبح ينسب الى أولئك الذين يعتقدون بدون احساس أن حركتهم تأتي من الله أحسن Nisus عند نفس الشاعر أنه مدفوع

بدافع ما الى عمل خطير يهلك مع صديقه ويقترح ذلك عليه بهذه الكلمات
المملوءة بالشك المعقول :

di ne hunc ardorem mentibus addunt euryale , an sua cuique deus
sit dira cupido ?

لم يتردد اتباع هذه الغريزة التى لا يعرف أن كانت قد جاءت من الله أو
من رغبة خبيثة ولكنه لو كان قد نجح فلن يعوزه أن يستخدمها فى حالة
أخرى وأن يعتقد أنه مدفوع بقوة الهية • يعتقد المتحمسون اليوم انهم
يتقبلون من الله آراء قضى لهم • حتى الجبناء لديهم هذا الاقتناع •

وقد زعم باركلاى أول مؤلف منهجى لهم : أن لديهم نورا معيناً
يعرف بنفسه ولكن لماذا نسمى نورا ذلك الذى لا يجعلنا نرى أى شئ ؟
أعرف أن هناك أشخاص لهم هذا الاستدلال الروحى ، الذى يجعلهم
يرون أنواراً ، بل وبعض الأشياء المضيئة • ولكن هذه الصورة من
النور الجسدى المضطرب الذى يثيره توهج أرواحهم لا يعطى أبداً النور
للروح ، بعض الحمقى لديهم الخيال الخصب الذى يجعلهم يتخيلون
تصورات لم تكن لديهم من قبل ، ويصبحون فى حالة يقللون فيها أشياء
جميلة أو على الأقل ذات حيوية قوية ، ويعجبون ويجعلون الغير يعجب
بهذه الخصوبة التى تصل الى الإلهام • هذه الميزة تأتيتهم فى أحسن
الأحوال نتيجة خيال قوى يحركه الانفعال ، وذاكرة سعيدة تحفظ طرق
الحديث التى فى كتب الأنبياء والتى قراءتها لهم أو حديث الآخرين عنها
جعلها مألوفة لديهم استخدمت أنطوانيت دى بوجونى Antoinette
Bourignon ما لديها من سهولة فى الحديث وفى الكتابة دليلاً على
رسالة الهية • وأعرف أصحاب رؤيا يقيمون رؤياهم على قدرتهم على
الحديث والصلاة بصوت مرتفع يوماً كاملاً دون تعب ودون أن يجف
لسانهم • يوجد أشخاص ، بعد ممارسة الزهد أو بعد حالة حزن ،
يتفوقون سلاماً وسلوى فى الروح القدس حقاً كذلك أن الرضا الذى
نجدّه فى اعتبار عظمة وطيبة الله ، وإتمام إرادته وممارسة الفضائل
أنها عناية من الله ومن العظماء : ولكنها ليست دائماً عناية تحتاج

لسند يفوق الطبيعة جديد كما يدعى كثير من هؤلاء اناس الطيبين .
لقد رأينا منذ فترة غير بعيدة آنسة عاقلة تماما فى كل شيء ، كانت
تعتقد منذ شبابها أنها تتحدث الى المسيح وأنها زوجته بطريقة خاصة ،
ويحكى أنها قد تحمست قليلا ولكن الفتاة وقد بدأت دبكرة تد ذهبت
أبعد بحيث لا يمكن وصف رضاها وفرحها وحكمتها التى تبدو فى سلوكها
ورؤىها التى ظهر فى حديثها . ولكنها تمادت أكثر الى درجة أنها كانت
تتسلم خطابات يعنونها المسيح وكانت ترسلها مفتومة ، كما كانت
تتسلمها مع الرد الذى يبدو أحيانا مناسبا ودائما معقولا ولكنها أخيرا
امتنعت عن استلام الرسائل خوفا من أن تثير ضجة كبرى . وفى أسبانيا
وجدت قديسة أخرى (القديسة تريزا) ، ولكن كل الأشخاص ذوى
الرؤيا المشابهة ، ليس لهم نفس السلوك . هناك من يحاول تكوين
جماعة ، ومنهم من يريد خلق اضطرابات وانجلترا لديها على ذلك عندما
يتصرف هؤلاء الأشخاص بايمان طيب يصعب أن نرجعهم وقد يؤدى
قلب أغراضهم الى تصحيحهم ولكن أحيانا أخرى يكون الأمر متأخرا .
وجد شخص صاحب رؤيا توفى منذ قليل ، وكان يعتقد أنه خالد ،
لأنه كان مسنا جدا وضخته جيدة ولم يقرأ كتاب رجل انجليزى نشر
منذ قريب (اراد أن يقنع الناس بأن المسيح جاء ليخلص المؤمنين
الحقيقيين من الموت الجسدى) وكان لديه نفس الاحساسات تقريبا
منذ عدة سنوات ولكن عندما أحس بالموت شك فى الدين كله لأنه لم
يستجب لخرافته وكذلك Silisien Quirin Kulman وهو رجل علم
وروح تعرض لنوعين من الرؤيا خطيرين ، احدهما من المتحمسين
والأخرى من المشتغلين بالكيمياء القديمة وأثار ضجة فى انجلترا وهولندا
بل واسطنبول وأراد أخيرا التوجه الى موسكو وأن يشارك هناك فى
مؤامرة معينة ضد وزير فى عهد الأميرة صوفيا وقد حكم عليه بالحرق
ولم يمت كرجل مقتنع بما اقترف . أن اختلاف هؤلاء الناس فيما بينهم
قد يقنعهم ان شهادتهم الداخلية المزعومة ليست الهية ، ولابد من
علامات أخرى لتدعيمها ، ان أتباع Labade (مصلح مسيحى) مثلا

لا ينتفقون مع الآنسة أنطوانيت • ومع أن ولين بن pen قصد برحلته الى ألمانيا والتي نشر تعليقا عنها أن يقرر نوعا من الذكاء لدى أولئك الذين يعتمدون على هذه الشهادات ، ويبدو أنه لم ينجح • كنا فى الحقيقة نتمنى أن يكون هؤلاء الطبيين معقولين وأن يتصرفوا تصرفا واقعيا : لا شيء يمكن أن يجعل الجنس البشرى أفضل وأسعد ، ولكن يجب أن يشكّلوا هم أنفسهم عددا من الاخيار والطيعين والمعقولين ، وبدلا من أن ننتهم اليوم كثيرا ممن نسميهم نساكا بأنهم قساة ومتصلفين وعنيدون • أن اختلافهم يظهر على الأقل أن شهادتهم الداخلية فى حاجة الى تحقيق خارجى لنؤمن بهم ، يلزمهم معجزات ليحق لهم أن يصبحوا أنبياء أو ملهين • قد توجد حالة تحمل فيها هذه الالهامات أو أداتها معها • وستكون كأنها تضىء حقا الذهن باكتشافات هامة ومعرفة غير عادية تفوق قوى الشخص الذى اكتسبها بدون أى مساعدة خارجية اذا كان Jacob Boehme الاسكافى المشهور الذى ترجمت كتاباته من الألمانية الى اللغات الأخرى تحت اسم فيلسوف جرمانيا وكانت فى الواقع ذات عظمة وجمال بالنسبة لرجل فى هذه الحالة ، عرف أن يعمل ذهابا ، كما يعتقد البعض أو كما فعل القديس جان الانجيلي اذا اعتقدنا ما يقوله هذا النشيد الذى ألف تمجيذا له :

in exhaustum fert thesaurum qui de vigis fecit aurum gemmes de lapidibus.

قد نجد مجالا لاعتقاد أكثر فى هذا الاسكافى غير العادى • واذا كانت الآنسة أنطوانيت بوريجون قد زودت برتراند لاقوست La Coste المهندس الفرنسى فى هامبورج بنور العلوم الذى أعتقد أنه تقبلها منها ، كما يذكر فى كتابه عن مربع الدائرة (حيث يسير الى أنطوانيت وبرتراند ويسميه ! فى اللاهوت و ب فى الرياضيات) فاننا لن نعرف ماذا يقول • ولكننا لا نرى لدى هؤلاء الناس المثلة ذات نجاح معتبر لها هذه الطبيعة ولا تنبؤات مناسبة تماما ، تكون قد نجحت • ان مدعى النبوة فى de drabitius , poniatovia وغيرهم أراد الرجل الطيب Comenius الذى نشر فى lux in tenebris والذى ساهم فى

زعزعة الأراضي الموروثة للامبراطور قد ظهر حظوها وأصبح من صدقها من التعساء وأمير ترنتسلفانيا ، Rogozky الذى اندفع بناء على نبوة drabitus الى مهاجمة بولونيا فحضر جيشه وفقد دولته وحياته وأعدم

drabitus وهو فى سن الثمانين بأمر الامبراطور . ومع ذلك لا أشك فى وجود أشخاص يعيشون اليوم هذه التنبؤات غير المناسبة التى تخمن أسباب عدم النظام السائد فى هنغاريا Hongrie ولا يعتبرون مطلقا هذه التنبؤات المزعومة التى تتحدث عن أحداث عصرهم ، كما حدث عندما ضربت بروكسل اذ نشرت ورقة بها فترة من كتاب الأنسنة أنطوانيت التى لم ترغب فى الحضور الى هذه الحديقة لأنها حلمت أنها نزاها تحترق . ولكن هذا الضرب حدث بعد فترة طويلة من موتها لقد عرفت رجلا ذهب الى فرنسا أثناء الحرب التى

انتهت بسلم Nimégne والى pomponne , montausier على بناء على تنبؤات نشرها Comenius وأعتقد أنه ملهم لأنه نطق بقضايا فى زمن مشابه لزماننا . ان هذا يظهر ليس فقط قلة الأساس وانما أيضا خطر هذه المكابرات . التاريخ مليء بنتائج سيئة لتنبؤات خاطئة أو أسىء فهمها كما يظهر البحث العلمى والفقهى للمرحوم يعقوب فوماسيوس (الأستاذ المشهور فى ليبينزج) .

officio viri boni circa futura contingentia

ومع ذلك فمن الحق أن هذه المعتقدات قد تعطى أثرا طيبا وتقدم خدمات كبرى : لأن الله يستطيع استخدام الخطأ ليقرر أو يدعم الحقيقة ولكن لا أعتقد مطلقا أن نسمح بسهولة لأنفسنا بان نستخدم الخداع من أجل غاية طيبة . أما عقائد الدين فلا تحتاج مطلقا لتجليات جديدة ويكفى أن نقترح قواعد ملائمة نضطر الى اتباعها دون أن يقدم الذى يقترحها أى معجزة ، ومع أن المسيح قد زود بها فهو لم يتردد أحيانا فى رفض استخدامهما ليرضى هذا الجنس المنحرف الذى يطالب بالأدلة ، مادام لا يبشر الا بالفضيلة وما يدعو اليه فعلا العقل الطبيعى والأنبياء .

الشخصيات

(١) Baclay كويكر مشهور ولد في انبرج سنة ١٦٨٤ وتوفي سنة ١٦٩٠ من أصحاب مذهب بروتستنتي يدعو الى الحب والسلام quaker وله مقدمة اللاهوت المسيحي الحقيقي سنة ١٦٧٦ وله بحث عن الحب العالمى .

(٢) Antoinette Bourignon صاحبة رؤية مشهورة في القرن ١٧ ولدت في ليل Lille سنة ١٦١٦ وتوفيت سنة ١٦٨٠ لها بحث عن عماء البشر ، السماء الجديدة .

(٣) W.penn أحد مؤسسى مذهب الكويكر الانجليزى لعب دورا كبيرا في اصلاح إنجلترا .

(٤) Comenius ولد سنة ١٥٩٢ في مورافيا وينتمى لطائفة اخوان مورافيا توفي سنة ١٦٧١ من أعماله synopsis physics سنة ١٦٣٣ ، theatrum divinum سنة ١٦١٦ ، labyrinthe du mode

(٥) Thomasius (Jacues) استاذ فلسفة في ليبزج (لا يجب الخلط بينه وبين القاتونى المسيحى توماسيوس المشهور) ولد سنة ١٦٥٥ وتوفي سنة ١٧٢٨ واهتم كثيرا بتاريخ الفلسفة .

الفصل العشرون

الخطأ

فيـبـالـيـت :

١ — بعد أن تحدثنا عن كل الوسائل التي تجعلنا نعرف أن نخمن الحقيقة بقي أن نذكر شيئاً عن أخطائنا ، وأحكامنا السيئة • من الواجب أن يخطئ البشر أحياناً مادام يوجد الكثير من الاختلاف بينهم • ويمكن أن نرجع ذلك إلى أربعة أسباب :

١ — نقص الأدلة •

٢ — قلة الخبرة في استخدامها •

٣ — نقص في ارادة استخدامها •

٤ — قواعد الإحتهالات الخاطئة •

٢... — عندما أتحدث عن نقص الأدلة أقصد كذلك الأدلة التي يمكن أن نحصل عليها إذا ما توفرت لنا الوسائل والسهولة اللازمة • وهذا ما ينقصنا في أغاب الأحيان • هذه حالة البشر الذين يقضون حياتهم في البحث عما يضمن لهم استمرارها : أن معرفتهم بما يحدث في العالم محدودة كيحصان الركوب الذي يسير دائماً في نفس الطريق فيصبح خبيراً بخريطة البلاد • أنهم في حاجة الى اللغات ، القراءة ، المحادثة ، ملاحظة الطبيعة وخبرات الفن •

٣ — لا يتفق كل هذا مع حالتهم ، هل يدعو هذا الى القول أن أضخم البشر لن يصل الى السعادة أو الشقاء الا بالصدفة العمياء ؟ هل يلزمهم التخلي على المعتقدات السائدة والمرشدين المسؤولين في بلدهم ؟ وخاصة بالنسبة للسعادة والشقاء الأزلي ، وهل سيظل شقياً الى الأبد ذلك الذي يولد في هذه البلدة وليس في أخرى ؟ يجب أن

نعترف أننا جميعا تشغلنا حياتنا وما يضمن لنا رزقنا وليس لدى أحد منا الوقت ليفكر فى روجه ليزودها بما يلزمها من ثقافة دينية وان كان قد حاول فى أمور أقل أهمية .

تتويها :ل

لنفرض أن البشر ليسوا باستمرار فى حالة تسمح لهم بتثقيف أنفسهم ، ولا يمكنهم التهاى بحكمة عن العناية بمعاش أسرهم ليجثوا فى الحقائق الصعبة ، فانهم مضطرون الى اتباع المشاعر المسرح بها لديهم ، ومن الواجب دائما أن نحكم بان أولئك الذين لديهم الدين الحق دون أن يكون لديهم أدلة على ذلك قد عوضتهم عنايتهم الداخلية عما لديهم من النقص فى الدوافع بنوع من القابلية للتصديق ، ومن الرحمة أيضا ، كما سبق أن لاحظت أن نحكم بان الله قد منح هؤلاء الأشخاص ، ذوى الارادة الطيبة والذين تساموا عن الأخطاء الكثيفة والخطيرة ، كل ما تتطلبه خيريته وعدله ، حتى وأن كان ذلك بطريقة لا نعرفها . لدينا فى القصص المقبولة فى الكنيسة الرومانية أن أشخاصا شفوا قصدا حتى لا تفوتهم النجداث الملائمة ولكن الله قادر على أن ينجذ النفوس بعملية داخلية لروح القدس دون حاجة الى معجزة كبرى . كهذه ومن الخير والعزاء للجنس البشرى ألا يلزما لنندخل رحاب عناية الله سوى الارادة الطيبة والمخلصة والجادة . أعرف اننا لن نحصل على هذه الارادة الطيبة بدون عناية الله ، بحيث يصدر عنه كل ما هو طبيعى وما يفوق الطبيعة ولكن يكفى باستمرار ألا نحصل الا على الارادة ، وأن من المستحيل أن يطلب الله شرطا ايسر وأكثر معقولة من ذلك .

فيالليت :

٤ - يوجد الكثير ممن لديهم الامكانية الكفيلة بازالة شكوكهم ولكنهم انصرفوا بأثارة عقبات كلها براءة ومن السهل ادراكها وليس من الضرورى أن نعرضها هنا بالتفصيل .

٥ — أفضل الحديث عن أولئك الذين ينقصهم المهارة لتقنين ما فى متناولهم من أدلة ، والذين لم يستطيعوا الاحتفاظ بتسلسل طويل من الفتايج ولا أن يقدرُوا كل الظروف . هناك أشخاص يكتفون بقياس وحيد وآخرون باثنين فقط . ليس هذا مجال تحديد هل صدر هذا الانطباع عن اختلاف طبيعى للأرواح أم للأعضاء ؟ أو هل نعتمد على نقص فى الممارسة التى تهذب الملكات الطبيعية ؟ يكفى هنا أن تكون واضحة وما علينا الا أن نتنقل من القصر أو البورصة الى المستشفيات والمنازل الصغيرة لنذكرها .

تيوفيل :

ليس الفقراء وحدهم المحتاجون وانما كثير من الأغنياء أيضا محتاج لأن هؤلاء الأغنياء يطلبون المزيد ويضعون أنفسهم مختارين فى نوع من المفاقة التى تمنع تفرغهم للاعتبارات المهمة ، والأمثلة على ذلك كثيرة . يحرص المرء على اتباع رفاقه الذين يرى أن معاشرتهم لن تثير روح المعارضة . وهذا يجعل من السهل أن يتشابهوا . من الصعب طبعا أن يرضى العقل والتقاليد فى نفس الوقت . أما أولئك الذين ينقصهم القدرة وهم أقل مما نظن ، فأعتقد أن الحس العام والتطبيق كافيان لتحقيق كل ما لا يتطلب الحيوية انى افترض الحس العام لأنى أعتقد أنك لا تطلب بالبحث عن حقيقة سكان المنازل الصغيرة حقا أن كثيرا منهم قد لا يستطيع العودة اذا علمناه الوسائل .

أن ما بين أرواحنا من اختلاف أصيل (وهذا فى اعتقادى موجود فعلا) يجعلنا نؤكد باستمرار قدرة أحد هذه الأرواح على الذهاب أبعد من غيرها (ولكن ليس أسرع) وذلك اذا ما أحسن توجيهها كما يجب .

فيلا ليت :

٦ — يوجد نوع آخر من الناس لا ينقصهم الارادة وانما ارتباطهم القوى باللذة والممارسة المتصلة للثروة وكسل أو اهمال عام ونفور خاص

من الدراسة والتأمل ، يعوقهم عن التفكير الجاد فى الحقيقة • هناك أيضا من يخضون الا يتحقق البحث الخالى من التحيز مع المعتقدات التى تتناسب أكثر مع أحكامهم المسبقة ومقاصدهم • نعرف أشخاصا لا يريدون قراءة خطاب معترضين أنه يحمل أخبارا سيئة وكثير من الناس يتجنب مراجعة أعمالهم أو التحقق من حالة ثروتهم خشية أن يظلموا ما أرادوا أن يجهلوه • هناك أشخاص يملكون ثروات طائلة ويستخدمونها بكلمها فى أمور تتصل بالجسد دون أن يفكروا فى وسائل تحسين عقولهم • أنهم يحرصون دائما على أن يظهروا بمظهر نظيف ولا مع ولا يخالون اذا ظلت أرواحهم مغطاة باسمال من الحرمان والخطأ وأن يظهر جهلهم من خلال عريهم • لن نتحقق عن الاهتمامات التى يجب أن يحرصوا عليها للمستقبل ، مادامو يهملون ما يهمهم معرفته فى حياتهم التى يعيشونها وأنه لأمر عجيب أن يحرص هؤلاء الذين يمتلكون السلطة والقوة منذ ولادتهم أو حسب ثروتهم على تركها بلا مبالاة لأشخاص أقل منهم لكنهم يفوقونهم فى المعرفة ، لأنه لابد للمبصر أن يقود الأعمى والا وقع فى الحفرة وليس هناك عبودية أسوأ من عبودية الذهن •

تتويها : —

ليس هناك دليل أوضح على اهمال البشر لمصالحهم الحقيقية من قلة اعتنائهم بالمعرفة وممارسة ما يلائم ضيحتهم التى هى من أكبر الثروات • ورغم شعور الكبار أكثر من غيرهم بالأثر السئ لهذا الاهمال فانهم لا يرجعون عنه • أما ما يتصل بالايان فكثيرون ينظرون الى الفكر الذى يستطيع دفعهم الى المناقشة كأنه محاولة من شيطان لا يمكن التخطب عليه الا بتوجيه الذهن وجهة أخرى • الأشخاص الذين لا يبحثون سوى اللذات أو الذين يرتبطون بأمر اعتادوا أن يهملوا باقى الأمور ، اللاعب ، الصياد ، السكران ، الفاسق ، محب اللذة الجسدية ، سيفقد ثروته وممتلكاته ولا يحاول أن يبذل أى جهد أو أن يقدم التماسا أو أن يتحدث الى صاحب منصب هناك أمثال الامبراطور هونوريوس Honorius

الذى عندما أخبروه بضياح روما ، اعتقد أنهم يتحدثون عن حصان
 السباق الخاص به والذى يحمل نفس الاسم . وهذا أغضب أكثر من
 الحقيقة . كنا نتمنى أن يكون لدى لاجال السلطة من المعرفة ما يتناسب
 مع ما لديهم من سلطة . ولكن عندما لا يتوفر الاهتمام التفصيلي
 بالعلوم والفنون وتاريخ اللغات ، يكفينا حكما قويا ومدربا ومعرفة
 للأشياء الكبرى والعامة وباختصار الأشياء العظمى *summa rerum*
 اننا فى حاجة الى موجز يضم اهتمامات الانسان ويستحق أن نسميه
enchiridion sapientiae يشبه ذلك الموجز الذى قدمه
 القديسين أوغسطين، ويضم قوى وحاجات الدولة والذى سماه
trevorium imperii وذلك اذا أراد البشر أن يعتنوا بما
 يهمهم أكثر .

شيلاليت :

٧ - أخيرا ، تصدر معظم أخطاؤنا المقاييس الخاطئة للاحتمال
 سواء عندما توقف الحكم رغم البررات الواضحة أو أن تصدر الحكم
 رغم الاحتمالات المارضة . هذه المقاييس تتكون من :

- (١) القضايا المشكوك فيها والتي تعتبرها مبادئ .
- (٢) الافتراضات المقبولة .
- (٣) السلطة .

٨ - عادة تحكم على الشيء بالصدق عندما يتفق مع ما نعتبره مبادئ
 ثابتة ، وهذا يجعلنا نحتقر شهادة الآخرين بل شهادة حواسنا
 عندما تكون أو تبدو معارضة ، ولكن قبل أن نثق فى حقيقة ما يجب
 فحصها بدقة تامة .

٩ - يتقبل الأطفال قضايا رسخت فى أذهانهم عن طريق آبائهم
 أو أمهاتهم أو مربياتهم وأساتذتهم وأولئك المحيطين بهم وتثبت هذه
 القضايا فى ذهنهم وتصبح مقدسة كأنها *urim et thumim* وضعها
 الله فى أزواحهم .

١٠ - نتألم من معاناة ما يصدم هذه الالهامات الداخلية عندما يحاول فهم المتناقضات الكبرى المتصلة معها . هذا يبدو فى الاصرار التام الذى نلاحظه لدى أشخاص مختلفة تؤمن بقوة فى معتقدات متعارضة مباشرة ، على أنها من أمر الايمان رغم أنها قد تكون غير معقولة أحيانا . خذ مثلا شخص على فطرته ولكنه مقتنع بالحكمة التى تجعله يشارك فى معتقدات قوية بالطريقة المعروفة فى السويد أو فى وتسمبرج ، أى استعداد يجعله يتقبل بدون مشقة النظرية التواجدية (عقيدة لوثر تؤكد أن وجود الجوهر الالهى فى القربان لا يمنع وجود الخبز والخمر فيه) وأن يعتقد أن الشيء الواحد يكون لحما وخبزا فى نفس الوقت ؟

تيوفيل :

يبدو يا سيدي أنك لست على علم كافى بمشاعر الانجيليين الذين يقبلون الحضور الحقيقى لجسد الرب فى سر القربان . لقد أوضحوا ألف مرة أنهم لا يريدون مطلقا تواجدية الخبز والخمر فى لحم ودم المسيح ، وبالأحرى أن يكون نفس الشيء لحما وخبزا معا أنهم يريدون فقط أنه يتقبل الرموز المرئية لجسد الرب بطريقة غير مرئية وتفوق الطبيعة ، دون أن يحتجز فى الخبز أن الحضور الذى يقصدونه ليس محليا مطلقا ، أو مكانيا ، أى محددا بأبعاد الجسد الحاضر : بحيث كل ما يمكن أن تعارضه الحواس لن تراه . كذلك لكى يظهروا أن العقبات التى يمكن استدلالها بالعقل لن تمسه ، يعلنون أن ما يقصدونه بجوهر الجسد لا يتكون مطلقا فى الامتداد أو البعد ، ولا يجدوا أى صعوبة فى قبول أن الجسد المبجل للمسيح يحتفظ بحضور معين عادى محلى ولكنه يتلائم مع حالته فى المحل الأسمى الذى يوجد فيه ، وهو مختلف تماما عن الحضور فى طقس الأسرار الذى نحن بصددده هنا ، أو الحضور المعجز الذى بواسطته يحكم الكنيسة والذى يجعله ليس فى كل مكان كالله ، وانما هناك حيث يريد أن يكون : هذا هو شعور المتواضعين بحيث لكى نثبت استحالة نظريتهم علينا اثبات أن كل ماهية

الجسد لا تتكون الا فى الامتداد وما يقاس بهذا فقط . لم يفكر أحد فى هذا حتى الآن حسب معرفتى . هذه الصعوبة لا تخص المعلمين التابعين للعقيدة الجاليلكانية (التى تدعو الى استقلال الكنيسة الادارى galiléen) والبلجيكية ، ان اعلان مجمع sendomir المشكل من أتباع العقيدتين الأوغسطينية والهلفتيك Helvetique التى تؤيد عقيدة الساكسون المقررة فى مؤتمر البلاثين ايمان المصلحين القادمين من thuri والمدعويين للاجتماع تحت رئاسة ملك بولونيا ularilas والنظرية الثابتة لكالفن وبيز Bèze التى تعلن بوضوح أكثر ويقوة أن الروموز ترودنا بفاعلية ما تمثله ، وأننا نصبح مشاركين لجوهر جسد ودم المسيح . ويضيف كالفن ، بعد أن دحض أولئك الذين يقنعون بمشاركة مجازية للفكر . أو للختيم sceau أو لوحدة الايمان ، اننا لا نستطيع ذكر ما هو أقوى من ذلك لتقرير الحقيقة ، وأنه غير مستبعد للتوقيع بشرط أن يتجنبوا كل ما يتصل بدائرة الأماكن أو انتشار الأبعاد ، بحيث تبدو نظريته فى أعماقها ، شبيهة بنظرية Milanachton ولوثر (وقد افترض كالفن نفسه تفسير هذا فى احدى رسائله) باستثناء أنه علاوة على شرط تصور الرموز التى يكتفى بها لوثر ، يطالب أيضا بشرط الايمان ، ليستبعد مشاركة غير المؤمنين . وفى نظرى أن « كالفن » كان موضوعيا بالنسبة لموضوع تناول القربان الذى ذكره فى مائة موضع من مؤلفاته ، بل وفى خطابات العائلية التى قد لا نحتاج اليها ولا مجال للشك فيها .

فيلاليت :

اعتذر اذ تحدثت عن هؤلاء السادة بناء على الاعتقاد الشعبى ، وأتذكر الآن أن عددا من اللاهوتيين المهرة فى الكنيسة الانجيليكية أيدوا هذه المشاركة الحقيقية ولكن لفنتقل من المبادئ المقررة الى الفروض المقبولة . أولئك الذين يعرفون أنها ليست سوى افتراضات لا يكفوا أحيانا عن التمسك بها بحرارة كأنها مبادئ مؤكدة ويحتقرون الاحتمالات

المعارضة • من غير المحتمل لأستاذ عالم أن يرى نفوذه قد ضاع في لحظة على يد قادم جديد يرفض افتراضاته ، أيملى نفوذه الذي انتشر منذ ثلاثين أو أربعين عاما واكتسبه بعدد من الليالي وسانده بقدر من الأغريق واللاتين يؤيدهم تقليد عام ولحية محترمة • كل ما يمكن أن نستخدمه من أدلة لاقتناعه بخطأ افتراضه ان يؤثر على ذهنه ، وكل جهد يبذل معه يشبه الجهود التي بذلها Eorée ليرغم مسافر على خلع معطفه الذي يمسك به في مهب الريح التي تعصف بعنف •

تيوفيل :

الواقع أن الكوبر نيفيين قد أثبتوا في نزاعهم أن الافتراضات • كما هي ، لازالت تساندهم بحماس قوى • والديكارتيين لا يقلون ايجابية بالنسبة لفروض *particules canelées* ^(١) والكرات الصغيرة ذات العنصر الثاني كما لو أنها نظريات اقليدية ، ويبدو أن التحمس لافتراضاتنا لا يعدو أن يكون أثرا للانفعالات التي تكون لدينا عندما نحرص على احترام أنفسنا • حقا لقد اعتقد الذين حكموا على جاليليو ، أن ثبات الأرض كان أكثر من افتراض لأنهم رأوا أنه يتفق مع الانجيل ومع العقل • ولكن • منذ أدركوا أن العقل لم يعد يسانده وأن الانجيل في ضوء ما نشره في روما الأب فابري *Fabry* ، كان المقديس بطرس واللاهوتي والفيلسوف الممتاز ، في بحثه *apologie des observations déustachio divin* وما أعلنه عالم بصريات مشهور من أن فهمنا احركة الشمس من خلال النصوص مجرد فهم احتياطي وأنه اذا تحقق افتراض كوبرنيك فلن نجد صعوبة في تفسير كالأشأن مع مقرة فرجيل *terraeque urbesque recedunt* ومع هذا لم يكفوا في ايطاليا وأسبانيا بل والبلاد الموروثة للامبراطور من الاستمرار في حذف نظرية كوبرنيك مع ما في هذه البلاد من عقول قادرة على الارتقاء الى الاكتشافات الجميلة اذا تمتعوا بحرية معقولة وفلسفية •

(١) انظر ديكرات : مبادئ الفلسفة ج ١ ، ١١١ ، ٩٠

في ملاحضة فرجيل :

تبدو الانفعالات السائدة ، كما تقول ، مصدر جننا للافتراضات ولكنها تمتد أيضا أبعد من ذلك بكثير . لن يفني أكبر احتمال في العلم في اظهار ظلم بخل أو طموح ، وسيجد المحب أن من السهل أن يذغ عشيقته ثغده ، طالما من الحق أننا نعتقد بسهولة فيما نريد ونشاء على ملاحظة فرجيل .

qui amant ipsi sibi somnia fingunt

مما سيسمح باستخدام وسيلتين للتخلص من الاحتمالات الأكثر ظهورا . عندما نتهاجم انفعالاتنا وأحكامنا المسبقة .

١٣ - الوسيلة الأولى هي أن نظن أن هناك بعض البسيطة المختفية في الدليل الذي نعترض عليه .

١٤ - الثانية أن نفترض أننا نستطيع تقديم أدلة جيدة أو أفضل لنهزم الخصم إذا توفرت لنا الراحة والمهارة والمساعدة اللازمة .

١٥ - هذه الوسائل للاقناع تكون جيدة أحيانا ولكنها تكون سفسطة أحيانا أخرى ، عندما تكون المادة واضحة بما يكفي وعندما يخضع كل شيء لاعتبارنا ، ومن ثم سنجد وسيلة للتعرف في أي جانب يوجد الاحتمال . وهكذا لن يوجد مجال للشك في أن الحيوانات قد خلقت بناء على تجمع عفوى للذرات ، تماما كما أنه لا يوجد شخص يشك في أن حروف المطبعة التي تشكل بحثا معقولا ، قد رتبها شخص واعى وليست مجرد مزيج مختلط . اعتقد أذن أن توقف تصديقنا لهذه الملقاءات لا يعتمد علينا وإنما نستطيع عمله عندما يكون الاحتمال أقل وضوحا ونستطيع الاكتفاء بالأدلة الأضعف التي تتفق أكبر مع ميولنا .

١٦ - يبدو لي أنه من غير العملي بالنسبة للحقيقة أن يميل الشخص إلى الجانب الذي يري أنه أقل احتمالا ، فالادراك ، المعرفة ، والتصديق ليسوا تعسفا مطلقا ، أن رؤية أو عدم رؤية اتفاق فكرتين نتيجة اليهما

ذهننا لا تعتمد علينا . باستطاعتنا أن نوقف تقدم أبحاثنا باختيارنا ،
والا فلن يكون الجهل أو الخطأ خطيئة في أى حالة ، وبهذا نمارس حريقتنا
حقا أنه في اللقاءات التي لا يكون لنا فيها مصلحة ، في إمكاننا أن نضمم
الى الاعتقاد العام أو لأول احساس يصادفنا ؟ ولكن في الأمور التي
تخص سعادتنا أو شقاءنا فان الذهن يسعى بجدية أكثر الى أن يقيم
الاحتمالات ، وأظن أنه في هذه الحالة ، أى عندما نكون واعين ، لن
يكون لدينا اختيار لتحديد الجانب الذى نريده ، اذا وجد بين الجانبين
اختلافات مرئية سيحدد الاحتمال الأكبر تصديقنا .

تيوفيل :

انى متفق معك فى الأساس ، وقد أوضحنا هذا الأمر من مناقشتنا
السابقة عندما تحدثنا عن الحرية . لقد أظهرت عندئذ اننا لا نعتقد
أبدا ما نريده ، ولكن ما نرى أنه الأكثر وضوحا : ومع ذلك نستطيع أن
نقنع أنفسنا بما نريده بطريقة غير مباشرة ، بان نحول الانتباه من
موضوع غير مقبول الى آخر يسرنا . مما يجعلنا عند مواجهة مبررات
الجانب الذى نفضله نعتقد فيه بصورة تبدو حقيقية . أما الاعتقادات التي
لا نجد فيها مصلحة والتي نصل اليها بمبررات خفيفة ولا نلاحظ فيها
ما يعترضها فلاننا نجد اعتقادنا فيها يفوق كثيرا الاحساس المقابل والذي
لا يوجد ما يؤيده فى ادراكنا ، أى لا يوجد المبرر الذى يؤيد هذا الجانب
أو ذاك لأن الفارق بين الصفر والواحد مثلا أو بين الاثنين والثلاثة هو
نفس الفارق بين تسعة وعشرة ، أننا ندرك هذه الميزة دون أن نفكر
فى فحص ما هو ضرورى للحكم ولكن حيث لا يوجد ما يحثنا .

فيلاليت :

القياس الخاطئ الأخير للاحتمال ، الذى أريد ذكره هو السلطة
التي أسيء فهمها والتي تجعل غالبية الناس فى جهل وفى خطأ أكثر من
كل ما عداها . كم من الناس ليس لديهم أى أساس لمشاعرهم

الا الاعتقادات السائدة بين الأصدقاء ، أو بين أعضاء المهنة أو الحزب أو البلدة ؟ مثل هذه النظرية كانت مقبولة لدى القدماء وانتقلت إلينا عبر القرون السابقة ، وخضع لها أناس آخرون ، ولهذا أكون فى مأمن من الخطأ عندما أقبلها وقد يكون من الأصوب قبول هذه المعتقدات عن طريق الرهان بدلا من اختيارها بناء على مثل هذه القواعد . علاوة على أن الجميع عرضة للخطأ . فأنى أعتقد أنه إذا أمكننا رؤية الدوافع الخفية التى تدفع العلماء ورؤساء الأحزاب فأننا سنجد كل شيء الا الحب الخالص للحقيقة . من المؤكد على الأقل أنه لا يوجد اعتقاد غير معقول بحيث لا يمكن قبوله بناء على هذا الأساس ، مادام لا يوجد خطأ الا وهناك من يشايعه .

تيوفيسيل :

يجب أن نعترف أنه ليس فى الامكان تجنب الخضوع للسلطة فى عديد من المقابلات . لقد ألف القديس أوغسطين كتابا رائعا فى هذا الموضوع جدير بأن يقرأ . أما عن الاعتقادات السائدة فى قرية لما نسميه فى القانون بالقرائن ، ومع أن المرء غير مضطر لاتباعها دائما بدون أدلة ، الا أننا لا نملك تحطيمها لدى الآخرين ما دمنا لا نملك الأدلة المعارضة . غير مسموح تغيير أى شيء بدون مبرر . لقد تنازعوا كثيرا حول الدليل المستمد من عدد كبير من الموافقين لرأى ما . وذلك منذ أن نشر المرحوم نيقولا Nicole كتابه عن الكنيسة . ولكن كل ما يمكن أن نستمد من هذا الدليل عندما يتصل الأمر بتأييد مبرر ما وليس بتقرير واقع ، لا يمكن أن يخضع الا لما سبق أن ذكرته وما دام مائة حصان لن يجروا أسرع من حصان ، كذلك الأمر بالنسبة لمائة رجل عندما نقارنهم برجل واحد . أن يستطيعوا أن يسيروا أقوم وانما سيعملون بفاعلية أكثر ، لن يحكموا أحسن وانما فى امكانهم أن يمدونا بمادة أكثر يمكن أن نمارس فى ضوءها الحكم . وهذا ما يقصده المثل plus vident oculi quam oculus وهذا ما لانحظه فى الاجتماعات

يطرح عديد من الاعتبارات وقد لا يتنبه بتجاهلها فرد أو اثنين ولكن قد
نعرض أحيانا لعدم الانتباه للجانب الأفضل عند الحكم على كل هذه
الاعتبارات اذا لم يوجد اشخاص بارعون يتولون توجيهها وتقييمها .
ولهذا اخضع بعض اللاهوتيين المتفكرين من حزب روما موضوع الاستدلال
الذهني لتقرير الوقائع تحت اسم العرف عندما رأوا أن سلطة الكنيسة ،
أي سلطة أصحاب المقام العالي المؤيدة بالاغلبية لم تستطع التأكيد منه .
هكذا كان رأي هنري جولدن الانجليزى والدكتور فى السوربون
ومؤلف كتاب « تحليل الايمان » وبناء على مبادئ *commonitorium de*
vincent de Lerins يقرر أننا لا نستطيع إصدار قرارات
جديدة للكنيسة وأن كل ما يمكن أن يفعله القساوسة مجتمعين هو تقرير
لواقع لنظرية سائدة فى اسقفيتهم . يكون المبدأ خادعا طالما نظل فى
الموميات ولكن عندما نصل الى الواقع ، سنجد أن الدول المختلفة تقبل
اعتقادات مختلفة منذ زمن طويل ، وفى نفس البلد تنتقل من الابيض
الى الاسود ، رغم ادلة أرغولد ضد التغييرات غير المحسوبة ، علاوة
على أنه احيانا قد لا نكتفى بالتقرير دائما نندفع الى الحكم وهذا هو
. ايضا اعتقاد *Grestar* العالم الجيزويتى فى *Bavière* ومؤلف لتجليل
آخر للايمان يؤيده اللاهوتيون الذين فى نفس منصبه . يمكن للكنيسة
أن تحكم فى الخصومات بأن تزيد اقساما جديدة من عقيدة تساعد الروح
المقدس مهما حاول البعض اخفاء هذا الشعور ، وخاصة فى فرنسا ، كأنما
الكنيسة لا تعمل سوى توضيح نظريات مقرررة فعلا . ولكن التوضيح
اعلان مقبول فعلا ، أو هو نبأ نعتقد استدلاله من نظرية مقبولة .
تتعارض الممارسة احيانا مع المعنى الاول ، وبالمعنى الثانى ، الاعلان
الجديد الذى نقرره هل يمكن أن يكون مجرد قسم جديد من العقيدة ؟
مع ذلك لست من الراى الذى يحتقر القدماء فى مجال الدين ، واعتقد أنه
يمكن القول أن الله قد حفظ المجالس المسكونية الحقيقية (التى تدعو
الى توحيد الكنيسة) حتى الان من كل خطأ يعارض النظرية السليمة .
وما عدا ذلك فمن الغريب أن يحرم من الحزب : لقد رأيت اشخاصا

يتمسكون بحماس باعتقاد ما بحجة أنه سائد في نظامهم ، أو حتى لأنه يعارض اعتقاد رجل من دين أو من أمة لا يحبها ، حتى ولو كان الامور لا يتصل اطلاقاً بهذا الدين أو بمصالح الشعوب . ربما أنهم لا يعرفون مطلقاً أن هذا هو مصدر جمابهم ، ولكنى اعرف أنه بالنسبة للخبر الأول ، أى ما يكتبه أى شخص ، فانهم يقبلون في المكتبات ويعقدون الامور ليجدوا ما يمكن دحضه . هذا ما كان يحدث احياناً من أولئك الذين تمسكون بأرائهم في الجامعات ويسعون الى تأييدها ضد خصومهم . ولكن ماذا نقول عن النظريات التي سجلها البيروني في الكتب الرمزية للجذب التي نضطر احياناً الى حلف اليمين لقبولها ؟ أن البعض يعتقد أنها لا تعنى عندنا سوى الاضطراب الى الاعتراف بما في هذه الكتب والاصح من الكتاب المقدس . مع ما فيها من تعارض مع غيرها ، اما في النظم الدينية لحزب روما فقد فرضوا ، دون أن يقتنعوا بالنظريات المقررة في كنيستهم ، حدوداً ضيقة لأولئك الذين يتولون التدريس والدليل على ذلك القضايا التي منع جنرال الجيزويت ، كلود أوافينا Claude Aquaviva (اذا لم أكن مخطئاً) تدريسها في مدارسهم . من الأفضل عمل سجل منظم للقضايا التي تقررها أو تحزمها المجالس ، البابوات ، القساوسة ، رؤساء الكليات ، والتي تخدم تاريخ الكنيسة يمكن أن نميز بين تدريس واعتناق رأي ما ، لا يوجد أى قسم في العالم ولا أى منع يمكن أن يرغم الشخص على أن يظل متمسكاً بنفس الاعتقاد ، لأن المشاعر غير ارادية في ذاتها ، ولكننا نستطيع بل ويجب أن نمتنع عن تدريس نظرية خطيرة وأن كان ضميرنا لا يرغمنا على ذلك وفي هذه الحالة يجب أن نعلن ذلك باخلاص وأن نتخلي عن المنصب عندما نكلف بالتدريس . على فرض أن هذا ممكن ، دون أن نتعرض لخطر كبير يرغمنا على تركه بدون ضجة . لا نجد أي وسيلة أخرى لنوفق بين الحقوق العامة والخاصة : احدهما يحتم علينا منع ما نرى أنه سيء والاخر لا يجعلنا نعلم انفسنا من الواجبات التي يقررها الضمير .

فيـالـاـلـيـت :

١٨ — هذا التعارض بين العام والخاص ، بل بين الاعتقادات العامة للأحزاب المختلفة شر لا يمكن تجنبه . ولكن أحيانا لا يكون التقابل بينها الا ظاهريا ، ولا يكون الا في الصياغة . أنى مضطر ايضا الى القول لاكون عادلا بالنسبة للجنس البشرى ، أنه لا يوجد كثير من الناس ينغمسون في الخطأ الذي نفترضه عادة ، ولكنى لا اعتقد انهم يتمسكن بالحقيقة . ونظرا لانه في الواقع لا تملك النظريات التي تثير ضجة كبرى أى اعتقاد ايجابى على الاطلاق فانها تقرر التمسك بالحزب دون فحص ودون أن يكون لديها أفكارا ولو سطحية عن الموضوعات التي يناقشوها . أنهم كالجنود الذين لا يناقشون أبدا السبب الذي من أجله يدافعون ، واذا كانت حياة المرء تظهر أنه لا يهتم بالدين فيكفيه أن يكون لديه اليد واللسان المستعدين لقبول الاعتقاد العام ويكون جديرا في نظر أولئك الذين يمكن أن يكونوا سنداً له .

تـيـوـفـيـل :

هذه العدالة التي تقررها للجنس البشرى ، ليست مديحا له ، وسيكون البشر معذورين أكثر في اتباعهم باخلاص اعتقاداتهم من أن يزيفوها من أجل مصالحهم . ربما يوجد أخلاص أكثر في واقعهم والذي يبدو لى أنك لم تفهمه لانه بدون معرفة السبب يمكن أن يصلوا الى إيمان ضمنى بالألا يستسلموا استسلاما أعمى وعام ، وغالبا ما يكون بحسن نية ، لاحكام الآخرين ، الذي عرفوا السلطة ذات مرة ، حقا أن المصلحة التي يريد منها تتفق مع هذا الخضوع ، ولكن هذا لا يمنع اطلاقا الا يتشكل الاعتقاد . تكفى الكنيسة بالرومانية بهذا الايمان الضمنى تقريبا . وعلى من لا يملك قاعدة جديدة للايمان أن يرجع الى الوحي الذي يعتبر أساسيا تماما وضروريا ضرورة *necessitate medii* تجعل الثقة شرطا ضروريا للخلاص . أنهم يدرسون جميعا في الكنيسة هذه الضرورة الى

necessitate praecepti والذى تلفت النظر الى ما يقترحون . الكل واقع تحت وطأة الخطيئة المميتة ولكن هذه الضرورة لا تتطلب سوى طاعة معقولة ولا ترغم مطلقا على التصديق ، فى نظر علماء هذه الكنيسة . لقد اعتقد الكاردينال بل ارمان Bel Armin انه لا يوجد افضل من ايمان الطفل الذى يخضع لسلطة مقررة يحكى مؤيدا لذلك قدرة شخص يحتضر على التخلص من الشيطان بناء على هذه الترتيمة التى نسمعه يكررها : "انى اعتقد كل ما تعتقده الكنيسة والكنيسة تعتقد ما اعتقد .

* * *

شخصيات الفضل

(١) Jean Calvin (مصلح مشهور) ولد سنة ١٥٠٩ وتوفي سنة ١٥٦٤ في جنيف، حيث أدخل الإصلاح وحيث مارس طوال حياته سيطرة دكتاتورية حقيقية أكبر أعماله Institution Chretienne وهو لاهوتي أكثر منه فلسفي.

(٢) theod. de Béze (صديق وتلميذ كالفن) ولد سنة ١٥١٩ وتوفي سنة ١٦٠١.

(٣) Philippe Melancon صديق وتلميذ لوثر ولد سنة ١٤٩٧ وتوفي سنة ١٥٦٧ وفق بين الإصلاح وفلسفة أرسطو، من أهم أعماله dialectica سنة ١٥٣٦ و commentarium de anima سنة ١٥١٠ و initiae doctrine physicae; epitome philosophia moralis. سنة ١٥٥٠.

(٤) لوثر (مارتن) مصلح مشهور، لا جدوى من ذكر تاريخه، ولد سنة ١٤٨٤ وتوفي سنة ١٥٤٦ له أعمال لاتينية وأخرى بالألمانية في ١٢ مجلد نشرت في ألمانيا سنة ١٥٦٥ ترجمت إلى اللاتينية في فرانكفورت سنة ١٥٧١ وترجمها ميشيليه إلى الفرنسية تحت عنوان مذكرات لوثر في باريس سنة ١٨٣٧.

(٥) Henri Holden دكتور في كلية اللاهوت في باريس، ولد سنة ١٥٧٦ في إنجلترا وتوفي في باريس سنة ١٦٦٥ له divinae fidei analysis سنة ١٦٣٢، tractatus de schismate ; tractatus de usura ; divers tratié de controverse.

(٦) st. Vincent de Lerius عاش في القرن الخامس المسيحي ونشر بالارد أعماله الكاملة سنة ١٦٦٣.

(٧) Jacque Grester جيزويتى ولد سنة ١٥٦١ وتوفي سنة ١٦٥٠ نشرت أعماله الكاملة في ١٧ مجلد في الأعوام ١٧٣١ وما تلاها.

(٨) Aquavias (كلود) جنرال جيزويتى ولد في نابولي سنة ١٥٤٣ وتوفي سنة ١٦١٥ يعرف بوجه خاص بنصائحه التي عنوانها Ratio studiorum روما سنة ١٥٦٦ وهو عمل حذمه الجوزيت بناء على قرار محكمة التفتيش الدينية ثم أعيد طبعه بعد تعديله سنة ١٥٩١.

الفصل الحادى والعشرين

تصنيف العلوم

فيـالـاـلـيـت :

١ — ها نحن في نهاية بحثنا وقد أوضحنا كل عمليات الفهم •
لم يكن هدفنا الدخول فى التفاصيل حتى بالنسبة لمعارفنا ، ومع ذلك فمن
المناسب هنا قبل أن ننتهى ، أن نلقى نظرة عامة على تقسيم العلوم • كل
ما يمكن أن يدخل فى مجال الفهم الإنسانى يكون اما طبيعة الأشياء فى
ذاتها ، أو فى المرتبة الثانية الانسان بصفته عضوا ، يسعى الى غاية
وبصفة خاصة الى سعادته • وفى المرتبة الثالثة وسائل اكتساب وتوصيل
المعرفة وهكذا ينقسم العلم الى ثلاثة أنواع •

٢ — النوع الاول علم الطبيعة والفلسفة الطبيعية التى تضم ليس
فقط الاجسام ، ومتعلقاتها كالعدد والشكل وانما ايضا الأرواح ، والله
والملائكة •

٣ — النوع الثانى الفلسفة العملية أو الأخلاق الذى يعلم وسيلة
الحصول على الاشياء الخيرة المفيدة ويقترح ليس فقط معرفة الحقيقة
وانما أيضا ممارسة ما هو صواب •

٤ — أخيرا النوع الثالث هو المنطق أو معرفة العلامات لانه *vn vos*
تعنى الكلمة ونحن فى حاجة الى علامات لأفكارنا حتى نستطيع تبادلها مع
الغير ، أو تسجيلها لاستخدامنا الخاص ، وربما اذا اعتبرنا بكل العناية
الممكنة هذا النوع الاخير من العلم وجدنا انه يتناول الافكار والكلمات •
وحصلنا على منطق ونقد مختلف عن ذلك الذى نراه حتى الآن هذه
الانواع الثلاثة : علم الطبيعة ، الاخلاق ، والمنطق تعتبر بمثابة ثلاثة
ولايات فى عالم السذهن منفصلة عن بعضها البعض ومتميز عن
بعضها تماما •

توفيل :

هذا التقسيم كان معروفا مثلا لدى القدماء ، لأنهم يضعون ضمن المنطق ، كما فعلت كل ما يتصل بالأحاديث وتفسير أفكارنا *artes discendi* ومع ذلك تعترضنا صعوبة هنا ، لأن علم التفكير ، الحكم ، الاختراع ، يبدو مختلفا تماما عن علم اشتقاق الكلمات ، *eymologie* واستخدام اللغات وهو شيء غير محدد وتعسفى . علاوة على ذلك ، تفسير الكلمات يضطرنا الى العمل فى العلوم بنفس الطريقة التى نتبعها فى المعاجم ، ومن جهة أخرى لن نستطيع تناول العلم دون أن نعرض فى نفس الوقت لتعريفات الحدود . ولكن الصعوبة الرئيسية التى نجدها فى هذا التقسيم للعلوم ، هى أن كل جزء منها يبدو أنه يبتلع الكل ، أولا الاخلاق والمنطق سيدخلان ضمن علم الطبيعة ، اذا أخذ بالمعنى العام . لان الحديث عن الاذهان ، أى عن الجواهر التى لديها فهم وإرادة ، وتفسير هذا الفهم يتطلب التعرض للمنطق . كما سيتعرض ، فى نظرية الاذهان لكل ما يتصل بالإرادة ، ويلزمك الحديث عن الخير والشر السعادة والشقاء ، ولن تتوقف عن دفع هذه النظرية لتدخل فى علم الفلسفة العملية . كذلك الأمر بالنسبة للفلسفة العملية ، يمكن أن يدخل فيها الكل باعتباره يساعد على تحقيق سعادتنا . أنك تعرف أن اللاهوت يعتبر بحق علما عمليا كذلك علم القانون والمطب بحيث تستوعب نظرية السعادة البشرية ، سواء لخيرنا أو لشرنا ، كل هذه المعارف ، ما دمنا نريد تفسير كل الوسائل التى تستخدم الغاية التى يقترحها العقل تفسيرا كافيا . وهذا ما فعله *Zwingerus* فى المسرح المنهجى للحياة البشرية وما أفسده *Beyerling* عندما رتبته ترتيبا أبجديا . أن تناول كل المواد بطريقة المعجم وحسب الترتيب الأبجدي يجعل نظرية اللغات (التى تضعها ضمن المنطق كالقدماء) تحتل بدورها أرض النوعين الآخرين . وهكذا ستصبح ولاياتك الثلاثة الكبرى فى حرب مستمرة ما دام احدهما يعتدى باستمرار على حقوق الآخرين . لقد أعتمد الاسميون وجود

علوم جزئية بقدر ما يوجد من حقائق ، وتشكل مجموعات حسب ترتيبها ويفارق آخرون الجسم الكلى لمعارفنا بمحيط من قطعة واحدة لا يقسم الى المحيط انداليدونى والألفطى والاثيوبى والهندي الا بخطوط تمسقية .

أحيانا يحدث أن توضع نفس الحقيقة فى مكان مختلف ، حسب الحدود التى تحتويها أو حسب الحدود المتوسطة أو الأسباب التى تعتمد عليها ، أو حسب النتائج والآثار التى يمكن أن نحصل عليها . القضية المقولية البسيطة ليس لها سوى حدين ولكن القضية الشرطية يمكن أن يكون لها أربعة حدود ، دون أن نعرض للتعريفات المركبة . أن حدثا خالدا يمكن أن يوضع فى حوليات التاريخ الكلى ، وفى تاريخ البلد الذى حدث فيه ، وتاريخ حياة الرجل الذى يهيمه وعلى فرض أن الأمر يتصل ببعض الحكم الاخلاقية الرائعة أو ببعض المناورات الحربية أو اختراع يفيد فى الفنون ويفيد فى رفاهية الحياة أو صحة البشر . سيسجل نفس الحدث التاريخى فى العلم أو الفن الذى يخصه ويمكن أيضا ذكره فى مجالين من هذا العلم ، أى فى تاريخ العلم لنحكي تقدمه المتزايد وكذلك فى أصوله لتؤيده أو نوضحه بالأمثلة . مثلاً ما يحكى عن حياة الكاردينال Ximénes الذى شفى من حمى طويلة الأمد وميتوس منها تقريبا ، على يد امرأة بواسطة ذلك . هذا الامر يستحق أن يذكر فى مجال الطب ضمن الفصل الخاص بالحمى ما دام الأمر يتصل بحمية طبية جديرة بالممارسة وتساعد هذه الملاحظة على اكتشاف أسباب هذا المرض . ويمكن أيضا أن نتحدث عنها فى المنطق الطبى حيث يتصل الأمر بفن اكتشاف الادوية وكذلك فى تاريخ الطب لتظهر كيف توصل الانسان الى معرفة الادوية أحيانا عن طريق العمليات التجريبية البسيطة بل وعن طريق التسعوضة أحيانا . وكان الاجدر أن يتوسع Beverovicus فى كتابه الرائع عن الطب القديم والمستمد كله من مؤلفين غير أطباء ، ليصل حديثه الى المؤلفين المحدثين . نرى من هذا أن نفس الحقيقة يمكن ذكرها فى أكثر من مكان حسب العلاقات المختلفة التى يمكن أن نحصل عليها : وأولئك الذين ينظمون مكتبة ما أحيانا لا يعرفون أين توضع

بعض الحتب ، لأنها تتعلق بمجالين أو أكثر مناسبين • والآن لن نتحدث
 الا عن النظريات العامة ، ونستبعد جانبا الوقائع الفردية ، التاريخ ،
 واللغات • أجد نظامين رئيسيين لحل الحقائق النظرية ولحل منها جدارته
 ومن الأفضل ان نربط بينهما ، أحدهما تركيبيا نظريا يرتب الحقائق
 وفق نظام الأدله ، كما يفعل الرياضيون بحيث تأتى كل قضية بعد تلك
 التى تعتمد عليها والنظام الآخر تحليليا عمليا يبتدىء بهدف البشر ، أى
 المخبرات التى تخون السعادة فى قمته ، ويبحث بنظام الوسائل التى
 تستخدم لاحتساب هذه المخبرات أو تجذب الشرور المعارضة • نجد
 هذين المنهجين فى دائرة المعارف بوجه عام ، كما يمارسها البعض فى
 العلوم الجزئية ، فى الهندسة مثلا عندما تناولها أقليدس تركيبيا كعلم
 فى حين تناولها البعض على أنها فن ، كما يمكن تناولها استدلاليا تحت
 هذه الصورة التى تظهر الاختراع وقد اقترح أحد الأشخاص قياس كل
 انواع الاشكال المسطحة مبتدئا بالمستطيلات قصد تقسيمها الى مثلثات ،
 ويصبح كل مثلث نصف متوازى أضلاع ، ويخفض متوازى الاضلاع
 للمستطيل الذى يسهل قياسه • ولكن كتابة دائرة المعارف وفق هذين
 النظامين معا يجعلنا نحصل على مقاييس للمرد لنتقضى التكرار • ويجب أن
 نضيف الى هذين النظامين نظام ثالث خاص بالحدود ولن يكون فى
 الواقع سوى نوعا من الفهرس • أما مذهبى يرتب الحدود وفق محاولات
 معينة تكون عامة لكل الأمم ، أو ابجديا وفق اللغة المعترف بها لدى
 العلماء • الا أن هذا الفهرس سيكون ضروريا للحصول على كل القضايا
 التى يدخل فيها الحد بطريقة ملحوظة ، لأنه حسب الطريقتين السابقتين
 ترتب الحقائق وفق أصلها أو وفق استعمالها ولن توجد معا كل الحقائق
 التى تخص نفس الحد • مثلا لم يكن مسموح لدى اقليدس ، عندما
 كان يعلم ، أن يجد نصف الزاوية بأن يضيف للوسيلة الحصول على الثلث ،
 لأنه كان يلزمه الحديث عن المقاطع المخروطية التى لا يمكن معرفتها فى
 هذا المجال • ولكن بالفهرس يمكن ويجب أن يذكر الأماكن التى يوجد
 فيها القضايا الهامة التى تهتم نفس الموضوع وما زال ينقصنا مثل هذا

المفهرس فى الهندسة حيث سيكون ذا فائدة كبرى ويسهل الاكتشافات ويدفع العلم لأنه سيخفف عن الذاكرة ويوفر الجهد الذى يبذل فى البحث من جديد عما حصلنا عليه فعلا • تستخدم هذه المفهرس فى العلوم الأخرى أيضا حيث ما زال سلطان فن الاستدلال ضعيفا • وسيكون ضروريا أكثر فى الطب بصفة خاصة • لكن فى عمل مثل هذه المفهرس لن يكون من الأمور المتأفة • ومن العجيب أن يبدو اعتبار هذه النظم الثلاثة متمشيا مع القسمة القديمة التى حددتها والذى يقسم العلم أو الفلسفة إلى نظرى وعملى واستدلالى أو إلى علم طبيعة وأخلاق ومنطق ، لأن التنظيم التركيبى يتمشى مع النظرى والتحليلى يتشى مع العملى ، وذلك الخاص بالمفهرس حسب الحدود مع المنطق بحيث تقبل التقسيم القديم ونفهمه بالصورة التى شرحتها فى هذه الانظمة • أى ليس باعتبارها علوما متميزة وانما باعتبارها ترتيبات مختلفة لنفس الحقائق بقدر ما نجد من المناسب أن نكررها • هناك أيضا تقسيم مدنى للعلوم وفق الملكات والمهن • ويستخدم فى الجامعات وفى تنظيم المكتبات ، وقد ترك لنا كل من Lipenius , Draudis كتالوجا للكتب ام يتبع فيه منهج كل من Gesner , Pandectes المذهبى ، وانما أكتفينا باستخدام التقسيم الكبير للمواد (تقريبا كما يفعل أصحاب المكتبات) وفق الملكات الأربعة كما يسمونها : اللاهوت والتشريع والطب والفلسفة • ورتبوا فى داخل كل ملكة الحدود الرئيسية التى تدخل فى تحرير الكتب ترتيبا أبجديا • ومما يخفف عنهم أنهم لم يحتاجوا إلى رؤية الكتاب أو فهم المادة التى يتناولها ، ولكنه لن يخدم كثيرا الآخرين ، مالم تذكر إشارات للعناوين ذات دلالة ، لأنه بغض النظر عن كمية الأخطاء التى وقعوا فيها ترى أنهم أحيانا يسمون نفس الشيء بأسماء مختلفة مثلا :

observationes juris , mis cellnea , conjectanea , electa , semestria ,
probabilia , benedicta .

وقدر آخر من الأوصاف المشابهة • بحيث تصبح كتب التشريع مجرد خليط من القانون الرومانى لهذا يصبح التنظيم المذهبى للمواد هو الأفضل

بلا شك ، ويمكن أن نضيف اليها ملاحق أبجدية كاملة حسب الحدود والمؤلفين . لا يجب احتقار التقسيم المدنى السائد حسب الملكات الأربعة . اللاهوت يبحث السعادة الابدية وكل ما يتصل بها بقدر ما يعتمد ذلك على الروح والضمير أنه يشبه التشريع الذى يهتم بما نقول *ne ue fora interno* ويستخدم جواهر وعقول غير مرئية . موضوع التشريع هو الحكومة والقوانين التى هدفها سعادة البشر بقدر ما يمكن ممارستها خارجيا وبالحس ولكنها لا تهتم أساسا إلا بما يعتمد على طبيعة الذهن ولا تتدخل فى تفصيل الأشياء الجسدية ، التى تفترض طبيعتها لتستخدمها كوسائل . وهكذا تتحلى أولا عن نقطة كبرى تتصل بالصحة والعافية وكامل الجسم البشرى التى انتقل الاهتمام بها الى ملكة الطب . اعتقد البعض بحق أنه يمكن اضافة الى هذه الملكات ، الملكة الاقتصادية التى تشمل فنون الحساب والميكانيكا وكل ما يتصل بتفاصيل جوهر البشر ورفاهية الحياة ، ويدخل فيها الزراعة وفن المعمار . وتركوا الملكة الفلسفة كل عالم يدخل فى الملكات الثلاثة الاخرى التى يسمونها العليا . لقد أساءوا اليها لأنهم لم يقيموا أولئك الداخلين فى هذه الملكة فرصة الاتقان عن طريق الممارسة كما يفعل أولئك الذين يعلمون الملكات الاخرى وهكذا ، باستثناء علماء الرياضة ، لا تعتبر ملكة الفلسفة الا مجرد مدخل للملكات الأخرى . لهذا نريد للشباب أن يتعلم التاريخ وفن الحديث ، وبعض اصول اللاهوت والشريعة الطبيعية ، المستقلة عن القوانين الالهية ، والبشرية ، تحت اسم ما بعد الطبيعة ، أو علم الظواهر الروحية ، الأخلاق ، الساسة ، مع قليل من علم الطبيعة للطباء الشباب ، هذا هو التقسيم المدنى للمعلوم وفق الجسم ومن العلماء الذين يعلموها ، دون الحديث عن مهن أولئك الذين يعملون للجمهور علاوة على حديثهم الذى يجب أن يخضع لتوجيه العلماء الحقيقيين واذا ما أخذنا مقاييس المعرفة بدقة ، حتى فى الفنون اليدوية السامية ، وجدنا ارتباط المعرفة بالعمل قويا ويمكن أن يزايد الترابط ، كما حدث فى الواقع فى الطب ، ليس قديما فقط (حيث كان

الاطباء جراحين وصيادلة فى نفس الوقت) وانما اليوم كذلك وخاصة
لدى الكيمائيين • هذا الارتباط بين العمل والنظرية نراه فى الصرب
ولدى أولئك الذين يدرسون ما نسميه بالتمرينات ولدى الرسامين
والنحاتين والموسيقيين ولدى بعض الأنواع الأخرى من *Virtuosi*
واذا تعلم عمليا الفلسفة مبادئ كل هذه المهن بل والحرف واذا اطلع
العلماء على هذه الملكات فسكنوا حقا معلمى الجنس البشرى • لكن
يجب تغيير الحالة الحاضرة فى كثير من المجالات الخاصة بالأدب وتربية
النشء والسياسة وعندما اعتبر كم تقدم البشر فى المعرفة منذ قرن أو
قرنين ، وكم سيكون من السهل أن نذهب أبعد بكثير جدا لنصبح سعداء
لا يأس مطلقا من أننا سنصل الى اصلاح معتبر فى زمن أهذا تحت
رعاية أمير عظيم يرسله الله لخير الجنس البشرى •



الشخصيات

(١) H. Zwinger يوجد ثلاثة أشخاص بهذا الاسم أولهم أو أقدمهم أو رئيس الأسرة طبيب ولد في بال سنة ١٥٣٣ وتوفي سنة ١٥٨٨ ومؤلف theatrum vitae humanae وهو الكتاب الذي ذكره ليبنتز . الثالث ابن الثاني طبيب ولاهوتي ولد سنة ١٥٩٧ وتوفي سنة ١٦٥٤ . ومؤلف theatrum sapientiae caelestis سنة ١٦٥٢ .

(٢) Laurent Beyerling ولد سنة ١٥٧٨ وتوفي سنة ١٦٢٧ نشر مع إضافات وتعديلات كتاب le theatrum الذي ألفه Zwinger ويقال أنه خليط من اللاهوت والقاريح والسياسة والفلسفة .

(٣) Beverwick, Boverovicious طبيب ولد سنة ١٥٩٤ دحض اعتراضات موتنتي على الطب تحت عنوان Montanus eleuchomenos de excellentia feminei sexus. وكتاب آخر .

(٤) George Draud صاحب تصنيفات ولد سنة ١٥٧٢ وتوفي سنة ١٦٣٥ له bibliotheca classica, bibliotheca exotica.

(٥) Lipenius عالم لغوي ولد سنة ١٦٣٠ وتوفي سنة ١٦٨٢ له medica, philosophica, juridica, bibliotheca realis theologica. وعدد من الأبحاث عن المعرفة .

(٦) Gesner مؤلف مشهور في القرن ١٨ ولد سنة ١٦٩١ وتوفي سنة ١٧٦١ ألف تصنيفا عقلانيا catalogue raisonnée لمكتبة دوق ويمبر وهو المؤلف الذي يشير إليه ليبنتز . له أيضا بحث في الفلسفة هو socrates sanctus pederasta. سنة ١٦٩٨ .

* * *

المراجع

(أ) أبحاث باللغة العربية :

- ١ - أبو العلا عفيفي :
المدخل الى الفلسفة
- ٢ - جورج طعمه :

ليبنتز

٣ - د . د . زكى نجيب محمود :

برتراند رسل
نحو فلسفة علمية
المنطق التوضيحي
خرافة الميتافيزيقا

٤ - د . د . عبد الغفار مكاوي :

المونتولوجيا والمبادئ العظيمة للطبيعة والفضل الالهى

٥ - د . د . عبد الرحمن بنوى :

فلسفة العصور الوسطى

٦ - د . د . عثمان امين :

ديكارت
محاولات فلسفية

٧ - د . د . عزمى اسلام :

جون لوك (نوابغ الفكر الغربى)

٨ - د . د . محمد فتحى الشنيطى :

جون لوك (مجلة تراث الانسانية)

٩ - د . د . نجيب بلدى :

بسسكال (نوابغ الفكر الغربى)

١٠ - د . د . يوسف كرم :

تاريخ الفلسفة الاوربية فى العصر الوسيط
تاريخ الفلسفة الحديثة

(ب) أبحاث باللغات الأجنبية :

- ١ - مؤلفات ليبنتز
- ٢ - مؤلفات عن ليبنتز
- ٣ - مقالات فى النوزيات الأجنبية

المراجع باللغة الأجنبية

١ — أبحاث باللغات الأجنبية :

١ — مؤلفات ليبنتز :

- 1 — (Louis) Couturat, Opuscules et Fragments inédits de Leibniz.
- 2 — Langley, (Alfred Gidden) ; New Essays Concerning human understanding by G. W. Leibniz.
- 3 — Latta (Robert) ; Monadology and Other Philosophical Writings of Leibniz.
- 4 — Morris (Mary) ; The Philosophical Writings of Leibniz.
- 5 — Piajet ; Nouveaux Essais de l'entendement.
- 6 — Stark (G. W.) ; Theodicy of Leibniz.
- 7 — Thouvry (Emile) ; Discours de Métaphysique.
- 8 — Wiener (Philip P.) ; Leibniz - selections.

٢ — مؤلفات عن ليبنتز :

- 1 — Archambault (Paul) ; Leibniz.
- 2 — Biéme (Emile van) ; L'espace et le temps chez Leibniz et Kant .
- 3 — Brunschvig (Leon) ; les étapes de la philosophie mathématique.
- 4 — Chatelet (François) ; Histoire de la philosophie , idées et doctrines; T. 3.
- 5 — Cresson (André) ; Leibniz.
- 6 — Freedmann (Georges) ; Leibniz et Spinoza .
- 7 — Hampshire (Stuart) ; Spinoza; pelican book no . 253.

- 8 — Joseph (H.W.) ; lectures on the philosophy of Leibniz.
- 9 — Morris (Cohen) , Ernest Ernest Nagel ; Introduction to logic and scientific method.
- 10— Martin (Gottfried) ; Leibniz and metaphysics.
- 11— Maury (Paul) .: Logic.
- 12— Piat (Clodius) ; Leibniz.
- 13— Russell (Bertrand) ; Critical exposition of the philosophy of Leibniz.
- 14— Saw (Ruth Lydia) ; Leibniz.

مقالات في الدوريات الأجنبية

1 — The Philosophical Review. : July 1954.

- 1 — Leibniz : Theodicy ; translated by E. M. Huggard; p. 110 - discourse on metaphysics ; p. 441 - 444.
- 2 — Belaval, Y; pour connaître la pensée de Leibniz; P. 451 - 453.

2 — Revue philosophique ; 1946.

- 1 — Jalabert ; la psychologie de Leibniz , P. 453 - 472.
- 2 — G. Lewis; la critique leibnizienne du dualism cartésien P. 473 - 485.
- 3 — L. Prenant; le raisonable chez Leibniz , P. 486 - 512.
- 4 — A. Hannequin ; theorie de la connaissance chez Leibniz, 1925, T. xcix, P. 321.
- 5 — Servien; le progrès de la metaphysique de Leibniz, 1937. T. CXXIV.

3 — Revue de Métaphisique et Morale;

- 1 — A. Hannequin: la preuve ontologique cartésienne defondue contre Leibniz . 1896, p. 433.
- 2 — P. Boutroux; études critiques sur la philosophie de Leibniz.
- 3 — L. Courat: sur la métaphysique de Leibniz 1902.
- 4 — sur une des germes de la philosophie de Leibniz, 1902. P. 552.
- 5 — M. Cassirer; système de Leibniz; 1903 n. 83.
- 6 — Le germe de l'antinomie Kantienne chez Leibniz 1908. P. 905.
- 7 — M. Ivan Jagodinsky ; textes inédite de Leibniz; 1913 . P. 177.
- 8 — Henri Lestienne; discours de métaphysique de Leibniz 1930 p. 8.

- 9 — Joseph Ivanicki; Leibniz et les demonstrations mathématiques de l'existence de Dieu 1936 p. 10.
- 10— Martiel Guerault; Dynamique et métaphysique Leibniziennes 1937 . p. 8.
- 11— Brunner, études sur la signification historique de la philosophie de Leibniz ; 1952 . p. 94.
- 12— Guiton, J.; Pascal et Leibniz, étude de deux types de penseurs

* * *

الفهرست

متقدمة :

أولا : فلسفة ليننتز

القيارات الفكرية :

١٣	—	٩	•	•	•	•	•	•	•	(أ) العصر الوسيط والنهضة
١٥	—	١٣	•	•	•	•	•	•	•	(ب) القرن السابع عشر
٢٨	—	١٥	•	•	•	•	•	•	•	(ج) ليننتز : أعماله وفلسفته
٦٨	—	٢٨	•	•	•	•	•	•	•	(د) موقف ليننتز من معاصريه
٣٥	—	٢٨	•	•	•	•	•	•	•	١ — ديكرارت
٥١	—	٣٥	•	•	•	•	•	•	•	٢ — أسبيتوزا
٦٨	—	٥١	•	•	•	•	•	•	•	٣ — جون لوك
٧٨	—	٦٨	•	•	•	•	•	•	•	(هـ) منهج ليننتز
٩١	—	٧٨	•	•	•	•	•	•	•	(و) نقد فلسفة ليننتز

ثانيا : نظرية المعرفة

عرض تحليلي للباب الرابع من كتاب أبحاث جديدة

فى الفهم الانسانى (٩٥ — ١٢٨)

ثالثا : ترجمة الباب الرابع

(١٣٠ — ٣٥٢)

١٣٨	—	١٣١	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الاول : المعرفة بوجه عام
١٥٧	—	١٤٠	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الثانى : درجات المعرفة
١٧٧	—	١٥٨	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الثالث : امتداد المعرفة البشرية
١٨٤	—	١٧٨	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الرابع : حقيقة المعرفة
١٨٧	—	١٨٥	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الخامس : فى الحقيقة بوجه عام
١٩٧	—	١٨٨	•	•	•	•	•	•	•	الفصل السادس : القضايا الكلية ، حقيقتها وبقينها
٢٢٥	—	١٩٨	•	•	•	•	•	•	•	الفصل السابع : البديهيات
٢٣٣	—	٢٢٦	•	•	•	•	•	•	•	الفصل الثامن : القضايا القائمة
٢٣٥	—	٢٣٤	•	•	•	•	•	•	•	الفصل التاسع : معرفة وجودنا

٢٤٦ — ٢٣٦	الفصل العاشر : معرفة وجود الله
٢٥٣ — ٢٤٧	..	الفصل الحادى عشر : معرفة وجود الاشياء الاخرى
٢٦٥ — ٢٥٤	الفصل الثانى عشر : وسائل زيادة المعرفة
٢٦٧ — ٢٦٦	الفصل الثالث عشر : اعتبارات اخرى
٢٦٨ — ٢٦٧	الفصل الرابع عشر : الحكم
٢٧١ — ٢٦٨	الفصل الخامس عشر : الاحتمال
٢٩٠ — ٢٧٢	الفصل السادس عشر : درجات التصديق
٣١٧ — ٢٩١	الفصل السابع عشر : العقل
٣٢٨ — ٣١٨	الفصل الثامن عشر : الايمان والعقل وحدودهما
٣٣٦ — ٣٢٩	الفصل التاسع عشر : الحماس
٣٥٢ — ٣٣٧	الفصل العشرون : الخطأ
٣٦٠ — ٣٥٣	الفصل الحادى والعشرين : تصنيف العلوم
٣٦٥ — ٣٦١	..	المراجع
٣٦٦	الفهرست

رقم الايداع بدار الكتب ٤٠٦٩ / ٨٣

دار التوفيق الخيرية
للطباعة والمطبوعات
الأنزلي: ٣٣ صيفيات الموصلة
بجدة. جازة الدار

سلسلة النصوص الفلسفية

● (المونارولوجيا) و (المبادئ العقلية للطبيعة والفضل الالهي)
سلسلة النصوص الفلسفية

● ليننتز — ترجمة ودراسة — عبد الغفار مكاوي
● نداء الحقيقة — هيدجر

● ترجمة ودراسة — عبد الغفار مكاوي
● ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هيلدرن وماهية الشعر — هيدجر
● ترجمة ودراسة — محمود رجب — فؤاد كامل

● مراجعة عبد الرحمن بدوي
● محاضرات في فلسفة التاريخ — هيجل
● ترجمة ودراسة — امام عبد الفتاح امام

● جامع الحكمين — ناصر خسرو
● ترجمة ودراسة — ابراهيم الدسوقي شتا
● الفلسفة بها هي علم دقيق — هوسرل

● ترجمة ودراسة — محمود رجب
● مبادئ الفلسفة — ديكارت

● ترجمة ودراسة عثمان امين
● المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونوس — باركلي
● ترجمة ودراسة — يحيى هويدي

● جدل الحب والحرب — هرقليطس
● ترجمة ودراسة — مجاهد عبد المنعم
● الحب والقوة والعدالة — بول تليش

● ترجمة ودراسة — كامل يوسف
● خوف ورعدة — كيركجور

● ترجمة ودراسة — فؤاد كامل
● الف باء النسبية — برتراند رسل

● ترجمة ودراسة — فؤاد كامل
● اصول فلسفة الحق — هيجل

● ترجمة ودراسة — امام عبد الفتاح امام
● رحلة الانسان من الجنين الى الجنان — صادق عنقا
● ترجمة ودراسة — ابراهيم الدسوقي شتا

● ابحاث جديدة في الفهم الانساني — ليننتز
● ترجمة ودراسة — احمد فؤاد كامل

● فايدروس — افلاطون
● ترجمة ودراسة — اميرة حلمي مطر